

الإعامان المنافعة الم

تآلين أُدِيَّ لِللَّهُ عَبَّدِ اللَّهِ اللَّهُ الشَّهُ بِي المُسْلَانَ الذِينَ ابرَ لِيُحَطِّيْنِ المَّوَفِيسَ فَي المَرْفِيسَ فَي المَرْفِيسَ فَي المَرْفِي المَّوَفِيسَ فَي المَرْفِيسَ فَي المَرْفِيسَ فَي المَرْفِيسَ فَي المَرْفِيسَ فَي المَرْفِيسَ فَي المَرْفِيسَ

> شَرَمهُ رَضِبِطِهُ مَقِدَم لَهُ الأُرْسَنَّا وْ الدِّلِيَّنِ رَمْحِيثِف عَلَيْ طَويَل الرُسُنَّا وْ الدِّلِيِّنِ رَمْحِيثِف عَلَيْ طَلَّى طَلَويْل اشْنَا وْ الْحَدِثِ الْمُدَلِيمِث طِلْمُلْهَاتِ الْعَكِيا بالجامعة اللبنانية

> > المجته الأولست

منشورات مخرعت اي بيضى ب لكشركت براك نه تراجم سكامة دار الكفي العلمية ب برورت - بت كان

دارالكنب العلمية

جمیع الحقوق محفوظ ۵ Copyright All rights reserved Tous droits réservés

جميع حدوق الملكهة الأدبيسة والفنهة محفوظسسة السدار الكتسب العلميسة بيسرون الهنان ويحظر طبع أو العبوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخسائه على الكمبيوتسر أو برمجته على المعلوانات ضوئية إلا بمواطعة الناشسر خطباً

Exclusive rights by Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Behrut - Lebenon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à Dar Al-Kotob Al-limiyah seyrouth - Liben

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditor, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D. ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى ٢٠٠٢م-١٤٢٤هـ

دارالكنب العلمية

مهجيرُوت ۽ ليسڪاڻ

ومل الطريف - شارع البحثري بناية ملكارث الإداره المامة: عرمون القية - مبنى دار الكتب العلمية هاتف وفاكس: ۸۰(۸۱۰/۱۲/۱۲) صندوق برود: ۹۱۲۱ - ۱۱ پيروث - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Rami Al-Zarif, Bohlory Str., Melkari Bidg. 1st Floor Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bidg. Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13 P.O.Box: 11-9424 Beinrt - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Rami Al-Zant, Rue Bohtery, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Amiyah Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13 P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3319-5
90000>

http://www.al-limiyah.com/

e-mail: saies@al-ilmlyah.com info@al-ilmlyah.com baydoun@al-ilmlyah.com

يستسع الله التخليل التحكيد

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السّلماني: أمّا^(۱) بعد حمد الله الذي أحصى الخلائق عددًا، وابتلاهم اليوم ليَجزيهم غدًا، وجعل جيادَهم تتسابق في ميادين الآجال إلى مدّى، وبايَنَ بينهم في الصور والأخلاق والأعمال والأرزاق فلا يجدون بما^(۱) قُسِمَ مَحيصًا ولا فيما حكم مُلتَحدًا^(۱)، وسِعَهُم (٤) عِلْمُهُ على تَبايُن أفراقهِم (٥) وتكاتُف أعدادِهم والدًا وولدًا، ونَسَبًا وبَلدًا، ووفاةً ومولدًا، فمنهم النّبيه والخامل، والحالي والعاطل، والعالم والجاهل، ولا يَظُلمُ رَبُّكَ أحدًا. وجعل لهم الأرض ذَلُولًا يمشون في مَناكبها ويتخذون من جبالها بيوتًا ومن متاعها عُدَدًا. وخص بعض أقطارها بمزايا تدعو إلى الاغتباط والاعتمار (١٠)، وتَحَتُ على السكون والاستقرار، مُتَبَوِّءًا فسيحًا، وهواءً صحيحًا، وماء نَميرًا، وامتناعًا هيرًا، ورزقًا رَغدًا. فسبحان مَن جعل التّفاضُل في المساكن والسّاكن، وعرّف العِباد عوارف اللطف في الظاهر والباطن، ولم يترك شيئًا سُدى.

والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا محمد (٧) الذي ملا الكون نورًا وهدى، وأوضح سبيل الحق وكانت طرائق قِدَدًا (٨)، أعلى الأنام يدًا، وأشرف الخلق ذاتًا وأكرمهم مَحْتِدًا، الذي أنجز الله به مَن نصر دينه الحقّ موعدًا، حتى بلغت دعوته ما رُوِيَ (٩) له من هذا المغرب الأقصى فرفعت بكل هضبة مَعْلَمًا وبَنَت بكل قلعة مسجدًا. والرّضى على آله وأصحابه الذين كانوا لسماء سُنّته عُمُدًا، ليوث العِدا،

⁽١) النص في ريحانة الكتاب (ص ٣١ ـ ٣٥). (٢) في ريحانة الكتاب: «عمّا».

 ⁽٣) الملتحد: الملجأ، لسان العرب (لحد).
 (٤) في الريحانة: «ووسعهم».

⁽٥) في الربحانة: اأفرادهما. والأفراق: جمع فِرْق رهو الطائفة. لسان العرب (فرق).

⁽٦) الاعتمار: الغُمْرة، أي الحج الأصغر. لسان العرب (عمر).

⁽٧) في الربحانة: «محمد رسوله الذي.٤٠٠ (٨) قِدُدًا: متعددة، مختلفة. لسان العرب (قدُد).

⁽٩) زُوِي: بَعُد. لسان العرب (زوي).

وغيوث النّدى، ما أقل ساعدٌ يدًا، وعُمر فكر⁽¹⁾ خالدًا، وما صباح بدا، وأورق شدا، فإن الله، عزّ وجهه، جعل الكتاب لشوارد العلم قَيدًا، وجوارحَ اليَراع تُثير في السهول الرّقاع صيدًا. ولولا ذلك لم يشعر آتٍ في الخلق بذاهب، ولا اتصل شاهدٌ بغائب، فماتت الفضائلُ بموت أهلها، وأفَلَتْ نجومُها عن أغيُن مُجْتَليها، فلم يُرجع إلى خبر يُنقَل، ولا دليل يُعقَل، ولا سياسة تُكتَسَب، ولا أصالة إليها يُنتَسَب، فهدى سبحانه وألهم، وعلّم الإنسان بالقلم، عِلْمَ ما لم يكن⁽¹⁾ يعلم، حتى ألفينا المراسم بادية، والمراشد هادية، والأخبار منقولة، والأسانيد موصولة، والأصول محرَّرة، والتواريخ مقرِّرة، والسير مذكورة، والآثار مأثورة، والفضائل من بعد أهلها باقيةً خالدةً، والمآثر ناطقة شاهدة، كأنّ النهارَ⁽¹⁾ القرطاسُ، والليلَ المدادُ، ينافسان الليل والنهار، في عالم الكون والفساد، فمهما طويا شيقًا، وَلِعا هُما⁽¹⁾ بِنثره، أو دفنا ذكرًا دعوا إلى نشره، فلو⁽¹⁾ أن لسان الدهر نطق، وتأمّل هذه (1) المناقضة وتحقّق، لأتى بما شاء من عَتْبِ فلوم، وأنشَده: [الوافر]

أعلَّمه السرماية كل يسوم(٧)

ولمّا كان الفنُ (١٥) التاريخي مارب البشر، ووسيلة إلى ضمَّ النشر، يعرفون به أنسابهم في (٩) ذلك شرعًا وطبعًا ما فيه، ويكتسبون به عقل التجربة في حال السكون والترفيه (١٠)، ويستدلّون ببعض ما يُبدي (١١) به الدهر وما يخفيه، ويُرى العاقل من (١٢) تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالإيمان ويَشْفيه، ويمرّ على مصارع الجبابرة فيخسَبه (١٣) بذلك واعظًا ويكفيه، وكتاب الله يتخلّله من القصص ما يُتَمّم هذا (١٤) الشاهدَ لهذا الفن ويُوفّيه. وقال الله تعالى (١٥): ﴿وَكُلُا نَقُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَيّتُ

فيلتها اشتذ ساعده رماني

⁽١) في الريحانة: (بكر). (١) كلمة (يكن) ساقطة في الريحانة.

⁽٣) في الريحانة: «كأن نهار الطّرس وليل المداد. . ٠٠.

 ⁽٤) كلمة اهما، ساقطة في الريحانة: اولوا.

⁽٦) في الأصل: الهذه والتصويب من ربحانة الكتاب.

⁽٧) وعجز البيت هو:

⁽٨) في الريحانة: قولمًا كان هذا الفن التاريخي فيه مأرب. . . ٢٠

⁽٩) في الريحانة: ﴿وَفَيُ ۗ.

⁽١٠) في الأصل: «والرفيه» والتصويب من الريحانة.

⁽١١) في الريحانة: «ما يبديه الدهر على ما يخفيه».

⁽١٢) في الربحانة: «العاقل في قدرة الله. . . ٤٠ . في الربحانة: «فيحسب ذلك».

⁽١٤) كلُّمة «هذا؛ ساقطة في الريحانة. (١٥) في الريحانة: اسبحانه،

بِهِۦ فُوَّادَكُۗ﴾(١). وقسال عسزٌ وجسلٌ^(٢): ﴿غَنَنُ نَقْشُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْفَصَمِينِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَنذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن حَصُّنتَ مِن قَبْـلِهِ. لَيِنَ ٱلْغَنفِلِينَ ۞﴾(٢)

فَوَضَح (١) سبيلٌ مبينٌ، وظهر أن القول بفضله يَقتضيه (٥) عقل ودين، وأن بعض المصنَّفين ممَّن ترك نومه لمَن دونه، وأنْزَفَ ماء شبابه مُودِعًا إياه بَطْن كِتابه يقصُدُه الناس ويَرِدُونه، اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم؛ فمنهم مَن اعتنى بإثبات حوادث الزمان، ومنهم مَن اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان، عجزًا عن الإحاطة بهذا الشأن، عمومًا في أكثر الأقطار^(٦) وخصوصًا في بعض البُلْدان، فاستهدَف إلى التعميم فرسانُ الميدان، وتوسُّعوا بحسب مادة الاطِّلاع وجَهْد الإمكان، وجَنَحَ إلى التخصيص من أثر (٧) الأولوية بحسب ما يخصه من المكان، ويلزمه من حقوق السكان، مُغْرمًا برعاية عهود وطنه وحُسن العهد من الإيمان، بادئًا بمَن يعوله كما جاء في الطّرق الحِسان. فتذكرتُ جملةً من موضوعات مَن أفرَدَ لوطنه (٨) تاريخًا هَزَّ إليها ـ علم الله ـ وفاءٌ وكرمٌ، ودار عليها بقول (٩) الله من رحمته الواسعة حرم، كتاريخ (١٠) مدينة بخارى لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار. وتاريخ أَصْبَهَان لأبي نُعَيم أحمد بن عبد الله الحافظ صاحب الحلية. وتاريخ أصبهان أيضًا لأبي زكريا يحيئ بن عبد الوهاب بن قندة الحافظ. وتاريخ نُيْسابُور للحاكم أبي عبد الله بن اليسع، وذيله لعبد الغافر بن إسماعيل. وتاريخ هَمَذَانَ لأبي شُجاع شَيْرُويه بن شهردار بن شيرويه محمد بن فناخسرو الديلمي. وتاريخ طبقات أهل شيراز لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن القصار. وتاريخ هَراة، أظنه لأبي عبد الله الحسن بن محمد الكتبي. وأخبار هراة أيضًا ومَن نزلها من التابعين وغيرهم من المحدّثين لأبي إسحلق أحمد بن ياسين الحداد. وتاريخ سَمَرْقَند لعبد الرحمان بن محمد الأرْدِسي. وتاريخ نَسَف لجعفر بن المُعَبر المستعفري. وتاريخ جُرجان لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي. وتاريخ الرُّقّة لأبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمان القُشَيري. وتاريخ بغداد للخطيب أبي بكر بن ثابت، وذيله لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن

⁽١) سورة هود ١١، الآية: ١٢٠.

⁽٢) في الأصل: "عزّ من قائل والتصويب من الريحانة.

⁽٣) سورة يوسف ١٢، الآية: ٣. ﴿ ٤) في الريحانة: ففوضح من حقّه سبيل. . . ٢.

⁽٥) في الريحانة: ايقضى بهه. (٦) في الريحانة: االأوقات».

⁽٧) قوله: «من أثرًا ساقط في الأصل، وقد أضفناه من ربحانة الكتاب.

⁽٨) في الريحانة: «مَن أفرد تاريخًا لبلده». (٩) في الريحانة: ابفضل».

⁽١٠) أغفل ابن الخطيب في الريحانة ذكر أسماء ما أورده هنا من مختلف كتب التاريخ الخاصة بمختلف البلدان ما يملأ صفحتين، واكتفى بقوله: «كتاريخ كذا، وتاريخ كذا،

منصور السمعاني. وأخبار بغداد لأحمد بن أبي طاهر. وتاريخ واسِط لأبي الحسين علي بن الطيب الخلافي، وتاريخ من نزل حِمْص من الصحابة ومن دخلها، ومن ارتحل عنها، ومَن أغُقَبُ، ولم يُعقب، وحدّث ولم يحدّث، لأبي القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي. وتاريخ دِمَثْق لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر. وتاريخ مكة للأزرّقي. وتاريخ المدينة لابن النجّار. وتاريخ مصر لعبد الرحمان بن أحمد بن نواس. وتاريخ الإسكندرية لوجيه الدين أبي المظفر منصور بن سليمان بن منصور بن سليم الشافعي. وتاريخ طبقات فقهاء تونس لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي العبّاس بن خلف التميمي. وعنوان الدّراية في ذكر مَن كان في الماية السابعة بِبجايّة، لأبي العباس بن الغبريني. وتاريخ تِلمُسان لابن الأصفر، وتاريخها أيضًا لابن هَدِيَّة. وتاريخ فاس لابن عبد الكريم، وتاريخها أيضًا لابن أبي زَرْع. وتاريخ فاس أيضًا للقونجي، وتاريخ سَبْتة، المسمّى بالفنون السُّتَّة، لأبى الفضل عِياض بن موسى بن عياض، تركه في مسوّدته. وتاريخ بَلَنْسية لابن علقمة. وتاريخ إلبِيرة لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملّاحي. وتاريخ شُقُورة لابن إدريس. وتاريخ مالقة لأبي عبد الله بن عسكر، تركه غير متمّم، فتمّمه بعد وفاته ابن أخيه أبو بكر خمسين. والإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة، لأبي العباس أَصْبُغ بن العباس. والاحتفال في أعلام الرجال، لأبي بكر الحسن بن محمد بن مُفَرّج القيسي. وتاريخ قُرْطُبة، ومنتخب كتاب الاحتفال، وتاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطُليْطُلة، لأبي جعفر بن مظاهر، ومنتخبه لأبي القاسم بن بَشْكُوال. وتاريخ فقهاء قُرْطبة لابن حَيّان. وتاريخ الجَزيرة الخَضْراء لابن خُمْسين. وتاريخ قلعة يَخْصِب، المسمّى بالطالع السُّعيد، لأبي الحسن بن سعيد. وتاريخ بَقيرة، لأبي عبد الله بن المؤذن. والدُّرَّة المكنونة في أخبار أشبُونة، لأبي بكر بن محمد بن إدريس الفَرَابي العالوسي. ومزيَّة ألمريَّة لأبي جعفر أحمد بن خاتِمة، من أصحابنا. وتاريخ ألمرية وباجة، لشيخنا نسيج وحده أبي البركات بن الحاج، متّع الله بإفادته، وهو في مُبَيَّضته، لم يرمها بعد.

فداخلتني (١) عصبيّة لا تَقدَح في دين ولا مَنْصِب، وحَمِيَّة لا يُذَمُّ في مثلها مُتعصِّب، رغبة أنْ يقع (٢) سؤالُهم وذكرُهم من فضل الله جناب مُخْصب، ورأيت أن هذه الحضرة (٣) التي لا خفاء بما وفر الله من أسباب إيثارها، وأراده من جلال

⁽١) في ريحانة الكتاب: ﴿فداخلتني لقومي عصبية).

⁽٢) في ريحانة الكتاب: «أن يسع سواهم ذكرهم».

⁽٣) الحضرة: العاصمة، والمراد بها هنا مدينة غرناطة حاضرة الأندلس آنذاك.

مقدارها، جعلها^(۱) ثغر الإسلام ومتبوّاً العرب الأعلام، قبيل رسوله، عليه أفضل الصلاة وأزكى^(۲) السلام، وما خَصّها به من اعتدال الأقطار، وجَريان الأنهار، وانفساح الاعتمار^(۲)، والتفاف الأشجار. نزلها العربُ الكرام عند دخولهم مُخْتَطَّين ومقتطعين⁽²⁾، وهبُوا بدعوة فضلها مُهْطِعين⁽³⁾، فعمَرُوا وأولَدوا، وأثبتوا المفاخر وخلدوا، إلى أن صارت دار مُلُك، ولبّة (٢) سِلْكِ، فنبُه المقدارُ وإن كان نبيهًا، وزدادت الخُطّة ترفيعًا^(۷)، وجلب إلى (^(۸) سوق الملإ بما نفق فيها. فكم ضمّت جدرانها من رئيس يتقي الصباحُ هجومَه، ويتخوّفُ اللّيلُ طروقه (١٠) ووجومَه، ويفتقر الغيثُ لنوافله (١٠) الممنوحةِ وسجُومه، وعالم يبرز للفنون فيطيعه عاصيها، ويدعو (١١) بالمُشْكِلات فيأخذ بنواصيها، وعالم (^(۲) بالله قد وَسَمَ السجودُ جبينه، وأشْمَتُ أَغْبَرُ لو أقسم على الله لأبُرّ يمينه، وبليغ قد (^(۲) أذعنت لبراعة خطه وشيجةُ الخط، يغوص على دُرَر البدائع، فيلقيها من طِرْسه الرائع (٤١) على الشّط، لم يقم بحقها يغوص على دُرَر البدائع، ويلقيها من طِرْسه الرائع (٤١) الأعراض. هذا وسُمْر (١١) الأقلام مُشرَعة، ومكان القول والحمد لله ذو سَعَة، فهي الحَسْناء (١٢) التي عدمت اللَّقلام، وزيّنت (١٠) الليالي والأيام. والهوى (١١) إن قبل كلِفْتُ بمغانيها، وقَصَرْتُ اللَّام على معانيها، فعاشق الجمال عذره مقبول (٢٠)، ولله دَرُ أبي الطبب حيث الأيام على معانيها، فعاشق الجمال عذره مقبول (٢٠)، ولله دَرُ أبي الطبب حيث

⁽١) في الربحانة: اإذ جعلها، (٢) في الربحانة: اوأطيب،

⁽٣) الاعتمار هنا بمعنى العمران، لسان العرب (عمر).

⁽٤) في الأصل: «ومنقطعين» والتصويب من الريحانة.

⁽٥) مهطعين: مسرعين. لسان العرب (هطع).

⁽٦) اللَّبة: ما توسط الصدر. لسان العرب (لبب).

⁽٧) في الريحانة: «ترفيهًا».

⁽٨) في الريحانة: (وجلب لسوق الملك ما نفق. . . . ٧.

⁽٩) في المصدر نفسه: ﴿ إطراقه ﴾ .

 ⁽١٠) في الأصل: «لنوائله» والتصويب من الريحانة.

⁽١١) في الربحانة: «وتدعوه المشكلات». (١٢) في الربحانة: «وعارف».

⁽١٣) كلمة «قد» ساقطة في الريحانة.

⁽١٤) في الأصل: «الراتع الشطُّه والتصويب من ريحانة الكتاب.

⁽١٥) في الريحانة: ﴿ وَلَا بِينِ ۗ .

⁽١٦) في الأصل: ﴿وشجرِ والتصويب من الريحانة.

⁽١٧) في الأصل: «الحسني؛ والتصويب من الريحانة.

⁽١٨) في الأصل: ﴿وزينة والتصويب من الريحانة.

⁽١٩) في الربحانة: قوإن قيل كلفّتُ بمعانيها، وقصرْتُ الهوى على مغانيها».

⁽٢٠) في الريحانة: «مقبول، وسيف العدل دونه مغلول، ولله درّ أبي الطيب إذ يقول.

يقول(١): [الوافر]

ضُرُوبُ الناسِ عُشَاقٌ ضُرُوبًا فَأَعْذَرُهُمْ أَشَفُهُمُ حَسِيبا

فلست ببدع ممّن فُتِن بحب وطن، ولا بأول ما شاقَهُ منزلٌ فألقى بالعَطَن، فحبّ الوطن معجون بُطينة (٢) ساكنه، وطَرْفُه مُغرّى بإتمام (٣) محاسنه، وقد نبّه علي بن العباس (٤) على السّبب، وجاء في التماس التّعليل بالعَجَب، حيث يقول: [الطويل]

مآربُ قُضاها الشباب هنالكا عهودُ الصبا فيها فحَنُوا لذلكا

وحبّب أوطان الرجال إليهم إذا ذَكروا أوطانهم ذَكرتهم

ورميتُ في هذا المعنى بسهم سديد، وألمَحْتُ بغَرض إن لم يَكُنُه فليس ببعيد: [الطويل]

أُحبّك يَا مَغْنَى الجلال بواجب وأقطعُ في أوصافك الغُرِّ أوقاتُ تَقَسَّم منك التَّربَ قومي وجيرتي في ففي الظُّهْرِ أحياءٌ وفي البطْنِ أمواتُ

وقد كان أبو القاسم الغافقي (٥) من أهل غُرِناطة، قام من هذا الغرض بفرض، وأتى من كله ببعض، فلم يَشْفِ من عُلَق، ولا سَدْ خَلّة، ولا كثّر قِلّة، فقمت بهذا الوظيف، وانتدبت فيه للتأليف، ورَجَوتُ على نزارة حظّ الصّحة، وازدحام الشواغل المُلِحّة، أن أضطلع من هذا القصد بالعبء الذي طالما طأطأت له الأكتاد، وأقف منه الموقف الذي تهيئته الأبطال الأنجاد، فاتخذت الليل جَمَلًا لهذه الطّيّة (١٦)، وانتَضَيْتُ غارب العَزْم ونِعْمَت المطيّة، بحيث لا مُؤانس إلّا ذُبالٌ (٧) يكافح جيش الدُجى، ودفاتِرُ تُلْفَحُ الحِجَا، وخواطرُ تبتغي إلى سماء الإجادة معْرَجًا؛ وإذا صَحِب العمل صِدْقُ النيَّة، أشرَقت من التَّوفيق كلُّ ثَنِيَة، وطَلَعت من السَّداد كلُّ غُرَّة سَنِيَّة، وقد علم الله أني لم أعتمد منها دُنيا أستمنحها، ولا نَسَمَة جاهِ يُسْتَنْشَق ريحُها؛ وإنما هو صبحٌ

 ⁽۱) دیوان المتنبي (ص ۱۹۹). هو مطلع قصیدة من ۲۱ بیتًا، قالها في مدح علي بن محمد بن سیّار بن مکرم.

 ⁽۲) في ريحانة الكتاب: •في طينة».
 (۳) في المصدر نفسه: •بالتماح».

 ⁽٤) هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج، ابن الرومي، المتوفّى سنة ٢٨٣ هـ. وترجمته في
 وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٣١٣) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

 ⁽٥) هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي، صاحب كتاب «تاريخ علماء إلبيرة»،
 وقد تقدّم ذكره قبل قليل.

⁽٦) الطُّلُّة: الْمقصد، والمتناى. لسان العرب (طوى).

⁽٧) الذُّبال: جمع ذُبالة وهي الفتيلة التي تُسْرَجُ. لسان العرب (ذبل).

تبين، وحقَّ رأيته عليَّ قد تعيَّن، بذلت فيه جَهْدي، وأقطعتهُ جانب سُهْدي، ليَنْظِم هذا البلد بمثله، مما أثير كامِنُه، وسُطَّرت محاسنُه، وأنشر بعد الممات جانبه (١٠): [الوافر]

وما شر الشلائة أمّ عمرو بصاحبك الذي لا تُضبِحِينا

فلم أدع واحدة إلا استنجذتها، ولا حاشية إلا احتشدتها، ولا ضالة إلا تشدتها؛ والمعجتهد في هذا الغرض مقصّر، والمُطيل مختصر، إذ ما ذُكر لا نسبة بينه وبين ما أغفل، وما جُهل أكثر مما نُقل، وبحار المدارك مسجورة (٢٦)، وغايات الإحسان على الإنسان محجورة؛ ومَن أراد أن يوازن هذا الكتاب بغيره من الأوضاع فليتأمّل قصده، ويُثير كامنه، ويُبدي خبائنه (٣)، تتضح له المَكرُمة، ولا تخفّى عليه النّصَفة، ويشاهد مجزي السّيئة بالحسنة، والإغراب عن الوصعة والظّنة، إذ الفاضلُ في عالم الإنسان، من عُدِدت سَقطاته، فما ظنّك بمفضوله. وللمعاصر مزية المباشرة، ومزيد الخبرة، وداعي التشفّي والمقارضة؛ وسع الجميع السّتر، وشجلهم البر، ونُشِرت جنائزُهم لسقي الرحمة، ومثني الشفاعة، إلا ما شدّ من فاسق أباح الشرع جماه، أو غادر وسمه الشؤم الذي جناه، فتختل عرضه عن تخليد مجد، وتدوين فخر، وإبقاء ذكر، لمن لم الشؤم الذي جناه، فتختل عرضه عن تخليد مجد، وتدوين فخر، وإبقاء ذكر، لمن لم يعمل لما بعد يومه، فكم خَلْفِ مما ذكر فيه يجده بين يهوم لها مقام متاع ويخلّة، أو غريب يُجلُّ بغير قُطره فيفيده نُحلة، صاعد خدم قاعلًا يقوم لها مقام متاع ويخلّة، أو غريب يُجلُّ بغير قُطره فيفيده نُحلة، صاعد خدم قاعلًا الخشية، وقد رضينا بالسلامة عن الشكر، والإصغاء عن المثوبة، والنصفة عِوض الحشرة، إذ الناس على حَسَب ما سُطر ورُسم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي، وصرفتُ في اختياره مخيلتي، هو أني ذكرت البلدة (٤)، حاطها الله، مُنَبَّهًا منها على قديمها، وطِيب هوائها وأدِيمها، وإشراق علاها، ومحاسن حُلاها، ومَن سكَنها وتَوَلَّاها، وأحوال أناسها، ومَن دالَ بها من

 ⁽١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي. راجع: المعلقات العشر، شرح ودراسة الدكتور مفيد
 قميحة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩١ (ص ١٦٧).

⁽٢) مسجورة: فيّاضة، مفعمة. لسان العرب (سجر).

 ⁽٣) الخبائن: هذا الجمع لم يَرِد في معاجم اللغة العربية وجاء فيها لفظة: «خُبُنة»، والمراد هنا
الخفايا، من قولهم: خَبَنَ الشيءَ يَخْبِنُه إذا أخفاه. لسان العرب (خبن).

⁽٤) المراد بالبلدة: غرناطة.

ضُروب القبائل وأجناسها، وأعطيت صورتها، وأزخت في الفَخْر ضرورتها، وذكرت الأسماء على الحروف المبرّية، وفصلت أجناسهم بالتراجم المترتبة، فذكرت الملوك والأمراء، ثم الأعيان والكبراء، ثم الفضلاء، ثم القضاة، ثم المُقرِئين والعلماء، ثم المحدِّثين والفقهاء، وسائر الطلبة النجباء، ثم الكتّاب والشعراء، ثم العمّال الأثراء، ثم الرّقاد والصّلحاء، والصوفيّة والفقراء، ليكون الابتداء بالمُلك، والاختتام بالمِسْك، ولينظم الجميع انتظام السَّلك، وكل طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والاستِقْرار، أو طرأ عليها مما يجاورها من الأقطار، أو خاض إليها وهو الغريب أبياج^(۱) البحار، أو ألم بها ولو ساعة من نهار؛ فإن كَثرَت الأسماء نوّعتُ وتوسّعتُ، وألاَجداد أبيات والمواليد، التي رتبها الزمان عن الاستقصاء، وذهبت إلى أن والآباء، لشرود الوَفَيات والمواليد، التي رتبها الزمان عن الاستقصاء، وذهبت إلى أن أذكر الرجل ونسبه وأصالته وحسبته، ومولده وبلده، ومذهبه وأنحاله؛ والفن الذي دعا إلى ذكره، وحليته ومشيخته، إن كان ممّن قيّد علمًا أو كتبّه؛ ومآثره إن كان ممّن قيد علمًا أو كتبّه؛ ومآثره إن كان ممّن ألف في وصل الغضل بسببه؛ وشعره إن كان ممّن قيّد علمًا أو كتبّه؛ ثم وفاته ومُنقلبه، إذ فن أو هَذَبه؛ ومحنته إن كان ممّن برّه (٢) الدهر شيئًا أو سلبَه؛ ثم وفاته ومُنقلبه، إذ من منحه حياته ما وهه.

وجعلت هذا الكتاب قسمين، ومُشتَمِلًا على فَنَين: القسم الأول؛ «في حِلَى المعاهد والأماكن، والمنازل والمساكن». القسم الثاني؛ «في حِلَى الزّائر والقاطن، والمتحرّك والسّاكن».

⁽١) الأثباج: جمع ثبج، وثبج البحر: وسطه ومعظمه. لسان العرب (ثبج).

⁽٢) بَزُّه: سلبه. لسان العرب (بزز).

القِسم الأوّل في حِلَى المَعَاهد وَالأماكِن وَالمَنَازل والمسَاكِن



يسْدِ اللهِ النَّالِي النّ

فصـــل في اسم هذه المدينة ووضعِها على إجْمالِ واختصار

يقال^(۱) غَرْناطة، ويقال إغْرَناطة^(۲)، وكلاهما أعجمي، وهي مدينة كُورَة إلْبِيرة، فبينهما فرسخان وثلثا فرسخ^(۲). وإلبيرة من أعظم كُور الأندلُس، ومتوسِّطة ما اشتمل عليه الفتح من البلاد، وتسمَّى في تاريخ الأمم السالفة من الرّوم، سنام⁽³⁾ الأندلس، وتُدعى في القديم بقسطيليّة. وكان لها من الشهرة والعمارة، ولأهلها من الثروة والعُدِّة، وبها من الفقهاء والعلماء، ما هو مشهور. قال أبو مروان بن حيّان: كان يجتمع بباب المسجد الجامع من إلبيرة خمسون حَكَمَة⁽⁶⁾، كلها من فِضَة لكثرة الأشراف بها. ويدل على ذلك آثارُها الخالدة، وأعلامُها الماثلة، كطلَل مسجدها الجامع، الذي تحامى استطالة البِلَى، كيلت عن طَمْس معالمه أكفُ الرَّدى، إلى بلوغ ما فُسح له من المَدّى.

⁽١) قارن باللمحة البدرية (ص ٢١).

 ⁽۲) اختلفت آراه الباحثين في أصل هذه التسمية، وللاطلاع على هذا الاختلاف بإسهاب راجع
 مملكة غرناطة في عهد بني زيري للدكتورة مريم قاسم طويل (ص ۲۷).

⁽٣) الفرسخ: مسافة تُقَدّر بثلاثة أميال. معجم البلدان (ج ١ ص ٣٦)، وتقويم البلدان (ص ١٥).

⁽٤) كذا في اللمحة البدرية (ص ٢١). وقد تكون «شأم الأندلس؛ لأن غرناطة كانت تسمى شأم الأندلس أو دمشق الأندلس، وهكذا وصفها ابن الخطيب في هذا الجزء بعد قليل، وفي اللمحة البدرية (ص ٢٦). وكذا وصفها الرخالة ابن جبير وهو يخاطبها: [مجزوء الكامل]

يا دمشق الخرب هاتي لك لعقد زدت عليها تسميل الأنهار تخري وهي تنصب السها الأنهار تخري (ص ٢٩).

⁽٥) الْحَكْمَةُ: ما أحاط بحنَّكَيْ الفرس من لِجامه وفيها العذاران. محيط المحيط (حكم).

بناه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، أمير المؤمنين الخليفة (١) بقُرْطُبة، رحمه الله، على تأسيس حَنَش بن عبد الله الصَّنَعاني الشافعي، رحمه الله، وعلى محرابه لهذا الوقت: «بسم الله العظيم، بُنِيت لله؛ أَمَرَ ببنائها الأميرُ محمد بن عبد الرحمان، أكرمه الله، رجاء ثوابه العظيم؛ وتوسيعًا لرعيته؛ فتم بعون الله على يدي عبد الله بن عبد الله، عامِله على كُورَة إلْبيرة في ذي قعدة سنة خمسين ومائتين».

ولم تزل الأيام تُخيف ساكنها، والعَفاء يَتَبوّأ مساكنها، والفِتن الإسلامية تَجُوس أماكنها، حتى شملها الخراب، وتَقَسّم قاطِنَها الاغتراب، وكلُ الذي فوق التراب تُراب. وانتقل أهلها مدة أيام الفتنة البَرْبَرِيَّة (٢) سنة أربعمائة من الهجرة، فما بعدها، ولجأوا إلى مدينة غَرْناطة، فصارت حاضرة الصُقْع، وأمَّ المِصْر، وبَيْضَة ذلك الحق، لحصانة وضْعِها، وطيب هوائها، ودُرُور مائها، ووُفور مَدتها، فأمِن فيها الخائف، ونُظِمَ النَّسْر، ورسخت الأقدام، وتأثل المِصْر، وهلُمُ جرًّا. فهي بالأندلس، قُطْب بلاد الأندلس، ودار المُلْك، وقِرَى الإمارة، أبقاها الله مُتَبَوّأ الكلمة إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها بقدرته.

من اكتاب إلبيرة (٢)، قال: بعد ذكر إلبيرة، وقد خلفها بعد ذلك كله مدينة غرناطة من أعظم مدنها وأقدمها، عندما انقلبت العمارة إليها من إلبيرة، ودارت أفلاك البلاد الأنكلسية، فهي في وقتنا هذا قاعدة الدنيا، وقرارة العليا، وحاضرة السلطان، وقبة العدل والإحسان. لا يَغدِلها في داخلها ولا خارجها بلد من البُلدان، ولا يُضاهيها في انساع عمارتها، وطيب قرارتها، وطن من الأوطان. ولا يأتي على حَصْر أوصاف جمالها، وعَد أصناف جلالها، قلمُ البيان. أدام الله فيها العز للمسلمين والإسلام، وحَرَسها ومن اشتملت عليه من خلفائه، وأنصار لوائه، بعَيْنه التي لا تنام، ورُكنِهِ الذي لا يُرام.

وهذه المدينة من مَعْمُور الإقليم الخامس⁽¹⁾، يبتدىء من الشرق، من بلاد يَأْجُوج ومأْجوج، ثم يمرُّ على شمال خُراسان، ويمرُّ على سواحل الشام، منّا يلي

⁽١) لم يكن محمد بن عبد الرحمان الثاني خليفة، بل كان أميرًا حكم الأندلس منذ سنة ٢٣٨ هـ إلى سنة ٢٧٣ هـ. صنة ٢٧٣ هـ.

⁽٢) بدأت الفتنة البربرية بقرطبة سنة ٣٩٩ هـ.

 ⁽٣) هو كتاب «تاريخ علماء إلبيرة» لأبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي، وقد سبق
ذكره في بداية هذا الجزء.

⁽٤) كذا جاء في آثار البلاد (ص ٤٩١، ٤٥)، وكتاب الجغرافيا (ص ١٦٦، ١٦٧)، واللمحة البدرية (ص ٢١).

الشمال، ويمرُّ على بلاد الأندلس، قُرْطبة وإشبيلِيَة وما والاها إلى البحر المحيط الغربي. وقال صاعدُ بن أحمد في كتاب «الطُّبَقات»: إنَّ مُغظم الأندلس في الإقليم الخامس، وطائفة منها في الإقليم الرابع، كمدينة إشبيلية، ومالَقَة، وغزناطة، وألْمَرِيَّة ومُزْسية.

وذكر العلماء بصناعة الأحكام أنَّ طالعها الذي اختُطَّت به السُّرَطان، ونحلوها، لأجل ذلك، مزايا، وحظوظًا من السعادة، اقْتَضاها تَسْيير أحكام القِرَانات الانتقاليَّة على عهد تأليف هذا الموضع.

وطولها سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة (١)، وعرضُها سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق، وهي مساوية في الطول بأمر يسير لقُرْطُبة، ومَيُوزَقَة، وأَلْمَرِيَّة؛ وتقرُب في العَرْض من إشبيليّة، وأَلْمَرِيَّة، وشاطبة وطُرْطُوشة، وسَردانية، وأَنطاكِية، والرِّقِّة، كل ذلك بأقل من درجة. فهي (٢) شامِيَّة في أكثر أحوالها، قريبة من الاعتدال، وبينها وبين قرطبة، أعادها الله تعالى، تسعون ميلًا. وهي منها بين شرق وقبلة، وبحر الشام (٢) يحول ويحاجز بين الأندلس وبلاد العُذوّة (١)، وبين غرب وقبلة على أربعة بُرُد (٥). والجبال بين شرق وقبلة، والبرَاجِلات (١) بين شرق وجَوْف (٤)، والكَنْبانِيَّة (٨) بين غرب وقبلة، وبين جوف وغرب، فهي لمكان جوار السَّاحل، مُمارة بالبَوَاكر (٩) السَّاحلية، طيبة البحار، وركابٌ لجهاد البحر، ولمكان استقبال الجبال، المقصودة (١٠) بالفواكه المتأخّرة اللحاق، مُعَلَلةً بالمُدَّخرات،

⁽۱) الدرجة عند ياقوت خمسة وعشرون فرسخًا، أي خمسة وصبعين ميلًا، وتنقسم إلى ستين دقيقة. معجم البلدان (ج ۱ ص ۱۹، ۳۱، ۳۹). ويقول ابن سعيد: إن كل درجة ونصف مائة ميل، أي إن الدرجة تساوي نحو ستة وستين ميلًا وثُلْقَيْ ميل. كتاب الجغرافيا (ص ۷۹). ويقول أبو الفداء: الدرجة عند القدماء ستة وستون ميلًا وثلثا ميل، وعند المحدّثين ستة وخمسون ميلًا وثلثا ميل. تقويم البلدان (ص ۱٤).

⁽۲) قارن باللمحة البدرية (ص ۲۲).(۳) بحر الشام: هو البحر المتوسط.

 ⁽٤) المراد عُدُوة المغرب المقابلة للأندلس.

⁽٥) البُرُد: جمع بريد وهو مقياس مسافة تُقَدَّر باثني عشر ميلًا.

 ⁽٦) البراجلات: جمع برجيلة وهي بالإسبانية: Parcela، ومعناها القطعة من الأرض. اللمحة البدرية
 (ص ٢٩).

⁽٧) الجوف في اصطلاح المغاربة الجهة المقابلة للقِبلة، أي الشمال.

 ⁽٨) الكنبانية كلمة إسبانية: Campaña وتعني البسيط أو السهل من الأرض. وقد تكون ناحية بالأندلس قرب قرطبة.

⁽٩) في اللمحة: «مُمارة بالسمك والبواكر، طبّة للتجار، ركابٌ معه للجهاد في البحرة.

⁽١٠) في اللمحة: «مقصودة».

ولمكان (۱) استِذبار الكنبانِيَّة واضطبار (۲) البَراجلات؛ بحرٌ من بحور الجِنْطة، ومعدنً للحبوب المفضلة، ولمكان شُلَيْر، جبل الثلج (۲)، أحد مشاهير جبال الأرض، الذي يُنزل به الثلج شتاء وصيفًا، وهو على قِبْلة منها على فرسخين؛ ويَنْساب منه ستةً وثلاثون نهرًا من فوّهات الماء، وتَنْبَجِس من سفوحه العيون، صحَ منها الهواء، واضطردت في أرجائها وساحاتها المياه، وتعدّدت الجَنّات بها والبساتين، والتقت الأدواح، وشمّر الرُوَّاد على منابت العُشب في مظان العقار مُستودعات الأدوية والترياقيّة. وبَرْدُها لذلك في المُنْقلَب الشتوي شديد، وتَجْمُدُ بسببه الأدهان والمائعات، ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين، فجُسُوم أهلها لصِحّة الهواء صُلْبة، وسِحانهم خَشِنة، وهُضُومهم قويَّة، ونفوسهم لمكان الحَرِّ الغريزي جَرِيَّة (٤).

وهي دارُ مَنَعَة وكرسي مُلْك، ومقامُ خَصانة. وكان ابن غانية (٥) يقول للمرابطين في مرض موته، وقد عوَّل عليها للامتساك بدعوتهم: الأندَلُس دَرَقةٌ، وغَرْناطة قَبْضَتُها؛ فإذا جَشَمتم يا معشر المرابطين القَبْضة، لم تخرج الدرقة من أيديكم.

ومن أبدع ما قيل في الاعتذار عن شِدَّة بَرْدها، ما هو غريب في معناه، قول شيخنا القاضي أبي بكر بن شِبْرين رحمه الله (٢): [الطويل]

رعى الله مِنْ غَرْنَاطَةً مُتَبَوّاً يَسُو كِنْيَبًا (١٠) أو يُجيرُ طَريدا تَبَرَّمَ منها صاحبي عندما (١٥) رأى مسارِحَها بالبَرْد (٩) عُذْنَ جَليدا هي النَّغُرُ صانَ الله مَنْ أَهِلَتْ به وما خَيْرُ ثَغْرِ لا يكون بَرُودَا؟

⁽١) كلمة (ولمكان) ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة البدرية.

⁽٢) في اللمحة: قواضطبانه.

⁽٣) هُو جبل شُلَير، أحد مشاهير جبال الأرض، وقد أسموه بجبل الثلج؛ لأن الثلج لا يفارقه شتاة ولا صيفًا. ويسمى بالإسبانية Sierra Nevada، أي سلسلة الجبال الثلجية، راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٣).

⁽٤) جريّة: أي جريئة.

 ⁽٥) هو أبو زكريا يحيئ بن إسحاق المسوفي، المعروف بابن غانية، أمير مرسية وبلنسية وقرطبة
 وغرب الأندلس من قبل علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي. قاوم الموحدين في أول
 استيلائهم على الأندلس فقتلوه سنة ٥٤٣ هـ.

 ⁽٦) الأبيات في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩١)، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٧٤)، ورحلة ابن بطوطة (ص ٦٧٠ ـ ٦٧١) وجاء فيه أن قائل الأبيات هو أبو بكر محمد بن أحمد بن شيرين البستي نزيل غرناطة. وانظر أيضًا: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤٦).

 ⁽Y) في رحلة ابن بطوطة والنفع: (حزينًا).
 (A) في تاريخ قضاة الأندلس: (بعدما).

⁽٩) في رحلة ابن بطوطة والنفح: ﴿بالثلجِ ٩.

وقال الرَّازي عند ذكر كُورَة إلبيرة: ويتصل بأخواز قَبْرة كورةُ إلبيرة، وهي بين الشَّرق والقِبلة، وأرضُها سِقْي غزيرة الأنهار، كثيرة النَّمار، ملتَفَّة الأشجار، أكثرها أدواح الجَوْز، ويحسُن فيها قصب السُّكر؛ ولها معادنُ جوهريةٌ من ذهب، وفضة، ورصاص، وحديد. وكورة إلبيرة أشرف الكور، نزلها جند دمشق. وقال: لها من المدن الشريفة مدينة قَسْطِيليَّة، وهي حاضرة إلبيرة، وفَخصُها لا يُشَبَّه بشيء من بقاع الأرض طِيبًا ولا شَرَفًا إلَّا بالغوطة؛ غوطة دمشق.

وقال بعض المؤرّخين (1): ومن كرّم أرضنا أنها لا تَعْدَم زريعة (٢) بعد زريعة ورغيًا بعد رغي، طُول العام؛ وفي عمالتها المعادن الجوهرية من الذهب، والفضة، والرّصاص، والحديد، والتوتيا. وبناحية دَلاية (٢) من عملها، عود اليَلنّجوج (٤)، لا يفوقه العود الهندي ذكًا (٥) وعِطْرَ رائحة. وقد سِيقَ منه لخيران (١) صاحب ألمَرية أصل كان منبيته بين أحجار هناك. وبجبل شُلَيْر منها سُنبُل فائق الطّيب، وبه الجَنْطيانا، يُحمَل منه إلى جميع الآفاق، وهو عقيرٌ رفيع، ومكانه من الأدوية الترياقية مكانه. وبه المَرْقَشِينَة على اختلافها، واللَّازَوَرْد. وبفَحْصها وما يتصل به القُرْمُز. وبها من العَقَّار والأدوية النّباتية والمَعْدنية ما لا يحتمل ذكرُها الإيجاز. وكفى بالحرير الذي فَضَلت والأدوية النّباتية وعلّمة شريفة، وفائدة عظيمة، تمتازُه منها البلاد، وتجلبه الرفاق، وفضيلة لا يشاركها فيها إلّا البلاد العراقية. وفخصُها (٧) الأفيّح، المُشبّه بالغُوطة

⁽١) قارن باللمحة البدرية (ص ٢٢ ـ ٣٣).(٢) في اللمحة: (دريعة ولا رَيْمًا أيام العام).

⁽٣) من هنا حتى قوله: قبين أحجار هناك، ورد في نفح الطيب (ج ١ ص ١٤١) ببعض الاختلاف عمّا هنا. ودلاية: بالإسبانية Dalias، وهي بلد أندلسي ساحلي قريب من ألمرية، يتبع لإقليم البُشرة. والبُشرة بالإسبانية Alpujarras وهي منطقة جبال سبيرا نفادا Sierra Nevada. جغرافية الأندلس (ص ١٢٤).

⁽٤) الألنجوج واليلنجوج: عود جيد، طيّب الربح، يُتَبَخّر به. لسان العرب (لنج).

⁽٥) في نفح الطيب: اذكاءه.

 ⁽٦) هو خيران الصَّقْلبي أو العامري، وهو أول من استقل بالمرية Almería عن الخلافة بقرطبة، وحكمها من سنة ٤٠٥ هـ حتى سنة ٤١٩ هـ. نصوص عن الأندلس (ص ٨٢) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٠) والمغرب (ج ٢ ص ١٩٤).

⁽٧) النص في اللمحة البدرية (ص ٢٣). وفحص غرناطة هو مرجها الشهير، وهو عبارة عن سهل أفيح، ويسيط شاسع أخضر خصب، وغوطة فيحاء مترامية الأطراف. يُطلَق عليه بالإسبانية اسم أفيح، ويسيط شاسع أخضر خصب، وغوطة فيحاء مترامية الأطراف. يُطلَق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada. يقع غربيّ غرناطة ويمتذّ غربًا حتى مدينة لوشة. كتاب العِبر لابن خلاون (م ٧ ص ٢٨٦) ونفح الطيب (ج ٥ ص ٨). وقد عرّف ياقوت الفحص بقوله: الفحص بمفهوم أصل الأندلس هو كل موضع يُسْكَنُ ويُزْرَعُ، سواء كان سهلًا أو جبلًا، ومع الزمن صار الفحص عَلمًا لعدة مواضع، معجم البلدان (ج ٥ ص ٢٣٦). وراجع أبضًا مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر للدكتورة مريم قاسم (ص ٤١) ففيه حديث مفصّل عن مرج غرناطة.

الدمشقية (١)، حديث الرّكاب، وسَمَرُ الليالي، قد دَحاه الله في بسيط سهل (٢) تخترقه (٣) المذانب، وتتخلّله الأنهار جداول، وتتزاحم فيه القُرى والجَنّات، في ذرْع أربعين ميلًا أو نحوها، تنبُو العين فيها عن وجهه؛ ولا تتخطّى المحاسن منها إلّا مقدار رقعة الهضاب، والجبال المُتَطامية منه بشكل ثُلثي دارة (١٤)، قد عَرَت (٥) منه المدينة فيما يلي المركز لجهة القِبُلة، مستندة إلى أطوادٍ سامية، وهِضاب عالية، ومناظرَ مُشْرفة؛ فهي قيدُ البصر، ومنتهى الحُسْن، ومعنى الكمال، أضفى عالية، وعلى مَن بها من عباده المؤمنين جَناح سَتْره، ودفع عنهم عدُو الدين بقدرته.

فصــــل

في فتح هذه المدينة ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها وما كانت عليه أحوالهم، وما تعلق بذلك من تاريخ

قال المؤلف: اختلف المؤرِّخون في فتحها؛ قال ابن القُوطيَّة (٢): إن يُلْيان (٧) الرُّومي الذي نَدَب العرب إلى غزو الأندلس طلبًا لوَثره (٨) من مَلِكها لُذْريق بما هو معلوم، قال لطارق بن زياد مُفتتِحها عندما كسر جيش الرُّوم على وادي لكه: قد فَضَضْتَ جيش القَوْم (٢) ودوِّختَ حاميتهم، وصيَّرت الرُّغبَ في قلوبهم، فاصمذ لبينضتهم؛ وهؤلاء أولاء من أصحابي، ففرِّق جيوشك في البُلدان بينهم (١١)، واغمَذ أنت إلى طُلَيْطلة بمعظمهم، وأشْغِل القوم عن النظر في أمرهم (١١)، والاجتماع إلى وليِّ رأيهم.

قال (۱۲): ففرَّق طارق جيوشه من إسْتجَّة؛ فبعث مُغيثًا (۱۲) الرُّومي، مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى قُرْطبة؛ وبعث جيشًا آخر إلى مالَقَة (۱۶)؛ وأرسل

⁽١) كلمة االدمشقية؛ غير واردة في اللمحة البدرية.

 ⁽٢) كلمة «سهل» غير واردة في اللمحة البدرية. (٣) في اللمحة: «تخترقه الجداول والأنهار».

⁽٤) في اللمحة: قائرة؟. (٥) في اللمحة: قَفُدُت المدينة منه».

 ⁽٦) النّص غير موجود في قاتريخ افتناح الأندلس، لابن الفّوطية، وجاء فيه بعض من هذا (ص ٣٣ ـ
 ٣٤). وهو موجود في اللمحة البدرية (ص ٢٥).

⁽٧) في اللمحة: قبليان. (٨) في اللمحة: قبوتره.

⁽٩) في اللمحة: الروم، . (١٠) في اللمحة: اجيوشك بينهم في البلدان، .

⁽١١) في اللمحة: «أمورهم».

⁽١٢)النص في أخبار مجموعة لمجهول (ص ١٩ ـ ٢٠)، واللمحة البدرية (ص ٢٥ ـ ٢٦).

⁽١٣) في اللمحة: «معينًا». (١٤) في أخبار مجموعة: ﴿ إِلَى مدينة رَيُّةٌ ﴾.

جيشًا ثالثًا إلى غَرْناطة مدينة إلْبِيرة؛ وسار هو في معظم الناس إلى كورة جَيَّان (1) يريد طليطلة. قال (٢): فمضى الجيش الذي وجَّه طارق إلى مالقة ففتحها، ولجاً عُلوجها إلى جبال هناك ممتنّعة. ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجّه إلى إلْبيرة، فحاصروا مدينتها، وفتحوها عَنُوة؛ وألْفُوّا بها يهودًا ضمّوهم إلى قَصَبة غرناطة؛ وصار لهم ذلك شُنّة مُتَّبعة، متى وجدوا بمدينة فتحوها (٣) يهودًا، يضمُونهم إلى قَصَبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يَسُدُّونها. ثم مضى الجيش إلى تُدْمير.

وكان دخول طارق بن زياد الأندلس يوم الاثنين لخمس خَلُون من رجب سنة اثنتين وتسعين (١٤). وقيل في شعبان، وقيل في رمضان، بموافقة شهر غُشت من شهور العَجَمية.

وذكر معاوية بن هشام وغيره (٥): أن فتح ما ذكر تأخّر إلى دخول موسى بن نصير في سنة ثلاث وتسعين. فتوجّه ابنه عبد الأعلى في جيش إلى تُذمير فافتتحها، ومضى (٦) إلى إلبيرة فافتتحها، ثم توجّه إلى مالَقَة.

قال المؤلف رحمه الله: ولمّا استقرّ مُلك الإسلام بجزيرة الأندلس، ورمى إلى قصبتها الفتح، واشرأبُ في عَرَصاتها الدِّين، ونزلت قرطبة وسواها العرب، فتبوّؤوا الأوطان، وعَمَروا البلدان، فالدَّاخلون على يد موسى بن نصير يُسَمَّون بالبَلديِّين، والداخلون بعضهم مع بَلْج بن بشر القُشيري، يسمّون بالشّاميين. وكان دخول بَلْج بن بشر القُشيري، يسمّون بالشّاميين. وكان دخول بَلْج بن بشر القُشيري، ومائة.

ولمّا دخل الشاميُون مع أميرهم بَلْج، حسبما تقرّر في موضعه، وهم أسود الشّرى (٢) عزّة وشهامة، غُصَّ بهم السابقون إلى الأندلس، وهم البَلديُون، وطالبوهم بالخروج عن بَلَدهم الذي فتحوه، وزعموا أنه لا يحملُهم وإياهم، واجتمعوا لغزوهم، فكانت الحروب تدور بينهم، إلى أن وصل الأندلس أبو الخَطّار حُسام بن ضِرار الكَلْبي، عابرًا إليها البحر من ساحل تونس، وأظَلُ على قُرْطُبة على حين غفلة، وقد

⁽١) قوله: "إلى كورة جيان؛ غير واردة في أخبار مجموعة.

⁽٢) هنا ينقطع النص في أخبار مجموعة، ويتابع في اللمحة البدرية.

⁽٣) كلمة افتحوها، ساقطة في اللمحة.

 ⁽٤) في تاريخ افتتاح الأندلس (ص ٣٣): (وكان دخول طارق الأندلس في رمضان سنة اثبتين وتسعين».

⁽٥) النص في اللمحة البدرية (ص ٢٦). (٦) في اللمحة: •ثم مضى٠.

 ⁽٧) المراد شرى الفرات، وهو ناحيته، ويقال للشجعان: ما هم إلّا أُسُود الشّرى، وقيل: الشّرى: مأسدة بعينها. معجم البلدان (ج ٣ ص ٣٣٠).

سَتَر خبر نفسه، والحرب بينهم، فانقاد إليه الجميع بحُكْم عهد مُدينه حَنظلة بن صَفْوان والي إفريقية (١)، وقبض على وجوه الشاميّين عازمًا عليهم في الانصراف حسبما هو مشهور؛ ورأى تَفْريق القبائل في كُور الأندلس، ليكون أبعد للفتنة، ففرّقهم، وأقطعهم ثُلث أموال أهل الذّمّة، الباقين من الرُّوم، فخرج القبائل الشاميون عن قرطبة.

قال أبو مروان: أشار على أبي الخطار، أزطباس قُومِس الأندلس، وزعيم عَجَم الذمة (٢)، ومُستَخرِجُ خراجهم لأمراء المسلمين ـ وكان هذا القُومسُ شهير العلم والدهاء ـ لأول الأمر، بتفريق القبائل الشاميين العَلَمين عن البلد، عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تَحمِلُهم، وإنزالهم بالكُور، على شَبه منازلهم التي كانت في كُورَ شَامِهم، ففعل ذلك على اختيار منهم؛ فأنزَل جُنْدَ دِمَشق كُورَة إلبيرة، وجُنْدَ الأزدن كورة جَيَّان، وجُنْدَ مصر كورة باجة، وبعضهم بكورة تُدمير؛ فهذه منازل العرب الشاميين؛ وجعل لهم ثُلْث أموال أهل الذَّمَة من العجم طُغمة؛ وبقي العرب والبَلَدِيُون والبرابر(٣) شركاؤهم؛ فلما رأوا بُلدانا شِبة بُلدانهم بالشام، وبقي العرب والبَلَدِيُون والبرابر(٣) شركاؤهم؛ فلما رأوا بُلدانا شِبة بُلدانهم بالشام، في الفتوح على عنائهم موضعًا رضِيًّا، فإنه لم يرتحل عنه، وسكن به مع البَلديِّين. فإذا كان العطاء أو حضر الغزو ولَحِق بجُنْده، فهم الذين كانوا سُمُوا الشَادَة عندًا.

قال أحمد بن موسى: وكان الخليفة يعقد لِوَاءَين، لواء غازيًا، ولواء مُقيمًا؛ وكان رزق الغازي بلوائه مائتي دينار، ويبقى المُقيم بلا رزق ثلاثة أشهر؛ ثم يدال بنظيره من أهله أو غيرهم، وكان الغُزاة من الشَّاميين مثل إخوة المَعهُود له أو بنيه أو بني عمّه، يُرزقون عند انقضاء غُزاته عشرة دنانير؛ وكان يَعقد المعقودُ له مع القائد؛ يَتَكُشَّفُ عمّن غزا، ويَستحقُ العَطاء، فيُعطى على قوله تخرِمة له؛ وكانت خِدمتهم في العسكر، واعتراضهم إليه؛ ومَن كان من الشَّاميين غازيًا من غير بيُوتات العَقَد، ارتَزَق خمسة دنانير عند انقضاء الغَزْو، ولم يكن يُعطى أحدٌ من البلَديين شيئًا غير المعقودُ له؛ وكان يرتزق الغازي

 ⁽١) كانت الأندلس في عصر الوُلاة (٩٢ ـ ١٣٨ هـ) تخضع إداريًا لإفريقية، ولوالي إفريقية صلاحية من قبل الخليفة الأموي بدمشق في تعيين وال على الأندلس.

⁽٢) عجم الذمّة: هم النصارى المعاهدون، Los Mozárabes، وسيتحدث عنهم ابن الخطيب بعد قليل.

⁽٣) البرابر: أي البربر.

مائة دينار وازِنة؛ وكان يعقد لغيره إلى ستة أشهر، ثم يُدال بنظيره من غيرهم؛ ولم يكن الدِّيوان والكَتْبَةُ إلَّا في الشّاميين خاصّة؛ وكانوا أحرارًا من العُشْر، معدِّين للغزو، ولا يلزمُهم إلَّا المقاطعة على أموال الرُّوم التي كانت بأيديهم؛ وكان العرب من البلديين يؤدُّون العُشر، مع سائر أهل البلد، وكان أهلُ بيوتاتٍ منهم يَغزون كما يغزو الشّاميّون، بلا عطاء، فيصيرهم إلى ما تقدّم ذِكره، وإنما كان يُكتب أهلُ البلد في الغزو؛ وكان الخليفة يُخرِج عسكرين، إلى ناحيتين، فيستنزلهم؛ وكانت طائفة ثالثة يُسَمّون النَّظُراء من الشاميين والبلديين، كانوا يَغزُون كما يغزو أهل البلد من الفريقين. وقد بيِّنًا نَبذة من أحوال هؤلاء العرب. والاستقصاء يُخرِج كتابنا عن غرضه، والإحاطة شه سبحانه.

ذكر ما آل إليه حال مَن ساكَنَ المسلمين بهذه الكورة من النصارى المُعاهدين (١) على الإيجاز والاختصار

قال المؤلّف: ولمّا استقرّ بهذه الكُورَة الكريمة أهل الإسلام، وأنزَل الأميرُ أبو الخطار قبائل العرب الشاميّين بهذه الكورة، وأقطّعَهم ثلث أموال المُعَاهدين، استمرّ سُكناهم في غِمار من الروم؛ يعالجون فلاحة الأرض، وعُمْران القرى، يرأسُهم أشياخ من أهل دِينهم، أولو حُنكة ودهاء ومُذَاراة، ومعرفة بالجِباية اللازمة لرؤوسهم. وأحدُهم رجل يُعرَف بابن القلّاس، له شهرة وصِيت، وجاه عند الأمراء بها. وكانت لهم بخارج الحضرة، على غَلْوتين (٢)، تجاه باب إلبيرة في اعتراض الطريق إلى قُولْجر، كنيسة شهيرة، اتخذها لهم أحدُ الزعماء من أهل دينهم، استَرْكَبه بعضُ أمرائها في جيش خَشِن من الروم، فأصبحت فريدة في العمارة والجلية؛ أمر بهدُمها الأمير يوسف بن تَاشَفِين (٣)، لتأكُد رغبة الفقهاء، وتوجُه فَتواهم. قال ابن الصَّيرَفي: خرج يوسف بن تَاشَفِين لهما يوم الاثنين عَقِب جُمادى الآخِرة من عام اثنين وتسعين وأربعمائة، فصُيِّرت للوقت قاعًا، وذهَبَتْ كلُّ يد بما أخذت من أنقاضها وآلاتها.

⁽۱) النصارى المعاهدون هم المُستعربون Los Mozárabes، الذين عاشوا في غرناطة وغيرها من مدن الأندلس في ظل العرب المسلمين، وقد أطلق عليهم العرب في بادىء الأمر اسم «عجم الأندلس». راجع: مملكة غرناطة في ظل بني زيري البربر للدكتورة مريم قاسم طويل (ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠).

 ⁽٢) الغُلُوة: رمية سَهْم، ويقال هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة، والجمع غُلُوات وغِلاه. محيط المحيط (غلا).

 ⁽٣) يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين، بالمغرب والأندلس معًا، وسيُترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

قلتُ: ومكانُها اليوم مشهورٌ، وجِدَارُها ماثلٌ يُنْبِىء عن إحكام وأصالة، وعلى بعضها مقبرةً شهيرة لابن سَهْل بن مالك، رحمه الله.

ولمّا تحرُّكَتْ لعدُو اللهِ الطَّاغيةِ ابن رُذْمير ريحُ الظُّهور، على عهد الدولة المُرابِطيَّة، قبل أن يَخضِد الله شوكته على إفراغَة (١) بما هو مشهور، أمّلَت المُعَاهِدَة (٢) من النصارى لهذه الكورة إدراك الثُّرَّة، وأَطْمَعَت في المملكة، فخاطبوا(٣) ابنَ رُذْمير من هذه الأقطار، وتوالت عليه كُتُبهم وتواترت رسُلُهم، مُلِحُة بالاستدعاء مُطْمِعة في دخول غَزْناطة (٤)، فلمّا أبطأ عنهم، وجّهوا إليه زمامًا يشتمل على اثنى عشر ألفًا من أنجاد مُقاتليهم، لم يَعُذُوا فيها شيخًا ولا غرًّا، وأخبروه أنَّ مَن سَمُّوه، ممّن شهرت (٥) أعينُهم لقرب مواضعهم، وبالبُغُد مَن يَخفى أمرُه، ويَظهرُ عند ورود شَخْصه، فاستَأثروا طَمعه وابْتَعَثوا جَشَعَه، واستَفَرُّوه بأوصاف غَزْنَاطَة، وما لها من الفضائل(٢٦) على سائر البلاد وبفَخصها الأُفْيَح، وكثرة فوائدها من القمح والشُّعير، والكتَّان، وكثرة المرافق، من الحرير والكُرُوم، والزيتون، وأنواع الفواكه، وكثرة العيون والأنهار، ومَنَعة قُبْتها(٧) وانطباع رعيَّتها، وتأتي أهل حاضرتها، وجمال إشرافها وإطلالِها، وأنَّها المباركةُ التي يمتلك منها غيرها، المسمّاةُ سَنَام الأندلس عند الملوك في تواريخها، فَرَمُوا حتى أصابوا غَرْبه، فانتَخُب وأخشَد، وتحرّك أول شعبان من عام خمسة عشر وخمسمانة (٨) وقد أخْفَى مذهبه، وكتم أرّبه، فوافي (٩) بَلنْسِية، ثم إلى مُرْسية، ثم إلى بِيرَة، ثم اجتاز بالمَنْصورة ثم انحدَرَ إلى بُرْشانة، ثم تُلُوّم إلى وادي ناطلة. ثم تحرّك إلى بَسُطُة، ثم إلى وادي آش، فنزل بالقرية المعروفة بالقَصْر (١٠٠ وصافَحَ المدينة بالحرب، ولم يَحل بطائل، فأقام عليها شهرًا.

⁽١) إفراغة، بالإسبانية Fraga: وهي مدينة بغربي لاردة من الأندلس، لها حصن منيع وبساتين كثيرة. الروض المِعطار (ص ٤٨).

⁽٢) المعاهدة: هم النصاري المعاهدون.

 ⁽٣) قارن بما جاء في البيان المغرب (ج ٤ ص ٦٩ ـ ٧٣) وفيه يقول ابن عذاري إن أهل نظر
 أغرناطة خاطبوا في سنة ٥١٩ هـ ابن ردمير ملحة عليه بدخول غرناطة. وفي النص بعض
 اختلاف عمّا هنا.

⁽٤) في البيان المغرب: «أغرناطة». (٥) في البيان المغرب: «شهدت».

⁽٦) في المصدر نفسه: «الفضل». (٧) في البيان المغرب: «قصبتها».

⁽٨) في البيان المغرب: أول شعبان سنة ١٩٥ هـ.

⁽٩) في البيان المغرب: «إلى أن وصل بلنسية».

⁽١٠) القصر، بالإسبانية: Alcazar، وهي واقعة إلى الجنوب الشرقي من غرناطة.

قال صاحب كتاب «الأنوار الجَلِيّة»(١): فبدأ(٢) بَحْثُ المُعاهِدة بغرناطة في استدعائه، فافتضح تدبيرهم باجتلابه، وهَمَّ أميرُها (٣) بتَثْقِيفهم (١)، فأعياهم ذلك، وجعلوا يَتَسَلَّلُونَ إلى مَحَلَّته على كل طريق، وقد أحدَقت جيوش المسلمين من أهل العُدُوة (٥) والأندلس بغرناطة، حتى صارت كالدَّائرة، وهي في وسطها كالنُّقطة، لمَّا أَنْذِروا بغرضه؛ وتحرَّك من وادي آش فنزل بقرية دِجمة (٢٦)؛ وصلَّى الناس بغرناطة صلاة الخوف، يوم عيد النُّخر من هذه السنة في الأسلحة والأبُّهة؛ وبُعيد الظهر من غَدِه، ظهرت أُخْبِيةً الرُّوم بالقَيل شرق المدينة، وتوالى الحرب على فرسخين منها، وقد أَجْلَى السُّواد، وتزاحم الناس بالمدينة، وتوالى الجَليد، وأظَّلَت الأمطار. وأقام العدو بمحلَّته بضع عشرة ليلة لم تَسْرح له سارحةً، إلَّا أنَّ المُعاهِدة تَجُلب (٧) له الأقوات؛ ثم أقْلُع وقد ارتفع طُعَمهُ عن المدينة، لأربع بقين من ذي الحجة عام عشرين (٨)، بعد أن تفرّغ مُسْتَدعيه إليها، وكبيرهُ يُعرَف بابن القَلّاس، فاحتجوا ببُطَّته وتلوُّمه حتى تلاحقت الجيوش، وأنهم قد وقعوا مع المسلمين في الهَلَكة، فرحل عن قرية مُرْسانة إلى بِيَش، ومن الغد إلى السكة من أحواز قلعة يَخصب (٩) ثم اتصل إلى لِدُوبيانة، ونكب إلى قُبرة واللسّانة(١٠٠)، والجيوش المُسْلمة في أذّياله. وأقام بقَبْرَة (١١) أيامًا، ثم تحرّك إلى بلاي والعساكر في أذياله، وشِيجَة في فَحْصِ الرُّنيسُول(١٣) مكافحةً في أثنائها، مناوشةً، وظهورًا عليه.

⁽۱) هو كتاب الأنوار الجليّة في أخبار الدولة المرابطية»، وصاحبه هو أبو بكر يحيئ بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي، المتوفّى سنة ٥٥٧ هـ، وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

⁽٢) في البيان المغرب: قلدا نجيث المعاهدة في استدعائه.

⁽٣) في البيان المغرب: «وهم الأمير أبو الطاهر».

⁽٤) بتثقيفهم: باعتقالهم. (٥) المراد العدرة المغربية.

⁽٦) دِجْمة، بالإسبانية: Diezma، وهي بلدة تقع غربي وادي آش، بين وادي آش وغرناطة.

⁽٧) في البيان المغرب: ﴿والمعاهدة تجتلب إليه الأقوات...».

⁽٨) قارن بالكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ٦٣١) سنة ٥٢٠ هـ.

⁽٩) قلعة يَحْصَب: بالإسبانية Alcala la Real، أي القلعة الملكية، تُنسَب إلى قبيلة يَحْصَب، وتُعرَف أيضًا بقلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد، وهي إحدى مدن غرناطة. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٢٢).

⁽١٠) النُسُّآنة أو اللُسَّانة، بالإسبانية Lucena: هي مدينة اليهود، ولها ربض يسكنه المسلمون. وهي من مدن غرناطة. المرجع السابق (ص ٦٣).

⁽١١) قبرة: بالإسبانية Cabra، وهي من مدن غرناطة. المرجع السابق (ص ٦٢).

ولمّا جَنّ الليل، أمر أميرهم (١) برفع خبائه من وهَدَة كان فيها إلى تَجْدة، فساءت الظنون، واختل الأمر، ففر الناس وأسلَمُوا، وتَهيّب العدو المَحَلّة، فلم يدخلها إلا بعد هَذاة من الليل واستولى عليها. وتحرّك بعد الغد منها إلى جهة الساحلِ فشق العِمامة الآمنة من الإقليم والشَّارَات (٢)، فيقول بعضُ شيوخ تلك الجهة: إنه اجتاز بوادي شَلُوبائيّة المُطِلِ الحافّات، والمُتحصِّن المجاز، وقال بلغته: أيُ قَبْرِ هذا لو الْفَيْنا مَن يَصُبُ علينا التراب! ثم عرَّج يَمنة حتى انتهى إلى بَلْس، وأنشأ بها جَفْنَا (٣) صغيرًا يصيد له حوتًا، أكل منه كأنه نَذْرٌ كان عليه، وقى به، أو حديث أراد أن يُخلد عنه. ثم عاد إلى غَرناطة، فاضطرب بها محلته بقرية ذُكَر، على ثلاثة فراسخ منها قِبْلة، ثم انتقل بعد ذلك بيومين إلى قرية هَمُدان (١٠)، وبرز بالكتب جاعَرِسُطة (٥) من المدينة، وكان بينه وبين عساكر المسلمين مُواقعة عظيمة؛ ولأهل غرناطة بهذا الموضع حِدْثان ينظرونه من القضايا المستقبلة.

قال ابن الصّيرفي: وقد ذُكِرَ في بعض كتب الجفر: هذا الفحص، بخرابِ يُجبى عن يتامى وأيامى». وكان هذا اليوم مُعَرَّضًا لذلك، فوقى الله؛ وانتقل بعد يومين إلى المَرْج مُضَيَّقًا عليه والخيل تحرجه، فنزل بعين أطسة، والجيوش مُحدقة به، وهو في نهاية من كمال التّغبِئة، وأخْذِ الحذر، بحيث لا تُصابُ فيه فرصة؛ ثم تحرّك على البراجلات، إلى اللقوق، إلى وادي آش، وقد أصيب كثيرٌ من حاميته؛ وطوى المراحل إلى الشرق؛ فاجتاز إلى مُرْسية، إلى جَوف شاطِبة، والعساكر في كل ذلك تطأ أذياله، والتّناوش(٢) يَتَخَطَّرُ به، والوباءُ يسرع إليه، حتى لحق بلاده، وهو ينظر إلى قفاه، مُختَرمًا، مَفْلُولًا من غير حرب، يكاد الموت يستأصل مَحَلّته وجُمْلته.

ولمّا بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم المُعاهدين، ما أَجْلَتْ عنه هذه القضية، أخذهم الإزجاف، ووغِرَت لهم الصُّدور. ووُجّه إلى مكانهم الحزمُ، ووجّه القاضي

⁼ أرنيسول وقال: إنه حصن منيع. الكامل في التاريخ (ج ١٠ ص ٦٣١).

⁽١) في البيان المغرب: «فلما طفلت الشمس أمر الأمير تميم برفع خبائه».

 ⁽۲) الشّارات أو البُشُرّات: بالإسبانية Alpujarras، وهي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير. راجع: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤٦).

⁽٣) الجَفْن: المركب أو السفينة الحربية. ملحق القواميس العربية لدوزي (ج ١ ص ٢٠١).

 ⁽٤) هَمْدان: بالإسبانية Alhendin، سُمِّيت بذلك نسبة إلى قبيلة هَمْدان الأَنها نزلت بها. تأريخ المن
 بالإمامة (ص ١٩١)، ومملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٧١).

⁽٥) أغلب الظن أنه اسم أحد زعماء النصاري المعاهدين، وهو: Inigo Arista.

⁽٦) في البيان المغرب: قوتناوشه وتصيب منه.

أبو الوليد بن رُشد الأجر، وتجشّم المجاز⁽¹⁾، ولحِق بالأمير علي بن يوسف بن تأشفين بمرّاكُش، فَبيّن له أمر الأندلس، وما مُنيت⁽¹⁾ به من مُعاهِدِها، وما جَنَوه عليها من استدعاء الرُّوم، وما في ذلك من نَقْض العَهْد، والخروج عن الذَّمة، وأفتى بتَغْريبهم، وإجلائهم عن⁽¹⁾ أوطانهم وهو أخفُ ما يؤخذ به من عقابهم؛ وأخذ بقوله، ونُفَذ بذلك عهدُه، وأزعج منهم إلى بَرِّ العُدُوة، في رمضان من العام المذكور، عدد جَمِّ، أنكرتهم الأهواء، وأكلتهم الطرق، وتفرّقوا شَذَر مَذَر، وأصاب كثير من الجلاء جمعتهم من اليهود؛ وتقاعدت بها منهم طائفة، هَبّت لها بممالأة بعض الدول ريح، فأمّروا وأكثروا إلى عام تسعة وخمسين وخمسمائة، ووقعت فيهم وقيعة احتشّتهم، إلا صابة (٤) لهذا العهد قليلة، قديمة المَذَلة، وحالفت الصّغار، جعل الله العاقبة

ذكر ما يُنسَب إلى هذه الكورة من الأقاليم التي نزلتها العرب بخارج غَزناطة، وما يتصل بها من العمالة

فصــــــل

فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجَنَّات والجهات

قال المؤلّف رحمه الله: ويَجِفُ^(٥) بسور هذه المدينة المَعْصُومة بدفاع الله تعالى، البساتينُ العريضة المُسْتَخُلَصَة، والأدواح المُلتَقَّة، فيصير سورها من خَلْف ذلك كأنّه من دُون سِياج كثيفة، تلوح نجوم الشُرفات^(٢) أثناء خَضْرائه، ولذلك ما قلت فيه في بعض الأغراض^(٧): [الكامل]

بَلَدٌ تَحُفُ^(٨) به الرياض كأنه وَجُه جميلٌ والرياض عِذارُهُ وكأنّه وكأنّه ومِن الجُسُورِ المُحْكَماتِ سِوارُهُ

فليس تُغرى عن جَنباته من الكُرُوم والجَنّات جهة، إلّا ما لا عِبْرة به مقدار غُلُوة، أما ما حازه السّفل من جَوْفيه، فهي عظيمة الخطر، متناهية القِيَم، يضيق جَدُّه

 ⁽١) في البيان المغرب: ﴿وتجشم النهوض إلى حضرة مراكش﴾.

⁽٣) في البيان المغرب: ٥من٣. (٤) صابة: محدودة، قليلة.

 ⁽a) قارن باللمحة البدرية (ص ٢٤).
 (٦) في اللمحة: «الشرفات البيض أثناء . . . ٤ .

⁽٧) البيتان في نفع الطيب (ج ١ ص ٦٨) و(ج ٩ ص ٢٢١)، وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣ ـ ٤).

⁽A) في الأصل: «يحفّ»، والتصويب من نفح الطيب.

من عدا أهل المُلْك، عن الوفاء بأثمانها، منها ما يُغِلُ في السنة الواحدة نحو الألف من الذَّهب، قد غُصَّت الدكاكين بالخُضَر الناعمة، والفواكه الطيِّبة، والثمر المُدَّخرة، يختصُ منها بمُسْتَخْلص السلطان(١٦)، المرورُ طؤقًا على تَرَائب بلده ما بينهن منية؛ منها الجَنَّة (٢) المعروفة بفدَّان المَيْسة، والجنة المعروفة بفدَّان عِصام، والجنة المعروفة بالمعروي، والجنة المنشوبة إلى قدّاح بن سُخنون، والجنة المنسوبة لابن المؤذّن، والجنة المنسوبة لابن كامل، وجنة النّخلة العليا، وجنة النخلة السفلي، وجنة ابن عُمْران، والجنة التي إلى نافع، والجُرْف الذي يُنسَب إلى مُقْبل، وجنّة العَرْض، وجنة الحفرة، وجنة الجُرْف، ومَذْرَج نجد، ومَذْرَج السّبيكة (٣)، وجنّة العَريف(٤): كلها لا نظير لها في الحُسن والدُّمانة (٥) والربيع، وطيب التربة، وغرقد (٦) السُّقيا، والتِّفاف الأشجار، واستجادة الأجناس، إلى ما يجاورها ويتخلُّلها، ممَّا يختصُّ بالأحباس الموقفة، والجنَّات المُتملِّكة، وما يتصل بها بوادي سَنْجيل ما يقيِّد الطَّرْف، ويُعجز الوصف، قد مَثلت منها على الأنهار المتدافعة العُباب، المنارةُ والقِبابُ، واختَصَّت من أشجار العاريات ذاتِ العصير الثاني بهذا الصِّقع، ما قصّرت عنه الأقطار. وهذا الوادي من محاسن هذه الحَضرة، ماؤه رقراق من ذُوب الثلج، ومُجَاجة الجَليد، وممرُّه على حصَى جوهرية، بالنبات والظّلال مُحفوفة، يأتي من قِبْلة علام البلد إلى غزبه، فيمرّ بين القصور النُّجدية، ذوات المناصب الرفيعة، والأعلام الماثلة.

ولأهل الحضرة بهذه الجَنَّات كَلَفٌ، ولذوي البطالة فوق نهره أريك من دَمَث الرمل، وحجال من مُلْتَفِّ الدُّوْح، وكان بها سَطْرٌ من شجر الحُور؛ تُنسَب إلى مامل(٧)، أحد خدّام الدولة الباديسية، أدركنا المكان، يُعرف بها.

⁽١) المراد بمستخلص السلطان أملاكه الخاصة.

⁽٢) الجنة بلغة أمل غرناطة تعني الحديقة أو البستان.

⁽٣) السبيكة: موضع خارج غرناطة، كان الشعراء يتغنّون بها، من أمثال أبي جعفر الإلبيري الرعيني وابن زمرك وغيرهما. راجع: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٣٧). وقد ذكرها ابن صاحب الصلاة بدون ياء، عند حديثه عن غدر إبراهيم بن همشك مدينة غرناطة فقال: واحتل ابن همشك يوم دخوله غرناطة بالقصبة الحمراء التي في جبل السبكة الموازية لقصبة غرناطة. تأريخ المن بالإمامة (ص ١٨٤).

 ⁽٤) جنة العريف أو جنان العريف: بستان في خارج غرناطة، يقع في أسفل الربوة التي ما يزال يقوم
 عليها قصر جنة العريف، إلى الشمال الشرقي من قصر الحمراء، وتسمى بالإسبانية Generalife.

⁽٥) الدمانة: المخصوبة. لسان العرب (دمن).

⁽٦) الغَرْقد: شجر عظيم أو العَوْسج إذا عظم، واحدته غَرْقدة. محيط المحيط (غرقد).

⁽٧) مامل أو مؤمّل، أحد خُذَام ملك غرناطة باديس بن حبوس الذي حكم غرناطة من سنة ٤٢٩ هـ إلى سنة ٤٦٧ هـ إلى سنة ٤٦٧ هـ وكان من

قال أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسّان: [الطويل]

أحنُ إلى غَرناطة كلما هَفَت سقى الله من غَرناطة كل منهل ديارٌ يدور الحسن بين خيامها أغَرناطة العليا بالله خبري وما شاقني إلا نضارةُ منظر وما شاقني إلا نضارةُ منظر تأمَّل إذا أمَّلْت حَوْز مُوَمِّل وأعلامُ نجدِ والسبيكة قد عَلَت وقد سَلَّ شَنِيلٌ(١) فِرِنْدًا مُهَنَّدًا وقد سَلَّ شَنِيلٌ(١) فِرِنْدًا مُهَنَّدًا ومهما بكى جَفْن الغمام تَبسَمَتْ ومهما بكى جَفْن الغمام تَبسَمَتْ

نسيمُ الصّبا تهدى الجَوَى وتَشُوقُ بِمَنْهِلُ سُحبٍ ماؤُهُنْ هَريق وارضٌ لها قلبُ الشّجيّ مَشُوق وارضٌ لها قلبُ الشّجيّ مَشُوق ألِلْهائم الباكي إليك طريق؟ وبسهجة واد لِلعُسون تروق ومُدْ من الحَمْرا عليك شقيق وللشّفق الأعلى تلوحُ بُروقُ نَضى فَوْقَ دُرُ ذُرْ فيه عَقِيقُ أراكَ فتيتَ المِسْكِ وهو فَتِيقُ شُعورُ أقاح للرياض أنيتَ أنيتَ في أنيتَ المِسْكِ وهو فَتِيقُ

ولقد وَلِعت الشعراء بوصف هذا الوادي، وتغالت الغالات فيه، في تفضيله على النيل بزيادة الشَّين (٢)، وهو ألفٌ من العدد، فكأنه نِيلٌ بألفِ ضِغْفٍ، على عادة متناهي الخيال الشعري؛ في مثل ذلك.

ولقد ألغزّتُ فيه لشيخنا أبي الحسن بن الجيّاب^(٣)، رحمه الله، وقد نظم في المعنى المذكور ما عظُم له استِطُرابُه وهو: [البسيط]

ما أَسْمٌ إذا زِدْتُهُ أَلْفًا مِنَ العَدَدِ أَفَادَ معناه لم ينْقُصُ ولم يَزِدِ

أجمل متنزهات غرناطة وأظرفها. وسيذكره ابن الخطيب في هذا الجزء باسم «حوز مؤمل» وذلك في ترجمة حفصة بنت الحاج الركوني. راجع أيضًا المغرب (ج ٢ ص ١٠٣)، ونفح الطيب (ج ١ ص ٤٧٥) و(ج ٣ ص ٣١٥).

⁽۱) شنيل: بالإسبانية Genil وهو نهر غرناطة الكبير. المغرب (ج ٢ ص ١٠٣)، وتقويم البلدان (ص ١٧٧)، وكتاب العِبر (م ٧ ص ٦٨٩)، ونفح الطيب (ج ٥ ص ٨). وقد ذكره ابن صاحب الصلاة مكتفيًا بالقول: «وادي شنيل على قرب من غرناطة». تأريخ المن بالإمامة (ص ١٩١)، وفي كتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيري للدكتورة مريم قاسم دراسة مستفيضة عن هذا النهر، قليُراجَم (ص ٤٧ ـ ٤٩).

⁽٢) ورد شيء من هذا في نفح الطيب (ج ١ ص ١٤٧).

⁽٣) ترجمة أبي الحسن علي بن الجياب في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٣)، ونثير فرائد الجمان (ص ٢٣٩)، ونيل الابتهاج طبعة فاس (ص ١٩٣)، والديباج المذهب (ص ٢٠٧)، ودرة الحجال في أسماء الرجال (ج ٢ ص ٤٣٥)، ونفع الطيب (ج ٧ ص ٤٠٧) و(ج ٨ ص ٣٩٧). وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

مَعْنَى بِشِينِ ومن نَزْدٍ ومِنْ بَلَدِ

وإنما ائتلفا مِنْ بَعْدِ مَا اخْتَلَفَا

ثم يتصل بالحُسن العادي البديع، وهو على قسمين، خَمْسٌ من مُخكم الكدان في نهاية الإبداع والإحكام، يتُصل به بناء قديم مُحكم، ويستَقْبل المَلْعَب، العِيدِي، ما بين ذُنابي الجسر إلى جدار الرابطة، وملعب بديع الشكل، عن يمينه جناحٌ بديع، عن ميدانه عُدوات النهر، وعن يساره الجَنَّات، ويُقْضي بعد انتهائه إلى الرَّابطة، إلى باب القصر المنسُوب إلى السيد(۱)، وسيأتي ذكره؛ ويرتفع من هذا النهر الزُّلال جداول، تدور بها أعداد من الأرْحيِّ لا نظير لها استعدادًا وإفادة.

فصــــل

وتَرْكَبُ ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث، الكرُوم البديعة، طوقًا مرقومًا، يتصل بما وراءها من الجبال، فتعم الربي والوهاد، وتشملُ الغُورَ والنّجد، إلّا ما اختصّ منها بالسّهل الأفيح، متصلًا بشرقي باب إلْبيرة، إلى الخندق العميق، وهو المُسمّى «بالمشايخ»، بسيط جليل، وجَوَّ عريض، تغمى على العَدِّ أمراجه ومصانيعه، تلوحُ مبانيها، ناجِمة بين النّمار والزيتون، وسائر ذوات الفواكه، من اللوز والإجاص والكمثرى، مُخدَقة من الكروم المُسِحّة، والرياحين الملتفة، ببحور طامية تأتي البُقْعة الماء؛ ففيها كثير من البساتين والرّياض، والحصون، والأملاك المتصلة السكنى، على الفُصُول؛ وإلى هذه الجهة يشيرُ الفقية القاضي، أبو القاسم بن أبي العافية، رحمه الله، في قصيدة، يُجيب بها عروس الشعراء، الأديب الرّحال أبا إسحق السّاحلي، وكان ممّن نيطتُ عليه بهذا العهد، التّمائم: [الكامل]

با نازحًا لَعِبَ الْمَطَيُّ بِكُورِهِ وَرَمَتُ بِهِ لَلطَّية القُصوى التي هلا حَنَنْتَ إلى مَعاهدنا التي ورياضُ أنس بالمشايخ (٢) طارحَتْ ومبيتُنا فيها وصَفْوُ مُدامِنا وصَفْوُ مُدامِنا والعيشُ أخضرُ والهوى يُدْني جَنى

لَعِبَ الرِّياحِ الهُوجِ بِالأَمْلُودِ مِا وَرُدُها لُسُوهِ بِالسَّورُودِ مِا وَرُدُها لُسُواه بِالسَّورُودِ كُنْتَ الحُلِيِّ لنَحْرِها والْجيدِ؟ فيه الحَمَائِمُ صَوْتَ سَجْعِ العُودِ فيه الحَمَائِمُ صَوْتَ سَجْعِ العُودِ صَفْو المَودُة لابنةِ العُلْقُودِ وَصَفُو المَودُة لابنةِ العُلْقُودِ زَمَراتِ ثُغُرِ أَو يُسمار نُهُودِ زَمَراتِ ثُغُرِ أَو يُسمار نُهُودِ

⁽۱) هو أبو إسحاق بن يوسف الموحدي، وُلِّيَ غرناطة سنة ٦١٥ هـ، وبنى قصرًا خارج مدينة غرناطة غُرِفَ باسمه. وفي عصر بني نصر استعمل هذا القصر للضيافة. وما يزال حتى اليوم بعض منه وقد زُرته غير مرة، وهو عبارة عن بهو مربع ذي قبّة عالية على جوانبها شعار بني نصر اولا غالب إلا الله.

⁽٢) المراد بالمشايخ سهل غرناطة، أو الخندق العميق، السابق الذكر.

والقُضُبُ رافلة يُعانق بعضُها لَهْ في على ذاك الزمان وطِيبه تلك الليالي لا ليالي بعدها كانت قِصَارًا ثم طُلَن ففيها(١)

بعضًا إذا اعتنقت غُصُون قُدُودِ وعلى مُناه وعَيْشِه المَحْسُودِ عُطُلُن إلّا من جَوى وسُهُودِ تأتي على المَقْصُور والمَمْدُودِ

وأما ما استند إلى الجبل، فيتصل به البيازين في سَفْح الجبل، المتصل بالكُذية ابن سَغد، مُتُصلًا بالكُذية المُبْصِلةِ، المنسوبة لعَيْن الدَّمع (٢)، منعطفة على غين القِبْلة، متصلة بجبل الفَخّار (٣)، ناهِلة في غمر الماء المجلوب على ذلك السَّمْت؛ أوضاعٌ بديعة، وبساتينُ رائقة، وجنّاتُ لا نظير لها، في اعتدال الهواء، وعذوبة الماء، والإشراف على الأرجاء، ففيها القصور المحروسة، والمنارة المَعمورة، والدُّور العالية، والمباني القصّبيّة (٤)، والرياحين النَّضيرة، قد فضَّ فيها أهل البطالة، من أولي الحَبْرة، الأكياس، وأرْخصوا على النفقة عليها، غالي النَّشَب (٥)، تتنازع في ذلك غِيرُ الخادمين، من خُذَام الدولة على مَرُ الأيام، حتى أصبحت نادرة الأرض، والمثل في الحُسْن. ولهذه البقعة ذِكْرٌ يجري في المنظومات على ألسنة البُلغاء من ساكنيها وزُوَّارها؛ فمن أحسن ما مرّ من ذلك قول شيخنا أبي البركات (٢): [الطويل]

ألا قُلْ لعين الدمع يَهْمي بمقلتي

وذكرتُه في قصيدة فقلت: [الكامل]

يا عهد عين الدمع، كم من لُؤلؤ تَسْري نواسِمُك اللَّدان بَليلَة

لفُزقة عين الدمع وقفًا على الدم

للدمع جاد به عَساكَ تَعُودُ! فيهزّني شوقٌ إليك شديدُ

⁽١) في الأصل: «فيها، وهكذا ينكسر الوزن.

 ⁽۲) كان عين الدمع من عجيب مواضع غرناطة، وهو عبارة عن جبل فيه الرياض والبساتين، ويتصل بجبل الفخار. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ۳۸) فغيه دراسة مفصّلة عن هذا الموضع.

⁽٣) جبل الفخار من شُعَب جبل سييرا نقادا المشرفة على مدينة غرناطة، ويسمى اليوم Monte Alfacar راجع: مملكة غرناطة (س ٤٧).

⁽٤) المراد بالمباني القصبية: المباني المحصنة التي تشبه القصبة.

⁽٥) النشب: المال أو العقار. لسان العرب (نشب).

 ⁽٦) هو أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم، المعروف بابن الحاج، البلفيقي الأصل، من شيوخ ابن الخطيب، وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

وقلت من أبيات تُكتب في قُبَّةٍ بقصري الذي اخترعتُه بها: [الطويل]

فإنسائها ما نحن فيه ولادعُ ولا زال مَثُواه المُنَعَّم مَزتَعُ وتمدَّدُه الشَّغرى وتخرُسُه ألْمُعُ

وقال صاحبُنا الفقيه أبو القاسم بن قُطبة (١) من قصيدة: [الطويل]

فسَرُحْ عيونًا في اجتلاء النّواظرِ
فإنْ رُباه مَرتع للجاّذِرِ
وقبْلُ عِذَارَ الأنس بين الأزاهِرِ
مُعتَّقةً تجلُو الصَّدَا لِلْخواطرِ
فلم تخش أخدَاث الدُّهور الدُّوائرِ
وتُخبر عن كرم يخلُدُ داثرِ

أجل إنَّ عين الدمع قيدُ النَّواظر وعَرِّجْ على الأوْزان إن كُنْتَ ذا هوًى وصافِحْ بها كف البَهار مُسَلِّمًا وحُذْها على تلك الأباطِح والرُّبى مُدَامَةُ حانِ أنسى للدهرِ (٢) عُمْرَها تحدُثُ عن كسرى وساسانَ قبْله تحدُثُ عن كسرى وساسانَ قبْله

إذا كان عين الدمع عينًا حقيقة

فدام لخيل الأئس واللهو مَلْعَبًا

تود الشُرَيا أن تكون له شرى

وهي طويلة. وقال أيضًا من قصيدة طويلة: [الطويل]

وليلاً بعين الدمع وضلاً قَطَعْتُهُ ترى الحُسْنَ منشور اللواء بسِرِّه فيِثْنا ومن رَوْض الخُدُود ازاهر وتُفَّاحُنا وَسُط الرِّياض مُورَدُ وقد عَرَفت نص الهوى وذميله وقال من قصيدة: [البسيط]

ومِلْ بنا نحو عين الدمع نَشْرَبُها حيثُ المهو راتِعَةً حيثُ المنى وفنونُ اللّهو راتِعَةً وجَدُولُ الماء يحكي في أجِنْتِهِ وأعْيُنُ الزهر في الأغصان جاحظةً

والنجمة بين النبجوم سُعُودُ وظل الأماني في رُباه مَدِيدُ للدَيْنا ومن وَرْد الرِّياض خُدُودُ ورُّمَانُنا وَسُط الصُدور نُهُود تهائم من أكتبادنا ونتجودُ تهائم من أكتبادنا ونتجودُ

حيث السُّرورُ بكاس الأنْس يَسْقيني والطَّيْرُ من طَربٍ فيها تُناجِيني صَوَارمًا جُرِّدت في يوم صِفِّين كأنها بِهُوى الغِزْلانِ تُغرِيني

 ⁽١) هو محمد بن أحمد بن قطبة الدُّؤسي الغرناطي، وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

⁽٢) في الأصل: «الدهرُ» وهكذا ينكسر الوزن،

ومن ذلك: [الطويل]

سهرت بعين الدمع أزعَى ربُوعَه وحَسْبي من الأخبَابِ رَعْيُ المنَازلِ يُعَالِمُ المُعَالِلِ يَعْنُ المنازلِ يُنَافِحُني عَرْفُ إذا هَبُتُ الصَّبَا ويقنِعُني طينفُ الحبيب المُرَاسل

والأقاويل في ذلك أكثرُ من أن يُحاط بها كثرة، وما سوى هذه الجهة فغير لاحق بهذه الرُّتبة، مما مُعَوِّلُه على مَحْض الفائدة وصريح العائدة. وتذهب هذه الغُروس المغروسة قِبْلةً، ثم يفيض تيارها إلى غرب المدينة، وقد تركت بها الجبال الشّاهقة، والسُّفوح العريضة، والبطون الممتدة، والأغوار الخائفة، مكللة بالأعناب، غاصة بالأدواح، متزاحمة بالبيوت والأبراج، بلغ إلى هذا العهد عدَدُها في ديوان الخِرْص (۱۱)، إلى ما يناهز أربعة عشر ألفًا، نقلت ذلك من خَطَّ مَن يُشار إليه في هذه الوظيفة؛ وقاها الله مَضَرَّة السنين، ودفع عنها عُباب القوم الظَّالمين، وعُدُوان الكافرين.

نصييل

ويحيط (٢) بما خَلْف السُّور مِن المُنى، والجَنَّات، في سهل المدينة، العَقار الثمين، العظيم الفائدة، المتعاقبة الغَلَّة، الذي لا يعرف الجِمام، ولا يفارق الزَّرع من الأرض البيضاء، ينتهي ثمن المرجع منها العَلِي، إلى خمسة وعشرين دينارًا من النهب العَيْن، لهذا العهد فيه مُشتَخْلصُ السلطان، ما يضيق عنه يطاق القيمة، ذَرْعًا وغِبطة وانتظامًا؛ يرجع إلى دور ناجمة، وبُرُوج سامية، وبَيَادر فسيحة، وقصاب (٢) للحمائم والدُّواجن ماثلة، منها في طَوْق البلد، وحمى سُورها، جُمُلةً؛ كالدَّار المنسوبة إلى هُذَيل، والدار المنسوبة إلى أم مرضى، والدار البيضاء، والدار المنسوبة إلى هُذَيل، والدار المعروفة بِنِبُلة وَوَتَر؛ وبالمَرْج ما يُسايِر جَرْية النَّهر كقرية وكروبها حصن خريز، وبستان وبشر عُيون، والدار المنسوبة إلى خَلَف، وعَيْنُ الأبراج، والحُشُ (٤) المنسوب إلى الصّحاب؛ وقرية رُومَة وبها حصنُ وبستان، والدار المنسوبة إلى العُطْشى، وبها حصن؛ والدار المنسوبة لابن جُزي، والحُشُ المنسوب المنسوبة إلى العَطْشى، وبها حصن؛ والدار المنسوبة لابن جُزي، والحُشُ المنسوب المنسوبة إلى العَطْشى، وبها حصن؛ والدار المنسوبة المن وبها حصن، وحوله المنسوبة إلى العَطْشى، وبها حصن؛ والدار المنسوبة المنسوبة إلى العَطْشى، وبها حصن؛ والدار المنسوبة المن بُها حصن، وبها حصن، وحوله المنسوبة إلى العَطْشى، وبها حصن؛ والدار المنسوبة الحَسَني، وبها حصن، وحوله المنسوبة إلى وقرية ناجرة، ومنها فضل بن مَسْلمة الحَسَني، وبها حصن، وحوله

⁽۱) الخِرْص: اسم من خَرَص! يقال: كم خِرْص أرضك: أي كم قَدْرها وما خُمِّن فيها. والمراد بديوان الخمِّن فيها. والمراد بديوان الأملاك وغلاتها. لسان العرب (خرص).

⁽٢) قارن باللمحة البدرية (ص ٢٤ ـ ٢٥).

⁽٣) في الأصل: قومصاب؛ والتصويب من اللمحة البدرية.

⁽٤) الحُشُّ: البستان، محيط المحيط (حشش).

رَبَض، فيه من الناس أُمَّة؛ وقرية سِنْيَانة وفيها حصن؛ وقرية أشكُر؛ وقريتي بِيبش وواط، وبهما حصنان؛ وقرية واط عبد الملك بن حبيب. وفي هذه القُرى الجُمَلُ الضخمة من الرجال؛ والفُحُول من الحيوان الحارث لآثار الأرض؛ وعلاج الفلاحة؛ وفي كثير منها الأزخى والمساجد. وما سوى هذه من القرى، المُشتَخْلَصُ من فَضْلة الإقطاع، وقَصَرت به الشُهرة عن هذا النَّمَط، فكثيرً.

ويتخلّل هذا المتاع الغبيط (۱) الذي هو لباب الفلاحة، وغير هذه المَدَرة (۲) الطيّبة؛ سائر القرى التي بأيدي الرّعيّة، مجاورة لهذه الحدود، وبنات لهذه الأمهات. منها ما انبسط وتمدّد، فاشترك فيه الألوف من الخلق، وتعدّدت منه الأشكال؛ ونحن نوقع الاسم منه على البُقْعة من غير ملاحظة للتّعَدّد. ومنها ما انفرد بمالكِ واثنين فصاعدًا، وهو قليل؛ وتنيف أسماؤها على ثلاثمائة قرية ما عدا ما يجاور الحَضرة من كثير من قرى الإقليم أو ما استضافته حدودُ الحصون المجاورة (۱). فمن ذلك:

حَوْز الساعدين (1) وفيه القرى، وحَوْز وَتَر (٥)، ومنها إبراهيم بن زيد المحاربي. وقرية قُلْجار (١)، وقرية ياجُر الشاميّين، وقرية ياجُر البَلَدِيين (٧)، وقرية قَشْتالة (٨)، ومنها قاسم بن إمام من أصحاب سُحْنُون، ونزل بها جدّه عطية بن خالد المحاربي، وقرية أجِجَر (١)، وقرية أرْمِلة الصغرى (١١)، وقرية رِقاق وَهَمْدان (١١)، منها الغريب بن يزيد الشّمر، جَدُ بني أضحى، وقرية الغَيْضُون، وقرية لُسَانة (١٢).

⁽١) الغبيط: الأرض المطمئنة أو الواسعة المستوية، وغبيط المُدَرة: موضع. لسان العرب (غبط).

⁽٢) المَدُرة: القرية، جمعها مَدُر. لسان العرب (مدر).

⁽٣) يورد ابن الخطيب أكثر من ١٤٠ قرية من قرى العاصمة غرناطة، بعضها بقي محافظًا على أسمائه العربية، وبعضها استحال إلى أسماء أوروبية، وقد استعنّا في تحديد هذه القرى على ما جاء به الأستاذ محمد عبد الله عنان في الطبعة المصرية.

⁽٤) اسمه بالإسبائية El Zaidin، وهو مكان يقع إلى الجنوب من غرناطة.

 ⁽٥) اسمها بالإسبانية Huetor de le Vega، وهي قرية تقع جنوب شرقي غرناطة.

⁽٦) اسمها بالإسبانية Cojar، وتقع جنوب غرناطة على ضفة نهر شنيل.

⁽٧) بالإسبانية Yajar، وتقع بالقرب من الزاوية أحد متنزهات غرناطة المشهورة.

⁽٨) بالإسبانية Castella، وليس لها ذكر اليوم.

⁽٩) أججر أو أجيجر، وهي بالإسبانية Ugijar، وتقع جنوب شرقي غرناطة.

⁽١٠) بالإسبانية Armilla، وهما اليوم قرية واحدة تقع على ضفة نهر شنيل الجنوبية، وبها بقية قصر السيد، المعروف بقصر شنيل Alcazar Genil.

⁽١١) بالإسبانية Alhendin، وقد عدّها ابن الدلائي إقليمًا من أقاليم إلبيرة. وعدّها ابن سعيد قرية كبيرة في نطاق غرناطة. راجع مملكة غرناطة ص ٧١.

⁽١٢) لُسَّانة أو يُسَّانة: بالإسبانية Łucena، وهي مدينة اليهود، وكان أهلها أول مَن أطاعوا ليوسف بن=

وحارة الجامع، وحارة الفراق، وقرية غُرليانة، وحُشُّ البُكُر^(۱). وغدير الصغرى وغدير الكبرى، من إقليم البُلاط، منها يُربوع بن عبد الجليل، ونزل بها جدّه يربوع بن عبد الملك بن حبيب، وقرية قولو^(۱). وقرية جُرُليانة^(۱). وقرية حارة عمروس⁽¹⁾. وحُشُّ الطَّلم⁽⁰⁾. وقرية المطار، وقرية الصَّرمُورتَة⁽¹⁾. وقرية بِلِسَانة^(۱). وقرية السيجة، وقنب الحِبْشَان، وقرية الشيجة، وقنب الحِبْشَان، وقرية الشيجة، وقرية حيجانة^(۱). وقرية السيجة، وقنب قيس ^(۱). وقرية ألله المراأ، وقرية أحجر^(۱۱). وقرية أحجر^(۱۱). وقرية أنقر، وقرية أنقر، وقرية أنه أنها، وقرية المجدور وقرية العُرُوم⁽¹⁰⁾. وقرية دار وهُدان، وقرية بيرة⁽¹¹⁾. وقرية القُصَيْبة، وقرية أنطس، وقرية فَنْتِيلان^(۱۱)، وقرية سنبودة، وحُسْ زَنْجيل، وقرية أشتر، وقرية أنناس، منها مطر بن عيسى بن الليث، وقرية شودر^(۱۱)، وقرية أبو القاسم الملاحي، وقرية المُمْر، منها أصْبَع بن مطرف، وقرية عبد الواحد الغافقي أبو القاسم الملاحي، وقرية المُمْور، منها أصْبَع بن مطرف، وقرية نفجر وغرنطِلة (۲۱)، وقرية بيرة، وبها مسجد قراءة ابن حبيب، وقرية قُولُجَر^(۱۲)، منها فريب، وقرية قُولُجَر^(۲۲)، منها أَصْبَع بن مطرف، وقرية نفجر وغرنطِلة (۲۱)، وقرية بيرة، وبها مسجد قراءة ابن حبيب، وقرية قُولُجَر^(۲۲)، منها في خيب، وقرية تُولُجَر^(۲۲)، منها أَسْبَع بن مطرّف، وقرية نفجر وغرنطِلة (۲۱)، وقرية بيرة، وبها مسجد قراءة ابن حبيب، وقرية تُولُجَر^(۲۲)، منها

[&]quot; تاشفين عندما أرسل لهم كتبًا يدعوهم فيها لعدم المقاومة في أثناء حصاره لمملكة غرناطة في عهد عبد الله بن بلقين. مملكة غرناطة (ص ٦٣).

⁽۱) خُشَّ البكر: بالإسبانية Bucor، وقد ذكر الدكتور عبد الهادي التازي أن هذا المكان هو نفسه قرية بُزْقر التي هي من نظر غرناطة على ضفة نهر، وتقع جنوب غربي غرناطة. تاريخ المنّ بالإمامة (ص ٣٠٩، حاشية رقم ٣).

⁽۲) بالإسبانية Cullar Vega، وتقع جنوب غربي غرناطة.

⁽٣) بالإسبانية Churiana de la Vega، وتقع جنوب غربي غرناطة.

⁽٤) بالإسبانية Ambrox، وتقع بجوار جُرُليانة.

⁽٥) بالإسبانية Macharatalan، وتقع في مرج غرناطة على ضفة شنيل.

⁽٦) بالإسبانية Sierra Murada، وتقع شمال غربي غرناطة.

 ⁽٧) بالإسبانية Belicena وتقع غربي غرناطة.
 (٨) بالإسبانية El Jau، وتقع في مرج غرناطة.

⁽٩) بالإسبانية Chauchina، وتقع في مرج غرناطة.

⁽١٠) بالإسبانية Cambea.

⁽١١) بالإسبانية Beznar وتقع جنوبي غرناطة على بعد نحو خمسين كيلومترًا منها.

⁽١٤) بالإسبانية Tajarija، وتقع غربي غرناطة قرب أحجر.

⁽١٥) بالإسبانية Agron، وتقع جنوب غربي غرناطة على بعد نحو أربعين كيلومترًا منها.

Fontanar ار Baira او Fuentallana ار ۱۲)) بالإسبانية

⁽١٨) بالإسبانية Cacin، وتقع في نهاية مرج غرناطة.

⁽١٩) بالإسبانية Jodar، وتقع شمال غرناطة. (٢٠) بالإسبانية Conchar، وتقع جنوب غرناطة.

⁽٢١) بالإسبانية La Mala، وتقع جنوب غرناطة على مقربة من همدان.

⁽٢٢) بالإسبانية Naujar Grandilla. (٣٣) بالإسبانية Gojar، ويقع جنوبي غرناطة.

سهلُ بن مالك. وقرية شون (١) منها محمد بن هانىء الأزدي الشاعر المُفلق، ومحمد بن سهل، جَدُّ هذا البيت، بني سهل بن مالك. وقرية بُليانة (٢). وقرية بُليانة (١٠). وقرية أنتيانة (٥). وقرية مُرسانة (١٠). وقرية النُولور، وقرية السُّلان، وقرية طِغْنر (١٠) منها الطُغنري صاحب الفلاحة. وقرية حُش اللجاج، وقرية حُش نوح، وقرية حُش خليفة، وحُش الكوباني [١] وحُش المعيشة، وحُش السلسلة، وقرية الطرف (٨)، وقرية إلبيرة (١٠)، وقرية السُلكُوروجة (١٠)، وقرية البيرة (١٠)، وقرية البيرة (١٠)، وقرية البيرة (١٠)، وقرية البيرة المُخيض، وقرية الغَيْضُون الحُورَة، وحُش السُلكُوري، وقرية المُغنيضُون الحُورَة، وقرية النهازي، وقرية الديموس الصغري (١٦)، وقرية دار الغازي، وقرية الومال (١١)، وقرية رقوية الركن، وقرية ألفَنت (١٢)، وقرية منها الغازي، وقرية الوَلْجة، وقرية الوَلْجة، وقرية الركان، وقرية قربسانة (١١)، وقرية ألفَنت (١٠)، وقرية ألفَنت (١٠)، وقرية وحُش علي، وحُش بني الرُسيلية وحُش رقيب، وحرية البَلُوطة، وحُش الرَّوُاس، وحُش علي، وحُش بني الرُسيلية وقرية وقرية قبالة (١١)، وقرية الغيالة (١١)، وقرية الغيالة (١١)، وقرية ا

⁽١) في الأصل: دشور؛ وشون، بالإسبانية Jun، وتقع شمال غرناطة.

⁽٢) بالإسبانية Pulianas، وتقع بجوار قرية شور.

⁽٣) بالإسبانية Peligros. وتقع بجوار قرية بليانة على مقربة من غرناطة.

⁽٤) بالإسبانية Albolote، وتقع قبالة بليانة. (٥) بالإسبانية Fontanar.

⁽٦) بالإسبانية Maracena، وتقع شمال غربي غرناطة.

⁽٧) بالإسبانية Tignar، وكانت تقع شمال غربي غرناطة على مقربة من إلبيرة.

⁽٨) بالإسبانية Atarfe، وتقع شمال غربي غرناطة.

⁽٩) بالإسبانية Elvira، وتقع على مقربة من الطرف.

[.] Asquerosa بالإسبانية

⁽١١) بالإسبانية Ei Palomar، وتقع جنوبي غرناطة بقرب شاطىء البحر المتوسط.

⁽١٢) بالإسبانية Adamuz، وهما اليوم بلدة واحدة تقع على مقربة من مدينة غرناطة.

⁽١٣) بالإسبانية Daifontes، وتقع شمالي غرناطة على نحو عشرين كيلومتر منها.

⁽١٤) بالإسبانية Alcudia، وتقع جنوب شرقي وادي آش.

⁽١٥) بالإسبانية La Cruz de Lagos، وهي اليوم حيّ من ضواحي غرناطة، يبعد عنها نحو كيلومتر ونصف.

⁽١٦) بالإسبانية Caparacena، وتقع غربي غرناطة على نهر شنيل.

⁽۱۷) بالإسبانية Cubillas

⁽١٨) بالإسبانية Purchil، وتقع غربي غرناطة على بُعد نحو ثلاثة كيلومترات منها.

⁽١٩) بالإسبانية Cortes، وتقع غربي مدينة وادي آش.

القنار (۱). وقرية أذبل. وقرية بَرْبل. وقرية قَرْباسة. وقرية أشكن. وقرية قَلْنبيرة (۲) وقرية سغدى. وقرية قلقاجج (۲). وقرية فَتَن (٤). وقرية مرنيط. وقرية ددشطر. وقرية شِمانِس (۵). وقرية أرنالش (۱). وقرية وابشر (۷). وقرية قَلْلُولِش (۱). وقرية النّبيل (۱) وقرية الفخار (۱۱). وقرية القصر (۱۱)، ومنها محمد بن أحمد بن مرعياز الهلالي. وقرية بشر. وقرية بُنُوط (۱۲). وقرية كورة، وقرية لَض. وقرية بِيَش (۱۲). وقرية قَنتر (۱۵) وقرية دور، وقرية قلنقر، وقرية غُلجر (۱۵)، ومنها هشام بن عبد العظيم بن يزيد الخوَلاني، وقرية ذُرذَر (۱۲). وقرية ولجر، وقرية قنالش (۱۷). وقرية إبتائيلس، وقرية الخَولاني، وقرية منشتال (۱۸). وقرية الوَطا (۱۹)، وقرية وانِي، وقرية قُريش، وقرية الزَّاوية (۱۲).

وقد ذكرنا أن أكثر هذه القرى أمصار، فيها ما يناهز خمسين خُطبة، تُنصَب فيها لله المنائر، وتُرفَع الأيدي، وتتوجّه الوجوه.

وجملة المراجع العلمية المرتفعة فيها، في الأزمنة، في العام بتَقْريب، ومعظمُها السقي الغبيط السَّمين، العالي، مايتا ألف وثنتان (٢١) وستون ألفًا، وينضاف إلى ذلك مَراجع الأملاك السلطانية، ومواضع أحباس المساجد، وسُبُل الخير، ما

⁽١) بالإسبانية Canar، وتقع جنوبي مدينة غرناطة.

⁽٢) بالإسبانية Colomera، وتقع إلى الشمال من غرناطة على بُعد نحو ثلاثين كيلو مترًا منها.

⁽٣) بالإسبانية Calicasas، وتقع شمال غرناطة. (٤) بالإسبانية Fatinafar.

⁽٥) بالإسبانية Sietemanos، وتعني الأيدي السبعة.

⁽٦) بالإسبانية Arnales.

⁽٧) بالإسبانية Guejar، وتقع شمال شرقي غرناطة.

⁽٨) بالإسبانية Gogollos، وتقع شمال غرناطة.

⁽٩) بالإسبانية Nivar، وتقع شمال غربي غرناطة.

⁽١٠) بالإسبانية Alfacar، وتقع شمال شرقي غرناطة. راجع: مملكة غرناطة (ص ٢٩٥).

⁽١١) بالإسبانية Alcazar، وتقع في الجنوب الشرقي من غرناطة.

⁽١٢) بالإسبانية Pinos Puente، وتقع غربي غرناطة.

⁽١٣) بالإسبانية Beas، وتقع في شمآل شرقي غرناطة.

⁽١٤) بالإسبانية Quentar.

⁽١٥) بالإسبانية Cojar. وهي من ضواحي غرناطة الجنوبية.

⁽١٦) بالإسبانية Dudar، وتقّع شرقي غرناطة.

⁽١٧) بالإسبانية Caniles، وتقع جنوبي مدينة بسطة.

⁽١٨) بالإسبانية Monachil. وهي من ضواحي غرناطة وتقع في جنوبها الشرقي.

⁽١٩) بالإسبانية Huetor Vega، وهي ضاحية غرناطة. وتقع في جنوبها الشرقي.

⁽٢٠) بالإسبانية La Zubia. (٢١) في الأصل: «ثنتان، بدون واو.

ينيف على ما ذكر، فيكون الجميع باحتياط، خمسمائة ألف وستون ألفًا، والمستفاد فيها من الطعام المختلف الحبوب للجانب السلطاني، ثلاثمائة ألف قَدَح ويزيد، ويشتمل سورُها وما وراءه من الأرحاء الطّاحنة بالماء، على ما ينيف على مائة وثلاثين رَحّى (١)، أَلْحَفَها الله جَنَاح الأمنة، ولا قَطَع عنها مادّة الرحمة، بفضله وكرمه.

نصــــل

وقد فرغنا من ذِكر رسوم هذا القطر ومعاهدِه، وفرغنا من تصويره وتشكيله، وذِكر قراه وجنّاته (٢)، وقصوره ومتنزّهاته، فنحن الآن نذكر بعضًا من سِيَرِ أهله، وأخلاقهم، وغير ذلك من أحوالهم بإجمال واختصار، فنقول (٣):

أحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سَنِيَّة، والنُّحَلُ فيهم معروفة (1) قمذاهبهم (0) على مذهب مالك بن أنس، إمام دار الهجرة جارية، وطاعتُهم للأمراء مُحْكمة، وأخلاقُهم في احتمال المعاون الجِبَائيَّة جميلة. وصُورُهم حسنة، وأُنوفُهم (1) معتدلة غير حادَّة، وشعورُهم سودٌ مُرْسلة، وقُدودهم متوسطة معتدلة، إلى القِصَر، والوانهم زُهْر مُشْرَبة بحُهْرة، والسنتُهم فصيحة عربية، يَتَخلَلها غَرْبُ (٧) كثير، وتغلِب عليهم (٨) الإمالة، وأخلاقهم أبيَّة في معاني المُنازعات، وأنسابهم عربيَّة، وفيهم من البَرْبَر والمُهَاجرَة كثير. ولباسُهم الغالب على طُرُقاتهم (١٩)، الفاشي بينهم، المِلْفُ المَصْبُوغ (١١) شتاء، وتتفاضل (١١) أجناس البزّ (١٢) بتفاضل الجِدَّة، والمقدار، والكُتّان والحرير، والقطن، والمِزعَزَى، والأرْدِية الإفريقيَّة، والمقاطع التونسية، والمآزر المَشفوعة صَيْفًا، فتُبْصِرُهم في المساجد، أيّام الجُمَع، كأنهم الأزهار المُفتَّحة، في البِطاح الكريمة، تحت الأهوية المعتدلة.

 ⁽١) كذا في اللمحة البدرية (ص ٢٥).
 (٢) في الأصل: «وأجنّاته».

⁽٣) النص في اللمحة البدرية (ص ٣٨ ـ ٣٩). (٤) في اللمحة: «معدومة».

⁽٥) في اللمحة: «ومذاهبهم».

⁽٦) في اللمحة: «معتدلة أنوفهم، بيض ألوانهم، مسودة غالبهم شعورهم، متوسطة قدودهم».

⁽٧) في اللمحة: ﴿ عُرُفِ اللَّهِ عَالِمُهَ اللَّهِ عَالِمُهَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

⁽٩) في اللمحة: ﴿طبقاتهم﴾. (١٠) في اللمحة: ﴿الْمصبغ﴾.

⁽١١) في اللمحة: «تتفاضل».

⁽١٢) في اللمحة: قالبِزُرْ منه بتفاضل الجِدات والمقاديرة.

وأنسائهم حسبما يظهر من الإسترعات (۱)، والبَيْعات السلطانية والإجازات، عربية : يكثر فيها القُرَشي، والفِهْري، والأمُوي، والأُمّي، والأنصاري، والأوسي، والخَرْرَجي، والقخطاني، والجِمْيري، والمَخْرُومي، والتَّنُوخي، والغَسَّاني، والأردي، والمَخْرُومي، والتَّنوخي، والبَكْرِي، والكِلابي، والقَيسي، والمُعافري، والكِناني، والتَّميمي، والهُذَلي، والبَكْرِي، والكِلابي، والتَعسي، والمعازني، والمازني، والتَّقفي، والسَّلمي، والفزاري، والباهِلي، والعَبسي، والعَنسي، والعُدْري، والحِججي، والضَّبي، والسَّكُوني، والتَيمي، والعَبْسي، والمُرّي، والعُقيلي، والفهمي، والصَّريحي، والجَزلي، والقُسَيري، والكبي، والمُحسَري، والمُحسِدي، والمُوري، والرَّعيني، والتَحصبي، والتَجيبي، والمَخسَدي، والجَهْم، والمُحبي، والمُحسَدي، والمُحسَ

هذا، ويرد كثير في شهادتهم، ويقلُ من ذلك السُّلماني نسَبًا، وكالدُّوْسي، والحَواري، والنُّبَيدي؛ والعُيْسي، والعَيْسي، والخَمَيدي، والجُذامي، والقيْسي، والغَسْاني، وكفى بهذا شاهدًا على الأصالة، ودليلًا على العُرُوبيَّة.

وجُندُهم (٢) صِنفان؛ أندَلُسي وبَرْبَري؛ والأندلسي (٣) منها يقودُهم رئيسٌ من القرابة أو حَصِيّ (٤) من شيوخ الممالك. وزيُّهم في القديم شبَه (٥) زِيُّ أَقْتَالهم وأَضْدَادهم من جيرانهم الفِرَنج، إسباغُ الدُّروع، وتعليقُ التُّرْسَة، وحفا (١) البيضات، واتخاذ عراض الأسنّة، وبشاعة قرابيس السروج، واستركابُ حَمَلة الرّايات خلفه (٧)؛ كلُّ منهم بصفة (٨) تختَصُ بسلاحه، وشهرةٍ يُعْرَف بها. ثم عدلوا الآن عن هذا الذي

⁽١) علّق عليها الأستاذ محمد عبد الله عنان في الإحاطة، الطبعة المصرية (ج ١ ص ١٣٥) فقال: العلها الإشراعات، ومفردها إشراع، أو الاشتراعات بمعنى مرسوم أو ظهير. أو لعلها إن كانت صحيحة، تعبير أندلسي قديم عن الإشراعات.

⁽٢) النص في اللمحة البدرية (ص ٣٩ ـ ٤٠). (٣) في اللمحة: ١١لأندلسي منه يقوده، .

⁽٤) في اللمحة: «أو أحظياء الدولة» والجمعيّ: الرجل الوافر العقل. محيط المحيط (حصي).

 ⁽٥) في اللمحة: «شبيه بزيّ جيرانهم وأمثالهم من الروم في إسباغ». والمراد بالأقتال: الذين يقاتلونهم.

⁽٦) في اللمحة: (وجفاه). (٧) في اللمحة: (خلفهم).

⁽٨) في اللمحة: «بسمةٍ تخصُّ سلاحه».

ذكرنا^(١)، إلى الجَواشن المُخْتَصرة، والبيضات المرهفات^(٢)، والسُّروج العربية، والبَيتِ^(٣) اللَّمْطِية، والأسَل العَطَفية (٤).

والبَرْبَري منه، يرجع (٥) إلى قبائله المرينِيَّة، والزُّنَاتية، والتَّجانية، والمغْرَاوية (٢) والعَجيسية، والعربُ المغْربيةُ إلى أقطاب ورؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس، على رؤسائهم، وقطب لعُرَفائهم، من كبار القبائل المرينِيَّة، يَمُتُ إلى مَلك المغرب بنسَب.

والعمائم تقلُ في زِيّ أهل هذه الحَضْرة، إلّا ما شاد^(۷) في شيوخهم وقُضاتهم وعلمائهم، والجُنْد العربي^(۸) منهم. وسلاح جُمهورهم العِصيّ الطويلة، المثنّاة بعصيّ صغار ذوات^(۹) عُرّى في أواسطها^(۱۱)، تُدْفع بالأنامل عند قذفها تسمّى «بالأمداس»؛ وقسيّ الإفرَنْجَة (۱۱) يُحمَلون على التَّدْريب (۱۲) بها على الأيام، ومبانيهم متوسطة، وأعيادهم حسنة، مائلة إلى الاقتصاد؛ والغنى (۱۳) بمدينتهم فاش، حتى (۱۵) في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيرًا من الأخداث، كالمخفّافين (۱۵) ومثلهم.

وقوتُهم الغالب، البُرُ الطيّب، عامّة العام (١٦)، وربما اقتات في فصل الشتاء الضّعَفةُ والبوادي (١٧) والفعَلة في الفلاحة، الذُرةَ العربية، أمثل أصناف القطّاني (١٨) الطيبة. وفواكههم اليابسة عامّة العام، متعددةً؛ يدّخرون العِنَب سليمًا من الفساد إلى شطر (١٩) العام؛ إلى غير ذلك (٢١) من التّين، والزّبيب، والتفاح، والرّمّان، والقسطل (٢١)،

⁽١) في اللمحة: قاعن هذا الزيَّ، (٢) في اللمحة: «المذهبة».

⁽٣) في اللمحة: ﴿ وَالْيَلْبِ ﴾ . (٤) في اللمحة: ﴿ اللَّطَيْفَةِ ﴾ .

⁽٥) في اللمحة: «ترجع قبائله المرينية». (٦) كلمة «والمغراوية» ساقطة في اللمحة.

⁽٧) في اللمحة: «شذُّه. (٨) في اللمحة: «الغربيُّ».

⁽٩) في اللمحة: ﴿ ذَاتِ ٩. ﴿ ١٠) في اللمحة: ﴿ أُوساطها ٩.

⁽١١) في اللمحة: «الفرنجة». (١٢) في اللمحة: «التدرّب».

⁽١٣) في اللمحة: ﴿والغناء؛ .

⁽١٤) في اللمحة: قحتى بالدكاكين التي تجمع كثيرًا من الأحداث.

⁽١٥) النخفافون: جمع خَفّاف وهو باُنع الأخفاف. والأخفاف جمع خُفّ وهو ما يُلبّس في الرُجُل. محيط المحيط (خفف).

⁽١٦) كلمة قالعام؛ ساقطة في اللمحة. (١٧) في اللمحة: قالضعفة والفعلة الذرة العذبة؛.

⁽١٨) القطاني: جمع قطنية وهي ما يذَّخر في البيت من الحبوب.

⁽١٩) في اللمحة: قالى ثلثي العام، . (٢٠) في اللمحة: قالى غيره،

⁽٢١) القُسْطل: هو ما يُقال له بالأندلس: الكستنا. الحلل السندسية (ج ١ ص ٢٩٠).

والبَلُوط، والجَوْز، واللُوز، إلى غير ذلك ممّا لا يَنْفد (١١)، ولا ينقطع مَدَدُه إلّا في الفصل الذي يُزهد في استعماله.

ودينارُهم في الأوقية منه، ستة دنانير وثلثا دينار؛ وفي الدينار الواحد ثُمَن أوقية وخُمْس ثُمن أوقية. وفي شقّ منه: ﴿ وَلِلَهُمَّ مَلِكَ اللّهُمَّ مَلِكَ المُلَكِ... بِيكِكَ الْحَبُّلُ (٧٠). ويَسَتَديرُ به قوله تعالى: ﴿ وَلِلّهُمُّ إِلَهُ وَحَبُّ لاَ إِلَهُ إِلّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّهِمُ ﴿ الله الله وَفِي شقّ: «الأمير عبد الله محمد بن (٢٠) يوسف بن أمير المسلمين أبي الحجّاج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن نصر، أيّد الله أمْرَه، ويَسْتَدِير به شعار هؤلاء الأمراء: «لا غالب إلا الله». ولتاريخ تمام هذا الكتاب، في وجه: ﴿ يَتَالَيْهُ اللّهُ لَمَلَكُم تُقَلِحُونَ ﴿ وَكَالِيلُوا وَاللّهُ اللّه اللّه اللّه محمد بن الله الله الله الله الله الله محمد بن ويسف بن إسماعيل بن نضر، أيّده الله وأعانه، ويستدير برُبع: «بمدينة غَرْناطة يوسف بن إسماعيل بن نضر، أيّده الله وأعانه، ويستدير برُبع: «بمدينة غَرْناطة حَرَسها الله».

وعادة (۱۱) أهل هذه المدينة الانتقال إلى حِلَل (۱۲) العَصِير أوان إذراكه، بما تشتمل عليه دُورُهم، والبروز إلى الفحوص (۱۳)

⁽١) في اللمحة: "مما لا ينقطع مَدَدُه إلَّا بفصل يزهد. . . ٢.

⁽٢) هنا ينتهي النص في اللمحة البدرية. (٣) سورة الفاتحة ١، الآية ٢.

⁽٤) صورة آل عمران، ٣ الآية ١٢٢. (٥) سورة البقرة ٢، الآية ١٢٠.

 ⁽۲) صورة طله ۲۰ الآية ۱۳۲.
 (۷) سورة آل عمران ۳، الآية: ۲۱.

⁽٨) سورة البقرة ٢، الآية ١٦٣.

⁽٩) قوله: «محمد بن» ساقط في الأصل، وقد أضفناه لبستقيم المعنى كما سيّرد بعد أسطر.

⁽١٠) سورة آل عمران ٣، الآية ٢٠٠. (١١) النص في اللمحة البدرية (ص ٤٠ ـ ٤١).

⁽١٢) في اللمحة: ﴿ حِلالٌ ، والحِلَلُ : جمع حِلَّة وهي المحلَّة .

⁽١٣) الفحوص: جمع فحص، وقد عرّفه ياقوت بقوله: الفحص بمفهوم أهل الأندلس هو كل موضع يُشكَنُ ويُزْرع، سواء كان سهلًا أو جبلًا، ومع الزمن صار الفحص عَلَمًا لعدة مواضع، معجم ـــ

باولادهم (١)، مُعَوِّلين في ذلك على شهامتهم وأسْلِحتهم، وعلى كثَبِ دورهم (٢)، واتُصال أمْصَارهم بحُدود أرضه. وحَلْيُهم في القلائد، والدَّمالج، والشُّنوف (٢)، والخلاخل الذَّهبُ الخالص، إلى هذا العهد، في أُولي (١) الجِدَّة؛ واللجَيْنُ في كثير من آلات الرِّجلين، فيمن عداهم. والأحجارُ النفيسة من الباقوت، والزَّبَرْجَد والزّمرد ونفيس الجَوْهر، كثيرٌ ممّن (٥) ترتفع طبقاتهم المُسْتندة إلى ظِلِّ دولة، أو أصالة (١) معروفة مُوفِّرة.

وحريمُهم، حريم جميل، موصوف بالسحر (٢)، وتَنَعُم الجُسوم، واسترسال الشُّعور، ونقاء الثُّغُور، وطِيبِ النَّشر (٨)، وخفَّة الحركات، ونُبل الكلام، وحُسن المحاورة، إلّا أن الطُول يَنْدُر فيهنّ. وقد بَلغَن من التَّفنَن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المُصْبَغات، والتَّنفيس (٩) بالذَّهبيَّات والدِّيباجيَّات، والتَّمَاجُن في أشكال الحَلْي، إلى غاية نسأل الله أن يُغَضَّ عنهنّ فيها، عَين الدهر، ويُكفكف الخَطْب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة، وأن يعامل جميع مَن بها بسَتره، ولا يَسْلبهم خَفِيً لطفه؛ بعزَّته وقدْرته.

فصــل فيمن تداول هذه المدينة من لدُن أَصْبَحَتْ دار إمارة باختصار واقْتِصار

قال المؤلّف (۱۰): أول من سكن هذه المدينة سُكنى استبداد، وصيَّرها دار مُلْكه ومَقرُّ أمره، الحاجبُ المنصور أبو مُثَنَّى زَاوي بن زِيري (۱۱) بن مَناد، لمّا تغلّب جيش البربر مع أميرهم سليمان بن الحكم على قُرْطبة، واستولى على كثير من كُور الأندلُس عام ثلاثة وأربعمائة فما بعدها، وظهر على طوائف الأندلس، واشتهر أمره، وبَعُدَ صيتُه. ثم اجتاز البحر إلى بلد قومه بإفريقية، بعد أن مَلَكَ غَرْناطة سبع سنين، واستخلف ابن أخيه حَبُّوس بن ماكْسَنْ، وكان حازمًا داهية، فتوسَّع النظر إلى أن مات

البلدان (ج ٥ ص ٢٣٦). وانظر أيضًا دراسة مستفيضة عنه في كتاب: مملكة غرناطة في عهد
 بني زيري البربر (ص ٤١).

 ⁽١) في اللمحة: (بأولادهم وعِيالهم).
 (٢) في اللمحة: (بأولادهم وعِيالهم).

 ⁽٣) في اللمحة: (والخلاخيل والشنوف).
 (٤) في اللمحة: (ألي).

 ⁽٥) في اللمحة: افيمن ترفّع من طبقاتهم؟.
 (٦) في اللمحة: افيمن ترفّع من طبقاتهم؟.

⁽٧) في اللمحة: «باعتدال السُّمَن». (٨) في اللمحة: «الشذاه.

⁽٩) في اللمحة: ﴿والتنافس في الذهبيّاتُ ٩. ﴿ (١٠) قارن باللمحة البدرية (ص ٣١).

⁽١١) ستأتي ترجمة زاوي بن زيري في هذا الجزء.

سنة تسع وعشرين وأربعمائة (۱). ووَلِيَ بعده حفيده عبد الله بن بُلكُين بن بادِيس، إلى أن خُلع عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، وتصيَّر أمرُها إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشُفِين ملك لمُتُونة عند تَمَلُكه الأندلس، ثم إلى ولده عليّ بن يوسف. وتَنَوَّب إمارتها جملةً من أبناء الأمراء اللمُتُونيين وقرَابتهم كالأمير أبي الحسن علي بن الحاج وأخيه موسى، والأمير أبي زكريا يحيئ بن أبي بكر بن إبراهيم، والأمير أبي الطّاهر تَمِيم، والأمير أبي محمد مَزْدَلي، والأمير أبي بكر بن أبي محمد، وأبي طَلحة الزُبير بن عُمر، وعثمان بن بدر اللمْتُوني، إلى أن انقرض أمرُهم عام أربعين وخمسمائة.

وتصيِّر الأمْرُ للمُوَجِّدين، وإلى ملكهم أبي محمد عبد المؤمن بن علي (٢)، فتناوبها جملةٌ من بنيه وقرَابته، كالسيِّد أبي عثمان ابن الخليفة؛ والسيِّد أبي إسحلق ابن الخليفة؛ والسيّد أبي محمد ابن الخليفة؛ والسيد أبي محمد ابن الخليفة؛ والسيد أبي عبد الله، إلى أن انْقَرَض منها أمر المُوَجِّدين.

وتملكها المتوكّل على الله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد يوسف بن هُودْ (٢) في عام ستة وعشرين وستمائة، ثم لم يَنْشِب أن تملكها أمير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخُزْرجي، جَدُّ هؤلاء الأمراء الكرام موالينا، رحم الله مَن دَرَجَ منهم، وأعان مَن خَلفِه، إلى أن توفي عام أحدٍ وسبعين وستمائة. ثم وَلِيَ الأمر بعده ولده وسَمِيه محمد بن محمد، نقام بها أحمد قيام، وتوفي عام أحد وسبعمائة، وتُوفي ثم وَلِيَ بعده سَمِيه محمد إلى أن خُلِغ يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة، وتُوفي عام أحد عشر وسبعمائة في ثالث شوّال منه. ثم وَلِيَ بعده أخُوه نَصْرُ بن مولانا أمير المسلمين أبي عبد الله، فأرتَبَ أمرُه، وطلب المُلك اللّاحقُ به مولانا أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل بن فرج، فغَلَب على الإمارة، ثاني عشر ذي القعدة من عام ثلاثة عشر وسبعمائة؛ وانتقل نصر إلى وادي آش مَخْلوعًا، مُوادِعًا بها إلى أن مات عام اثنين وعشرين وسبعمائة، وتمادى مُلك السلطان أمير المسلمين أبي الوليد إلى السادس والعشرين من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، ووَثَبَ عليه بعض قَرابته فقتله،

 ⁽۱) كذا في اللمحة البدرية (ص ٣١) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٩). وفي ترجمة حبوس بن ماكسن في هذا الجزء: "توفي بغرناطة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة".

 ⁽۲) حكم عبد المؤمن بن علي الموحدي المغرب سنة ۲۱ هـ. وفي سنة ٥٤١ هـ ضم الأندلس إلى المغرب. وتوفي سنة ٥٥٨ هـ. ترجمته في البيان المغرب. قسم الموحدين (ص ٧٩) والمعجب (ص ٢٦٢، ٢٦٥)، والحلل الموشية (ص ١٠٧).

 ⁽٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود، مات قتلًا سنة ٦٣٥ هـ. وسوف بترجم له ابن
 الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

وعُوجل بالقتّل مع مَنْ حضر منهم. وتولّى المُلْك بعده ولده محمد، واستمرّ سلطانه إلى ذي الحجة من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، وقُتل بظاهر جبل الفتّح (١٠). وولي بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لُبابُ هذا البيت، وواسِطة هذا العِقْد، وطِرَازُ هذه الحِلية، ثم اغتاله مَمْرُور من أخابيث السُّوقة، قيّضه الله إلى شهادته، وجعله سببًا لسعادته، فأكَبَّ عليه في الرّخعة الآخرة من ركعتي عِيد الفِطْر، بين يدي المِحْراب، خاشِعًا، ضارعًا، في الحال الذي أقربُ ما يكون العَبْدُ من رَبّه، وهو ساجد، وضربه بخنجر مُهيّى المفتّك به، في مثل ذلك الوقت، كان، زعموا، يحاول شَخذه منذ زمان، ضَرْبَة واحدة، على الجانب الأيسر من ظَهْره، في ناحية قلْبه، فقضى عليه، وبُودِر به فقيّل.

ووَلِيَ الأمر بعده محمد (٢)، ولدُه أكبر بَنيه، وأفضل ذويه، خَلْقًا وخُلقًا وحياة وجودًا، ووقارًا وسلامة وخَيْريَّة، ودافع دولته مَن لا يعبأ الله به (٢)؛ ثم تدارك الأمر سبحانه، وقد أشفَى، ودافع وكفى، بما يأتي في محلّه إن شاء الله. وهو أمير المسلمين لهذا العهد، متّع الله به، وأدام مدته، وكتب سعادته، وأطلق بالخير يده، وجعله بمراسيم الشريعة من العاملين، ولسلطان يوم الدين من الخائفين، المُراقِبين، فضله.

وقد أتينا بما أمكن من التعريف بأحوال هذه الخضرة على اختصار. ويأتي في أثناء التَّعْريف برجالها كثيرٌ من تفصيل ما أُجمِل، وتَتْميم ما بَدَا، وإيضاح ما خَفِي بحول الله تعالى.

 ⁽١) جبل الفتح: هو جبل طارق، والذي سمّاء جبل الفتح هو الخليفة عبد المؤمن بن علي، حين نزل به عام ٥٥٥ هـ.

⁽۲) هو السلطان الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، حكم غرناطة سنة ۷۵۰ هـ، ثم عزل سنة ۷۲۰ هـ، ثم عاد ثانية إلى الملك سنة ۷۲۳ هـ. اللمحة البدرية (ص ۱۲۳، ۱۲۹).

 ⁽٣) إشارة إلى ثورة إسماعيل أخي السلطان محمد الغني بالله عليه، وانتزاعه الملك منه في رمضان سنة ٧٦٠ هـ.

القِسم الثاني في حِلَى الزّائِر وَالقَاطِن وَالمتحَرِّكُ وَالسَّاكِن

بنسب الله النظن النعين النعين

أحمد بن خَلف بن عبد الملك الغساني القُلَيعي(١)

من أهل غزناطة، يُكنى أبا جعفر، من جلّة أعيانها، تُنسَب إليه الساقية الكبرى المجاورة لطوّق الحضرة إلى إلْبيرة، وما والاها.

حاله: قال ابن الصَّيْرِفي: كان الفقيه أبو جعفر القُلَيْعي، من أهل غرناطة، فريد عصره، وقريع دهره، في الخير والعلم والتُلاوة؛ وله جِزْبٌ من اللّيل، وكان سريعَ الدَّمعة، كثير الرَّواية؛ وهو المُشار إليه في كل نازلة، وله العَقْد والحلُّ والتقدُّم والسَّابقة، مع مُنَّة في جلائل الأمور، والنَّهضة بالأعباء وسُمُوَّ الهمَّة.

غريبة في شأنه: قال: كان باديس بن حَبُّوس أمير بلده يتفرَّس فيه أن مُلْك دولته يَنقرض على يديه، فكان يَنْصِب لشأنه أكلُبًا، ويَتَمَلِّظ بسيفه إلى قتْله، فحماه الله منه بالعلم، وغل يده، وأغمد سيفه، ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

مشيخيه: روى (٢) عن أبي عمر بن القطّان، وأبي عبد الله بن عتَّاب، وأبي زكريا القُليعي، وأبي مروان بن سِرَاج؛ وكان ثقةً صَدُوقًا، أخذ عنه الناس.

محنته: ولمّا أجاز أمير لمتونة يوسُف بن تاشُفِين البحر مُستدعى إلى نصر المسلمين أني حركاته إلى الأندلس، ونازل حصن أليط (٣)، وسارع ملوك الطوائف

 ⁽١) ترجمة القليعي في مذكرات الأمير عبد الله (ص ١١٧) والصلة (ص ١٣٤)، وجاء في الصلة
 أنه: «أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني».

⁽٢) قارن بالصلة (ص ١٢٥).

⁽٣) اختلف المؤرّخون الذين تحدّثوا عن حصار هذا الحصن في كتابة اسمه فرسموه: «أليبط» و«اليط» و«اليط» و«الليط» و«لبيط» و«يلبيط» و«يلبيط» و«ليبط». راجع في ذلك كتاب: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٢٠٤).

إلى المسير في جُمْلته، كان ممن وصل إليه الأمير عبد الله بن بُلُكِين بن باديس، صاحب غرناطة، ووصل صحبته الوزير أبو جعفر بن القُليعي، لرغبته في الأجر مع شهرة مكانه، وعلو منصبه، ولنهوض نظرائه من زعماء الأقطار إلى هذا الغرض. وكان مَضْربُ خيام القُليعي قريبًا من مَضْرب حَفيد باديس، ولمنزلته عند الأمير يوسف بن تاشفين، وله عليها الحفوف وله به استبداد وانفراد كثير وتردد كثير، حتى نفى بذلك حفيد باديس، وأنهم عَينه. قال المؤرّخ: وكيفما دارت الحال، فلم يَخُل من نصح لله ولأمير المسلمين.

قلت: حفيد باديس كان أذرى بدائه، قصر الله خطانا من مدارك الشرور. فلما صدر حفيد باديس إلى غزناطة، استحضره ونجهَه، وقام من مجلسه مُغْضبًا، وتعلقت به الخُدَمة، وحفَّت به الوَزَعة (١) والحاشية، وهمُّوا بضرُّبه؛ إلَّا أن أمَّ عبد الله تطارحت على ابنها في استحيائه، فأمر بتخليصه، وسِجْنه في بعض بيوت القصر؛ فَأَقْبَلَ فَيه عَلَى العبادة والدعاء والتُّلاوة؛ وكان جُهير الصوت، حَسَن التُّلاوة، فأرتج القصر، وسَكنت لاستماعه الأصوات، وهدأت له الحركات، واقشعرَّت الجُلود. وخافت أم عبد الله على ولدها، عقابًا من الله بسببه، فلاطفته حتى حلّ عِقالَه، وأطلقه من سجنه. ولمّا تخلُّص أعدُّها غنيمةً. وكان جَزْلًا، قويُّ القلب، شديد الجَزم؛ فقال الصَّيْد بغُراب أكيس؛ فاتخذ الليل جَمَلًا؛ فَطلعَ له الصباح بقلعة يَحْصُب، وهي لنظر ابن عبّاد(٢)، وحثّ منها السّير إلى قُرطبة؛ فخاطب منها يوسف بن تاشُفِين بملِّءِ فيه، بما حرَّكه وأطْمَعه؛ فكان من حركته إلى الأندلس، وخَلْع عبد الله بن بُلكُين من غرناطة، واستيلائه عليها، ما يَرد في اسم عبد الله وفي اسم يوسف بن تاشُفين، إن شاء الله. وبَدَا لحفيد باديس في أمر أبي جعفر القُليعي، ورأى أنه أضاع الحزم في إطلاقه، فبحث عنه من الغد، وتقصَّت عنه البلدة، فلم يَقُع له خَبَر، إلى أن اتَّصل به خبرُ نجاته، ولحاقه بمأمنه. فرجع باللائمة على أمُّه، ولات حين مَنْدم. ولم يزل أبو جعفر مدّته في دول الملوك، من لمُتونة، معروف الحقّ، بعيد الصّيت والذِّكر، صَدْرَ الحضرة، والمَخْصوص بعُلوّ المرتبة إلى حين وفاته^(۳).

⁽١) الوَزَّعَة: جمع الوازع وهو مَن يدبّر أمور الجيش، أو هو قامع الشّرّ والبغي. لسان العرب (وزع).

⁽٢) هو المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية.

⁽٣) في الصلة: "وتوني في شهر ربيع الآخر سنة ثمانِ وتسعين وأربعمائة".

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي

من أهل غرناطة.

حاله: كان فقيهًا وزيرًا جليلًا حسيبًا حافلًا.

وفاته: توفي بإلبيرة قبل الثلاثين وأربعمائة.

ذكره أبو القاسم الغافقي في تاريخه وابن اليسر في مختصره وأثنى عليه.

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشّمِر بن عبد شمس بن غريب الهمداني الإلبيري^(۱)

من نُزلاء قرية هَمْدان؛ ذكره ابن حَيَّان، والغافِقي، وابن مَسْعَدة، وغيرهم؛ فقال جميعُهم: كان من أهل البلاغة، والبيان، والأدب، والشعر البارع،

مناقبه: قَدِمَ على الخليفة أبي مُطرَف عبد الرحمان (٢)، فقام خطيبًا بين يديه، فقال (٣): الحمد لله المُحْتَجِب بنُور عَظمته، عن أبصار بَريَّته، والدَّال بحدوث خلَقه على أوّليّته، والمنفرد بما أتْقنَ من عجائب دهره ومِنَنِ (٤) صَمَدِيَّتِه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده، لا شريك له، إقرارًا بوَحُدَانِيته (٥)، وخضوعًا لعزَّه (٢) وعظمته. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله (٧)، انتخبه من أطيب (٨) البيوتات، واصطفاه من أطيب البيوتات، حتى قبضه الله إليه، واختار له ما لديه. وقد قبل سَغيه، وأذى أمانته، فصلَى الله عليه وسلَم تسليمًا. ثم إنَّ الله لمّا أن بعثه (٩) من أكرم خلقه، وأكرمه (١٠) برسالته وأنزل عليه مُحُكم تنزيله، واختار له من أصحابه وأشياعه مخلقًا (١١)، جعل

⁽۱) ترجمة أحمد بن محمد بن أضحى في الذيل والتكملة (ج ۱ ص ٤٠٠)، وفي الحلّة السيراه (ج ۱ ص ٢٢٨)، وفي الحلّة السيراه (ج ۱ ص ٢٢٨) وجاء فيه: •خالد، مكان •غريب، ثم فسر ابن الأبار لنا ذلك عندما قال: •وخالد: يقال له: الغريب،

 ⁽۲) هو الخليفة عبد الرحمان بن محمد، المعروف بالناصر، وقد وُلِيَ الأندلس مدة خمسين سنة
 (۲) هو الخليفة عبد الرحمان بن محمد، المعروف بالناصر، وقد وُلِيَ الأندلس مدة خمسين سنة

⁽٣) الخطبة في الذيل والتكملة (ج ١ ص ٤٠١)، وأشار ابن الأبار إلى هذه الخطبة دون أن يذكرها.

 ⁽٤) في الذيل والتكملة: (وسنن).
 (٥) في المصدر نفسه: (٩) في المصدر نفسه: (٩)

⁽٦) في المصدر نفسه: العزَّته ١٠

⁽٧) في المصدر نفسه: اعبده الأمي، ورسوله المكيا.

 ⁽A) في المصدر نفسه: «من أكرم الأرومات». (٩) في المصدر نفسه: «ابتعثه».

⁽١٠) في المصدر نفسه: «وكرمه».

⁽١١) في المصدر نفسه: ﴿ وأشياعه فمن بعدهم خلفاء ٤٠.

منهم أنمَّة يَهْدُون بالحق، وبه يَعْدلون؛ فجعل الله الأمير، أعزَّه الله، وارث ما خلَفوه من معاليهم (۱)، وباني ما أسسوه من مشاهدهم، حتى أمَّن المسالك، وسكن المخائف، رَخْمَةً من الله، ألْبَسَه كرَامتَها، وطوَّقه فضيلتَها (۲)، ﴿وَاللهُ يَغْنَصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَكَآةً وَاللهُ نُو الْفَهُ الْمَعْلِيمِ ﴾ (۳): [الرجز]

الله (٤) أعسط الك التي لا فَوقَها عَسنك ويسأبى الله إلّا سَوقها

ثم أردف قوله بهذه الأبيات(٥): [الطويل]

أيا مَلِكَا تُرْمَى (٢) به قُضُبُ الهِنْدِ وَمَنْ بأَسُه في مَنْهل الموتِ واردُ وَمَنْ الْبَس الله المخلافة نِعْمة في وَمَنْ الْبَس الله المخلفة نِعْمة في وَلَّ في سِلْكِ فَخُرها في سِلْكِ فَخُرها تَجَلِّى على (١١) الدُّنيا فأجُلى (١١) ظلامَها أمامُ هُدُى (١١) أضحت به العُرْبُ غَضَّة (١٢) إمامُ هُدُى (١٢) أضحت به العُرْبُ غَضَّة (١٣) كفَاني لديه أنْ جَعَلْتُ وسائِلي (١٥) كفَاني لديه أنْ جَعَلْتُ وسائِلي (١٥) يوري به من متانة (١٧)

إذا أنفُسُ الأبطال كلت (١٠ عن الوزدِ إذا أنفُسُ الأبطال كلت (١٠ عن الوزدِ به فاقت النُغمى وجَلَتْ عن الحَدِ (١٠) لأصبح من مَرْوان واسطة العِقد كما انجلت الظُّلُماء عن قمر السَّغد مُلبَّسَة نُورًا كواشِية (١١) البُرُد ذمامًا (١١) شآميً الهوى مخلصَ الود خلوص (١٦) أبيه عبدك الفارس النُجُد (١٩)

(٢) في المصدر نفسه: قمجد فضيلتها.

(١١) في المصدرين: ﴿ فَجَلَّى ١.

⁽١) في الذيل والتكملة: ﴿معالمهم﴾.

⁽٣) سُورة البَقرة ٢، الآية ١٠٥.

⁽٤) في المصدر نفسه: ففالله».

 ⁽٥) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ١ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣) وورد منها فقط ستة أبيات في الحلة السيراء
 (ج ١ ص ٢٢٩).

⁽٦) ني الذيل والتكملة: (تزهي).

⁽٧) في الأصل: ﴿والصردِ والتصويبِ من المصدرين.

⁽٨) في المصدرين: (كَفَّتْ).

⁽٩) في المصدرين: ﴿فَأَتْتِ النُّعْمَى فَجَلَّتُ عَنِ الْعَدُّ».

⁽١٠) في الذيل والتكملة: «عن».

⁽١٢) في الذيل والتكملة: االهدى.

⁽١٣) في الحلة السيراء: ﴿ وَيدت بِهِ الأَرضَ بِهجةٌ ﴾. (١٤) في المصدرين: ﴿ كموشيةٌ ﴾.

⁽١٥) في المصدرين: ﴿وسيلتي،

⁽١٦) في الذيل والتكملة: «ذمام هشامي الهوى خالص الودّ».

⁽١٧) في الأصل: قمثابة؛ والتصويب من الذيل والتكملة.

⁽١٨) في الذيل والتكملة: «لباس».

⁽١٩) في الأصل: «عبد الفارس الجند» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الذيل=

تأمل رُواه (۱) وَالسرِّمساح شَسواجسرٌ رأى أسدًا وَرْدًا يَخِفُ (۱) إلى الوغى فأنْعِمْ عليه اليَوْم (۱) يا خَيْر مُنْعِم ولا تُشمِتِ الأعداء أن جنْتُ قاصدًا فعِنْدُ الإمام المرتَّفسي كلُّ نِعْمَةِ فلا زال في الدُّنيا سَعِيدًا مُظفِّرًا

وخَيْلُ إلى خَيْلِ بأبطالها تُرْدِي وربِّتها الرَّبى على الأسد الورد وربِّتها تَشْريفٍ (٥) وعَقْدِ يَدٍ عِنْدي بإظهار تَشْريفٍ (٥) وعَقْدِ يَدٍ عِنْدي إلى مَلِك الدُّنيا فأخرَمُ من (٢) قصدي وشُكرًا لما يلحيه (٧) من نغمة عندي وبُوىءَ في دار العُلى جَنْة الخُلدِ

وكان^(۸) من بيت سماحة^(۹) وفصاحة وخطابة، فَعَلا^(۱۰) شرفه بهذه الخصال؛ فسُجُل له على أرحِيَةٍ؛ وحِصْنِ نبيل ببني هُود^(۱۱) وغير ذلك، فانقَلب مَرْعيُّ الوسائل، ومَقْضِيُّ الرَّسائل^(۱۲).

قال(١٣) المؤلّف: أرى ابن فركون قبل الست عشرة والثلاثمائة.

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي (١٤)

من أهل غَرْناطة، يُكنى أبا جعفر، ويُعرَف بابن فَرْكُون.

أوليته: وكفي بالنسب القرشي أوّليَّة.

حاله من عائد الصلة: كان (١٥٠ من صُدُور القضّاة (١٦٠ بهذا الصُقع الأنْدَلُسي، اضطلاعًا (١٧٠ بالمسائل ومعرفة بالأحكام من مظَانّها، كثير المطالعة والدُّروب،

والتكملة.

⁽١) في الذيل والتكملة: «فتى من رآه». (٢) في الذيل والتكملة: ﴿يخبُ.

⁽٣) في الأصل: «ورأيته» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.

⁽٤) في الذيل والتكملة: «في». (٥) في الذيل والتكملة: «تشريفي».

 ⁽٦) في الذيل والتكملة: ٩في٩.
 (٧) في الذيل والتكملة: ٩يوليه٩.

⁽٨) قارن بالذيل والتكملة (ج ١ ص ٤٠٣). (٩) في الذيل والتكملة: •بسالة وحماسة».

⁽١٠) في المصدر نفسه: افإلى... الخصال أشارا.

⁽١١) قُولُه: قبيني هود؛ ساقط في الذيل والتكملة. (١٢) في المصدر نفسه: قمقضي المسائل».

⁽۱۳) في المصدر نفسه: الوأرى ذلك كان قبل. ١٠٠٠.

⁽١٤) ترَجمة أحمد بن محمد، المعروف بابن فركون في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٤)، والكتيبة الكامنة (ص ١٠١)، واللمحة البدرية (ص ٦٤، ٧١)، ونيل الابتهاج (ص ٣٩) طبعة فاس.

⁽١٥) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

⁽١٦) في تاريخ قضاة الأندلس: اصدور الفقهاء بهذا القطر الأندلسي.

⁽١٧) في المصدر نفسه: «اطّلاعًا».

وحِيُّ (١) الإجهاز في فصل القضايا، نافذ المَقْطع، كثير الاجتهاد والنَظر، مشاركًا في فنُون، من عربيَّة، وفِقْه، وقراءة، وفرائض، طينب النَّغمَة بالقرآن، حسن التَّلاوة، عظيم الوقار، بين طَبْع ومَكْسُوب، فائق الأَبُهة، مُزْرِيًا بمَن دونه من الفقهاء، وعاقدي الشروط، مُشقِطًا للكنى والتَّجِلُات، يعامل الكهول معاملة الأخداث، ويتهاون بتَعَامُلات ذلك فيجعلها دُبُر أُذُنيه، ويَسْتَرْسِل في إطلاق عِنان النَّادِرَة الحَارة، في مجالس حُكْمِه، فضلًا عن غيرها؛ وَجَد ذلك مَنْ يحمل عليها سببًا للغرض منه.

نباهته: ترَشَّح بذاته، وباهِر أدواته، إلى قضاء المدن النَّبيهة، والأقطار الشهيرة، كرُنْدَة، ومالَقة، وغيرهما. ثم وُلِّي قضاء الجماعة، في ظلِّ جاهِ، وضِمْن حُرْمَة.

غريبة في أمره: حدث أنه كان يقرأ في شبيبته على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن مَسْتقور (٢) بكرُم له خارج الحَضْرة، على أميال منها في فصل العصير. قال: وجُهني يومًا بغَلّة من الرُبِّ (٣) لأبيعه بالبلد، فأصابني مطرّ شديد، وعُذت إليه بحال سيّئة، بعد ما قضيتُ له وطره؛ وكان له أخّ أسنُ منه، فعاتبه في شأني، وقال له: تأخُذُ صبيًا ضعيفًا يأتيك لفائدة يستفيدها، وتُعرِّضهُ لمثل هذه المشقّة، في حَقّ مصلحتك، ليس هذا من شِيمَ العُلمَاء، ولا من شِيم الصّالحين. فقال له: دَعْه، لا بدّ أن يكون قاضي الجماعة بغَرْناطة؛ فكان كذلك، وصدَقت فراستهُ، رحمه الله تعالى.

مشيخته: قرأ بالقرية على الأستاذ أبي القاسم بن الأصفر؛ وبغَرْناطة على العالِم القاضي أبي الحسن محمد بن يحيئ بن ربيع الأشغري، وعلى الشيخ المُفْتي أبي بكر محمد بن أبي إبراهيم بن مُفَرِّج الأوْسي بن الدبّاغ الإشبيلي، وعلى الخطيب الزاهد أبي الحسن العدّال، وعلى الأستاذ النّخوي أبي الحسن على بن محمد بن على بن يوسف بن الصّايغ؛ بالصاد المهملة، والغين المعجمة، وعلى الأستاذ أبي الحسن الأبدي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي، عُرِفَ بابن مَسْتَقور.

ولمّا دالت الدولة، كان له في مُشَايعة مخْلُوعِها أمور اقْتَضَتْها منه أريحيَّةٌ وحسنُ وفاء، أَوْجَبت عليه الخُمُول بعد استِقْرار دائلها السلطان أبي الوليد، رحمه الله؛

⁽١) الوَحِيُّ: العَجِلُ المُسْرعِ. محيط المحيط (وحي).

 ⁽۲) هو المقرىء أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي، المعروف بمستقور، حسبما جاء في تاريخ قضاة الأندلس (ص ۱۷۵).

⁽٣) الرُّبُّ: بقايا كلّ ثمرة بعد اعتصارها. لسان العرب (ريب).

 ⁽٤) نسبة إلى أبدة أو أبدة، وهي مدينة صغيرة بالأندلس على مقربة من النهر الكبير، بينها وبين بياسة سبعة أميال، وهي بالإسبانية Übeda. الروح المعطار (ص ٦).

وأصابته أيام الهَيْج مِحَن، ونُسِبَت إليه نقائص زَوَّرَتُها حَسَدَتُهُ، فصُرِفَ عن القضاء؛ وبقي مدَّة مَهْجُور الفِناء، مُضَاع المكان، عاطِلَ الدُّولة، مُنْتَبَذًا في مليك له؛ خارج الحضرة، يَنْحَني على خُرْثيُّ^(۱) ساقط القيمة، ودفاتر ساقطة الثمن، يتعلَّل بعُلالتها، ويُرْجى الوقت بيسيرها.

حدَّثني الوزير أبو بكر بن الحكيم، قال: زرتُه في منزله بعد عَزْله، ونِسْبة الأمور التي لا تليق بمثله، فأنشدني بما يُنبىء عن ضجره وضيق صدره: [المجتث]

أنا من الدخكم تنائب بعد التنفقه عُنمري (٣) وبعد منا كنت أزقسى وبعد منا كنت أزقسى المستري أضب أزمنى بسعداد أشدى و إلى الله أمري

وعن دعاويه هارب (۲)
ونَّهُ لِلْمُ الْسُنِي الْسُرَاتِ بُ
على السمناب خاطِب (٤)
لِلْحال غيير مُناسبُ
فهو المُثيبُ المُعاقبُ

وثبّت اسمه في التاريخ المسمّى «بالتاج» تأريخي بما نصه:

شيخ الجماعة وقاضيها، ومُنفَّذُ الأحكام ومُمضيها، وشايم (٥) سيوفها الماضية ومُنتَضيها، رأس بفضيلة نفسه، وأخيا دارس رشم القضاء بدَرْسِه، وأودَع في أرض الاجتهاد، بذر السهاد، فجنَى ثمرة غَرْسه؛ إلى وقار يَودُّ رَضُوى رجاحته، وصَدْر تحسِد الأرضُ الغبيطة ساحَته، ونادِرة يَدْعُوها فلا تتوقَّف، ويُلقى عصاها فتتلقَّف؛ ولم يزَل يَطْمَحُ بأمانيه، ويضطلع بما يُعانيه، حتى رُفع إلى الرُّتبة العالية، وحصَل على الحال الحالية؛ وكان له في الأدب مُشاركة، وفي قريض النظم حصَّة مباركة. انتهى إليَّ قوله يهنَى السلطان أبا عبد الله بن نصر (٢) ، بالإبلال من مرض في اقترانِ بعيد وفتح، وذلك (٧): [الطويل]

شفاؤك للمُلْك اعتزاز وتأييد وبُزؤك مولانا به عندنا(٨) عِيدُ

⁽١) الخُرْثِيُّ: أردأ المتاع أو أثاث البيت. محيط المحيط (خرث).

 ⁽۲) في الكتيبة الكامنة: الراغب.
 (۳) في المصدر نفسه: الدهري.

⁽٤) هذا البيت ساقط في الكتيبة. (٥) شام السيف: انتضاه.

 ⁽٦) هو سلطان الأندلس أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ثالث سلاطين بني نصر. اللمحة البدرية (ص ٦٠).

⁽٧) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٠٢).

⁽A) في الأصل: اعيدنا والتصويب من الكتيبة الكامنة.

مَرِضَتَ فلم تأوِ النُّفُوسُ لِراحةِ ولا كان للدُّنيا قرارٌ وتنهيدُ ولم تستطعُ عيني تَراكُ مُؤَلِّمًا (١) ولازمها طولَ اعتِلالِكَ تَسْهيدُ

وشِعره مختلف عن نمط الإجادة التي تناسب محلَّه في العلم، وطبقته في الإدراك فاختصرته.

مولده: عام تسعة وأربعين وستمائة.

وفاته: في السادس عشر لذي القعدة عام تسعة وعشرين وسبعمائة. ذكرته في كتاب «عائد الصَّلة» قاضيًا، وفي كتاب «التَّاج المُحَلى» قاضيًا أديبًا، وذكره أبو بكر بن الحكيم (٢) في كتاب «الفوائد المُسْتغربة، والموارد المُسْتغذبة» من تأليفه.

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمان بن يوسف بن سعيد بن جُزَي الكلبي (7)

من أهل غرناطة، ويُعرَف بابن جُزَيّ. أوليّته معروفة، وأصالتهُ شهيرة، تُنظر فيما مَرّ من ذلك عند ذكر سلفه، وفيما يأتي في ذلك، بحول الله وقوته.

حاله: من أهل الفضل والنّزاهة، والهمّة، وحُسن السّمة، واستقامة الطّريقة، غَرَب في الوقار، ومال إلى الانقباض، وترشّح إلى رُتب سلفه. له مشاركة حسنة في فنون، من فِقْه وعَرَبيّة، وأدب، وحفظ، وشعر، تسمو ببعضه الإجادة، إلى غاية بعيدة.

مشيخته: قرأ على والده الخطيب أبي القاسم، ولازمه، واستظهر ببعض موضوعاته، وتأذّب به؛ وقرأ على بعض معاصري أبيه، وروى، واستَجْلب له أبوه كثيرًا من أهل صُقْعة وغيرهم.

نباهته: ثم أُرْسِم في الكتابة السلطانية لأوّل دولة السابع من الملوك النّصريين، مُنْفِق سوق الحِلْية من أبناء جنسه، أبي الحجاج بن نصر، فورى زنْدُه، ودَرَّت أحلاب قريحته، وصَدَر له في مدائحه شعر كثير. ثم تصرّف في الخُطَط الشَّرعية، فولِّي العَضاء ببُرْجَة، ثم بأنّدَرَش، وهو الآن قاضي مدينة وادي آش، مشكور السّيرة،

⁽١) في الأصل: «ولم تصبر عيني تود مولمًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

 ⁽۲) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن يحيئ بن الحكيم اللخمي. وسيترجم له
 ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

 ⁽٣) ترجمة ابن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٨)، ونفح الطيب (ج ٨ ص ٦١)، وأزهار الرياض
 (ج ٣ ص ١٨٧).

معروف النَّزاهة، أعانه ذلك وسوَّده، وبلغ به رُثْبة سَلفه. وجرى ذكره في كتاب التَّاج بما نصُّه:

«فاضلٌ تحلّى بالسكينة والوقار، فمدّت إليه رقاب سَلفه يد الافتقار، ما شِئت من هدوء وسكون، وجنُوح إلى الخير ورُكون، عُنِيَ بالمحافظة على سِمَته من لدُن عَقَل، ولزم خِدْمة العلم فما عاد ولا انتقل، ووجد من أبيه رحمه الله مزعى خصيبًا فابتقل، وعمل على شاكلة سلفه في سلامة الجانب، وفضل المذاهب، وتحلّى بتلك المآثر وتوشّح، وتأهّل إلى الرُّتب في سنّ الشّبيبة وتَرَشّح؛ وله مع ذلك في لُجّة الفقه سَبْح، وعلى بعض موضوعات أبيه شَرْح؛ وأدبه ساطع، وكلامه حَسن المقاطع. فمن ذلك ما كتب به إليّ، وقد خاطبت ما أمكن من نظمه (۱): [المتقارب]

فَدَيْتُك يا سيّدي مِشْلَما فَدَاك السزمانُ السذي زِنْتَهُ وقوله في المقطوعات من ذلك في معنى التورية (٢): [الخفيف]

كم بُكائي لبُعدكُمْ وأنيني (٣) جَرِّحَ (٤) الخدُّ دَمْعُ عيني ولكنُ وقال في الغِني (٦): [الطويل]

مَنْ ظَهيري على الأسى مَنْ مُعِيني عجب (٥) أن يُجرّح ابنُ معينِ

> أرى الناسَ يُولُونَ الغَنيَّ كرامةً ويَلُوونَ عن وَجْه الفقير وجوهَهُمْ بَنُو الذهرِ جاءتهم أحاديثُ جَمَّةً

وإن لم يكن أهلًا لِرفعةِ مِقْدارِ وإن كان أهلًا أن يُلاقى بإكْبَارِ فما صحَّحُوا إلّا حديث ابن دينار (٧)

ومن بديع ما صدر عنه، قولُه ينسج على مِنوال امرىء القيس في قصيدته الشهيرة (٨): [الطويل]

(ألا عِمْ صباحًا أيها الطّلَلُ البالي)

أقول لخزمي (٩) أو لصالح أعمالي

⁽١) البيت، ضمن أربعة أبيات، في الكتيبة الكامنة (ص ١٤٢).

⁽٢) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٤٣). (٣) في الكتيبة الكامنة: اكم أنيني ال

⁽٤) في الأصل: اجراح؛ وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

⁽٥) في الكتيبة: ولا عجيب إن. . . ١.

 ⁽٦) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٤٣)، ونفح الطيب (ج ٨ ص ٦١ ـ ٦٢)، وأزهار الرياض (ج
 ٣ ص ١٨٨).

⁽٧) المراد حبّ الناس للمال.

 ⁽۸) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ۱۳۹ ـ ۱۴۲)، ونفح الطيب (ج ۸ ص ٦٢ ـ ٦٤) وورد منها فقط بيتان في أزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٢).

⁽٩) في النفح وأزهار الرياض: ﴿لعزَّمي﴾.

أما واعظى شَيْبٌ سما فوق لِمُتي أنار به ليل الشباب كأنه نهاني عن غَيّ وقال مُسَبّها يقولون غَيْرَهُ لتنعم برمةً أغالط (٢) دهري وهو يعلم أنني ومُؤنِسُ نارِ الشَّيْبِ يَفْبِحُ لَهُوهُ أشَيْخًا وتَأتى فعلَ مَنْ كان عُمْرُه وتَشْغَفُكَ الدُنيا وما إن شغَفتها ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها فأين الذين استَأْثُرُوا قَبْلنا بها ذَهُلتُ بها غيًا(1) فكيف الخلاصُ من وقد عَلِمَتْ منى مواعيد تَوْبتي ومُذُ وَثِقَتْ نَفْسى بحبٌ محمدٍ وأصبح شيطان الغواية خاسنا ألا لينت شِغري هل تقولُ عزائمي ف أنزل دارًا للسبيُّ (٧) نسزيسلُها فَطُوبَى لنفْسِ جاورَتْ خَيرَ مُرْسَل ومِنْ (٨) ذِكْره عند القبول تَعَطّرَتُ جِـوَارُ رسـول الله مـجـدٌ مُـوثُــلٌ ومَن (٩) ذا الذي يثني عِنان السُرى وقد ألم تَرَ أَنَّ الظُّبْيَةَ استشفَعَتْ بهِ

(سمُوْ حَباب الماءِ حالًا على حالٍ) (مصابيخ رُهْبانِ تُشَبُّ لِقُفْالِ) (ألست ترى السمار والناس أحوالي)؟ (وهل يَعِمَنُ (١) مَن كان في العُصر الخالي)؟ (كبرتُ وأنْ لا يُخسِنُ اللَّهِوَ أمثالي) (بآنِسَةِ كأنَها خَطُ تِمْثالِ)(٣) (ثلاثين شَهْرًا في ثلاثة أحوال) (كما شَغَفَ المهنوءة الرجلُ الطّالي) (ديارٌ لسَلْمَى عافياتٌ بذي خال) (لنامُوا فما إنّ من حديثٍ ولا صالٍ) (لعُوب تنسيني إذا قُمْتُ سِربَالي) (بأنَّ الفتى يهذي وليس بفَعًالِ) (هَصَرْتُ بغُصن ذي شماريخَ (٥) مَيَالِ) (عليه قَتام(١) سيء الظّن والبال) (لِخَيْلِيَ كُرِّي كرَّةً بَغْدَ إجفالِ) (قىلىل خىمُوم ما يَبيتُ بأوجَالِ) (بيَسْربَ أَذْنَى دَارها نَظَرْ عالى) (صَبًا وشَمْأُلُ في منازلِ قُفَّالِ) (وقد يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثِّلَ أَمْثَالَي) (كفاني، ولم أطلب، قليلًا من المال) (تَميلُ عليه هَوْنَةً غيرَ مِجْفَال)

⁽١) في الأصل: «يَغْمِنُ به» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين، وعَمِنَ بالمكان: أقام به. لسان العرب (عمن).

⁽۲) في الكتيبة: «أخالط».

⁽٤) في الكتيبة: وعنّاه.

⁽٥) الشماريخ: جمع شمروخ وهو العنقود. لسان العرب (شمرخ).

⁽٦) في ديوان امرىء القيس (ص ٣٢)، والكتيبة الكامنة: "القتامُ". والقتام: الغبار.

⁽٧) في النفح وأزهار الرياض: «للرسول». (٨) في الكتيبة: «فمن».

⁽٩) في الكتيبة: ﴿وماذا الذي ٩.

⁽٣) أراد كأنها تمثال من العاج.

وقال لها عُودِي فقالت له نعم فعادَتْ إليه والهورى قائلٌ لها رثى(١) لبعير قال أزمَعَ مالكي ونسؤر ذبيع بالرسالة شاهد وحَن إليه البجذع حَنَّة عاطِش وأصلين من نخل قد التأما له وقبضة (١٤) تُرْب منه ذلَّتْ لها الظّبا وأضحى ابن جَحْشِ بالعَسِيبِ مقاتلًا وحسبُك من سيف (٥) الطّفيل إضاءة وبَذُتُ (٦) به العَجْفاءُ كل مُطَهّم ويا خُشفَ أرض تحت باغيه إذ علا وقد أخمِدَتْ نارٌ لفارسَ طالما أبانَ سبيلَ الرُّشدِ إذ سُبُلُ الْهُدى لأخمذ خير العالمين انتقيتها وإنَّ رَجسائسي أن ألاقسيسه غَسدًا

(ولو قطعوا رأسي لدَيْكُ وأوصالي) (وكان عداء الوَحْش مني على بالي) (ليَفْتُلني والمرء ليس بفعال) (طويل القَرا(٢) والرُّوقِ أَخْنَسَ ذيَّال) (لغَيْثِ مِنَ الوَسْمِيِّ دائدُهُ خالي) (فما(٢) اختَبُسا من لِين مَسُّ وَتِسْهال) (ومسنونة زُرْقِ كأنياب أغوال) (وليس بذي رُمْيح وليْسَ بنبال) (كمِسْبَاح زَيْتِ في قناديل ذُبّال) (له حَجَباتٌ مُشرفاتٌ على الفال) (على هَيْكل نهد الجُزارةِ جَوَّال) (أصابت غَضَى جَزْلًا وكُفّت بأَجْزَال)(٢) (يَقُلُنَ الأهل الحلم ضُلَّا بتضلال) (ورُضْتُ (٨) فذلَتْ صَغبَةً أي إذلالِ) (ولستُ بمَقلي الخِلالِ ولا قالي) فَاذُركُ آمالي وما كال آمل (بِمُدْرِكِ أطرافِ الخُطُوبِ ولا وَالي)(٩)

ولا خفاء ببراعة هذا النُّظم، وإحكام هذا النُّسج، وشدَّة هذه العارضة. وله تقييدٌ في الفقه على كتاب والده، المسمّى بالقوانين الفقهية، ورجزٌ في الفرائض يتضمن العمل. وإحسانُه كثير. وتقدم قاضيًا بحَضْرة غرناطة، وخطيبًا بمسجد السلطان، ثامن شوّال من عام ستين وسبعمائة. ثم انصرف عنها، وأعيد إليها في عام ثلاثة (١٠٠ وستين، موصوفًا بالنّزاهة والمَضَاء.

مولله: في الخامس عشر من جمادي الأولى عام خمسة عشر وسبعمائة، وهو الآن بقيد الحياة.

⁽١) في الكتيبة: ﴿وما﴾.

⁽۲) كذا في ديوان امرىء القيس، وفي الكتيبة: «القوى».

⁽٣) في الديوان والكتيبة: ابما.

⁽٥) في الكتيبة والنفع: السوط).

⁽٧) في الديوان والنفح: ابأجذال.

⁽٩) في الديوان والنفح: ﴿وَلَا آلُ، ا

⁽٤) في النفح: ﴿وَقُبُهُۥ

⁽٦) في الكتيبة: ﴿وبرُّتُۗۗ٠.

 ⁽٨) في النفح: •وريضَتُ.

⁽١٠) في الأصل: الثلاث، وهو خطأ نحوي.

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن علي ابن محمد بن سَغدة بن سعيد بن مَسْعدة بن ربيعة بن صخر ابن شراحيل بن عامر بن الفضل بن بكر بن بكّار بن البدر ابن شراحيل بن سعيد بن عبد الله العامري

يكنى أبا جعفر، من أهل غرناطة.

أوليته: عامر الذي ينتسبون إليه، عامرُ بن صَغْصَعَة بن هَواذِن بن منصور بن عَكْرَمة بن حَفْصة بن قيْس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معذّ بن عدنان.

ومن متاقبهم: مَيْمُونة أم المؤمنين، زوج رسول الله، ﷺ، وعَمْرو بن عامر من أصحابه، وعاصم بن عبد الله الجَعْلي، ويزيد بن الحِمْيري، وغيرهم، مَنْزل جدّهم الداخل إلى الأندلس، وهو بكرُ بن بَكًار بن البَدْر بن سعيد بن عبد الله، قرية طِغْنر من إلبيرة.

قال ابن الصيرفي في تاريخه الصغير: منزل بني مَسْعَدة، موضعُ كرم ومَحْمَدة، ينتسبون في عامر، وهم أعيان عِلْية، فرسان أكابر، وحُجَّاب وكُتَّاب ووزراء، ولهم سابقات ومفاخر، وأوائلُ وأواخرُ. ومنهم على القِدَم جليلٌ ونبيه، ومنهم كان وضيعُ بن جَرَّاح الفقيه، لم يُذخل أحد منهم في الفتنة يدًا، ولا تأذّى مُسْلمًا، ولا مُعاهدًا(١)، على قُدْرتهم على ذلك، وكفى به فخرًا لا ينقطع أبدًا. ودخل جدُهم الأندلس بعقد بني مروان له، سنة أربع وتسعين من الهجرة. ويأتي من ذكر أعلامهم ما يدلُ على شرف بيتهم، وأصالته، وعُلوًه وجلالته.

حاله: كان صَدُرًا جليلًا، فقيها مضطلعًا، من أهل النَّظر السَّديد والبحث، قائمًا على المسائل، مُشارِكًا في كثير من الفنون، جَزْلًا مهمًّا، جاريًا على سُنن سلفه، ريَّان من العربية. وختم سيبَويه تفقهًا، وقرأ الفقه، واستظهر كتاب التَّلقين، ودرس الأحكام الجيدة، وعرضها في مجلس واحد، وقرأ أصول الفقه، وشَرَح المُسْتَضفى شرحًا حسنًا، وقرأ الإرشاد والهداية، وكان صدرًا في الفرائض والحساب، وألف تاريخ قومه وقرابته.

⁽۱) المعاهد: هو المُشتَغْرَب، El Mozárabe، الذي كان يعيش في ظل الحكومة الإسلامية بالأندلس.

ولايته: وُلِّي القضاء بمواضع من الأندلس كثيرة من البشارات القام بها أعوامًا خمسة؛ ثم لوُشة، وأقام بها ثلاثة أعوام؛ ثم بَسْطة وبُرُشانة. ثم انتقل إلى مالقة وأقام بها أعوامًا خمسة. نبَّهتُ على مقدار الإقامة لما في ضِمن طول سِنِي الوَلاية من استقامة أمر الوالي، وكان له من أمير المسلمين بالأندلس خُظوة لطيفة لم تكن لغيره، استَنْزلها بسحر التلطف، وخطبها بلسان التملُق حتى استَخكمت له أسبابها.

حدّثني بعض أشياخي ممّن كان يباشر مال السلطان يومئذ، قال: وجه ابن مسعدة ابنه من مالقة، بكتاب في بعض الأغراض الضرورية، ثم رغب فيه أن يُنعم على ولده بالمُشافهة لإلقاء أمر ينوبُ عنه فيه، فلما حضر تناول رِجُل السلطان فقبّلها، وقال: أمرني أبي أن أنوب في تغفير الوجه، في هذه الرّجُل الكريمة الجهاديّة عنه خاصة؛ لبُعُد عهده بها، إلى أمثال هذا مما اقتضت الانتفاع بعاجلٍ من الدّنيا زهيدٍ، لا يدري ما الله صانعٌ فيه، والإبقاء بما تجاوز الإفراط في تقدّمه بمالقة، بعدَه دارُ الأعلام، وديوانُ العقد، وهو حَدَثٌ خَلِيٌّ من العِلْم، قريبُ العهد بالبلوغ، فكانت على أنها غاية الصّدور مُلْعبًا، إلى أن ضرب الدهر ضرباته، وانتقلت الحال.

مشيخته: أولهم قاضي الجماعة أبو الحسن بن أبي عامر بن ربيع، وثانيهم القاضي أبو عامر يحيئ بن عبد الرحمان بن ربيع، وثالثهم أبو يحيئ بن عبد المنعم الخزرجي، ورابعهم العَدُل الرَّاوية أبو الوليد العطّار، وخامسهم أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد الخُشني، وسادسهم الأستاذ أبو الحسن الكِناني الإشبيلي، وسابعهم محمد بن إبراهيم بن مُفرِّج الأوسي الدبَّاغ، وثامنهم أبو جعفر أحمد بن علي الرُّعيني، وتاسعهم أبو علي بن أبي الأخوص.

وصمته: فروى الناس أنه وُجِدَ بخزانته بعد وفاته زمامٌ يشتمل على مثالب أهل غَرناطة، مما يحدثُ على الأيام في أفرادهم من فَلَتات يُجريها عدم الاتّصاف بالعِضمة. استقرٌ عند ولده الفضل، زعموا، ثم خَفِيَ أثرُه، ستر الله عيوبنا برحمته.

وفاته: توفي بمالقة قُرب صلاة المغرب، يوم الأحد الموفّي عشرين لذي الحجة عام تسعة وتسعين وستمائة، ودفن بخارج باب قُبالة في مالقة المذكورة بمقربة من رابعة بني عمّار، وبالروضة المنسوبة لبني يحيئ، نقلت من خط ولده الفضل.

⁽١) البشارات: بالإسبانية Alpujarras، وهي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٦).

أحمد بن محمد بن أحمد بن قُغنب الأزدي

يكنى أبا جعفر، ويُعرَف بابن قُعْنب.

أوليته: ذكر الأستاذ ابن الزُّبير في قصِلته وغيره، أن قومًا بغرناطة يُعرَفون بهذه المعرفة، فإن كان منهم، فله أوّليَّة لا بأس بها.

حاله: كان من شيوخ كُتّاب الشُّروط معرفة بالمسائل، واضطلاعًا بالأحكام، وانفرد بصحّة الوثيقة، باقعة (۱) من بواقع زمانه، وعَيّابة (۲) في مشايخ قطره، يألف النّادرة الحارّة في ملاء من النّوك والغفلة، فلا يهتزُّ لموقع نادرة، ولا يضحك عقب عقْد صَرْعَةِ، لقلقِه غير ما مرة، غير مجلس من مجالس القضاء من بني مسعود المُزْراة أحكامُهم، المرميّة بتهكّمه وإزْرائه، فتقتّع (۳) في طريق حكمهم خُطى منفسحة، غير مكترث بهوانه، ولا غاص بلسانه. وربما قال لبعض الوَزَعة (٤) من قادته بمحبسه، وقد توقّفوا به في بعض الطريق، توقّعًا لسُكون غضب قاضيهم، ابعثوا بعضهم إلى هذا المَحْروم، لنرى ما عزم عليه، بكلام كثير الفُتور والاستكانة، له في هذا الباب شهرة.

ذَكُرُ بعض نَزَعاته: حدَّثني ملازمُه، وقفٌ عليه، أبو القاسم بن الشيخ الرئيس أبي الحسن بن الجيَّاب، وقد أعمل والده، رحلة إلى مالقة لزيارة شيخه الذي تلمذ له، وشهر بالتشيَّع فيه، أبي عبد الله السَّاحلي، صاحب الأتباع والطريقة، وكان مُفرِط الغُلوّ فيه، واستصحب ولدّه الصغير، فسأله عن سفر أبيه وسعيه، فقال: نعم، واحتمل أخي، فقال: أظنه منذ وُلد كان غير مغتطس، فحمله الشيخ، فغطسه، واستغرب كلّ مَن حضر ضحكًا، فلم يبتسم هو كأنه لا شعور عنده بما ذهب إليه، فكانت إحدى الطّوام عند الشيخ.

وحدّثني، قال: جاءت امرأة تخاصم ميّارًا (٥)، أوصلها من بعض المدن، في أمرٍ نشأ بينهما، وبيده عَقْد، فقال بعض جيرانه، من نصّه حاكيًا: «وأنه جامعها من موضع كذا إلى كذا ولم يرسم المدّ على ألف «جا»، فقال الشيخ للمرأة: أتعرفين أن هذا الميّار جامعك في الطريق أي فعل بك، فقالت: معاذ الله، ونفرت من ذلك،

⁽١) الباقعة: الشديد الدهاء والذكي العارف لا يفرته شيء. لسان العرب (بقع).

⁽٢) الغيّابة: الكثير العيب للناس. لسان العرب (عيب).

⁽٣) تقتُّع: ذُلُّ. لسان العرب (قتع).

⁽٤) الوَزَّعة: جمع وازع وهو الذي يدبّر أمور الجيش. لـــان العرب (وزع).

⁽٥) الميار: الذي يجمع الميرة. لسان العرب (مير).

فقال: كذا شهد عليك الفقيه، وأشار إلى جاره. ومثل ذلك كثير. وُلِّي القضاء بأماكن عديدة كلوشة، وبَسْطة، والمَسْند، وبُرجة، وأُرجبة، وغير ذلك.

مشيخته: يحمل عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والخطيب الصالح أبي عبد الله بن فضيلة، وأبي محمد بن سِماك، وأبي الحسن بن مَسْتقور.

مولده: عام سبعين وستمائة، توفي قاضيًا ببُرجة بعد علّة سَدِكتُ (١) به في السادس عشر من شعبان من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة، وانتقل منها في وعاء خشب.

ودفن بمقبرة إلبيرة، تجاوز الله عنه ورحمه.

أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة، وجلَّة بيوتها، ويأتي من ذكر ذلك ما فيه كفاية.

حاله: هذا الرجل ممن صُرفت إلى الله رُجْعاه، وخَلَصت له معاملته، وخلص إليه انقطاعه. نازع في ذلك نفْسًا جامحة في الحزم، عريقة في الغفلة، فكتب الله له النصر عليها دُفْعة، فشمر وفوَّت الأصول للحضرة في باب الصَّدَقة، ونبذ الشواغل، وحفظ كتاب الله على الكبرة، واستقبل المحراب، ملغيًا سواه، درأ به، فاتَّفق على فضله، وغبط في حُسُن فيئته، وله ديوان نبيل يتضمن كثيرًا من فقه النفس والبدن، دل على نبله، وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد. نفعه الله تعالى.

مولده: بغرناطة عام تسعين وستمائة.

أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجي من أهل الحمّة (٢)، يكنى أبا جعفر.

حاله: من أهل الخير والعفاف والطهارة والانقِباض، والصحة والسَّلامة، أصيلُ البيت، معروف القِدَم ببلده، حرُّ النادرة، قرأ بالحَضرة، واجتهد، وحصَّل؛ ولازم الأُستاذ أبا عبد الله الفخار وغيره من أهل عصره. ووُلِّي القضاء ببلدة الحمّة، ثم بغربي مالقة، وهو الآن قاضِ بها، مشكور السِّيرة.

⁽١) سدكت به: لازمته، لسان العرب (سدك).

⁽۲) الحمة أو الحامة: بالإسبانية Alhama، وهي من مدن غرناطة، وتقع غربي غرناطة إلى الجنوب من مدينة لوشة، استولى عليها الإسبان سنة ۸۸۷ هـ، أي قبل سقوط غرناطة بعشر سنين. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٠).

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله الله الله ابن ورد التميمي

من أهل ألمَريّة. يكنى أبا القاسم، ويُعرَف بابن وَرْد.

حاله: قال الملاحي: كان من جلّة الفقهاء المُحدِّثين، قال ابن الزُبير كذلك، وزاد: موفور الحظّ من الأدب والنحو والتاريخ، متقدِّمًا في علم الأصول والتفسير، حافظًا متقنًا، ويقال إن عِلْم المالِكيَّة انتهت إليه الرياسة فيه، وإلى القاضي أبي بكر بن العربي، في وقتهما، لم يتقدِّمهما في الأندلس أحد بعد وفاة أبي الوليد بن رشد. قال: أخبرني الثّقة أبو عبد الله بن جَوْبر عن أبي عمر بن عات، قال: حديث ابن العربي، اجتمع بابن وَرْد، وتبايتا ليلة، وأخذا في التناظر والتذاكر، فكانا عجبًا. يتكلّم أبو بكر فيظن السامع أنه ما ترك شيئًا إلّا أتى به، ثم يجيبه أبو القاسم بأبدع جواب يُئسي السامعين ما سمِعوا قبله. وكانا أعجوبَتَيْ دهرهما. وكان له مجلسٌ يتكلّم فيه على الصّحيحيْن، ويخصُ الأخمسة بالتفسير.

حلولُه غزناطة: قال المؤرِّخون: وُلِّي قضاء غرناطة سنة عشرين، فعدل وأحسن السَّيرة، وبه تفقه طلبتُها إذ ذاك.

مشيخته: رُوِيَ عن أبي على الغشاني، وأبي الحسن بن سراج، وأكثر عنه، وأبي بكر بن سابق الصقيلي، وأبي محمد بن عبد الله بن فرج، المعروف بالعشال الزّاهد، ولازمه، وهو آخر من روى عنه، ورحل إلى سِجِلْماسة، وناظر عند ابن العوّاد. ورُوِيَ أيضًا عن أبي الحسن المبارك، المعروف بالخشّاب، وكان الخشّاب يحمل عن أبي بكر بن ثابت الخطيب وغيره.

مَن روى عنه: وروى عنه جماعة كأبي جعفر بن الباذِش، وأبي عبيد الله، وابن رفاعة، وابن عبيد الله، وابن رفاعة، وابن عبد الرحيم، وابن حكيم وغيرهم. وآخر مَن روى عنه، أبو القاسم بن عُمران الخزرجي بفاس.

وفاته: توفي بالمريَّة في الثاني عشر لرمضان سنة أربعين وخمسمائة.

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي (١)

يكنى أبا جعفر، ويُعرَف بابن بُرُطال، أصله من قرية تُعرَف بحارة البحر من وادي طرُش نصر، حصن مُنْتِماس من شرقي مالقة، من بيت خير وأصالة،

 ⁽۱) ترجمة أحمد بن محمد الأموي، المعروف بابن برطال، في تاريخ قضاة الأندلس (ص ۱۸۵)،
 والكتيبة الكامنة (ص ۱۲۵)، واللمحة البدرية (ص ۱٤۸).

وانتقل سلفه إلى مالقة، فتوَشَّجت لهم بها عروقٌ، وصاهروا إلى بيوتات نبيهة.

حاله: كان من أهل الخير، وكان على طريقة مُثلى من الصَّمت، والسَّمْت، والانقباض، والذكاء، والعدالة والتخصُص، محوَّلًا في الخير، ظاهر المروءة، معروف الأصالة، خالص الطَّعمة، كثير العفَّة، مشهور الوقار والعفاف، تحرَّف بصناعة التوثيق على انقباض.

دخوله غرناطة: تقدّم قاضيًا بغرناطة، بعد ولاية القضاء ببلده، وانتقل إليها، وقام بالرَّسم المضاف إلى ذلك، وهو الإمامة بالمسجد الأعظم منها، والخطابة بجامع قلعتها الحمراء؛ واستقلّ بذلك إلى تاسع جمادى الثانية من عام أحد وأربعين وسبعمائة، على قصور في المعارف، وضعف في الأداة، وكلال في الجدّ، ولذلك يقول شيخنا أبو البركات بن الحاج^(۱): [الرمل]

إنّ تسقديم ابن بُرطالِ دَعا طالبَ (٢) العلم إلى تَزكِ الطّلَبُ خَسِبوا الأشياء عن غَيْرِ سَبَبْ فإذا الأشياء عن غَيْرِ سَبَبْ

إلّا أنه أعانته (٤) الدربة والحُنكة على تنفيذ الأحكام، فلم تؤثر عنه فيها أحدوثة، واستظهر بجزالة أمُضَت حُكمه، وانقباض عافاه عن الهوادة، فرضيت سيرته، واستقامت طريقته.

مشيخته: لَقِيَ والده، شيخ القضاة، وبقيَّة المُحدِّثين، وله الرواية العالية، والدرجة الرواية العالية، والدرجة الرفيعة، حسبما يأتي في اسمه، ولم يؤخّذ عنه شيء فيما أعلم.

شعره: أنشدني الوزير أبو بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم، قال: أنشدني القاضي أبو جعفر بن بُرطال لنفسه، مُودِّعًا في بعض الأسفار (٥٠): [الكامل]

أستودع اللُّهم (٢) مَنْ لوداعهم قلبي ورُوحي إذ دَني لوداعي (٧)

⁽١) البيتان في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٥)، والكتيبة الكامنة (ص ١٣٦).

⁽٢) في المصدرين السابقين: اطالبي، (٣) في الكتيبة الكامنة: امن،

⁽٤) في الأصل: «أعانه». وفي تاريخ قضاة الأندلس: «فأعنته».

⁽٥) البيتان الأول والثاني في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٦).

⁽٦) في الأصل: "الله؛ وهكذا ينكسر الوزن. وفي الكتيبة الكامنة: "الرحمان،".

 ⁽٧) في الأصل: • دنى الوداع، وهكذا ينكسر الوزن، وفي الكتيبة الكامنة: • قلبي وصبري آذنا بوداع،

بانوا وطرْفي (١) والفؤادُ ومِقُولي بالذِ ومسلوبُ المعسراء وداعِ فتولٌ يا مولاي حِفْظَهُمُ ولا تجعل تنفرُقَنا فِراق وَداع

وفاته: توفي، رحمه الله وعفا عنه، أيام الطاعون الغريب^(۲) بمالقة، في منتصف ليلة الجمعة خامس صفر عام خمسين وسبعمائة (۲)، وخرجت جنازته في اليوم التالي، ليلة وفاته في رَكْبٍ من الأموات، يناهز الألف، ويُنيف بمائتين، واستمرّ ذلك مدة، وكان مولده عام تسعة وثمانين وستمائة، رحمه الله تعالى.

أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي⁽¹⁾ بلنسي شقوري الأصل، يكنى أبا مُطرُّف.

أَوَّلَيْتُهُ: لم يكن من بيت نباهة؛ ورقع لابن عبد الملك في ذلك نقل، كان حقه التجافي عنه، لو وُفُق.

حاله: قال ابن عبد الملك^(٥): كان أوّل طلبه العلم شديد العناية بشأن الرواية، فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله، وتفنّن^(١) في العلوم، ونظر في العَقْليَّات^(٧) وأصول الفقه، ومال إلى الأدب^(٨) فبرع فيه^(٩) براعة عُدَّ بها من كبار مُجيدي النَّظم، وأما^(١١) الكتابة، فهو^(١١) عَلمُها المشهور، وواحدها الذي (١٢) عجزت عن ثانيه^(١٢) الدُّهور، ولا سيما في مخاطبة الإخوان، هنالك استولى على أمد الإحسان، وله المُطَوَّلات المُنتَخَبة، والقِصار المقتضبة، وكان يُملح كلامه نظمًا ونثرًا بالإشارة إلى التاريخ^(١٤)، ويُودِعه إلماعات بالمسائل^(١٥) العِلمية

⁽١) في الكتيبة: ﴿ فطرفي ١٠ .

⁽٢) أسماه النباهي في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٥): الطاعون الكبيرة.

 ⁽٣) جاء في اللمحة البدرية (ص ١٠٤) أنه سدد الخطة وأجرى الأحكام إلى الرابع من شهر ربيع الآخر عام ٧٤٣ هـ.

⁽٤) ترجمة ابن عميرة في الذيل والتكملة (ج ١ ص ١٥٠) وجاء فيه: «أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومي»، وبغية الوعاة (ص ١٣٧)، وأزهار الرياض (ج ٥ ص ٦٥).

 ⁽a) الذيل والتكملة (ج ١ ص ١٥٢).
 (٦) في الذيل والتكملة: قثم تفنن».

⁽٧) في الذيل والتكملة: االمعقولات، (٨) في الذيل والتكملة: االأداب،

⁽٩) في الذيل والتكملة: «فيها». (١٠) في الذيل والتكملة: «فأما».

⁽١١) في الذيل والتكملة: فإنه، (١١) في الذيل والتكملة: «التي».

⁽١٣) في الذيل والتكملة: «عن الإتيان بثانيه الدهور».

⁽١٤) في الذيل والتكملة: «التواريخ». (١٥) في الذيل والتكملة: «بمسائل علمية».

مُنوَّعة المقصد (۱). قلت: وعلى الجملة، فذاتُ أبي المطرِّف فيما ينزع إليه، ليست من ذوات الأمثال، فقد كان نسيج وخدِه، إدراكًا وتفنُنًا، بصيرًا بالعلوم، مُحَدَّنًا، مُكثِرًا، راوية ثَبْتًا، سَجِرًا في التاريخ والأخبار، ريّان، مضطلعًا بالأصلين، قائمًا على العربية واللغة، كلامه كثير الحلاوة والطّلاوة، جمَّ العيون، غزير المعاني والمحاسن، وافد أرواح المعاني، شفّاف اللفظ، حرِّ المعنى، ثاني بديع الزمان، في شكوى الجرفة، وسوء الحظ، ورونق الكلام، ولُطف المأخذ، وتبريز النثر على النظم، والقُصُور في السّلطانيات.

مشيخته: روى عن أبي الخطاب بن واجب، وأبي الربيع بن سالم، وأبي عبد الله بن فرج وأبي علي الشُّلُوبين، وأبي عُمر بن عات، وأبي محمد بن حَوْط الله، لقيهم، وقرأ عليهم، وسمع منهم، وأجازوا له؛ وأجاز له من أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرّج وغيره.

مَن روى عنه: روى عنه ابنه القاسم، وأبو بكر بن خطّاب، وأبو إسحلى البُلْقيني الحَفيد، والحسن بن طاهر بن الشُّقُوري، وأبو عبد الله البَرِّي. وحدَّث عنه أبو جعفر بن الزَّبير، وابن شقيف، وابن ربيع، وغيرهم مما يطول ذكره.

نباهته: صحب أبا عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن خطّاب قبل توليته ما تولّى من رياسة بلده، وانتُفع به كثيرًا؛ وكتب عن الرئيس أبي جميل زيّان بن سعد وغيره من أمراء شرق الأندلس. ثم انتقل إلى العُدُوة (٢)، واستكتبه الرشيد أبو محمد عبد الواحد بمراكش، مدة يسيرة؛ ثم صرفه عن الكتابة وولّاه قضاء مِلْيانة من نظر مَرَاكُش الشرقي، فتولّاه قليلًا، ثم نقله إلى أقصى رِباط الفتح. وتوفي الرشيد، فأقرة على ذلك الوالي بعده، أبو الحسن المُعتضد أخوه؛ ثم نقله إلى قضاء مِكْناسة الزيّتون؛ ثم لمّا قتل المعتضد لحق بسَبْتة، وجرى عليه بطريقها ما يذكر في مِحْنته. ثم رَكِب البحر منها متوجّها إلى إفريقية، فقدم بجاية على الأمير أبي زكريا. ثم توجّه إلى تونس فنجحت بها وسائله، ووُلّي قضاء مدينة الأرش. ثم انتقل إلى قابس، وبها طالت مدة ولايته؛ واستدعاه المُستنصر بالله محمد بن أبي زكريا، ولطف محله منه، حتى كان يحضر مجالس أنسِه، وداخله بما قرَفَتُهُ الألْسُن بسببه حسبما يذكر في وَضْمَته.

(٢) المراد عُدُوة المغرب.

⁽١) في الذيل والتكملة: ﴿المقاصدِ ا

مناقبه: وهي الكتابة والشعر؛ كان يَذكر أنه رأى في منامه النبيّ، ﷺ، فناوله أقلامًا، فكان يُرْوَى له أن تأويل تلك الرُّؤيا، ما أدرك من التَّبريز في الكتابة، وشِياع الذكر، والله أعلم.

ومن بديع ما صَدَر عنه، فيما كتب في غرض التَّورية، قطعة من رسالة، أجاب بها العبَّاس بن أمية، وقد أعلمه باستيلاء الروم على بَلْنَسِية، فقال:

«بالله أي نحو نَنْحُو، أو مَسْطورٍ نُشبت أو نَمْحُو؛ وقد حُذِف الأصل والزَّائد، وذَهبت الصَّلةُ والعائد؛ وباب التعجُّب طال، وحالُ اليَاس لا تخشى الانتقال؛ وذَهبت علامةُ الرَّفْع، وفقدت نون الجمع؛ والمغتلُ أغذى الصَّحيح والمُثلَّثُ أَزْدَى الفصيح؛ وامتَنَعَت الجُمُوع من الصَّرف، وأمنَت زيادتُها من الحَذْف؛ ومالت قواعدُ المِلَّة، وصِرْنا جَمْع القِلَّة؛ وظهَرتْ علامةُ الخفض، وجاء بدلُ الكلِّ من البعض».

ومن شعره في المقطوعات التي وَرَّى فيها بالعلوم قوله(١): [الخفيف]

واتت (٢) خُطَّة القضاء تليها منزلًا نابيًا وعيشًا كريها مِثْلُ ما يزعمُ المهندس فيها

قد عَكفُنا على الكتابة حينًا وبكلُ لم يَبنَ للجُهد إلا نِسَبة بُدُلت ولم تتغير

وكقوله مما افتتح به رسالة (٣): [البسيط]

فكيف صبري وقد كابذتُ بَيْنَهُما؟ شوقي إليك فكيف الجَمْعُ بَيْنَهُما؟ يا غائبًا سلَبَتْني الأنْسَ غيبتُهُ دَغُواي أنَّك في قلبي فعارَضَها(٤)

وفي مثل ذلك استفتاح رسالته أيضًا (٥): [الكامل]

روح (٧) مُوَشَّى بالبديع مُرَتَّعُ (٨) ومِنَ الرُجُوب مُضَيِّقٌ (٩) وموسَّعُ

إن^(٦) الكِتاب أتى وساحة طِرْسه وله حقوق ضاق وقت وجوبها

 ⁽١) الأبيات أيضًا في الجزء الثاني من الإحاطة، في ترجمة أبي البركات محمد بن محمد البلفيقي،
 وفيها بعض اختلاف عمّا هنا.

⁽٢) في الأصل: •وجاءت، وهكذا ينكسر الوزن. (٣) البيتان في الذيل والتكملة (ج ١ ص ١٥٢).

⁽٤) في الذيل والتكملة: «يعارضها». (٥) البيتان في الذيل والتكملة (ج ١ ص ١٥٣).

 ⁽٦) في الذيل والتكملة: «أفدي الكتاب».
 (٧) في المصدر نفسه: «روض».

⁽٨) في المصدر نفسه: المُؤشِّع ٩٠.

⁽٩) في الأصل: «ضيِّق» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.

وفي مثل ذلك في استفتاح رسالة أيضًا(١): [الكامل]

كبُرْتُ بالبُشرى (٢) أتت وسماعُها وكذلك الأعياد سُنَّة يومها وفي أغراض أَخر(١): [الخفيف] بايَعُونا مؤدّة هي عندي فسأقضي برددها ثم أقضي وله في معنى آخر(١): [الطويل]

شرطت عليهم عند تسليم مُهجتي فلمّا أرذتُ الأخذَ بالشَّرْط أغرَضوا

عيدي الذي لشهود تكبيري مختصة بزيادة التّكبير

كالمرآة (٢) بيعها بالخِدَاع بعدها(٤) من مدامعي ألف صاع

وعند انعِقاد البَيع قُربًا يُواصلُ وقالوا يَصِحُ البيعُ والشَّرْطُ باطلُ

تصانيفه: له تأليفٌ في كائنة مَيُزْقة (٥) وتغلُب الرُّوم عليها، نحى فيه مَنحى العِماد الأَصْفَهَاني، في الفتْح القُدْسي (٢)؛ وكتابُهُ في تعقيبه على فخر الدين بن الخطيب الرَّازي في كتاب المعالم في أُصول الفقه منه؛ وردُّه على كمال الدين أبي محمد بن عبد الكريم السّماكي في كتابه المسمّى بالتّبيان في علم البيان؛ واقتضابُه النبيل في ثورة المُريدين (٧٠)، إلى غير ذلك من التعاليق والمقالات، ودوّن الأستاذ أبو عبد الله بن هاني، السُّبْتي كتابته وما يتخلُّلُها من الشُّعر في سفّرين بديعين أتقن ترتيبهما، وسمَّى ذلك «بُغية المُستطرف، وغُنية المُتطرِّف، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرّف.

دخوله غرناطة: قال شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب: عَمير أخبرُ بذلك مِنْ شيوخه، والرجل ممَّن يُركَن إليه في أخباره فيما أحقُّوا على سبيل الرواية والإخبار، من شرّق الأندلس إلى غرّناطة، إلى غرّبها إلى غير ذلك، عند رحلته، وهو الأقرب، وقال: قال المخبر: عهدي به طويلًا، نحيف الجسم، مُضفرًا، أقْني الأنف؛ أصيب

⁽١) البيتان في الذيل والتكملة (ج ١ ص ١٥٣). (٢) في الذيل والتكملة: «للبشرى».

⁽٣) في الذيل والتكملة: «كالمصراة». (٤) في المصدر نفسه: «معها».

⁽٥) المقصود بها حصار الطاغية البرشلوني لمدينة ميورقة في شرّال سنة ٦٣٦ هـ، فأراها من القتل والسبي، ثم أخذ واليها ابن يحيئ فعذَّبه أشدّ العذاب حتى مات، واستولى النصارى عليها في عام ٦٢٧ هـ. الروض المعطار (ص ٦٨٥).

⁽٦) المراد كتاب «القدح القسي، في الفتح القدسي» لعماد الدين أبي عبد الله محمد بن هبة الله الكاتب الأصفهاني، المتوقّى سنة ٥٩٧ هـ. هدية العارفين (ج ٦ ص ١٠٥).

⁽٧) المراد كتاب اثورة المريدين، لأحمد بن قسي، المتوقى سنة ١٤٥ هـ.

بمالقة ما أحوج ما كان إليه، وقد استقبل الكبرة (١)، ونازعه سوء الحظ. قال الشيخ أبو الحسن الرُّعَيني: إنه كتب إليه يُعْلمهُ بهذه الحادثة عليه، وأن المنهوب من ماله يعدل أربعة آلاف دينار عُشرية، وكان ورقًا وعينًا وحُليًّا وذلك أنه لمّا قُتل المعتضد، اغتنم الفطرة، وفصَل عن مكناسة، قاصدًا سَبْته، فلَقِيَ الرفقة التي كان فيها جَمْعُ من بني مَرين، سلبوه وكل مَن كان معه.

مولده: بجزيرة شُقر(٢)، وقيل ببلنسِية، في رمضان اثنتين وثمانين وخمسمائة.

وفاته: توفي بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين ذي الحجة عام ستة وخمسين وستمائة (٢). قال ابن عبد الملك (٤): وَوَهم ابن الزبير في وفاته، إذ جعلها في حدود الخمسين وستمائة أو بعدها.

أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى أحمد البن عبد الحق الجدلي (ه)

من أهل مالقة، يكني أبا جعفر، ويُعرَف بابن عبد الحق.

حاله: من (1) صدور أهل العلم والتفنن في هذا الصّقع الأندلسي، نسيجُ وخدِه في الوقار والحصافة، والتزام مُثلى الطريقة، جمّ التّحصيل، سديد النظر، كثير التخصّص، محافظ على الرسم، مقبوضُ العِنان في التّطفيف في إيجاب الحقوق لأهلها، قريب من الاعتدال في معاملة أبناء جنسه، مقتصد مع ثروته، مؤثِر للترتيب في كافّة أمره، متوقّد الفكرة مع سكون، ليّنُ العريكة مع مَضاء؛ مجموع خِصال حميدة مما يفيد التجريب والحُنكة؛ مضطلع بصناعة العربية، حائز قصب السّبق فيها، عارف بالفروع والأحكام، مُشارك في فنون من أصول، وطبّ، وأدب، قائم على

⁽١) الكبرة: كبر السنّ. لسان العرب (كبر).

 ⁽۲) شُغر: بالإسبانية Jucar، وهي جزيرة بالأندلس قريبة من شاطبة، كثيرة الأشجار والأنهار.
 الروض المعطار (ص ٣٤٩) ونزهة المئتاق (ص ٥٥٦)، ورسمها ابن صاحب الصلاة في تأريخ المن بالإمامة (ص ٤٣٠) هكذا: قشوقر».

 ⁽٣) في الذيل والتكملة (ج ١ ص ١٨٠): «الحجة ثمان وخمسين وستمائة»، وفي بغية الوعاة (ص
 ١٣٨): «رابع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وستمائة».

⁽٤) الذيل والتكملة (ج ١ ص ١٨٠).

 ⁽a) في الأصل: «الجذلي» بالذال المعجمة، والتصويب من الكتيبة الكامنة (ص ١٢٣) وبغية الوعاة
 (ص ١٣٨) حيث ترجمته.

⁽٦) قارن ببغية الوعاة (ص ١٣٨ ـ ١٣٩).

القراءة (١٦)، إمام في الوثيقة، حَسَنُ الخَطْ، مليح السُّمَة والشيبة، عَذْب الفُكاهة، حَسَن العهد، تام الرجولية.

نباهته: تصدُّر(٢) للإقراء ببَلدِه على وفور أهل العلم، فكان سابق الحَلْبَة، ومناخ الطِيَّة، إمتاعًا، وتفنَّنًا، وحُسْن إلقاء. وتصرّف في القضاء ببَلْش وغيرها من غزبي بلده، فحَسُنت سيرته، واشتهرت طريقته، وحُمِدَت نزاهته. ثم وُلِيَ خُطَّة القضاء بمالقة، والنظر في الأخباس (٣) بها، على سبيل من الحظوة والنّباهة، مرجوعًا إليه في كثير من مُهمَّات بلده، سائمةً وجوه السعادة، ناطقةً ألسُن الخاصّة والعامّة بفضله، جمَّاعة نزاهته، آويًا إلى فضل بيته. واتُّصلت ولايته إيَّاها إلى هذا العهد، وهي أحد محامد الوالي، طولُ مدة الولاية، لا سيما القاضي، ممّا يدُلُ على الصبر، وقلة القدْح، وسدُّ أبواب التُّهم، والله يُعينه، ويمتُّع به بمنَّه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن بكر، وهو نجيب حَلْبته، والسُّهُمُ المُصيب من كِنانته، لازمه، وبه تفقُّه وانتفع، وتلا القرآن عليه وعلى محمد(١) بن أيوب، وعلى أبي القاسم بن درهم عَلَمي وقتهما في ذلك، وعلى غيرهما، وتعلّم الوثيقة على العاقد القاضي أبي القاسم بن العريف. وروى عن الخطيبَيْن المحَدّثين أبي عثمان بن عيسى وأبي عبد الله الطُّنجالي، وغيرهما.

دخوله غرناطة: تردُّد إليها غير ما مرَّة، منها في أمور عَرَضت في شؤونه الخاصَّة به، ومنها مع الوفود الجلَّة، من أهل بلده، تابعًا قبل الولاية، متبوعًا بعدها. ومن شعره قوله في جدول (٥): [الكامل]

> ومُقاربِ الشَّطْينِ أحكم صَقْلَهُ (٢) فحَمائلُ (٧) الدُيباج منه خمَائلُ وقد اختفي طرف^(۹) له في دَوْحَةٍ

كالمشرّفي إذا اكتسى بفرنده ومعانق (٨) فيها البهار بوردو كالسيف رُدُّ ذُبابُهُ ني غِمْدِهِ

⁽١) في بغية الوعاة: ﴿القراءات،

⁽٣) الأحباس: الأوقاف.

⁽٢) قارن ببغية الوعاة (ص ١٣٩). (٤) في البغية: اعلى أبي محمدة.

⁽٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٣).

⁽٦) رواية صدر البيت في الكتيبة الكامنة هي:

ومنمنم الشطين منه حمائل

⁽٧) في الكتيبة: «فخمائل».

⁽٨) في المصدر نفسه: «متعانق». (٩) في المصدر نفسه: قطوق،

وقوله في شجر نارنج مزهر(١): [الكامل]

وثمار نارئي نرى أزهارها مع ناتى النّارنج في تنْضِيدِ في تنْضِيدِ في تنْضِيدِ في تنْضِيدِ في تنْضِيدِ في أَذْمَتُ لِلنَّم خُدُودِ في أَذْمَتُ لِلنَّم خُدُودِ

وفاته: في زوال يوم الجمعة السابع (1) والعشرين لرجب عام خمسة وستين وسبعمائة.

مولدُه: ثامن شوّال عام ثمانية وتسعين وستمائة.

أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد الحمد بن عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الخزرجي (٥)

يُكنى أبا العباس، من أهل النُّغر الأعلى.

أوليته: من سَرَقُسُطة (٢)، حيث منازل الأنصار هنالك؛ انتقل جد أبيه عبد الرحمان بابنه الصغير (٢) منها لحدوث بعض الفِتَن بها إلى بَلنْسِية، فوُلِدَ له ابنه عبد الرحمان أبو العباس (٨) هذا؛ ثم انتقل أبوه إلى ألمريَّة، فوُلِد أبو العباس بها، ونقله أبوه إلى سَبْتة فأقام بها مذة (٩).

حاله: كان (١٠) مُحدُّقًا مُكثِرًا ثقةً، ضابطًا، مُقرِقًا، مُجوِّدًا، حافظًا للفقه، ذاكِرًا للمسائل (١١)، عارفًا بأصولها (١٢)، متقدِّمًا في علم الكلام، عاقدًا للشروط، بصيرًا بعِللها؛ حاذقًا بالأحكام، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مُحسِنًا، أتقنُ (١٣) أهلِ عصره خطًّا، وأجلهم مَنْزعًا، ما اكتسب قطُّ شيئًا من متاع الدُّنيا، ولا تلبَّس بها، مُقتنعًا

⁽١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٣ - ١٢٤).

⁽٢) في الكتيبة: «تُرى أزهارُهُ مع قانيء. (٣) في المصدر نفسه: «تألفها».

⁽٤) في بغية الوعاة (ص ١٣٩): «الجمعة ثامن عشرين رجب سنة ١٠٠٠.

 ⁽٥) ترجمة ابن الصقر في التكملة (ج ١ ص ٦٩)، والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٠٢)،
 والوافي بالوفيات (ج ٧ ص ٤٧)، والذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٢٣)، والديباج المذهب (ج ١ ص ٢١١)، ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩١).

⁽٦) قارن بالذيل والتكملة (ج أ ص ٢٢٣).

⁽٧) ابنه الصغير هو محمد، كَما ورد أعلاه في الذيل والتكملة.

 ⁽٨) في الذيل والتكملة: «أبو أبي العباس هذا».

⁽٩) في الذيل والتكملة: ٥سبتة ابن نحو سبعة أعوام، وأقام فيها به مديدةً ١.

⁽١٠) قارن بالذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٢٥). (١١) في الذيل والتكملة: «لمسائله».

⁽١٢) في المصدر نفسه: «بأصوله». (١٣) في المصدر نفسه: «آنق».

باليسير، راضيًا بالدُّون، مع الهمَّة العَلِيَّة، والنفس الأبيَّة، على هذا قطع عمره، وكتب من دواوين العلم ودفاتره، ما لا يُحصَى كثرة، بجَودة (١) وضبط وحُسن خطّ؛ وعُنِيَ به أبوه في صغره، فأسمعه كثيرًا من الشروح، وشاركه في بعضهم. نفعه الله.

نباهته: استدعاه أبو عبد الله بن حسون، قاضي مَرَّاكش، إلى كتابته، إلى أن صُرِفَ، واستقرَّ هو متولِّي حُكمها وأحكامها، والصلاة في مسجدها، ثم ترك الأحكام، واستقرَّ في الإمامة. ولمَّا تصيَّر الأمرُ إلى المُوحُدين، ألحقهُ عبد المؤمن (٢) منهم، بجملة طَلَبة العلم، وتحفَّى به، وقدَّمه إلى الأحكام بحضرة مَرَّاكش، فقام بها مدَّة، ثم ولآه قضاء غرناطة، ثم نقله إلى إشبيلية قاضيًا بها مع وليِّ عهده. ولما صار الأمر إلى يعقوب (٢)، ألزمه خدمة الخِزانة العلمية وكانت عندهم من الخطط التي لا يُعَيِّنُ لها إلّا كبار أهل العلم وعليَّهم، وكانت مواهب عبد المؤمن له جَزْلة، وأعطياتُهم مُترافِهة كثيرة.

مشيخته: قرأ القرآن على أبيه، وأكثر عنه، وأجاز له، وعلى أبي الحسن التُطيلي، قال: وهو أول مَن قرأت عليه.

من روى عنه: روى عنه أبو عبد الله، وأبو خالد يزيد بن يزيد بن رفاعة، وأبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي.

دخوله غرناطة: صُحْبة (1) القاضي أبي القاسم بن جمرة، ونوَّه به واستخلفه إذ وَلِيَها، وقبض عليه بكلتي يديه، ثم استُقضي بها أبو الفضل عِياض بن موسى، فاستمسك به، واشتمل عليه؛ لصحبة كانت بينهما وقرابة، إلى أن صُرِفَ عنها أبو الفضل عِياض، فانتقل إلى وادي آش، فتولَى أحكامها والصلاة بها، ثم عاد إلى غرناطة سنة سِت وثلاثين، إلى أن استُقضي بغرناطة في دولة أبي محمد بن

⁽١) في المصدر نفسه: قرجودة وضبطًاه.

⁽٢) هو عبد المؤمن بن علي، أول خلفاء الموحدين بالمغرب والأندلس؛ حكم المغرب سنة ٥٢٤ هـ. وفي سنة ٥٤١ هـ. ترجمته في البيان المغرب ـ وفي سنة ٥٥٨ هـ. ترجمته في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٧٩). والمعجب (ص ٢٦٢، ٢٦٥)، والحلل الموشية (ص ١٠٧).

⁽٤) قارن بالذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٢٦).

عبد المؤمن بن علي؛ فحُمدت سيرته، وشُكِرَ عَذْلُه، وظهرت نزاهته، ودام بها حتى ظُنَّ من أهلها.

شعره: وشعره في طريقة الزهد، وهي لا ينفُذُ فيها إلّا مَن قويت عارضتُه، وتوفّرت مادّته (١١): [الطويل]

وما لِلْورى مهما مَنَعْتَ نَقِيرُ وما قَدْرُ مخلوق جَداه حقيرُ نَعَمْ صَدَقوا إني إليك فقيرُ

إلنهي لكَ المُلْكُ العظيمُ حقِيقةً تجافى بنُو الدنيا مكاني فسَرُّني وقالوا فقيرٌ وهو^(٢) عندي جلالةً

وشعره في هذا المعنى كثير، وكله سُلِس المقادة، دالًا على جُوْدة الطبع. ومن شعره قوله (٣): [الكامل]

إن كنتَ مُضْطَرًا إلى استرضايهِ (١) وجوانحي تَنْقَدُ (٢) من بغضايهِ أَرْضِ العدُو بطاهرِ مُتَصَنَّع كم من فتّى ألقى بوجهِ^(٥) باسم

تصانيفه: له (۷) تصانيف مفيدة تدل على إدراكه وإشرافه، كشرحه «الشّهاب»، فإنه أبدع فيه، وكتابه «أنوار الأفكار، فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزُّهَّاد والأبرار»، ابتدأ تأليفه، وتوفي دون إتمام غرضه فيه، فكمّله عبد الله ابنه.

مععنته: كان ممن وقعت عليه المحنة العظمى بمرّاكُش يوم دخول الموحدين إياها، يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوّال عام أحد^(A) وأربعين وخمسمائة، على الوجه المشهور في استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذُّكور البالغين؛ إلَّا مَن تَستَر بالاختفاء في سِرْب أو غرفة أو مخبأ. وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام، ثم تُودِيَ بالعفو عمن أشارته الفتّكة الكبرى، فظهر مِن جميع الخلق بها، ما يناهز السبعين رجلًا، وبِيعوا بيع أسارى المشركين، هم وذراريهم، وعُفِيَ عنهم، فكان أبو العباس ممن تخطّته المنيّة، واستئقذه من الرّق العفو، وحسبك بها محنة، نفعه الله، وضاعت له في ذلك وفي غيره كتب كثيرة بخطّه وبغير خطّه، مما تجلّ عن القيمة.

⁽١) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٣٠).

⁽٢) في الأصل: «وهم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.

 ⁽٣) البيتان في التكملة (ج ١ ص ٧٠)، والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٠٢)، والذيل والنكملة (ج ١ ص ٢٣٠)، ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩١).

 ⁽٤) في الذيل والتكملة: «إلى إرضائه».
 (٥) في الذيل والتكملة: «إلى إرضائه».

⁽٦) في الأصل: «تُتَقده، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.

⁽٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٣٠). (٨) في الأصل: "إحدى" وهو خطأ نحوي.

مولده: بألمريَّة في أواخر شهر ربيع سنة اثنتين^(١) وخمسمائة.

وفاته: توفي بمرَّاكش بين صلاة الظهر والعصر، في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة (٢). ودفن يوم الاثنين بعده عقب صلاة الظهر، وصلَّى عليه القاضي أبو يوسف حجاج؛ وكانت جنازته عظيمة المحفل، كثيرة الجمع؛ برز إليها الرجال والنساءُ ورفعوا نعشه على الأيدي، رحمه الله.

ومما رثاه به جارُه وصديقه أبو بكر بن الطفيل(٣)، وهو بإشبيلية، بعث بها إلى ابنه مع كتاب في غرض العزاء(٤): [الوافر]

الأمر ما تَعَيْرتِ الدُّهورُ وأظْلَمَتِ الكواكبُ والبُدُورُ

وطال على العُيُونِ الليلُ حتى (٥) كَأَنَّ النَّبْجَسَمَ فيه لا يَغُورُ

أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمان

يُعرَف بابن القَبَّاب، من أهل فاس، ويكنى أبا العباس.

حاله: هذا الرجل، صَدْرُ عدول (٦٠) الحَضْرة الفاسِيَّة، وناهضُ عُشْهم، طالب، فقيه، نبيه، مُذْرك، جيِّد النظر، سديد الفهم؛ حضر الدرس بين يدي السلطان، ووُلِّي القضاء بجبل الفتح (٧)، متَّصفًا فيه بجزالة وانتهاض. تعرَّفتُ به بمدينة فاس، فأعجبتني سيمتُه؛ ووصل مدينة سَلا في غرض اختبار واستطلاع الأحوال السلطانية؛ واستدعيته فاعتذر ببعض ما يُقبل، فخاطبته بقولي (٨): [الوافر]

أبيشُم دَغُوتي إمّا لِشَأُولُهُ وَتَأْبَى لَوْمَهُ مُثْلَى الطريقَة

⁽١) في الأصل: الثنين؛ وهو خطأ نحوي. وفي التكملة (ج ١ ص ٧٠)، والذيل والتكملة (ج ١ ص ۲۳۱): ولد سنة ٤٩٢ هـ.

⁽٢) في المقتضب (ص ١٠٢)، والتكملة (ج ١ ص ٧٠)، والذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٣١): توفي سنة ٥٦٩ هـ.

⁽٣) هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي، أحد فلاسفة المسلمين. توفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ. ترجمته في المعجب (ص ٣١١)، والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٢٥)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٥٣٠) في ترجمة أبي الوليد بن رشد. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

⁽٤) البيتان في الذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٣١).

⁽٥) في الذيل والتكملة: ١٠٠٠ على نجيّ الهُمُّ ليلَ.

⁽٦) العدول: جمع عُذْل وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، لسان العرب (عدل).

⁽٧) جبل الفتح: هو جبل طارق. (٨) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤١٣).

⁽٩) في النفح: البأوا.

وبالمختار للناس اقتداء وغير غيريبة أن رَقَ حُرُ وعير والما زاجر الورَع اقتضاها وغشيان المنازل لاختبار شكرت منخيلة كانت مجازًا

وقد حَضَرَ الوليمة والعَقِيقة على مَنْ حالُه مِثْلِي رقيقة ويابى ذاك دُكانُ الوثيقة ويابى ذاك دُكانُ الوثيقة يُطالبُ بالجليلة والدُقيقة لكمْ وحَصَلْتُ بَعْدُ على الحقيقة

وتفرَّع الكلام على قولي: «ويأبي ذاك دكانُ الوثيقة»، بما دعي إلى بيانه بتصنيفي فيه الكتاب المسَمَّى «بمُثلى الطريقة في ذَمَّ الوثيقة».

دخوله غرناطة: في عام اثنين وستين وسبعمائة، مُوَجَهًا من قِبَل سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن لمباشرة صَدقة عَهِدَ بها لبعض الرُّبُط^(١)؛ وهو إلى الآن، عَدْلٌ بمدينة فاس، بحال تَجلَّة وشُهرة. ثم تعرَّفتُ أنه نُسك ورفض العَيْش من الشهادة ككثير من الفضلاء.

أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن المحسن ابن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مُسلم بن كَعُب الثَّقفي (٢) يكنى أبا جعفر.

أوليته: كغب الذي ذُكِر، هو كعب بن مالك بن عَلْقَمة بن حباب بن مسلم بن عدي بن مرة بن عُوف بن تَقِيف؛ أصله من مدينة جيّان، منزل قِنسرين، من العرب الداخلين إلى الأندلس؛ ونسبه بها كبير، وحَسَبه أصيل، وثَرُوته معروفة. خرج به أبوه عند تغلّب العدق عليها عام ثلاثة وأربعين وستمائة، ولأبيه إذ ذاك إثراء وجِدة أعانته على طلب العلم، وإرفاد (٣) مَن أَخُوجَته الأزمة في ذلك الزمان من جالية العلماء عن قُرْطبة وإشبيلية كأبي الحسن الصائغ وغيره، فنصحوا له، وحَطبوا في خَبله.

حاله: كان خاتمة المحدِّثين، وصدور العلماء والمُقرِئين، نسيج وحده، في خُسن التعليم، والصبر على التُسميع، والملازمة للتدريس، لم تختل له، مع تخطّي

⁽١) الرُّبُط: جمع رباط، وهو الثغر التي يرابط فيه الجيش لدفع العدو. لسان العرب (ربط).

 ⁽۲) ترجمة أحمد بن إبراهيم الثقفي في الذيل والتكملة (ج ۱ ص ۳۹)، وشذرات الذهب (ج ۲ ص
 (۲)، وبغية الوعاة (ص۱۲٦)، والوافي بالوفيات (ج ٥ ص ۱۲۳).

⁽٣) الإرفاد: الإعانة والعطاء؛ من قوله: رفده وأرفده: أي أعطاه. لسان العرب (رفد).

الثمانين، ولا لحقته سآمة، كثير الخشوع والخشية، مُسترسل العَبْرة، صليبًا في الحق، شديدًا على أهل البِدَع، مُلازِمًا للسُّنَّة، جَزْلًا، مُهيبًا، مُعَظَّمًا عند الخاصّة والعامّة، عذب الفكاهة، طيب المجالسة، حُلو النّادرة، يُؤثّر عنه في ذلك حكايات، لا تُخِل بوقار، وتُحِل بجلال مُنصِب.

فنونه: إليه انتهت الرّياسة بالأندلس في صناعة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، إلى المشاركة في الفقه، والقيام على التّفسير، والخوض في الأصلين.

مشيخته: أخذ عن الجلّة المُقرِئين، كالمُقرِىء أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مَسْتقور^(۱) الغرناطي الطائي.

نباهته وخُططه: وُلِّيَ قضاء المناكح، والخطبة بالحضْرة، وبلغ من الشُهرة والإشادة بذِكره، ما لم يَبْلغه سواه.

تصانيفه: من تأليفه كتاب اصلة الصّلة الابن بَشْكُوال، التي وصلْتُها بعده، وسمّيتُ كتابي به اعائد الصلة، وافتتحت أول الأسماء فيه باسمه؛ وكتاب املاك التأويل، في المُتشابه اللفظ في التّنزيل، غريبٌ في معناه؛ والبُرهان في ترتيب سُور القرآن؛ وشرح الإشارة لِلْباجي في الأصول؛ وسبيلُ الرّشاد في فضل الجهاد؛ ورَدْع المجاهل عن اغتياب المجاهل، في الود على الشودية (٢)، وهو كتاب جليل يُنبىء عن التفتّن والاضطلاع؛ وكتاب الزمان والمكان، وهو وضمَةٌ، تجاوز الله عنه.

شعره: وشعره مختلف عن نمط الإجادة، مما حقّه أن يُثبت أو ثَبَت في كتاب شيخنا أبي البركات المسمّى «شعرُ مَنْ لا شِعر له» مما رواه، ممّن ليس الشعر له بضاعة، من الأشياخ الذي عُدٌ صدرٌ عنهم هو. فمن شعره (٢): [السريع]

ما لي ولِلتستال لا أُمَّ لي سألتُ (٤) مَن يُغزَلُ أو مَن يَلي حَسْبي ذنوبٌ (٥) أثقلتُ كاهلي ما إن أرى إظلامها (٦) ينجلي

 ⁽١) كان ابن مستقور خطيبًا بليغًا، كاتبًا ناظمًا ناثرًا، بصيرًا بعقود الشروط، سابقًا في علم الفرائض.
 استمر قضاؤه مع الخطابة بحضرة غرناطة إلى أول الدولة الإسماعيلية. تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٥).

⁽٢) الشودية: فرقة من فرق الصوفية في المغرب.

⁽٣) البيتان الأول والثاني في بغية الوعاّة (ص ١٢٧).

 ⁽٤) في الأصل: (إن سألتُ، وكذا ينكسر الوزن، لذلك اقتضى حذف (إن، وفي بغية الوعاة: (إن سلت».

⁽٥) في بغية الوعاة: فذنوبي٠. (٦) في المصدر نفسه: فغماءها٠.

يا ربّ، عَنفُوا إنها جَمَّةً إن لم يكن عَفوك لا أمّ لي

محنته: نشأت بينه وبين المُتغلب بمالقة من الرؤساء التُجيبيين من بنى إشْقَيْلُولة (١١)، وَخْشة أكْدتها سعاية بعض مَن استهواهم رجلٌ مُمَخْرق من بني الشُّعوذة، ومُنْتحلي الكرامة، يمتطيها، زعموا إلى النبوُّة، يُعرَف بالفزاري، واسمه إبراهيم، غريب المنزّع، فذ المآخذ، أعجوبة من أعاجيب الفِتّن، يخبر بالقضايا المستقبلة، ويتسَوَّر سور حمى العادة في التطوّر من التقشّف والخِلابة، تبعه ثاغية وراغية، من العوام الصُّمّ البُكْم، مستفزّين فيه حياته؛ وبعد زمن من مقتله، على يد الأستاذ بغرناطة، قرَّعه بحقُّه، وبادره بتعجيل نكيره، فاستغاث بمفتونه الرئيس، ظهير مُحاله فاستعصى له؛ ويلغ الأستاذ النياحة، ففرّ لوجهه، وكُبس منزله لحينه، فاستولت الأيدي على ذخائر كُتبه، وفوائد تَقْييده عن شبوخه، على ما طالت له الحسرة، وجلَّت فيه الرزيُّة. ولحق بغرناطة آويًا إلى كَنَف سلطانها الأمير أبي عبد الله بن الأمير الغالب بالله بن نصر؛ فأكرم مثواه، وعَرَف حقّه، وانثال عليه الجمُّ الغفير لالتماس الأخذ عنه، إلى أن نالته لديه سعاية، بسبب جار له، من صُلحاء القرابة النُّصرية، كان ينتابه لنِسْبة الخيريَّة، نُمِيَت عنه في باب تفضيله، واستهالت للأمر كلمة، أوجبت امتحانه، وتخلُّل تلك الأَلْقِيُّة'`` من الشكُّ، ما قُصر المحنة على إخراجه من منزله المجاور لذلك المتهم به، ومَنْعه من التصرّف، والتزامه قُعر منزل انتقل إليه بحال اعتزال من الناس، محجورًا عليه مُداخلتهم؟ فمكث على ذلك زمانًا طويلًا، إلى أن سُرّيت عنه النكبة، وأقشعت المَوْجدة، فتخلُّص من سَرَارها بدرُه؛ وأقِلُ من شكاتها جاهُه، وأحسنت أثرُها حاله، وكثُر مُلْتمسه، وعظَمت في العالم غاشيته؛ فدوّن واستمع، وروى ودَرّْب، وخَرْج وأدّب وعلُّم، وحلُّق وجَهَر. وكانت له الطَّايلةُ على عدُوُّه، والعاقبة للحُسني، بعد ثبات أمره، والظَّفر بكثير من مُنْتهب كُتبه. وآلت الدولة للأمير أبي عبد الله نصر بمالقة، فطالب الفزاريّ المذكور، واستَظْهر بالشّهادات عليه، وبالغ في دحض دَعْوَته، إلى أن قُتل على يده بغرناطة.

حدّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، قال: لما أُمِرَ بالتأهّب للقتل وهو في السجن الذي أخرج منه إلى مصرعه، جَهَر بتلاوة «ياسين»، فقال له أحد الذّعرة، ممْن

⁽۱) بنو إشقيلولة مولدون، كانت تربطهم ببني نصر حكام غرناطة مصاهرة، وقد قاموا ببعض الثورات ضدّ بني نصر، واستقلوا ببعض المدن والثغور.

⁽٢) الأَلْقِيّة: هي ما أَلْقي من التحاجيّ، جمعها أَلاقيّ. لسان العرب (لقي).

جمع السجن بينهم «اقْرَأْ قرآنك؛ على أيّ شيء تتطَفّل على قرآننا اليوم» أو ما هو في معناه. فتركها مثلًا لِلَوْذَعِينِه.

مولده: ببلده جيّان في أواخر عام سبعة وعشرين وستمائة.

وفاته: وتوفي بغَرناطة في الثامن لشهر ربيع الأول عام ثمانية وسبعمائة. وكانت جنازته جنازة بالغة أقصى مبالغ الاحتفال، نَفَر لها الناس من كل أوب، واحتمل طلبة العِلم نعشه على رؤوسهم، إلى جَدَثه، وتبعه ثناء جميل، وجزع كبير، رحمه الله.

ورثاه طائفة من طلبته؛ وممّن أخذ عنه منهم، القاضي أبو جعفر بن أبي حبّل في قصيدة أولها: [الطويل]

> عزيزٌ على الإسلام والعلم ماجدٌ وما لمآقي لا تفيض شؤونها فوالله ما تقضي المدامع بعض ما حقيقٌ لَعمري أن تفيض نفوسنا

فكيف لعيني أن يُلمَّ بها الكرى؟ نجيعًا على قدر المصيبة أحمرا؟ يَحقُ ولو كانت سيُولًا وأَبْحُرا وفرضٌ على الأكباد أن تتفظرا

أحمد بن عبد الولي بن أحمد الرعيني

يكنى أبا جعفر؛ ويُعرَف بالعوّاد، صنعةٌ لأبيه الكاتب الصالح.

حاله: هو من بيت تَصَاوُن، وعفاف، ودين، والتزام السُنّة؛ كانوا في غرناطة في الأشعار، وتجويد القرآن، والامتياز بحمله، وعكوفهم عليه، نُظَراء بني عظيمة بإشبيلية، وبني الباذِش بغرناطة؛ وكان أبو جعفر هذا، المترجم له ممن تُطوى عليه الخناصر، معرفة بكتاب الله، وتحقيقًا لحقه، وإتقانًا لتجويده، ومثابرة على تعليمه، ونُضحًا في إفادته؛ على سُنن الصالحين، انقباضًا عن الناس، وإعراضًا عن ذوي الوجاهة، سَنِيًّا في قوله وفعله، خاصيًّا في جميع أحواله، مُخشَوْشِنًا في مَلْبسه، طويل الصّمت إلّا في دَسْت تعليمه، مقتصرًا في مكسبه، مُتَقيًا لدينه، محافظًا على أواده. سأل منه رجل يومًا كتب رقعة، ففهم من أمره، فقال: يا هذا، والله ما كتَبن قطّ يميني إلّا كتاب الله، فأحبُ أن ألقاه على سَجِيّتي بتوفيقِه، إن شاء الله، وتسديده.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبير، والأستاذ أبي جعفر الحَزموني الكفيف، وأبي عبد الله بن رُشيد وغيرهم.

وفاته: توفي في شهر ذي الحجة من عام خمسين وسبعمائة، ودفن بجبَّانة باب الفَخّارين (١) في أسفل السفح تجاه القصور الحَكَمية، وأتبعه الناس أحسن الثناء.

أحمد بن على بن أحمد بن خَلَف الأنصاري(٢)

من أهل غَرْناطة؛ يكنى أبا جعفر، ويُعرَف بابن الباذش.

أَوْلَئِته: أصله من جيّان، من بيت خَيْريّة وتَصَوُّن.

حاله: قال القاضي أبو محمد بن عطية: إمامٌ في المُقرِئين، ومُقَدَّم في جهابذة الأستاذين، راوية، مُكثِر، متفنِّن في علوم القراءة، مُسْتَبْحِر، عارف بالأدب والإعراب، بصير بالأسانيد، نقّاد لها، مُمَيَّزُ لشاذُها من معروفها. قال ابن الزُبير: وما علمت فيما انتهى إليه نظري وعِلمي، أحسن انقيادًا لطُرُق القراءة، ولا أجل اختيارًا منه، لا يكاد أحد من أهل زمانه، ولا مئن أتى بعده أن يبلغ درجته في ذلك.

مشيخته: تَفَقّه بأبيه الإمام أبي الحسن، وأكثر الرواية عنه، واستوفى ما كان عنده، وشاركه في كثير من شيوخه. أخذ القراءات عَرَضًا عن الإمام المُقرىء أبي القاسم بن خَلف بن النحّاس، رحل إلى قُرْطبة ولازمه؛ وعلى المقرىء أبي جعفر هابيل بن محمد الحَلاسي، وأبي بكر بن عيّاش بن خلف المقرىء، وأبي الحسن بن زكريا، وأبي الحسن شُريح بن محمد، وأبي محمد عبد الله بن أحمد الهَمُداني الجيّاني، رحل إليه إلى جيان، وتلا على جميع من ذكر. وروى بالقراءة والسّماع والإجازة على عالم كثير، كأبي داود وأبي الحسن بن أخي الرّش المُقرئين، أجازا له؛ وأبي على الغسّاني في الإمامة والإتقان، وقد أسْمَع عليه؛ وأبي القاسم خَلف بن صواب المقرىء، وأبي عامر محمد بن حبيب الجَيّاني، وأبي عبد الله محمد بن أحمد التُجيبي الشهير، وأبي محمد بن السيد، وأبي الحسن بن الأخضر، وأبي محمد عبد الله بن أبي جعفر الحافظ، وعالم كثير غير هؤلاء يطول ذكرهم.

مَن روى عنه: روى عنه أبو محمد عبد الله، وأبو خالد بن رفاعة، وأبو علي القلمي المُعَدِّي، وأبو علي القلمي المُعَدِّي، وأبو جعفر بن حكم، وأبو الحسن بن الضَّحَّاك، وابنه أبو محمد عبد المنعم، وهو آخر مَن حدَّث عنه.

 ⁽١) كان باب الفخارين ضمن أبواب غرناطة الثمانية، وكان يقع تجاه قرية الفخار الواقعة على أطراف غرناطة الشمالية. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٢٩٥).

 ⁽۲) ترجمة أحمد بن على الأنصاري في الصلة (ج ۱ ص ۱۳۸)، وذكره ابن الأبار في التكملة (ج
 ٤ ص ٢٥٩) في ترجمة أخته مُسْعدة بنت على بن أحمد بن الباذش.

تصانيفه: ألف كتاب «الإقناع» في القِراءات، لم يُؤَلَّف في بابه مثلُه؛ وألَّف كتاب «الطرق المتداولة» في القراءات، وأتقنه كل الإتقان، وحرَّر أسانيده وأتقنها، وانتقى لها، ولم يتَّسع عُمْره لفرْش حُروفهم وخلافهم من تلك الطرق. وألَّف غير ما ذكر.

مولده: في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وأربعمائة.

وفاته: توفي ثاني جُمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة (١)، وكان عمره تسعًا وأربعين سنة.

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه الله

يكنى أبا جعفر، من أهل مالقة، ويُعرَف بيته بها ببني راشد. قال شيخنا أبو البركات: نقلتُ اسم هذا من خطّه، ولا نعلم له نسبًا إذ لم يكتبه، وشُهِرَ بابن عبد النُّور.

حاله: كان قينمًا على العربية إذ كانت جُلُّ بضاعته؛ يشارك مع ذلك في المنطق، على رأي الأقدمين، وغرُوض الشعر، وفرائض العبادات من الفقه، وقرض الشعر. وكان له اعتناء بفَكُ المُعَمّى، والتَّنقير عن اللَّغُوز. وكان ذكيُّ الصوت عند قراءة القرآن، خاشعًا به. رحل من بلده مالقة إلى سَبْتة، ثم انتقل إلى الأندلس وأقرأ بوادي آش مدة، وتردّد بين ألمريّة وبَرْجَة، يُقرىء بها القرآن، وغير ذلك مما كان يشارك فيه. وناب عن بعض القُضاة وقتًا، ودخل غرناطة أثناء هذا السَّفر.

مشيخته: قال: أخذ القرآن قراءة على طريقة أبي عَمْرو والدَّاني، على الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي رَيْحانة المَرْبلّي (٢)، ولا يُعلَم له في بلده شيخ سواه، إذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ، والحَمل عنهم. ومن عِلمي أنه لَقِيَ أبا الحسن بن الأخضر المُقْرىء العَرُوضي بسَبْتَة، وذاكره في العَرُوض، ولا أعلم هل أخذ عنه أم لا. ورأيت في تقاييدي أن القاضي أبا عبد الله بن بُرْطال حدّثني أن ابن النور قرأ معه المُجزوليَّة (٣) على ابن مُفَرِّج المالَقي تفقهًا، وقيَّد عليه تقييدًا عرضه بعد ذلك، على ابن

⁽١) في الصلة: توفي سنة ٥٤٢ هـ.

 ⁽۲) نسبة إلى مَرْبِلَة Marbella، وهي مدينة صغيرة مُسَوَّرة، تبعد ستين كيلو مترًا إلى الغرب من مالقة: الروض المعطار (ص ٥٣٤).

 ⁽٣) الجزولية: نسبة إلى الجزولي، وهو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجُزُولي، النحوي المغربي
المتوفّى سنة ٦١٠ هـ، وقيل: ٦٠٦ و٢٠٧ هـ. والجزولية هي المقدمة التي كتبها أبو موسى
المذكور وسماها القانون، وكلها رموز وإشارات، اعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها. =

مُفرج هذا؛ وهو محمد بن يحيئ بن علي بن مُفرج المالقي. وروى عن أبي الحجّاج المتقدّم الذّكر تَيْسِير أبِي عَمْرو الداني، وجُمَل الزّجّاجي، وأشعار الستّة، وفصيح أحمد بن يحيئ بن ثعلب؛ وقفتُ في ذلك على رِقِّ أجاز فيه بعض الآخذين عنه، ولم ينصّ فيه على كيفية أخذه لهذا الكُتَيِّب عن أبي الحجّاج. قال: ورأيت في ذلك الرُق أوهامًا تدلّ على عدم شعوره بهذا الباب جملة، وقبول التَّلْقين فيه، فلا ينبغي أن يُرْكَن إلى مثله فيه، ورأيت بخط بعض أصحابه، أنه تفقه على أبي رَيْحانة، ولعلَّ ذلك في صغره قبل أن يتحكم طلبُه ويتفنَّن، إذ الفنون التي كان يأخذ منها لم يكن أبو رَيْحانة مليًا بها، ولا منسوبًا إليها.

تصانيفه: منها كتاب «الحِلْية في ذكر البسملة والتصلية». وكتاب «رَضف المباني في حروف المعاني»، وهو أَجَلُ ما صنّف وممّا يدلّ على تقدّمه في العربية. وجزء في العرروض، وجزء في سوادًه. وكتابٌ في شرح الكوامل لأبي موسى الجُزُولي، يكون نحو المُوطّأ في الجِرم، وكتاب شرح مُغْرب أبي عبد الله بن هشام الفِهْري، المعروف بابن الشّواش، ولم يتمّ، انتهى فيه إلى همزة الوصل، يكون نحو الإيضاح لأبي علي. وله تقييدٌ على الجُمَل غيرُ تام.

شعره: قال: وشعره وسَطَّ، بعيدٌ عن طرفي الغثَّ، والثمينُ أبعد؛ وكان لا يعتني فيه ولا يتكلِّفه، ولا يقصد قصده؛ وإنّ ذلك لعذر في عدم الإجادة. قال الشيخ: ولديّ جزءٌ منه تصفَّخته على أن أستجيد منه شيئًا أُثبِته له في هذا التَّعريف، فرأيت (١) بعضه أشبه ببعض من الغرابة، فكتبت من ذلك، لا مُؤثرًا له على سواه من شعره؛ بل لمرجّح كُونه أوّل خاطر بالبال، ومُتَلمّح خَطُه بالبَصَر، فمن ذلك قولُه من قصيدة، ومن خطه نقلتُ: [الطويل]

محاسنُ من أهوى يَضيق لها الشرحُ له بهجة يَغْشَى البصائرَ نورُها إذا ما رَنَا فاللَّحْظُ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ إذا ما انتنى زهوًا ووَلَى تَبَخْتُرًا إذا ما انتنى زهوًا ووَلَى تَبَخْتُرًا وإن نَفَحَتْ أزهارُه عند روضةٍ هو الزَّمَنُ المأمولُ عند ابتهاجه

له الهمّة العَلْياء والخُلقُ السّمْحُ وتَعْشَى بها الأبصار إن غَلَسَ الطّبحُ وفي كل عُضُو من إصابته جُرْحُ يغَار لذاك القَد من لينه الرُمْحُ فيخجِلُ ريّا زَهْرِها ذلك النّفْحُ فينْحُجِلُ ريّا زَهْرِها ذلك النّفْحُ فيلُمّتُهُ ليلٌ، وغُرّتُه صُبْحُ

وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩)، ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧).
 (١) في الأصل: ففرأيته.
 (٢) في الأصل: ففرأيته.

لقد خَامَرت نفسي مُدامة حبه فقلبي من سُكُر المُدامة لا يَضحُو(١) وقد هام قلبي في هواه فَبَرَّحت بأسرارِه عينٌ لمَدْمَعها سَبْحُ

غفلته ونوكه: كان هذا الرجل من البّله في أسباب الدنيا؛ له في ذلك حكايات دائرة على ألسنة الشِقاة من المُلازمين له وغيرهم، لولا تواتُرُها لم يُصدّق أحد بها، تُشبه ما يُحكى عن أبي علي الشَّلُوبِين. منها أنه اشترى فَضْلة مِلَف فبلُّها، فانْتَقَصَّت كما يجري في ذلك، فذرعها بعد البَلّ فوجدها تنقصت، فطلب بذلك بائع المِلف، فأخذ يبيّن له سبب ذلك فلم يفهم. ومنها أنه سار إلى بعض بساتين ألمَرية مع جماعة من الطلبة واستصحبوا أرزًّا ولبُّنًا، فطلبوا قدرًا لطبخه، فلم يجدوا، فقال: اطبخوا في هذا القِدر، وأشار إلى قِدر بها بقيّة زفّت مما يُطّلى به السُّواني(٢) عندهم، فقالوا له: وكيف يسوغ الطبخ بها، ولو طَبخ بها شيء مما تأكله البهائم لعافته، فكيف الأرز باللبن؟ فقال لهم: اغسلوا معاندكم، وحينئذ تُذخلون فيها الطعام. فلم يَذروا ممّا يَعْجَبون، هل من طيب نفسه بأكله مما يطبخ في تلك القِدر، أم من قياسه المعدة عليها. ومنها أنهم حاولوا طبخ لحم مرّة أخرى في بعض النُّزَه فذاق الطعام من المِلح بالمِغرَفَة، فوجده مُحتاجًا للملح، فجعل فيه ملحًا وذاقه على الفَوْر، قبل أن ينحلُّ الملح ويسري في المَرَقة الأولى، فزاد ملحًا إلى أن جعل فيه قُذْر ما يَرْجُح اللحم، فلم يقدروا على أكله. ومنها أنه أدخل يده في مِفْجَر صهريج فصادفت يدُه ضِفْدُعًا كبيرًا، فقال لأصحابه: تَعَالُوا إن هنا حَجَرًا رَطْبًا. ومنها أنه استعار يومًا من القائد أبي الحسن بن كماشة، جوادًا ملوكيًا، قِرْطاسي اللُّون، من مراكب الأمراء؛ فقال: وجُّه لي تلك الدَّابَّة، فتخَيِّل أنه يريد الرُّكوب إلى بعض المواضع، ثم تفَطَّنَ لغَفْلته، وقال: أي شيء تصنع به، قال: أجعله يُسني شيئًا يسيرًا في السَّانية، فقال: تُقْضى الحاجة، إن شاء الله بغيره؛ ووجّه له حمارًا بِرَسم السانية، وهو لا يشعر بشيء من ذلك كله.

قلت: وفي موجودات الله تعالى عِبَرٌ، وأغربها عالم الإنسان، لما جُبِلوا عليه من الأهواء المختلفة، والطّباع المشتّتة، والقصور عن فهم أقرب الأشياء، مع الإحاطة بالغوامض.

حدّثنا غيرُ واحد، منهم عمّي أبو القاسم، وابن الزُّبير؛ إذنّا في الجُمُلة، قالا: حدّثنا أبو الحسن بن سراج عن أبي القاسم بن بَشْكُوال، أن الفقيه صاحب الوثائق أبا

⁽١) في الأصل: ﴿لا يصعّ ا.

⁽٢) السواني: جمع السانية وهي كالساقية، ما يُشقى عليه الزرع والحيوان. لسان العرب (سنا).

عمر بن الهندي، خاصم يومًا عند صاحب الشُّرطة والصلاة، إبراهيم بن محمد، فَنَكَلَ وعجز عن حُجَّته، فقال له الشرطي: ما أغجَب أمرك، أبا عمر، أنت ذَكِي لغيرك، بَكِيُّ أَنَّهُ مَا يَتِدِهِ لِلنَّاسِ (٢). ثم أنشد بَكيُّ أَنَّهُ مَايَتِدِه لِلنَّاسِ (٢). ثم أنشد متمثّلا: [المنسرح]

صرْتُ كانى ذُبالةً نُصِبَتْ تُنضيء للناس وَهْيَ تحترقُ

قال: وحدّثني الشيخ أبو العباس بن الكاتب بِبِجايّة، وهو آخرُ مَن كتَبْنا معه الحديث من أصحاب ابن الغمّاز، قال: كنت آويًا إلى أبي الحسن حازم القَرْطَجاني بتونس؛ وكنت أحسِن الخِياطة، فقال لي: إن المُستنصر خَلَعَ على جُبّة جِرْبِيّة من لباسه، وتفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس، وأريد أن تُحلّ أكمامها؛ وتُصيّرها مثل ملابسنا، فقلت له: وكيف يكون العمل؟ فقال: تُحلّ رأس الْكُمّ، ويوضع الضيّق بالأعلى، والواسع بالطرف، فقلت: وبِمَ يُحيّر الأعلى؟ فإنه إذا وُضع في موضع واسع، سَطَتْ علينا فُرَج ما عندنا؛ ما يُصنع فيها إلا أن رقّعنا بغيرها، فلم يفهم، فلما يئشتُ منه تركته وانصرفت، فأين هذا الذهن الذي صنع المقصُورة وغيرها من عجائب كلامه.

مولده: في رمضان من عام ثلاثين وستمائة.

وفاته: توفي بألمرية يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام اثنين وسبعمائة، ودفن بخارج باب بجاية بمقبرة من تُرْبة الشيخ الزاهد أبي العباس بن مكنون.

آحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد الله ابن مصادف بن عبد الله

يُكْنَى أبا جعفر، ويُعرَف بابن مصادف؛ من أهل بَسْطَة، واستَوْطن غرناطة، وقرأ وأقرأ بها.

حاله: من أهل الطلب والسلاطة والاجتهاد، وممَّن يقصرُ مُحَصّله عن مدى اجتهاده، خُلوب (٣) اللسان، غريب الشّكل، وَحشِيّه، شتيت الشّعر مُعفيه، شديد

⁽١) البَّكيُّ: الكثير البكاء، وهنا جاءت بمعنى: العاجز والعيِّ. لسان العرب (بكي).

⁽٢) سورة البقرة، الأية ١٨٧.

⁽٣) الخُلُوب: الخلاب؛ يقال: خلبه إذا أمالَ قلبه بألطف القول. لسان العرب (خلب).

الاقتحام والتُسَوَّر، قادر على اللَّصُوق بالأشراف. رمى بنفسه على مشيخة الوقت يُظُرُقهم طروق الأمراض الوافدة، حتى استَوْعَب الأخذ عن أكثرهم، يَفُكُ عن فائدته فَكَ المُتَرِّم، ويَنتَزعها بواسطة الحيا، ويُسلَّط على قَنْصها جوارح التبذّل والإطراء، إلى أن التسم في المُقرتين بغرناطة، محوَّلًا عليه بالنَّخب والملق، وسد الترتيب المدني؛ ولوثة تعتاده في باب الرُّكوب والثقافة (۱۱)، وهو لا يستطيع أن يستقرّ بين دقتي السَّرج، ولا يُفرق بين مَبْسوط الكف، أخذ نفسه في فنون، من قرآن، وعربيّة، وتفسير، وامتُحن مرّات لجرّ أحركة القلقلة الذي لا يَمْلِك عنانه، ثم تخلص من ذلك، وهو على حاله إلى الآن.

مشيخته: قرأ على الخطيب ببسطة، وأبي الأصبغ بن عامر، والخطيبين بها أبي عبد الله وأبي إسحلق ابن عمّه، وأبي عبد الله بن جابر، وعلى أبي عثمان بن ليُون بالمريّة، والخطيب أبي عبد الله بن الغربي بحَمّة (٢). وتلا القرآن بقراءاته السبع على شيخنا أبي عبد الله بن الوالي العوّاد. وروى عن شيخنا أبي الحسن بن الجيّاب، وعلى الحاج أبي الحجاج الساحلي، فكتب الإقراء، وأخذ الفقه عن الأستاذ أبي عبد الله البيّاني، وقرأ على قاضي الجماعة أبي القاسم المخور، وقرأ على العربية، وصاهره على بنته الأستاذ المذكور، وانتفع به، إلى أن ساء ما بينهما عند وفاة الشيخ فرماه بترّمية بيضاء تخلّقها، مثيرة عَجَبٍ، مُرّة. وحاله متصلة على ذلك، وقد الشيخ فرماه بترّمية بيضاء تخلّقها، مثيرة عَجَبٍ، مُرّة. وحاله متصلة على ذلك، وقد المذكورا.

أحمد بن حسن بن باصة الأسلمي المُؤقّت بالمسجد الأعظم بغرناطة

أصله من شرق الأندلس، وانتقل إليها والده، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان نسيج وحده، وقريع دهره، معرفة بالهيئة، وإحكامًا للآلة الفَلَكية، ينحتُ منها بيده ذخائر، يقف عندها النظر والخبر، جمال خَطَّ، واستواء صنعة، وصحة وضع، بلغ في ذلك درجة عالية، ونال غاية بعيدة، حتى فَضَل بما ينسب إليه

⁽١) الثَّقافة: الطعن بالرماح. لسان العرب (ثقف).

⁽٢) الحَمّة أو الحامة: بالإسبانية Alhama، وهي من مدن غرناطة، وتقع غربي غرناطة إلى الجنوب من مدينة لوشة. استولى عليها الإسبان سنة ٨٨٧ هـ، أي قبل سقوط غرناطة بعشر سنين. راجع مملكة غرناطة (ص ٦٠).

⁽٣) البيّاني: نسبة إلى بيّانة Baena، وهي مدينة من أعمال قرطبة. الروض المعطار (ص ١١٩).

من ذلك كثيرًا من الأعلام المتقدمين، وأزرت آلاته بالحمايريات والصَّفاريّات وغيرها من آلات المُخكِمين، وتغالى الناس في أثمانها، أخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة في هذا الفن.

وفاته: في عام تسعة (١) وسبعمائة.

أحمد بن محمد بن يُوسُف الأنصاري

من أهل غرناطة؛ يكنى أبا جعفر، ويعرف بالحِبالي.

حاله: عكف صَدْرًا من زمانه منتظمًا في العُدُول^(۲)، آويًا إلى تخصيص وسكون ودماثة، وحُسْن معاملة، له بصر بالمساحة والحساب، وله بصر بصناعة التعديل وجداول الأبراج، وتدَرَّب في أحكام النجوم، مقصودٌ في العلاج بالرُّقا والعزايم، من أولي المس والخبال، تعلق بسبب هذه المُنتحلات بأذيال الدول، وانبَتُ من شيمته الأولى، فنال استعمالًا في الشهادات المَخْزنية، وخبر منه أيام قُزبه من مبادىء الأمور والنَّواهي، ومُداخلة السلطان؛ صمتٌ وعقلٌ، واقتصارٌ على مُعاناة ما امتُحن به، وهو الآن بقيد الحياة.

مشيخته: أخذ تلك الصناعة عن الشيخ أبي عبد الله الفخّار، المعروف بأبي خُزيمة، أحد البواقع الموسومين بصحة الحكم فيها، وعلى أبي زيد بن مُثنى؛ وقرأ الطب على شيخنا أبي زكريا بن هُذَيل، رحمه الله؛ ونسب إليه عند الحادثة على الدولة وانتقالها إلى يد المتغلّب، اختيارُ وقت الثورة وضمان تمام الأمر، وشهد بذلك بِخط، وغيب من إيثارها. فلما عاد الأمر إلى السلطان المُزْعج بسببها إلى العُدُوة، أوقع به نكيرًا كثيرًا، وضربه بالسياط التي لم يخلصه منها إلا أجله، وأجلاه إلى تونس في جملة المُغرّبين في أواخر عام ثلاثة وستين وسبعمائة.

وأخبرني السلطان المذكور أن المُتَرجم به كتب إليه بمدينة فاس، قبل شروعه في الوُجُهة، يخبره بعودة الملك إليه، وبإيقاعه المكروه الكبير به، بما شهد بمهارته في الصنعة، إن صحَّ ذلك كله من قوانينها، نسأل الله أن يُضْفي علينا لُبوس سَتْره، ويقينا شرَّ عثرات الألسُن بمنه.

⁽١) في الأصل: اتسع وهو خطأ نحوي.

⁽٢) العدول: جمع عَذْل وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم. لسان العرب (عدل).

أحمد بن محمد الكرني

من أهل غرناطة.

حاله: شيخ الأطباء بغرناطة على عهده، وطبيب الدار السلطانية. كان نسيج وحده، في الوقار والنزاهة، وحُسن السَّمْت، والنزام مُثلى الطريقة، واعتزاز الصنعة؛ قائمًا على صناعة الطبّ، مُقْرنًا لها، ذاكرًا لنصوصها، مُوفَقًا في العلاج، مقصودًا فيه، كثير الأمل والمثاب، مكبوح العنان عمّا تثبت به أصول صناعته من علم الطبيعة، سَنِيًا، مقتصرًا على المُداواة؛ أخذ عن الأستاذ أبي عبد الله الرُّقُوطي، ونازعه بالباب السلطاني، لمّا شدّ، واحتِيج إلى ما لديه في حكم بعض الأموال المعروضة على الأطبّاء، منازعة أوجبت من شيخه يمينًا أن لا يحضُرَ معه بمكان، فلم يجتمعا بباب السلطان بعد، مع التمسّك بما لديهما، وأخذ عن ابن عَرُوس وغيره، وأخذ عنه جملة من شيوخنا كالطبيب أبي عبد الله بن سراج وغيرهما.

حدّثني والدي بكثير من أخباره في الوقار وحُسن الترتيب، قال: كنت آنس به، ويُعجبني استقصاؤه أقوال أهل هذا الفن من صنعته، على مشهوره، فلقد عُرِضَ عليه، لعليل لنا، بعضُ ما يخرج، وفيه حيّة، فقال على فتور، وسكونة، ووقار كثير: هذا العليل يتخلص، فقد قال الرئيس ابن سيئا في أُرجوزته: [الرجز]

إنْ خَرَج النِحُلُطُ مع السحيّات في يسوم بُخران فَعَنْ حياة وهذا اليوم من أيام البُخرانية، فكان كما قال.

وفاته: كان حيًّا سنة تسعين وستمائة.

أحمد بن محمد بن أبي الخليل، مُفَرِّج الأموي (١)

مولاهُم، من أهل إشبيلية، يُكنى أبا العباس، وكناه ابن فُرْتون أبا جعفر وتفرُّد بذلك، يُعرَف بالعَشَّاب، وابن الرُّوميّة، وهي أشهرهما وألصقهما به.

أَوْلَيْتُهُ: قال القاضي أبو عبد الله(٢): كان ولاء^(٣) جدَّه أحد أطباء قُرْطبة، وكان قد تبنّاه، وعن مولاه أخذ علم النبات.

⁽۱) ترجمة أحمد بن محمد ابن الرومية في اختصار القدح المعلى (ص ۱۸۱)، والذيل والتكملة (السفر الأول ص ۴۶۱)، والتكملة (ج ۱ ص ۱۰۷)، ونفع الطيب (ج ۳ ص ۴۶۱).

⁽٢) هو ابن عبد الملك المراكشي، وهذا النص في كتابه: الذيل والتكملة (السفر الأول ص ٤٨٨).

⁽٣) في الأصل قوالد، والتصويب من الذيل والتكملة، وجدّه هو: مفرج.

حاله: كان نسيج وحده، وفريد دهره، وغُرَة جنسه، إمامًا في الحديث، حافظًا، ناقدًا، ذاكرًا تواريخ المُحدِّثين وأنسابهم وموالدهم ووفاتهم، وتغديلهم، وتجريحهم؛ عجيبة نوع الإنسان في عصره، وما قبله، وما بعده، في معرفة علم النبات، وتمييز العُشب، وتخليتها، وإثبات أعيانها، على اختلاف أطوار منابتها، بمشرق أو مغرب حِسًا، ومشاهدة، وتحقيقًا، لا مدافع له في ذلك، ولا منازع، حجة لا تُردّ ولا تُدفّع، إليه يُسلّم في ذلك ويُرجَع. قام على الصَّنعَتين؛ لوجود القَدْر المسترك بينهما، وهما الحديث والنبات، إذ موادهما الرُحلة والتقييد، وتصحيح الأصول وتحقيق المشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان، وغير ذلك. وكان زاهدًا في الدنيا، مؤثرًا بما في يديه منها، مُوسَعًا عليه في معيشته، كثيرَ الكتُب، خمّاعًا لها، في كل فنُ من فنون العلم، سَمْحًا لطلبه العلم، ربما وهب منها لملتمسه الأصل النفيس، الذي يَعزُ وجوده، احتسابًا وإعانةً على التعليم؛ له في ذلك أخبار مُنعة، عن فضله، وكرم صُنعه، وكان كثير الشَّغَف بالعلم، والدُّووب على تقييده ومُداومته، سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته، وحاجات الناس إليه، إذ كان حَسَن العلاج في طبه المَوْرود، الموضوع، لثفته ودينه.

قال ابن عبد الملك⁽¹⁾: إمامُ المغرب قاطبة فيما كان سبيلُه، جالَ الأندلُس، ومَغْرب العُدُوة، ورحل إلى المشرق، فاستوعب المشهور من إفريقية، ومِصْرِه، وشامِه، وعِراقه، وحِجَازه، وعاين الكثير ممّا ليس بالمغرب؛ وعاوَضَ كثيرًا فيه، كلّ ما أمكنه، بمن يشهد له بالفضل في معرفته، ولم يزل باحثًا على حقائقه، كاشفًا عن غوامِضه، حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره، ممّن تقدّم في الملّة الإسلامية، فصار واحد عصره فردًا، لا يُجاريه فيه أحد بإجماع من أهل ذلك الشأن.

مذاهبه: كان (٢) سُنْيًا ظاهِري المذهب، مُنْحيًا على أهل الرأي، شديد التعصب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن خزم، على دين متين، وصلاح تام، وورع شديد؛ انتشرت عنه تصانيف أبي محمد بن حزم، واستنسخها (٢)، وأظهرها، واعتنى بها، وأنفق عليها أموالًا جمّة، حتى استوعبها جُمْلة، حتى لم يشُذّ له منها إلّا ما لا خطر، متقدمًا ومقتدرًا على ذلك بِجِدّته ويساره، بعد أن تفقه طويلًا على أبي الحسن (٤) محمد بن أحمد بن زَرْقُون في مذهب مالك.

⁽١) الذيل والتكملة (السفر الأول ص ٥١٣ ـ ٥١٣) والنقل عن ابن عبد الملك ليس حرفيًا.

⁽٢) النص في الذيل والتكملة (السفر الأول ص ٥١٢).

 ⁽٣) في الذيل والتكملة: «واستحسنها».
 (٤) في الذيل والتكملة: «أبي الحسين».

مشيخته: البحرُ الذي لا نهاية له؛ روى(١١) بالأندلس عن أبي إسحاق الدُّمشقي (٢)، وأبي عبد الله اليابُري (٣)، وأبي البركات بن داود (١٤)، وأبي بكر بن طلَحة، وأبي عبد الله بن الحُر، وابن العربي، وأبي على الحافظ، وأبي زكريا بن مرزوق، وابن يوسف، وابن ميمون الشريشي، وأبي الحسن بن زَرْقُون، وأبي ذَرّ مُضعب، وأبي العباس ابن سيِّد الناس، وأبي القاسم البرّاق، وابن جمهور، وأبي محمد بن محمد بن الجنّان، وعبد المنعم بن فَرَس، وأبي الوليد بن عُفير؛ قرأ عليهم وسمع. وكتب إليه مُجِيزًا من أهل الأندلس والمغرب، أبو البقاء بن قديم، وأبو جعفر حكم الجفّار، وأبو الحسن الشُّقوري، وأبو سليمان بن حَوط الله، وأبو زكريا الدمشقي، وأبو عبد الله الأنْدَرَشي، وأبو القاسم بن سمجون، وأبو محمد الحجري. ومن أهل المشرق جُملةً، منهم أبو عبد الله الحَمَداني بن إسماعيل بن أبي صيف، وأبو الحسن الحُوَيكر نزيل مكة. وتأدّى إليه أَذُنُ طائفة من البَغْداديين والعراقيين له في الرواية، منهم ظُفَر بن محمد، وعبد الرحمان بن المبارك، وعلي بن محمد اليزيدي، وفَنَاخُسرو فَيْروز بن سعيد، وابن سَنِيَّة، ومحمد بن نصر الصَّيْدلاني، وابن تيميّة، وابن عبد الرحمان الفارسي، وابن الفضل المؤذِّن، وابن عمر بن الفَخَّار، ومسعود بن محمد بن حسّان المنيغي، ومنصور بن عبد المنعم الصاعدي، وابن هَوَازِن القُشيْري، وأبو الحسن النّيسابُوري.

وحج (٥) سنة اثنتي عشرة (١) وستمائة، فأدّى الفريضة سنة ثلاث عشرة (٧)، ولُقُب بالمشرق بحب الدّين. وأقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام، لَقِيَ فيها من الأعلام العلماء، أكابر جُملة؛ فمنهم بِبجاية أبو الحسن بن نصر (٨)، وأبو محمد بن مكّي (٩)؛ وبتونس أبو محمد المُرْجاني (١١)؛ وبالإسكندرية أبو الأصبغ بن عبد العزيز (١١)، وأبو

⁽١) راجع الذيل والتكملة (السفر الأول ص ٤٨٨).

⁽٢) في الذيل والتكملة: هو أبو إسحلق بن خلف الدمشقي السنهوري.

⁽٣) في الذيل: «ابن عبد الله اليافري».

⁽٤) هو أبو البركات عبد الرحمان بن داود الزيزاري، كما في الذيل والتكملة.

⁽٥) النص في الذيل والتكملة (السفر الأول ص ٤٨٩ ــ ٤٩١).

⁽٦) في الأصل: «اثني عشر» وهو خطأ نحوي.

⁽٧) في الأصل: «الفريضة ثلاث عشره.

⁽A) في الذيل والتكملة: «أبو الحسن علي بن أبي نصر بن عبد الله».

⁽٩) في الذيل والتكملة: «يبكي».

⁽١٠) في الذيل والتكملة: ﴿أَبُو محمد عبد الله بن المرجاني ! .

⁽١١) في الذيل والتكملة: «أبو الأصبغ عيسى بن عبد العزيز بن سليمان».

الحسن بن جُبير الأندلسي^(۱)، وأبو الفضل بن جعفر بن أبي الحسن بن أبي البركات، وأبو محمد عبد الكريم الربعي، وأبو محمد العثماني أجاز له ولم يَلْقه، وبمصر أبو محمد بن سُخنون الغُماري ولم يلقه، وأبو الميمون بن هِبَة الله القرشي؛ وبمكة أبو علي الحسن بن محمد بن الحسين، وأبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري؛ وببغداد (۲) أحمد بن أبي السعادات، وأحمد بن أبي بكر؛ وابن أبي (۱) خط طلحة، وأبو نصر القرشي (۱)، وإبراهيم بن أبي ياسر القطيعي، ورَسلان (۱) المَسدي، والأسعد بن بقاقا (۱)، وإسماعيل بن باركش الجوهري، وإسماعيل بن أبي البركات.

وبَرْنامج مَرْوِيَّاته وأشياخِه، مشتملُ على منين (٧) عديدة، مرتبة أسماؤهم على البلاد العراقية وغيرها، لو تتبَّعتها لاستَبْعَدْتُ الأوراق، وخرجت عمَّا قصدت.

قال القاضي أبو عبد الله المراكشي بعد الإتيان على ذلك (٨): مُنْتَهى الثُقات أبو العباس النباتي، من التُّقييد الذي قيِّد، وعلى ما ذكره في فهارس له مُنَوَّعة، بين بسط، وتوسُّط، واقتضاب، وقَفَت منها بخطَّه، وبخطٌ بعض أصحابه، والآخذين عنه.

مَن أخذ عنه: حدَّث ببغداد برواية واسعة، فأخذ عنه بها أبو عبد الله بن سعيد اللوُشي؛ وبمصر الحافظ أبو بكر القط، وبغيرها من البلاد أُمّة وقَفَل برواية واسعة، وجلب كتُبًا غريبة.

تصانيقه: له (٩) فيما ينتحله من هذين الفَنِّين تصانيفُ مفيدة، وتنبيهات نافعة، واستدراكات نبيلة بديعة (١١)، منها في الحديث ورجاله (١١) «المعلم بزوائد البُخاري على مُسلم، و «نَظُم الدّراري فيما على مُسلم، و «اختصار غريب (١٢) حديث مالك» للدّارَقُطُني، و «نَظُم الدّراري فيما

⁽١) في الذيل والتكملة: ﴿أَبُو الحسن محمد بن أحمد بن جبيرٌ ٩.

⁽٢) في الذيل والتكملة: •وببغداد... الأحامد: ابن أبي السعادات أحمد بن أبي بكر أحمد بن كر أحمد بن عالب. كرم بن غالب.

⁽٣) في الذيل والتكملة: ﴿وَابِنَ أَبِي فَي خَطَّ طَلَّحَةً ۗ.

⁽٤) في الذيل والتكملة: «النَّرْسي».

⁽٥) في الذيل والتكملة: ﴿وَأَرْسَلانَ... السَّيِّدي،

⁽٦) ني الذيل والتكملة: (بقا).

⁽٧) رَأَجِعَهَا فَي الذيل والتكملة (في السفر الأول ص ٤٩٠ ـ ١١٥).

⁽٨) الذيل والتُكملة (السفر الأول ص ١٠٥).

⁽٩) النص في الذيل والتكملة (السفر الأول ص ١٣٥).

⁽١٠) في الذيل والتكملة: •بارعة، وتعقبات لازمة.

⁽١١) في الأصل: امنها في الحديث: رجّالة المعلّم...،، والتصويب من الذيل.

⁽١٢) في الأصل: اغرائب.

تفرّد به مُسلم عن البخاري، والتوهين طرق حديث الأربعين، والحُكم الدُّعاء في أدبار الصّلوات، والكيفية الأذان يوم الجمعة، والختصار الكامل في الضُّعفاء والمتروكين لأبي محمد بن عدي، والحافل في تذييل الكامل؛ والخبار محمد بن إسحق.

ومنها في النبات (١)، «شرح حشائش دياسَقُورِيدوس وأدوية جالينوس»، والتنبيه على أوهام ترجمتها (٢)؛ و التنبيه على أغلاط الغافقي (٣)، والرُّحلة النُباتية والمسْتَذْرَكة، وهو الغريب الذي اختص به، إلَّا أنه عَدِم عَيْنَه بعده، وكان معجزة في فنّه؛ إلى غير ذلك من المُصَنِّفات الجامعة، والمقالات المفيدة المفردة، والتعاليق المُنوَّعة.

مناقبه: قال ابن عبد الملك وابن الزُبير، وغيرهما^(٤): عُنِيَ تلميذه، الآخذ به، الناقد، المحدَّث، أبو محمد بن قاسم الحرّار، وتهمم بجمع أخباره، ونَشْر مآثره، وضَمَّن ذلك مجموعًا حفيلًا نبيلًا.

شعره: ذكره أبو الحسن بن سعيد في «القِدْح المعلّى»، وقال (٥): جَوَّالُ بالبلاد المشرقية (٢) والمغربية، جالسته بإشبيلية بعد عوده (٧) من رحلته، فرأيته متعلقًا بالأدب، مرتاحًا إليه ارتياح البُختري لحَلَب، وكان غير متظاهر بقول الشّعر، إلّا أن أصحابه يسمعون منه، ويروون عنه، وحملت عنه (٨) في بعض الأوقات، فقيّدت عنه هذه الأبيات: [البسيط]

خَيْمْ بِجِلْقُ^(۹) بين الكأس والوَترِ ومثّع الطُّرْفَ في مَرْأى محاسنها وانظر إلى ذَهبِيّات الأصيل بها وقُلل لِمَن لامَ في لذّاته بَشرًا

في جنّة هي مِلْ السّمْعِ والبَصَرِ تَرُوْضُ (١٠) فِكْرَكَ بين الروض والزُّهَر والنُّهَر والسُمَعُ إلى نَعَمات الطّير في السُّجَر (١١) دَعْني فإنّك عندي من سِوَى البَشِي

⁽١) في الذيل والتكملة: ﴿ومنها في النبات شرحه حشائش...».

 ⁽۲) في الذيل والتكملة: «مترجميها».
 (۳) في الذيل والتكملة: «مترجميها».

⁽٤) الذيل والتكملة (السفر الأول ص ١٣٥).

⁽٥) النص مع الأبيات في القدح المعلى (ص ١٨١).

⁽٦) في القدح المعلى: «بالبلاد المغربية والمشرقية».

⁽٧) في القدح المعلى: «عودته». (٨) في القدح المعلى: «وحملته عليه».

⁽٩) في الأصل: •خيمٌ تُخَلُّقُ، والتصويب من القدح المعلى، وجلق: هي دمشق.

⁽١٠) في الأصل: قبروض؛ والتصويب من القدح المعلى.

⁽١١) في الأصل: «السحر» والتصويب من القدح المعلى.

قال: وكثيرًا^(۱) ما يُطنب على دمشق، ويصف محاسنها، فما انفصل^(۲) عني إلّا وقد امتلأ خاطري من شكلها، فأتمنَّى أن أخُلُّ مواطنها، إلى أن أبلُغ^(۲) الأمل قبل المَنُون: [الوافر]

ولو أني (1) نظرت بألفِ عَيْنِ لما اسْتَوْفَتْ محاسنَها العُيونُ دخوله غرناطة: دخلها غيرَ ما مرّة لسماع الحديث، وتحقيق النبات؛ ونَقَر عن عيون النبات بجبالها، أحد خزائن الأدوية، ومظان الفوائد الغريبة، يجري ذلك في تواليفه بما لا يفتقر إلى شاهد.

مولده: في محرم سنة إحدى وستين وخمسمائة.

وفاته: توفي بإشبيلية عند مغيب الشفق من ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستماثة (٥). وكان ممّا رُئِيَ، قال ابن الزُبير: ورثاه جماعة من تلامذته كأبي محمد الحرّار، وأبي أمية إسماعيل بن عُفير، وأبي الأصبغ عبد العزيز الكَبْتُوري (١) وأبي بكر محمد بن محمد بن جابر السقطي، وأبي العباس بن سليمان؛ ذكر جميعهم الحرار المذكور في كتاب ألفه في فضائل الشيخ أبي العباس، رحمه الله.

أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خَلَف بن سعيد بن خلف ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسِر عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسِر صاحب رسول الله،

أولئته: بيتُ بني سعيد العَنْسي، بيتُ مشهور في الأندلس بقلعة يَخصب، نزلها جدّهم الأعلى، عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر؛ وكان له حُظُوة

⁽١) في القدح المعلى: "وكان كثيرًا ما يُطنِب في الثناء على دمشق. ١٠٠٠.

⁽٢) في القدح المعلى: قالا انفصل عنه إلاً. ٠٠٠.

⁽٣) في القدح المعلى: ﴿بِلُغِ اللهِ الأملِ والأماني قبل المنونَّ .

⁽٤) في القدح: ﴿وَإِنِي لُو نَظُرتُ . . . ٠٠.

⁽٥) في القدح المعلى: «وكانت وفاته ببلده في سنة إحدى وثلاثين وستمائة». وفي الذيل والتكملة (١٤) في الفيل الأحد الموفّي ثلاثين من ربيع (السفر الأول ص ١٤٥): «توفي بين الظهر والعصر من يوم الأحد الموفّي ثلاثين من ربيع الأول، واتفقوا أن ذلك كان سنة سبع وثلاثين وستمائة».

 ⁽٦) نسبة إلى كبتور. وضبطها الحميري بالقاف، وقال: •قبتور: قرية من قرى إشبيلية • الروض المعطار (ص ٤٥٤).

 ⁽۷) يكنى أحمد بن عبد الملك بن سعيد بأبي جعفر، وترجمته في المغرب (ج ۲ ص ١٦٤)،
 ورايات المبرزين (ص ۱۷۰)، ونفح الطيب (ج ٥ ص ٣١٧)، والحلل الموشية (ص ١١٨).

لمكانه من اليَمانيّة بقرطبة؛ وداره بقرب قنطرتها، كانت معروفة؛ وهو بيت القيادة والوزارة، والقضاء، والكتابة، والعمل، وفيما يأتي، وما مرّ كفاية من التنبيه عليه.

حاله: قال الملاحي: كان من جِلّة الطلبة، ونبهائهم؛ وله حظ بارع من الأدب، وكتابة مفيدة، وشعرٌ مُدُون. قال أبو الحسن بن سعيد في كتابه المستى به الطالع أن نشأ مُحِبًا في الأدب، حافظًا للشعر، وذاكرًا لنظم الشريف الرّضي، ومِهْيار، وابن خفاجة، وابن الزّقاق، فرَقِّت طِباعه، وكثر اختراعه وإبداعه؛ ونشأت معه حَفْصة بنت الحاج الرّكوني؛ أديبة زمانها، وشاعرة أوانها، فاشتذ بها غرامه، وطال حبه وهيامه؛ وكانت بينهما منادمات ومغازلات أربّت على ما كان بين عَلوة وأبي عُبادة؛ يمرّ من ذلك إلمام في شعر حَفْصة، إن شاء الله.

نباهته وحظوته: ولمّا وفدت الأندلس، على صاحب أمر المُوحُدين في ذلك الأوان، وهو مُحْتَلِّ بجبل الفتح (٢)، واحتفل شعراؤها في القصائد، وخطباؤها في الخُطّب بين يديه، كان في وفْدِ غَرْناطة، أبو جعفر هذا المترجم به، وهو حَدَث السنّ في جُمّلة أبيه وإخوته وقومه، فدخل معهم على الخليفة، وأنشده قصيدة؛ قال أبو الحسن بن سعيد، كتبت منها من خط والده قوله (٣): [الطويل]

تَكُلّم فقد أضغَى إلى قولك الدَّهُرُ ورُمْ كُلّ ما قد شِئتَه فهو كَائنٌ وحُسْبُكُ هذا البحر فَألًا^(٥) فإنه وما صوتُه (^{٧)} إلّا سلامٌ مُردِّدٌ بجيش لكي يَلْقى أمامك مَنْ غَذَا بجيش لكي يَلْقى أمامك مَنْ غَذَا

وما لسواكَ اليوم (1) نَهْيُ ولا أَمْرُ وحاوِلْ فلا بَرُّ يفُوتُ ولا بَحْرُ يفُوتُ ولا بَحْرُ يُقَبِّلُ تُرْبًا داسَه جيشُك الغَمْرُ (1) عليك وعن بِشْرِ بقُرْبك يَفْترُ (٨) يُعلن وعن بِشْرِ بقُرْبك يَفْترُ (٨) يُعارِد أمرًا لا يَقُومُ له أَمْرُ

⁽١) هو كتاب االطالع السعيد، في تاريخ بني سعيد،.

⁽٢) جبل الفتح: هو جبل طارق، وهنا يشير ابن الخطيب إلى الحصن الذي بناه عبد المؤمن بن علي في هذا الجبل سنة ٥٥٥ هـ، وقد تولّى بناءه ابنه السيد أبو سعيد عثمان صاحب غرناطة، وشاور فيه الحاج يعيش المهندس. الحلل الموشية (ص ١١٨).

 ⁽٣) الأبيات في الحلل الموشية (ص ١١٨ ـ ١١٩) وفيه أن قائلها هو أبو حفص بن سعيد العنسي.
 وورد منها في المغرب (ج ٢ ص ١٦٥) بيتان فقط هما الأول والرابع.

⁽٤) في المغرب: ١١لآن، . (٥) في الحلل الموشيّة: ١٩لاّه.

⁽٦) في الحلل الموشية: «النجر». (٧) في المغرب: «صوتها».

 ⁽٨) في الحلل الموشية: «مفتر». ورواية صدر البيت في المغرب هي:
 وفي كل قلب من تَنصَعُدِها ذُعُمرُ

أطَلُ (۱) على أرض الجَزِيرة سَعْدُها في أرض الجَزِيرة سَعْدُها في ألا لذلك مُطرق ألا لذلك مُطرق هما مَهْداها كي تَحُلّ بأفقها

وجدد فيها ذلك الخَبر الخُبرُ (٢) وجدد فيها ذلك الخُبرُ (٢) ولا ابن نُصَيْر لم يكن ذلك النُصْرُ كما حَلُ عند التَّمَّ بالهالة البَدْرُ

قال: فلمّا أتمّها أثنى عليه الخليفة، وقال لعبد الملك أبيه: أيّهما خيرٌ عندك في ابنيك؛ فقال يا سيّدنا: محمد دخل إليكم مع أبطال الأندلس وقوادها، وهذ مع الشعر، فانظروا ما يجب أن يكون خيرًا عندي، فقال الخليفة: كلّ مُيسَّرٌ لما خُلق له، وإذا كان الإنسان متقدّمًا في صناعة فلا يُؤسّف عليه، إنما يُؤسّف على متأخر القدر، محروم الحظ. ثم أنشد فحول الشعراء والأكابر. ثم لمّا وُلِّي غَرناطة ولدُه السيد أبو سعيد، استَوْزَرَ أبا جعفر المذكور، واتصلت حظوته إلى أن كان ما يذكر من نكبته.

محنته: قال قريبُه وغيره: فَسَد ما ببنه وبين السيد أبي سعيد لأجل حَفْصة الشاعرة، إذ كانت محل هواه، ثم اتصلت بالسيّد، وكان له بها علاقة، فكان كلّ منهما على مثل الرّضف (٢) للآخر، ووجد حُسّاده السبيل، إلى إغراء السيّد به، فكان مما نُبِيَ به عنه، أن قال لحفصة يومًا: وما هذا الغرام الشديد به، يعني السيد، وكان شديد الأَذْمة (٤)، وأنا أقدر أن أشتري لك من المَعْرض أسودًا خيرًا منه بعشرين دينارًا؛ فجعل السيد يتوسّد له المهالك، وأبو جعفر يتحفّظ كل التحفّظ. وفي حالته تلك يقول: [الكامل]

مَنْ يشتري مني الحياة وطيبَها بمَحلُ راع في ذُرّى مَلْمُومةِ لا حُكمَ يأخذُه بها إلّا لِمَن فلقد سَيْمتُ من الحياة مع امرى الموتُ يلحظني إذا لاحظته لا أهتدي مع طول ما حاولته

ووزارتي وتاذبي وتهذبي وتهذبي زُوِيَت عن الدنيا باقصى مَرْتَبِ يغفّو ويروُف دائمًا بالمُذنبِ مُتغضب متغلب مترتب منخلب مترتب ويقُوم في فكري أوان تَجَنبي لرضاه في الدنيا ولا لِلْمَهْرَب

⁽١) في الحلل الموشية: "أطيل"،

⁽٢) رواية عجز البيت في الحلل هي:

ويسددها ذلك السخبر الخبر

 ⁽٣) الرّضف: الحجارة الممحاة يُوغر بها اللّبن. والمراد أن كلّا منهما شديد الحقد على الآخر.
 محيط المحيط (رضف).

⁽٤) الأدّمة: اللون المُشرَب سوادًا. محيط المحيط (أدم).

وأخذ في أمره مع أبيه وإخوته، وفتنة ابن مَرْدُنيش (١) مضطربة؛ فقال له أخوه محمد وأبوه: إن حرَكْنا حركة كنا سببًا لهلاك هذا البيت، ما بقيت دولة هؤلاء القوم، والصبر عاقبته حميدة، وقد كنّا ننهاك عن المُمارَجة (٢)، فلم تَرْكب إلّا هواك؛ وأخذ مع أخيه عبد الرحملن، واتفقا على أن يثورا في القلعة باسم ابن مَرْدُنيش، وساعدهما قريبهما على ذلك حاتم بن حاتم بن سعيد، وخاطبوا ابن مردنيش، وصدر لهم جوابه بالمبادرة، ووصلت منه خيلٌ ضاربة، وتهيّأ لدخول القلعة؛ وتهيّأ الحصول في القلعة، وخافوا من ظهور الأمر؛ فبادر حاتم وعبد الرحمان إلى القلعة، وتم لهما المراد؛ وأخر الجبنُ أبا جعفر ففاتاه، وتوقّع الطلب في الطريق إلى القلعة، فصار متخفيًا إلى مالقة، ليركب منها البحر إلى جهة ابن مردنيش؛ ووضع السيّد عليه العيون في كل ماقة، نقبض عليه بمالقة، وطُولِعَ بأمره فأمر بقتله صبرًا، رحمه الله.

جزالته وصبره: قال أبو الحسن بن سعيد: حدّثني الحسين بن دُويرة، قال: كنت بمالقة لمّا قُبِضَ على أبي جعفر، وتوصّلت إلى الاجتماع به، ريثما استُؤذن السيد في أمره حين حُبس، فدَمَعَت عيني لما رأيته مَكْبولًا؛ قال: أعليّ تبكي بعد ما بلغتُ من الدنيا أطايب لذاتها؟ فأكلتُ صدور الدجاج، وشربت في الزُّجاج، وركبت كل هِمْلاج (٢)، ونمتُ في الديباج، وتمتعت بالسّراري والأزواج، واستعملت من الشمع السّراج الوهاج، وهأنا في يد الحَجّاج، منتظرًا محنة الحَلّاج؛ قادمٌ على غافر، لا يُحْوج إلى اعتذار ولا احتجاج. فقلت: ألا أبكي على مَن ينطق بمثل هذا؟ ثم تُفقد، فقمت عنه، فما رأيته إلا مصلوبًا، رحمه الله.

شعره (١): [الطويل]

أتاني كتاب مِنْكَ يَحْسُدُهُ الدَّهْرُ الدَّهْرُ الدَّهْرُ الدَّهْرُ الدَّهْرُ الدَّهْرِي بِهِ جمع الله الأماني ليناظري ولا غَرُو أن أبدى العجائب ربُه ولا عَجَبَ إن أينَعَ الرَّهُمُ طيه ولا عجب إن أينَعَ الرَّهُمُ طيه

أما حِبْرُه ليلٌ، أما طِرْسُهُ فَجْرُ؟ وسَمْعي وفِكري فهو سِخرٌ ولا سِخرُ وفي ثوبه بِرُّ، وفي كفه بَخرُ فما ذال صوْبُ القَطْرِ يبدو به الزِّهْرُ

⁽۱) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش، أمير شرق الأندلس (مرسية وبلنسية). توفي بمرسية سنة ۵۲۷ هـ. أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ۲۵۹)، والمن بالإمامة (ص ۱۰۹، ۲۱۰)، والحلّة السيراء (ج ۲ ص ۲۳۱ ـ ۲۲۳).

⁽٢) الممارجة: الفساد والفتنة؛ يقال: مَرَجَ السلطان رعيَّته: خلَّاها والفساد. محيط المحيط (مرج).

⁽٣) الهملاج هو الدابة الأصيلة الحسنة السير. لسان العرب (هملج).

⁽٤) البيت الأول فقط في المغرب (ج ٢ ص ١٦٥).

ومن شعره ما يَجْري مَجْرى المُرْقص، وقد حضر مع الرُّصافي والكُتَنْدي ومعهم مُغَنُّ برُوطَة (١٠): [مجزوء الكامل]

لله يسوم مَسسَسَرُةِ اضَوى وأقَصَرُ مِنْ ذُبَالَهُ لَمَا تَلْ لَلمُنى فَيه من أَوْتَادٍ حِبَالَهُ طَللَ المُنى فيه من أَوْتَادٍ حِبَالَهُ طللَ (٢) النهار بها كمُر تاع، وأجَفَلَتِ البغزالَة وشعره مُذَوَّن كما قلنا، وهذا القدر عنوانٌ على نُبله.

غريبة في أمره مع حفصة

قال حاتم بن سعيد: وكان قد أجرى الله على لسانه، إذا حَرُّكت الكأس بها غرامه، أن يقول: والله لا يقتُلني أحد سواك؛ وكان يعني بالحُب، والقَدَرُ مُوكل بالمَنْطق، قد فرغ من قتله بغيره من أجلها. قال: ولمّا بلغ حفصة قتله لبِست الجداد، وجهرت بالحزن، فتُوعُدت بالقتل، فقالت في ذلك: [الخفيف]

هدُّدوني من أجل لِبْس الحِداد لحبيب أرْدُوه لي بالحِداد رحم الله مَن يجودُ بدمع أو يَنُوحُ على قتيلِ الأعادي وسَقَتُه بمثل جود يديه حيث أضحى من البلاد الغَوادي

ولم يُنتَفّع بَغْدُ بها، ثم لحِقت به بعد قليل.

وفاته: توفي على حسب ما ذُكِر، في جُمادى الأولى من سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي، المعروف بابن فركون (٣)

يكنى أبا جعفر.

أَوَّلَيْتُه: قد مَرُّ ذلك في اسم جُدُّه قاضي الجماعة (٤)، وسيأتي في اسم والده.

⁽١) الأبيات في المغرب (ج ٢ ص ١٦٧). (٢) في المغرب: اطاره.

 ⁽٣) ترجم له أبن الخطيب منا فأثنى عليه، وترجم له في الكتيبة الكامنة (ص ٣٠٥) فذمة. وترجمته أيضاً في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٤١).

⁽٤) جدَّه قاضي الجماعة هو أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي، وقد تقدَّمت ترجمته.

حاله: شُعلة من شُعَل الذكاء والإدراك، ومجموع خِلال حميدة على الحداثة، طالب نبيل، مدرك، نجيب، بَذَ أقرانه كفاية، وسَمَا إلى المراتب، فقرأ، وأغرب، وتَمر(١)، وتدرّب، واستجاز له والدُه شيوخ بلده فمن دونَهم، ونظم الشعر، وقيد كثيرًا، وسبق أهل زمانه في حُسن الخط سَبْقًا أفرده بالغاية القصوى؛ فيراعه اليوم المُشار إليه بالظّرف والإتقان، والحَوَا، والإسراح؛ اقتضى ذلك كله ارتقاؤه إلى الكتابة السلطانية، ومِزية الشّفوف بها، بالخلع والاستعمال؛ واختص بي، وتأدب بما انفرد به من أشياخ تواليفي، فآثرتُه بفوائد جمّة، وبَطَن حوضه من تَحَلَّمه، وترشّع إلى الاستيلاء على الغاية.

شعره: أنشد له بين يدي السلطان في الميلاد الكريم: [الكامل] حيّ المعاهد بالكثيب وجادها غيث يروي حيّها وجمادها مولده: في ربيع الآخر من عام سبعة وأربعين وسبعمائة.

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صَفُوان من أهل مالَقَة؛ يُكنى أبا جعفو، ويُعرَف بابن صفوان (٢٠).

حاله: بقيّة الأعلام، أديب من أدياء هذا القطر، وصدرٌ من صدور كتابه، ومشيخة طلبته، ناظم، ناثر، عارف، ثاقب الذهن، قوي الإدراك، أصيل النظر، إمام الفرائض والحساب والأدب والتوثيق، ذاكرٌ للتاريخ واللغة، مُشارِك في الفلسفة والتصوّف، كلِفُ بالعلوم الإلهية، آية الله في فك المُعمّى، لا يُجاريه في ذلك أحد ممّن تقدّمه، شأنه عجب، يفُكُ من المُعمّيات والمُستنبَطات، مفصولاً وغير مفصول؛ شديد التعصّب لذي وُد، وبالعكس، تام الرُّجولة، قليل التَهيّب، مُقتحِم حِمَى أهلِ شديد التعصّب لذي وُد، وبالعكس، تام الرُّجولة، قليل التَهيّب، مُقتحِم حِمَى أهلِ الجاه والحمد والمضايقة، إذا دعاه لذلك داع حَبْل نقده على غاربه، راض بالخُمول، مُنبلغ بما تيسر، كثير الدؤوب والنظر، والتقييد والتصنيف، على كلال الجوارح، وعائق الكَبْرة (٢٠)، متقارب نمطي الشعر والكتابة، مُجيد فيهما، ولنظمه شُفوف على نثره.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهِلي، أستاذ الجُمْلة من أهل بلده، ومولى النّعمة عليهم، لازمه وانتفع به؛ ورحل إلى العُدْوة، فَلَقِيَ جُمُلة، كالقاضي

⁽١) تمر: أطعم التُّمْر، والمراد أنه أثمر.

⁽٢) ترجمة ابن صفوان في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٦)، ونفح الطيب (ج ٨ ص ١٧٦).

⁽٣) الكُبْرة: الكبر في السّنّ. محيط المحيط (كبر).

المؤرِّخ أبي عبد الله بن عبد الملك، والأستاذ التعالمي أبي العباس بن البنّا^(١)، وقرأ عليهم بمرًّاكُش.

نباهته: استدعاه السلطان، ثاني الملوك من بني نصر (٢)، إلى الكتابة عنه مع الجِلّة، ببابه، وقد نَمَا عُشُه، وعَلا كعبه، واشتهر ذكاؤه وإدراكه. ثم جَنَح إلى العودة لبلده. ولمّا وُلِّي المُلْكَ السلطانُ أبو الوليد، ودعاه إلى نفسه، ببلده مالقة، استَكْتبه رئيسًا مستحقًا، إذ لم يكن ببلده. فأقام به واقتصر على كتُب الشروط، معروف القدر، بمكان من القضاة ورعيهم، صدرًا في مجالس الشورى؛ وإلى الآن يجعل إلى زيارة غرناطة، حظًا من فصول بعض السنين، فينُصِب بها العدالة، ثم يعود إلى بلده في الفصل الذي لا يصلح لذلك. وهو الآن بقيد الحياة، قد عَلقته أشراك الهَرَم، وفيه بعدُ مُستمتعٌ، بديع، كبير.

تصانيفه: من تواليفه، «مطلع الأنوار الإلهية»؛ و«بُغْية المستفيد»؛ والشرح كتاب القُرشي في الفرائض»، لا نظير له. وأما تقاييده على أقوال يعترضها، وموضوعات ينتقدها، فكثيرة.

شعره: قال في غرَض التَّصَوُف: وبلغني أنه نظمها بإشارة من الخطيب، وليّ الله، أبي عبد الله الطَّنْجالي، كَلِفَ بها القوَّالون والمسمَّعون بين يديه (٣): [الكامل]

بانَ الحميمُ فما الحِمَى والبانُ لم ينقَضُوا عهدًا بينهمُ ولا لكن جَنَحْتَ لغيرهمْ فأزالهمْ لكن جَنَحْتُ لغيرهمْ فأزالهمْ لو صَحِّ حُبُكُ ما فقدْتُهُمُ ولا تشتاقُهُمْ، وحَشاكُ هالةً بَدْرهمْ ما هكذا أحوالُ أربابِ الهوى لا يشتكي ألمَ البِعاد مُتَيَمً

بشفاء من عنه الأجبة بائوا انساهُم ميشاقك الجدثان عن أنسهم بك مُوحش غَيْران سارَتْ بهم عن حُبّك الأظعان والسُرُ منك لِخِلهم (3) مَيدان نَسَخ الغرام بقلبك السُلُوان أحسبابه في قَلبِهِ سُكَان غَطَى على مِرآتك (٥) النُقصان

 ⁽۱) هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي، المشهور بابن البناء، المتوفّى سنة ۷۲۱ هـ.
 أزهار الرياض (ج ٣ ص ٢٣) و(ج ٥ ص ٦٨).

 ⁽۲) هو محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، حكم غرناطة من سنة ۱۷۱ هـ إلى سنة ۷۰۱ هـ،
 اللمحة البدرية (ص ٥٠).

⁽٣) القصيدة في الكتية الكامنة (ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢).

⁽٤) في الكتيبة: الخيلهم. (٥) في الكتيبة: امرآتها».

شَغَلَتْكُ بِالأغيار عنهم مُقْلَةً غَمُضُ جُفُونَكَ عن سواهم مُعْرضًا واصرف إليهم لنحظ فكرك شاخصا ما بان (٣) عن مَغناك مَنْ أَلطافُهُ وجياد أنعم ببابك ترتمى جعلوا دليلًا فيك(١) منك عليهم يا لامحا سِرُ الرُجودِ بعَيْنِه ارْجِيعُ لَـذَاتِـكُ إِنْ أَرَدْتَ تَـئَـزُهُـا هي رَوْضَةُ مطلولةٌ بل جَنْةً كم حِكْمةِ صارتْ تلُوحُ لناظر حُجِبَتْ بشمسك (٥) عن عيانك شَمْسُها لولاك ما خَفِيَتْ عليك أياتُها(٧) أنت الحِجابُ لما تُؤمِّل منهمُ فاخرج إليهم عنك مُفتَقِرًا لهم واخضع لِعِزُهُمُ ولُذَ بِهِمُ (١٠ يَلُخ هُمْ رشحوك إلى الوصول إليهمُ عَطَفُوا جَمالهم على أجْمَالهم يا مُلْبِسين عَبيدُهم حُلُلَ الضّني لا سُخْط عندي للذي تَرضونه فيقربكم عين الغنا وببعدكم

إنسائها عن لمحهم وسنان إنَّ الصَّوارم حَجْبُها الأجْفانُ تَرَهُمْ (١) بقلبكَ حيث (٢) كنت وكانوا يهمى عليها سحابها الهتان تَسري إليك برَكْبها الأكوانُ فبَدَا على تَقصيرك البُرهانُ السسر فيك بأسره والسسان فيها لعَيْنَىٰ ذي الحجا بُستانُ فيها المُنَى والرُّوحُ والرَّيحانُ حارَت لباهر صنعها الأذهان شمسٌ محاسنُ ذِكرها التّبيانُ (٢) والسجسو مسن أنسوارها مسلآن فَفَنَاوَكُ الأقصى لهُم وجدانً إنَّ السمُسلُوكَ بسالافْتِسقَسار تُسدانُ منهم عليك تُعطُفُ (٩) وحنانُ وهُمُ على طُلُب الوصال عوانُ (١٠) فحُلى (١١) المشوق الحُسْنُ والإحسانُ جسمى بما تكسُونَه يُزدانُ قلبي بذاك مفرح(١٢) جذلان محضُ الفّنا ومحبُّكم وَلْهانُ (١٣)

(٦) في الكتيبة: «فمحا محاسنَ ذكرها النسيان».

(٢) في الكتيبة: «كيف».

(١٠) في الكتيبة: قأعانوا،.

(١٢) في الكتيبة: ﴿ فَارْحِ ٩.

(٤) في الكتيبة: «منك فيك».

⁽١) في الكتيبة: «ترسم».

⁽٣) في الكتيبة: الما غاب.

⁽٥) في الكتيبة: الشخصك.

⁽٧) في الأصل: «آياتها» وهكذا ينكسر الوزن.

 ⁽٨) في الأصل: «ولِذُلُهم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

⁽٩) في الكتيبة: الطّفه.

⁽١١) في الكتيبة: النسباء.

⁽١٣) رواية البيت في الكتية هي:

محض الفناء وحبكم ولهان

تقريبكم عَيْنُ البقاءِ ويُعدكم

إني كتنمت عن الأنام هواكم ووَشَتْ بحالي عند ذاك (١) مدامع ورَسَدَ علي شمائل عُذرية وبَدت علي شمائل عُذرية فإذا نَطَقت فذِكرُكم لي مُنطِق وإذا صَمَت فأنتم سِرِي الذي فيباطني وبظاهري لكم هوى وجوانحي (٣) وجميع أنفاسي وما وإليكم مني المفر فقضدكم

حتى دُهِيتُ وخانني الكتمانُ ادنى مواقع قَطْرِها طوفانُ تَقْضي بأني فِيكُمُ هَيْمانُ تَقْضي بأني فِيكُمُ هَيْمانُ ما عن (٢) مواكم لِلسان بيانُ بيانُ بين الجَوَانح في الفُوَاد يُصانُ من جُـنده الإسرارُ والإغلانُ من جُـنده الإسرارُ والإغلانُ الحوي، عَليُ لحبّكم اعوانُ حَرَمٌ به للخائفيين أمان

وقال يذُمُّ الدنيا ويمدح عُقْبي مَن يُقلِّل منها: [الطويل]

حديث الأمان في الحياة شجون يميل إليها جاهل بغرورها وذو الحَزْم يَنْبو عن حِجاه فحالها إليك صريع الأمن سَنْحَة ناصلح تجاف عن الدُنيا ودِنْ باطُراجها وترفيعها خَفْضُ وتَنْعِيمها آذَى وترفيعها خَفْضُ وتَنْعِيمها آذَى يروقُك منها مَطمَعُ من وفائها وتَنْمنَحُكَ الإقبال كفَّة حابل ومَن تَصْطَفيه وهو يُقْطِعُك الهوى ومَن تَصْطَفيه وهو يُقْطِعُك الهول الدنيا فلا تَعْتَرِز بها يعممُ رُالله إلى المناها ا

إنّ أرضاك شأنّ اخفَظَنْكَ شُؤونُ فيمِنْه اشتياقٌ نحوها وأنينُ يَقِيه إذا شَكَّ عَراه يَقِيهِنُ عِلَى نُضِجه سيما الشّفيق تَبِينُ فيمَرْكَبُها بالمُطْمعين حَرُونُ فيمَرْكَبُها بالمُطْمعين حَرُونُ فيلا تَرْجُ برًّا باليَمِينِ يَمينُ وَسَرْعان ما إثر الوفاء تَحُونُ ومِنْ مَكْرِها في طَيِّ ذاك كَمِينُ لمَنْ أَنْتَ بالبَغْضَاء فيه قَمِينُ (٤) ورُودُ الدَّواهي بالخضاء فيه قَمِينُ ورُودُ الدَّواهي بالخداع تَدينُ ولُودُ الدَّواهي بالخداع تَدينُ ويُلْحَقُ فيها بالكِناسِ عَرِينُ ويُلْحَقُ فيها بالكِناسِ عَرِينُ وينَ مَكْرِها لَمُ عَدرَها ومَصُونُ ويَلْحَقُ فيها الصَّخر كيف يَلِينُ ويَلْمَنُ مُنَالًا عَدرَها ومَصُونُ ويَلْمَنُ مُنَالًا عَدرَها ومَصُونُ ويَلِينُ الصَّخر كيف يَلِينُ لَيْكُونُ عَنْ الصَّخر كيف يَلِينُ لَينُ الصَّخر كيف يَلِينُ الصَّخر كيف يَلِينُ

⁽١) في الكتيبة: (في الغرام) بدل: (عند ذاك). (٢) في الكتيبة: (لي).

⁽٣) في الكتيبة: ﴿وجوارحي﴾.

⁽٤) القمين: الخليق، الجدير: محيط المحيط (قمن).

فلا مَلِكُ سَام أقالت عِشاره ولا معهد إلا وقد نُبَهَت به أبيتُ لنفسى أن يُدَنِّسُها الكَرَى فليس قُريرُ العَيْن فيها سوى امرىءٍ أبيتَ طَلَاقَ الجِرْص فالزُّهْد دائبًا إذا أَفْبَلَتْ لم يُولِها بشرَ شيئق وإن أَذْبَرَتْ لَم يَلْتَفْتُ نَحُوهَا بِهَا خفيفُ المَطا من حَمْل أثقال هَمُها على حفظه للفَقر أبهي ملاءة برَّجْف تخال الخاتِفين منازلٌ منازل ننجد عندها وتهامة يَسرُودُ رِيساضًا أيسن سار وورْدُه فهذا أثيلُ المُلْك لا مُلْكُ ثائر وهذا عريضُ العِزُّ لا عزُّ مُتَّرفِ حَوَتْ شَخْصه أوْصافها فكأنَّه فيا خابطًا عَشُواء والصُّبْح قد بَدَا أَفِقُ مِن كَرَى هِذَا التَّعامِي وَلا تُضِعُ إذا كان عُقْبي ذي جِدَّة إلى بلَّي فَفِيمَ التفاني والتنافُس ضِلَّة؟ إلى الله أشكوها نُفُوسًا عَمِيّةً وأسأله الرجعي إلى أمره الذي فلا خَيْرَ إِلَّا مِن لَدُنْهِ وجُودُه

ولو أنه لِلْهُ رقدين خدين بَعيدَ الكرى للثاكِلات جُفُونُ سكون إليها موبق ورُكُونُ قَـلَاه لـهـا رأي يـراه ودِيـنُ خليل له مُستَضحَب وقرين ولا خَفُ لِلإِقبال منه رَزينُ وأدُ(١) على ما لم تواتِ حزينُ إذا ما شَكَتْ يْقَل الهُمُوم متُونُ سننا خليها وشط الزري يدين لهنّ مكان حيث خل مُكِينُ سوی واستوی هند لدیه وصین زُلالٌ اعتاض الورود معين الأعبدائية حرب عليه زُبُونُ له من مَشِيداتِ القُصُورِ سُجُونَ وإن لم يَمُتُ فوق التُراب دَفِينُ إلامَ تُغَطِّي ناظِرَيك دُجُونُ؟ بجهلك علق العُمر فهو تمينُ وقُصارى ذي الحياة مَنُونُ وفِيمَ التَّلاحي والخِصامُ يَكُونُ؟ عن الرُّشد والحقّ اليقين تَبِينُ بتوفيقه خَبْلُ الرَّجاء متينُ لتيسير أسباب النجاة ضمين

وجمعتُ (٢) ديوان شعره أيّام مقامي بمالقة عند توجُهي صُخبة الرِّكاب السلطاني إلى إصراخ الخَضْراء عام أربعة وأربعين وسبعمائة؛ وقدّمْتُ صدْرَه خطبة، وسمّيت الجزء بـ «الدُّرَر الفاخرة، واللُّجَج الزاخرة»، وطلبتُ منه أن يُجيزني، وولدي عبد الله، رواية ذلك عنه، فكتب بخطّه الرائق بظهر المجموع ما نصّه:

⁽١) في الأصل: قوادٍه وهكذا ينكسر الوزن.

⁽۲) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٧٧).

"الحمد لله مستحقّ الحمد؛ أجَبْتُ سؤال الفقيه، الأجَلّ، الأفضل، السّري، الماجد، الأوْحَد، الأخفل، الأديب البارع، الطَّالع في أفق المعرفة والنَّباهة، والرُّفعة المَكينة والوجاهة، بأبْهي المَطَالع، المُصنّف، الحافظ، العلّامَة، الحائز في فَنِّي النظم والنثر، وأسلوبَيْ الكتابة والشُّعر، رُثْبة الرياسة(١)؛ الحامل لراية التقدُّم والإمامة؛ مُحلِّي جيد العصر بتواليفه (٢) الباهرة الرواء؛ ومُجَلِّي محاسن بنيه، الرائقة على منَصَّة الإشهاد(٣) والأنباء؛ أبي عبد الله بن الخطيب، وصَل الله سعادته ومَجادته (١٤)؛ وسَنى من الخير الأؤفر، والصنع الجميل^(ه) الأبهر، مُقْصِده وإرادته؛ وبلّغه في نجله الأسعد، وابنه الراقي بمحتده الفاضل، ومنشئيهِ الأطهر، مَحلَّ الفَرْقد، أفضلَ ما يُؤَمِّل نِحْلَتُه إياه في(٦) المَكْرُمات وإفادته؛ وأَجَزْتُ له ولابنه عبد الله المذكور، أبقاهما الله تعالى، في عِزَّةٍ سَنِيَّةِ الخِلال، وعافية ممتدَّة الأفياء، وارِفَة الظَّلال؛ روايةً جميع ما تقيّد في الأوراق، المُكْتَتَبِ على ظهر أوّل ورقة منها، من نَظْمي ونَثْري؛ وما تولّيتُ إنشاءه، واعتمدْتُ بالارتحالُ^(٧) والرواية، اختياره وانتِقاءَه، أيام عُمْري؛ وجميعَ ما ليَ من تضنيف وتُقييد، ومقطوعةٍ وقصيد(٨)، وجميع ما أخمِلُه عن أشياخي رضي الله عنهم، من العلوم، وفُنون المنثور والمنظوم؛ بأيّ وجه تأدّى (٩) إليّ، وصحّ حَمْلي له، وتُبَت إسنادُه لديُّ (١٠٠ إجازةً تامُّة، في ذلك كله عامَّة، على سَنَن الإجازات الشُّرعية(١١١)، وشرطها المأثور عند أهل الحديث المَرْعَيُّ، والله ينفعُني وإيَّاهما بالعلم وحَمْله، ويَنْظِمُنا جميعًا في سِلْك حِزْبه المُفْلحين(١٢) وأهله، ويُفيض علينا من أنوار بركته وفضله. قال ذلك وكُتّبه بخطّ يده الفانية، العَبْدُ الفقير إلى الغني (١٣) به، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان، ختم الله له بخير؛ حامدًا لله تعالى، ومُصَلَّيًا ومُسلمًا على محمد نبيُّه المصطفى الكريم، وعلى آله الطاهرين ذوي المَنْصِب العظيم، وصحبه (١٤) البَرَرة، أولي (١٥) المنصب والأثَرَة والتقديم؛ في سادس ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وسبعمائة، وحسبنا الله ونِغْمَ الوكيلُّ.

⁽٢) في النفح: ابتآليفه. (١) في النفح: ﴿الرياسة والإمامة؛.

⁽٤) في النفح: اسعادته، وحرس مجادته. (٣) في النفح: ﴿ الإشارة * .

⁽٦) في النفح: ١من٠. (٥) كلمة «الجميل؛ غير واردة في النفح.

⁽٧) في النفح: ابالارتجال.

⁽٨) في الأصل: (وقصيدة) والتصويب من النفح.

⁽٩) في الأصل: اتأتّى ذلك،

⁽١٠) في الأصل: الي. (١٢) في النقح: قالمقلحه. (١١) في النفح: ﴿الشَّرْعَيُّ .

⁽١٤) في النفح: ﴿وصحابته﴾. (١٣) في النفح: ﴿إِلَى اللهِ الغني،

⁽١٥) في النفح: ﴿أُولِي الأثرةُ .

واشتمل هذا الجزء الذي أذِنَ بحمله عنه من شعره على جملة من المُطَوِّلات، منها قصيدة يعارض بها الرئيس أبا عليّ بن سينا في قصيدته الشهيرة في النّفس التي مطلعها: ﴿هَبَطَت إليك من المحلِّ الأرْفَعِ»، أولها: ﴿أهلًا بمسراك المحب الموضع». وأول قصيدة: [الطويل]

لِمَغْنَاكُ في الأفهام سِرُّ مُكَثِّمٌ عليه وأول أخرى: [الكامل]

> أَذْهَى حبجابَك رؤيةُ الأغيار وأول أخرى: [الطويل]

ثناءُ وجودي في هواكُمْ هو الخُلْدُ ومطلع أخرى: [الطويل]

ألا في الهوى بالذُّلُ تُرْعى الوسائلُ ومطلع أخرى: [الطويل]

هُمُ القَصْدُ جادُوا بالرَّضى أو تَمَنَّعوا ومن أخرى: [البسيط]

سَقَى زمان (۲) الرّضا هام من السُّحُبِ ومن أخرى: [الكامل]

يا فوز نَفْسي في هواك هواؤها ومن أخرى: [الكامل]

أمَّا النغرامُ فبالفُواد غَرِيمُ هيه ومن شعره في المقطوعات قوله (٤): [الكامل]

رَشَقَ (٥) العِذارُ لُجَينَه بِنِبالَه

عليه نفوسُ العارفِين تَحُومُ

فامْحُ الدُّجَى بأشعَّةِ الأثوادِ

ومَحْوُ رُسُومي حُسن ذاتي به يَبْدو

ودَمْعي (١) أُنادي مجيبٌ وسائلُ

صَلُوا اللوم فيما أوْدَعوا القَلْبَ أودَعُوا

إللهي (٣) العَوْدُ مِن أثوابه القُشبِ

رقمت معانيها وراق مناؤها

هيهات منِّي ما العَذُولُ يَرُومُ

فغدا يَدُور (٢) على المُحبِّ الوالِهِ

⁽١) في الأصل: ﴿ودمعي أن أُنادي. . . ﴾ وهكذا ينكسر الوزن.

 ⁽٢) في الأصل: «زمن» وهكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «والله» وهكذا ينكسر الوزن.

⁽٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٣). (٥) في الكتيبة: ورشي،

⁽٦) في الكتيبة: ايرق.

خط العِذارُ بصفحتَيْه لامّه فحسِبْتُ أَنَّ جماله شمْسُ الضُّحى فحسِبْتُ أَنَّ جماله شمْسُ الضُّحى فَدَنا (۱) إلى تَعَجُبًا وأجابني إنّ الحِمالُ اللهُ آخرُهُ (۱) فَعُجُ

ومن أبياته في التَّوْرِية بالفُئُون قوله^(٣): [الوافر]

كَفَفْتُ عن الوصال طويلَ شَوْقي وكفُك للطويل⁽¹⁾ قَدَثْكَ نَفْسي

وقال في التَّوْرية بالغَرُوض (٣): [الكامل]

يا كاملًا شَوْقي إليه وافِرُ عاملتَ أنبابي لديك (٥) بقَطْعِها (٢) عاملتَ أنبابي لديك (٥) بقَطْعِها (٣) وقال في التُورية بالعربية (٣): [الوافر]

أيا قسرًا مُطالعُه جَنَاني ألام أأضرفُ في هوالا عن اقتراحي (٩)

وقال أيضًا: [الرجز]

لا تَضْحَبَن يا صاحبي غير الوَفِي كم من خليل بِشْرُهُ زهرُ الرُبى ظاهره يُسرِسك سرّ مَن رأى ظاهره يُسرِسك سرّ مَن رأى

خطا توعده بمخو جمالهِ حُسنا وذاك الخط خط زوالهِ والروع يبدُو من خلال مقاله والروع يبدُو من خلال مقاله عن رسمه واندُن على أطلالهِ

إلىك وأنت للرُّوح الخليلُ قبيح ليسلُ قبيح ليس يرضاه الخليلُ

وبسيط خدّي في هواهُ عزيزُ والقَطْعُ في الأسباب ليس يَجُوزُ

وغُرُثُهُ تُوارى (٧) عن عِياني (٨) وسُهُدِي وانتِحابي عِلْتانِ؟

كلُّ امرى عُنوانه مَن يَضْطُفي وطيُّ ذاك البِشر حدُّ المُزهفِ وأنت من إعراضِه في أسَفِ

ووقعَت بينه وبين قاضي بَلَده أبي عمرو بن المَنْظُور مقاطعة، انبرى بها إلى مطالبته بما دعاه إلى التحوُّل مضطرًّا إلى غَرْناطة، وأُخِذَ بكَظَمه، وطَوَّقه الموت

⁽١) في الكتية: «فرنا».

⁽٢) في الأصل: "آخرُهُ اللام. . . ، ، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة .

⁽٣) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٢). (٤) في الكتيبة: «للوصال».

⁽٥) في الكتيبة: ﴿ إليك ٩.

⁽٦) في الأصل: «فقطعتها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

⁽٧) في الكتيبة: •توارث.

⁽٨) في الأصل: «عيان، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

⁽٩) في الكتيبة: «افتراقي».

في أثناء القطبعة، فقال في ذلك مُتَشَفَّيًا، وهو من نَبيه كلامه، وكله نَبيه: [الطويل]

تَردُى ابنُ منظودٍ وحُمَّ جِماهُ تسبرًا منه اوليهاءُ غُروره وأودِعَ بعد الأنسِ مُوجِشَ بَلْقَعِ ولا دِشُوةً يُدلي القبولُ رشادَها ولا دِشُوةً يُدلي القبولُ رشادَها ولا شاهدُ يُغضي له عن شهادةٍ ولا شاهدُ يُغضي له عن شهادةٍ ولا حَدَّعَةً تُجدي ولا مكرٌ نافعُ وللكنه حتى يُنصول وباطلُ وقالوا قضاء الموت حَثْمٌ على الورى فلا تَشْتَسِم ديحَ ارتباح لفَقْدِهِ فللا تَشْتَسِم ديحَ ارتباح لفَقْدِهِ فلكن تقدُمُ الأعادي إلى الرَّدى ولكن تقدُمُ الأعادي إلى الرَّدى وأمن ينام المرء في بُرُدِ ظِلَه وأمن ينام المرء في بُرُدِ ظِلَه وحَسْبيَ بيتَ قاله شاعِرُ مضى وإنَّ بسقاء المَمْرُءِ بَسغد عدُوّه وإنَّ بسقاء المَمْرُءِ بَسغد عدُوّه

وأسلمَهُ حام له ونصيرُ ولم يَقِهِ بَأْسَ المَنُون ظَهيرُ ولم يَقِهِ بَأْسَ المَنُون ظَهيرُ فنحيرُ ونَكيرُ فينسخَ بالسّير المُريح عسيرُ فينسخَ للها إفلَّ يُسصاغُ وزُورُ تَسخللها إفلَّ يُسصاغُ وزُورُ تَسخولُ ومَنْوَى جَنْةِ وسَجيرُ يَخُولُ ومَنْوى جَنْةِ وسَجيرُ يَخِيرُ كاسَه وكبيرُ يُدِيرُ صغيرٌ كاسَه وكبيرُ يُدِيرُ صغيرٌ كاسَه وكبيرُ فائك عن قصد السّبِيل تحورُ فإنَّ العِباد يَسصِيرُ وكان وكبيرُ وكان عن قصد السّبِيل تحورُ فورُ القلبَ منه سرُورُ ولا حَينَةَ للجِعدُ القلبَ منه سرُورُ ولا حَينَةَ للجِعدُ العَليمِين يَسِيرُ فلورُ عَدا منلا في العالمِين يَسِيرُ ولَوْ سَاعةً من عُمره لَكثِيرُ

مولله: قال بعض شيوخنا: سألتُه عن مولده فقال لي: في آخر خمسة وتسعين وستمائة، أظنّ في ذي قعدة منه الشكّ.

وفاته: بمالقَة في آخر جُمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة.

أحمد بن أيوب اللمائي (١)

من أهل مالقة، يُكنى أبا جعفر.

⁽۱) في الأصل: «اللماي» والتصويب من المصادر. واللمائي: نسبة إلى لماية من أقاليم كورة رية بالأندلس، الروض المعطار (ص ٥١١). وجعلها ياقوت مدينة أعمال ألمرية. معجم البلدان (ج ٥ ص ٢٢)، وقال ابن سعيد: إن مدينة لماية حصن من حصون مالقة. المغرب (ج ١ ص ٤٤٦). وهي كذلك في تقويم البلدان لأبي الفدا (ص ١٧٥). وترجمة أحمد بن أيوب في جذوة المقتبس (ص ٣٩٤)، والذخيرة (ق ١ ص ٢١٧)، وجذوة المقتبس (ص ٣٩٤)، وبغية الملتمس (ص ٣٩٤)، والمغرب (ج ١ ص ٤٤٦)، والذيل والتكملة (القسم الأول ص ٣٧)، =

حاله: قال صاحب الذّيل (1): كان أديبًا ماهرًا، وشاعرًا (٢) جليلًا، وكاتبًا نبيلًا (٣). كتب عن أوّل الخلفاء الهاشميين بالأندلس، علي (٤) بن حَمُّود، ثم عن غيره من أهل بيته؛ وتولّى تدبير أمرهم (٥)، فحاز لذلك صيتًا شهيرًا، وجلالة عظيمة. وذكره ابن بسّام في كتاب «الذّخيرة»، فقال (٢): كان أبو جَعْفر هذا في (٧) وقته أحد أيمة الكُتّاب، وشُهُب الآداب (٨)، مِمَّن شُخُرَتُ له فنون البيان، تسخيرَ الجِن لسليمان، وتصرّف في محاسن الكلام، تَصَرّف الرياح بالغمام، طَلَعَ من ثناياه، واقْتَعَد مَطاياه؛ وله إنشاءات سَرِيَّة، في الدولة الحمُّودية، إذ كان عَلَم أدبائها، والمُضطلع بأعبائها، إلّا أني لم أجد عند تحريري هذه النسخة، من كلامه، إلّا بعض فصول له (٩) من منثور، وهي ثِمادٌ من بُحور.

فصل: من (١١) رِقْعة خاطب بها أبا جعفر بن العباس: الحُصْنُ ذِكْرك عندي ناضِرٌ، وروضُ شُكُرك لديٌ عاطِرٌ، وريحُ إخلاصي لك صَبّا، وزمان (١١) آمالي فيك صِبّا، فأنا شاربٌ ماء إخائك، متَفيِّيءٌ ظِلَّ (١٢) وفائك؛ جانِ منك ثمرة فرع طابَ أَكُلُه، وأجناني البِرِّ قديمًا أصلُه، وسقاني إكرامًا بَرْقُه، ورواني إفضالاً وَدْقُه؛ وأنت الطَّالعُ في فِجاجه، السَّالكُ لمِنْهاجه؛ سَهُمٌ في كِنانَة الفَضْل صائبٌ، وكوكبٌ في سماء المجد ثاقبٌ، إنْ أثبُغتَ الأعداء نورَه أحرَقْ، وإن رَمَيْتَهم به أصاب الحَدَقْ؛ وعلى الحقيقة فلساني يَقْصُرُ عن جميلِ أُسِرُه (٢١)، ووصف وُدُّ أَصْمَهُ هَهُ.

ورایات المبرزین (ص ۲۳۱)، ومطمح الأنفس (ص ۲۰۹)، ونفح الطیب (ج ٤ ص ۱۷۲)،
 و(ج ٥ ص ۹۱، ۹۲، ۱۳۵، ۲۹۳). ولم یذکر أحد متن ترجم له من هؤلاء المذکورین أنه
 کان یتردد علی غرناطة إلا ابن الخطیب.

⁽١) الذيل والتكملة (ج ١ ص ٧٣).

⁽٢) قوله: اوشاعرًا جليلًا ساقط في الذيل والتكملة.

⁽٣) في الذيل والتكملة: ﴿كَاتُبًا جَلَيْلًاۗ ۗ.

⁽٤) في الذيل والتكملة: «الناصر لدين الله أبي الحسن على بن حمود...».

⁽٥) في الذيل والتكملة: «أمره، وأحرز لذلك......

⁽٦) الذخيرة (ق ١ ص ٦١٧). (٧) كلمة ففي، ساقطة في الذخيرة.

⁽٨) في الأصل: «الأدب، والتصويب من الذخيرة.

⁽٩) كلمة «له» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذخيرة.

⁽١٠) هذه الرقعة في الذخيرة (ق ١ ص ٦١٨). (١١) في الذخيرة: «وزمن».

⁽١٢) في الذخيرة: «ظلال».

١٣١) في الأصل: «أنشره» والتصويب من الذخيرة.

شعره: قال، ومما وجد بخطه لنفسه (١): [الكامل]

طَلَعَتْ طلائعُ (٢) للربيع فأطلَعَتْ في الرُّوض وَرْدًا قُبْلَ حِين أوانِهِ حَيًّا أميرَ المسلمين (٢) مُبَشِّرًا ومُؤمّلًا للنيل من إخسانِهِ ضَنْتُ سَحَائِبُهُ عليه بمائها(٤) فأتاه يَستَسقيه ماءً بَنانِهِ دامَتُ لنا أيّامُه مَوْصُولةً

بالعِزُ والتّمكين في سُلطانِهِ

قال: وأنشدني الأديب أبو بكر بن مَغن، قال: أنشدني أبو الربيع بن العَريف لَجَدُّه الكاتب أبي جعفر اللمائي، وامتُحن بداء النُّسَمة من أمراض الصُّدر، وأزْمَن به، نفعه الله، وأعياه علاجُه، بعد أن لم يَدَع فيه غاية، وفي ذلك يقول (٥): [الكامل]

لم يَبْقَ من شيء أعالجُها به (٦) طُمَعَ الحياةِ، وأين مَنْ لا يَطْمَعُ؟ «وإذا المنِيَّةُ أنشَبَتْ أظفارها الفَيْتَ كلُّ تَميمةِ لا تَنفَع»(٧)

ودخل عليه بعض أصحابه فيها، وجعل يُرَوِّح عليه فقال له بديهة (٨): [المنسرح]

رَوِّحَسْس عائِدي فعَلْتُ له: مَهْ (٩)، لا تنزذني على الذي أجدُ أما تسرى السنارُ وهي خامدة عند مُسوب الرياح تُتُقِدُ؟

ودخل غَرْناطة غير ما مرة، منها متردِّدًا بين أملاكه، وبين مَن بها من ملوك صَنْهاجة؛ قالوا: ولم تفارقه تلك الشَّكاية حتى كانت سبب وفاته.

وفاته: بمالَقَة عام خمسة وستين وأربعمائة. ونقل منها إلى حصن الوَرْد، وهو عند حصن مُنْتِ مَيُور إذ كان قد حصَّنه، واتَّخذه لنفسه ملجأ عند شدَّته، فدُفن به،

⁽١) الأبيات في الذخيرة (ق ١ ص ٦٢٢)، ونفح العليب (ج ٥ ص ٢٩٣).

⁽٣) في المصدرين: «المؤمنين». (٢) في الذخيرة: ﴿طُوالُعِ﴾.

⁽٤) في النفح: "بمانه".

⁽٥) البيتان في الذخيرة (ق ١ ص ٦٢٢)، والذيل والتكملة (ج ١ ص ٧٤).

⁽٦) في المصدرين: الم يبنّ شيء لم أعالجها. . ١٠.

⁽٧) البيت، كما جاء في الذيل والتكملة، لأبي ذؤيب خويلد بن خالد بن هذيل، وهو في ديوان الهذلين، دار الكتب المصرية (ج ١ ص ٣).

⁽٨) البيتان في الذخيرة (ق ١ ص ٦٢١)، والذيل والتكملة (ج ١ ص ٧٣ ـ ٧٤)، ونفح الطيب (ج ه ص ۱۳۵).

⁽٩) كلمة «مَهُ» ساتطة في الأصل، وقد أضفناها من الذخيرة والذيل. وفي النفح: ﴿ لاَ * مَكَانَ «مَهُ».

بعَهْدِ منه بذلك، وأمر أن يُكتب على قبره بهذه الأبيات (١١): [الطويل]

بَنَيْتُ ولم (٢) أَسْكُنْ وحَصَّنْتُ جَاهِدًا ولم يَكُ (٤) حظي غير ما أَنْتَ مُبْصِرٌ فيا زائرًا قَبْري أُوصِّيك جاهدًا فيا زائرًا قَبْري أُوصِّيك جاهدًا فلا (٥) تُحسِنَنْ بالدَّهْرِ ظنَّا فإنما

فلمّا أتى المَقْدورُ صيّره (٣) قَبْري بعَيْنك ما بين النّراع إلى الشّبر عليك بتَقُوى الله في السّر والجَهْرِ من الحَرْم ألّا يُسْتَنام (٢) إلى الدهر

أحمد بن محمد بن طَلْحة (٧)

من أهل جَزيرة شُقْر، يكني أبا جعفر، ويُعرف بابن جدُّه طلحة.

حاله: قال صاحبُ «القِدْح المُعَلَّى» (^): من بيت مشهور بجزيرة شُقْر من عمل بَلْنسِية، كتب عن وُلاة الأمر (٩) من بني عبد المؤمن، ثم اسْتَكْتَبه ابنُ هود (١٠)، حين تغلّب على الأندلس، وربما استَوْزَره (١١)، وهو ممّن كان والدي يُكثر مُجالسته، وبينهما مُزاورةٌ، ولم أستَفِد منه إلّا ما كنتُ أحفظُه من (١٢) مجالسته.

شعره: قال^(۱۳): سمعتُه يومًا^(۱۱) يقول، تُقيمون القيامة بحبيب^(۱۵)، والبُحتري، والمُتنبي، وفي عصركم مَن يهتدي إلى ما لم يهتد إليه المتقدّمون ولا المتأخّرون،

⁽١) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ١ ص ٧٤ ـ ٧٥).

⁽٢) في الذيل: افلم. (٣) في الذيل: اصيّرته.

⁽٤) في الأصل: ايكن، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل.

⁽٥) في الذيل: ٩ولا٩.

 ⁽۷) ترجمة ابن طلحة في القدح المعلى (ص ١١٤)، والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢٠٩)،
والمغرب (ج ٢ ص ٣٦٤)، والذيل والتكملة (ج ١ ص ٣٧٧)، والوافي بالوفيات (ج ٨ ص
(۲)، ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٧٤).

⁽٨) اختصار القُدّح المعلى (ص ١١٤). والنص ورد أيضًا في نفيح الطيب (ج ٤ ص ٢٧٤).

⁽٩) كلمة «الأمرة ساقطة في القدح المعلى ونفح الطيب.

⁽١٠) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود، مات مقتولًا سنة ٦٣٥ هـ. وقد تقدّم الحديث عنه في هذا الجزء في فصل الفيمن تداول هذه المدينة، وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

⁽١١) في القدح المعلى والنفح: «استوزره في بعض الأحيان».

⁽١٢) في نفح الطيب: «في».

⁽١٣)ما يزال النقل مستمرًا عن القدح المعلى (ص ١١٤ ـ ١١٥). وهو أيضًا في نفح الطيب (ج ٤ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٦).

⁽١٤) في القدح: "مرة يقول وهو في محفل. وفي النفح: "مرة وهو في محفل يقول".

⁽١٥) في النفع: ﴿الحبيب،

فانُبَرى إليه (۱) شخص له هِمَّة (۲) وإقدام، فقال (۳): يا أبا جعفر، أين (٤) بُرهان ذلك، فما أظنك تعني إلَّا نَفْسك (٥)، فقال (٦): ما أعني إلَّا نفسي، ولِمَ لا، وأنا الذي أقول (٧): [السريع]

يا هل ترى أَظْرَفَ (١٠) مِنْ يومنا قَلَدَ جِيدَ الأَفْقِ طَوْقَ الْعَقيقُ وَأَنْسَطَىقَ الْسُورَةَ الْمُوْقَ الْعَقيقُ وَأَنْسَطَىقَ الْسُورُقَ بِعِيدَانِها مُظْرِبَةً (٩) كُلُّ قَضِيبٍ وَرِيقُ وَأَنْسَطَىقَ الْسُورُقَ بِعِيدَانِها مُظْرِبَةً (٩) كُلُّ قَضِيبٍ وَرِيقُ والشَّفِيقُ والشَّفِيقُ لَا تَشْرِبُ خَمْرَ النَّدى في الرُّوْضِ إلَّا بكؤوسِ (١٠٠) الشَّقِيقُ

فلم يُنْصفوه في الاستحسان، وردُّوه في الغَيْظ (١١) كما كان، فقلت له: يا سيدي، هذا والله (١٢) السَّحْر الحلال، وما سمعتُ من شعراء عصرِنا مثله، فبالله إلَّا ما لازمْتَني وزِدْتَني من هذا النمط، فقال لي: لله ذَرُك، وذَرُّ أبيك مِنْ مُنْصف ابن مُنْصف. اسمع، وافتح أُذُنيك. ثم أنشد (١٣): [الوافر]

أَدِرُهَا فَالسَمَاءُ بَدَتْ عَرُوسًا وخَدُ الأرضِ^(١٤) خَفُرهُ^(١٥) أصيلُ وجيدُ الغُضن يُشْرِف (١٧) في لآلِ

مُضَمَّخَة الملابسِ بالغَوَالي وجَفُنُ (١٦) النَّهْرِ كُحُل بالظّلالِ تُضِيء بهنُ أَكْنَافُ اللَّيالي

فقلت: بالله أعدّ وزِدْ، فأعاد والارتياح قد ملاً (١٨١ عِظْفه، والتّيهُ قد رفع أنْفُه،

⁽١) في القدح: •ما لم يهتدوا إليه، فانبرى له. . .٠. وفي النفح: •ما لم يهتدوا إليه، فأهرى له».

⁽٢) في المصدرين: ﴿قِبَحَةُ اللهِ عَلَى القَدَحِ: ﴿وقَالَ اللهِ العَدَحِ: ﴿وقَالَ اللهِ المُعَلَّا اللهِ المُعَلِّا اللهِ المُل

 ⁽٤) في المصدرين: «فأرنا».
 (٥) في القدح: «وما أظنك إلا تعني نفسك».

 ⁽٦) في القدح: «قال».
 (٧) في القدح: «أقول ما لم يهتد إليه متقدم ولا يهتدي لمثله متأخر». ومثله في النفح مع فارق
 كلمة «يتنبه» مكان «يهتد». والأبيات أيضًا في المغرب (ج ٢ ص ٣٦٥).

⁽٨) في الأصل: «الظرف» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر الثلاثة.

⁽٩) في القدح: قمن فضّة ٥. وفي المغرب والنفح: قمُزقِصَة ٠٠.

⁽١٠) في الأصل: «بكأس» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر الثلاثة.

⁽١١) في القدح: والغيظ إلى أشدّ مما كانًّا. وفي النفح: والغيظ إلى أضيق مكانًا.

⁽١٢) في النفح: دهوه. (٦٣) الأبيات أيضًا في المغرب (ج ٢ ص ٣٦٥).

⁽١٤) في المصادر الثلاثة: ﴿الروضِ وهُو أَدُقُّ لُلسِّياقِ.

⁽١٥) في النفح: ﴿خَمُّرهُ ١٠ .

⁽١٦) في القدَّح: ﴿ وَجِثْمُ ۗ . والحقو: الكَشْح، ويريد: الشاطيء.

⁽١٧) في الأصل: (يشرق) والتصويب من المصادر الثلاثة.

⁽١٨) في النفح: «مَلَكَ،

ثم قال^(١): [السريع]

فقلت: ما على هذا مزيدٌ في الاستحسان (٢٦)، فعسى أن يكون المزيد في الإنشاد، فزاد ارتياحه وأنشد (٧٠): [الوافر]

ولمّا ماج بَحْرُ الليل بيني وبيسنكُم وقد جدَّدْتُ ذِكُرا أراد لِقاءكُمْ (^) إنسانُ عَيْسني فمذ له المنامُ عليه جِسْرا فقلت (٩): إيه زادك الله إخسانًا، فزاد (١٠): [الوافر]

ولـمّا أنْ رأى إنسانُ عَيْني بصَحْنِ الخَدُّ منه غريقَ ماءِ أقام له العذارُ عليه جِسْرًا كما مُذَّ الظلامُ على الضّياء

فقلت: فما تكرُّرُ^(۱۱) ويَطُول، فإنه مَمْلول، إلَّا ما أَوْرَدْتُه آنفًا، فإنه كنسيم الحياة، وما إن يُملّ، فبالله إلَّا ما زِدتني^(۱۲)، وتفضّلت عليٌ بالإعادة، فأعاد وأنشد: [الكامل]

هاتِ المُدامَ إذا رأيتَ شبيهها في الأَفْق با فَرْدًا بغيرِ شبيهِ فالصُّبُحُ قد ذَبَحَ الظلامَ بِنَصْله فَغَدَتْ حَمائِمُهُ تُخاصم فيه (١٣)

دخوله غرناطة: دخلها مع مخدومه المُتوكل على الله ابن هود وفي جُملته، إذ كان يصحبُه في حركاته، ويباشر معه الحرب، وجَرَت عليه الهزائم، وله في ذلك كلّه شعر.

⁽١) البيتان أيضًا في المغرب (ج ٢ ص ٣٦٥).

⁽٢) في الأصل: ﴿إذَا والتصويب من المصادر الثلاثة.

⁽٣) في المغرب: ﴿وحالُ . ﴿ وَحَالُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعَدَاعِ : ﴿مَنَهَا ۗ .

⁽٥) في المصادر الثلاثة: ﴿شِبُّهُ . (٦) في القدح: ﴿الإحسانِ .

⁽٧) البيتان أيضًا في المغرب (ج ٢ ص ٣٦٥).

⁽٨) في الأصل: «لقاكم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر الثلاثة.

⁽٩) في القدح: «فقلت له». (١٠) البيتان أيضًا في المغرب (ج ٢ ص ٣٦٥).

⁽١١) في القدح: «يكرُّر».

⁽١٢) في القدّح المعلى: ﴿إِلَّا تَفْضَلَتُ بِالْإِعَادَةُ وَالزّيَادَةُ. فَأَعَادُ ثُمّ قَالَ: وهذَا حسبك لئلا تكثر المعاني عليك فلا تقوم بحقّ فهمها وإنصافها. ثم أنشد إذ ذاك.

⁽١٣) في القدح والنفح: «فغدت تخاصمُه الحماثمُ فيه».

محنته: قالوا(۱): لم يقنع بما أجرى عليه أبو العباس الينشتي(۲) من الإحسان، فكان يُوغِرُ صدْره من الكلام فيه، فذكروا أن الينشتي قال يومًا في مجلسه: رميتُ يومًا بسَهْم من كذا، فبلغ إلى كذا؛ فقال ابن طَلْحة لشخص كان إلى جانبه: والله لو كان قرس قُرْح؛ فشَعَر أبو العباس إلى قوله ما يُشبه ذلك، واستَدْعى الشخص، وعزم عليه، فأخبره بقوله، فأسرَها في نفسه، إلى أن قوى الحقد عليه، من ما بلغه عنه من قوله يهجوه: [الوافر]

سمغنا بالمُوَفِّق فارتَحَلْنا ورُمْتُ يَدَا أُقبِّلُها وأُخرى فأنشَدَنا لسانُ الحال عنه (٣)

وشافِعُنا له حَسَبُ وعِلْمُ اعْدَا واسْمُو اعْدَشُ بفضلها أبدًا واسْمُو يَدُ شَادٌ وأمْرُ لا يَرْسِمُ

فزادت مَوْجِدتُه (٤) عليه، وراعى أمره إلى أن بَلغتُه أبياتٌ قالها في شهر رمضان،

وهو على حال الاستهتار: [الوافر]

يقول أخو الفُضُول وقد رآنا أَتُنْتَهِكُونَ (١) شهر الصَّوْم هلًا فقلتُ اصْحُبْ سوانا، نحن (٧) قومُ نَدينُ بكل دينٍ غيرٍ دين الرَّفَحَيُّ على الصَّبُوحِ (٨) الدَّهْرَ ندعو أيا (١٠) شَهْر الصيام إليك عَنَا أيا (١٠) شَهْر الصيام إليك عَنَا

على الإيمان يَغُلبُنا المُجُونُ (٥) خماه منكُمُ عَقْلُ ودِينُ؟ زنادِقَةُ منذاهِبُنا فُنُونُ زعاعِ فما به أبدًا ندينُ وإبليسُ يقول لنا أمين (٩) إليكَ (١١) ففيك أَكْفَرُ مَا نكُونُ

 ⁽۱) ما يزال النقل عن اختصار القدح المعلى (ص ۱۱۱ ـ ۱۱۷)، وهو أيضًا في نفح الطيب (ج ٤
 ص ۲۷۲ ـ ۲۷۷)، ولكن النص فيه بعض التغيير عمّا هنا.

 ⁽۲) كان أبو العباس الينشتي، كما في اختصار القدح، واليًا على سبتة. وفي الذيل والتكملة (ج ۱ ص ۳۸۱): هو أمير سبتة الموفق بالله أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل مبارك المعروف باليناشتي. والينشتي: نسبة إلى حصن ينشتة، أحد حصون الأندلس.

⁽٣) في نفح الطيب: دفيه،

⁽٤) في القدح: •فزاد ذلك في حنقه. وفي النفح: •فزاد في حنقه.

⁽٥) في الأصل: "بُلِّغْنَا الحَجُونَ، والتصويب من المصدرين.

⁽٦) في الأصل: «أنشكو» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

⁽٧) في الأصل: وفنحن، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

 ⁽٨) في الأصل: «فنحن على صفوح الدهر...» وهو لا معنى له، والتصويب من المصدرين، ولكن جاء في النفح: «بحيً» مكان «فحيً». والصبوح: خمرة الصباح.

⁽٩) في الأصل: «آمين؛ وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

⁽١٠) في المصدرين: ﴿فيا ٩.

⁽١١) كلمة ﴿ إليك ماقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.

قال: فأرسل إليه مَن هجم عليه، وهو على هذا^(١) الحال، وأظْهَر إرضاء العامّة بقَتْله، وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة (٢). ولا خفاء أنه من صُدور الأندلس، وأشدّهم عثورًا على المعاني الغريبة المخترعة، رحمه الله.

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد الحمد ابن خاتِمة الأنصاري

من أهل الْمَرِيَّة، يكنى أبا جعفر، ويُعرَف بابن خاتمة (٣).

حاله: هذا (٤) الرجل صدر يُشار إليه، طالبٌ مُتفنَن، مُشارك، قوي الإدراك، سديد النَّظر، قوي الذهن، موفور الأدوات، كثير الاجتهاد، مَعين الطبع، جيّد القريحة، بارع الخط، مُمتع المجالسة، حسن الخُلُق، جميل العِشرة، حَسَنةً من حسنات الأندلس، وطَبَقةً في النظم والنثر، بعيد المَرْقى في درجة الاجتهاد، وأخذه بطرق الإحسان؛ عقد الشروط، وكتب عن الوُلاة ببَلَدِه، وقعد للإقراء ببلده، مشكور السيرة، حميد الطريقة، في ذلك كله.

وجَرَى ذِكره في كتاب «التَّاجِ» بما نصه (٥): «ناظمُ دُرَرِ الألفاظ، ومُقَلَّد جواهر الكلام نحُور الرُّواة ولَبَّاتِ الحُفَّاظ، والآداب (٦) التي أصبحت شوارِدُها حلم النائم وسَمَر الأيقاظ، وكم (٧) في بياض طِرُسها وسؤاد نِقْسها (٨) سخرُ الألحاظ (٩). رفع (١٠) في قطره راية هذا الشأن على وفور حَلْبَتَه، وقرع فنه البيان على سُمُو هَضْبته، وفَوَّق سَهْمه إلى بحر الإحسان، فأثبته في لَبَّته؛ فإن أطال شأنُ الأبطال، وكاثر المُنسَجم

⁽١) في المصدرين: «هذه».

 ⁽۲) كذا في النفح. وفي اختصار القدح: وإحدى وثمانين وستمائة وهو خطأ. وفي المقتضب من
 كتاب تحفة القادم: قُتل بسبتة سنة ٦٣٢ هـ. وفي الذيل والتكملة (ج ١ ص ٣٨١): قتل في
 أواخر ٦٣٢ هـ أو أوائل ٦٣٣ هـ.

⁽٣) ترجمة ابن خاتمة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٣٩)، ونثير فرائد الجمان (ص ٣٣١)، ونيل الابتهاج، طبعة فاس (ص ٥١)، ونفح الطيب (ج ٨ ص ١٧١)، ومواضع أخرى متفرقة. وانظر أيضًا مقدمة ديوان ابن خاتمة، بقلم محققه الدكتور محمد رضوان الداية، حيث ثبت بأسماء مصادر ومراجع الترجمة.

⁽٤) النص أورده المقري في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٧١) بتصرّف.

⁽٥) النص في الكتيبة الكامنة (ص ٢٣٩). (٦) في الكتيبة: «ذو الآداب».

⁽٧) في الكتية: ﴿وكمن ٩.

 ⁽٨) في الأصل: «مقسها» والتصويب من الكتيبة الكامنة. والنَّقْس: المداد. محيط المحيط (نقس).

⁽٩) في الكتيبة: االلحاظ،

⁽١٠) من هنا حتى قوله: «السباق جيادُها؛ غير وارد في الكتيبة الكامنة.

الهطّال؛ وإن أَوْجَز، فضح وأَعْجَز؛ فمن نَسيبٍ تَهيجُ به الأشواق، وتَضيق عن زفراتها الأطُواق؛ ودُعابةٍ تُقلّص ذيل الوقار، وتُزْري بأكواس العقار؛ إلى انتماء للمعارف، وجنوح إلى ظلّها الوارف؛ ولم تزل معارفُه ينْفَسح آمادُها، وتحوز خُصَل السباق جيادُها».

مشيخته: حسبما نَقَل بخطّه في ثَبتِ استدعاه منه مَن أخذ عنه؛ الشيخ الخطيب، الأستاذ مولى النعمة، على أهل طَبَقته بالمَرية، أبو الحسن على بن محمد بن أبي العَيْش المرّي؛ قرأ عليه ولازمه، وبه جلّ انتفاعه؛ والشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو إسحنق إبراهيم بن العاص التّنُوخي، وروى عن الراوية المُحَدِّث المُكثِر الرّحال، محمد بن جابر بن محمد بن حسّان الوادي آشي؛ وعن شيخنا أبي البركات ابن الحاج، سمع عليه الكثير، وأجازه إجازة عامّة؛ والشيخ الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيسي من أهل بلده؛ والقاضي أبو جعفر القرشي بن فَرْكون. وأخذ عن الوزير الحاج الزاهد، أبي القاسم محمد بن مالك. وقرأ على المُقْرىء أبي جعفر الأغر، وغيرهم.

كتابته: ممّا^(۱) خاطبني به بعد إلمام الرّكب (^{۲)} السلطاني ببلده، وأنا صحبته ^(۳)، ولقائه إياي، بما يَلْقى به مثلهُ من تأنيس ويز، وتودّد، وتردّد: [الكامل]

يا مَن حَصَلْتَ على الكمال بما رأت مزاى (٤) يروق وفي عِطافَيْ بُرْدِهِ أَشكو إليك من الزمان تَحَامُلًا هجم البعاد عليه ضَنا باللّقا فَلُو أَنْني ذو مَذْهَبِ لشفاعة

عينايَ منه من الجمال الرائع ما شئت من كرم ومَجْدِ بارعِ في فَضْ شَمْلِ لي بِقُربِكَ جامِعِ حتى تَقَلُصَ مثل بَرْقِ لامع ناديْتُهُ: يا مالِكي كُن شافعي⁽⁰⁾

شكواي إلى سيدي ومُعظَّمي؛ أقرّ الله تعالى بسنائه أعيُن المجد، وأدرٌ بثنائِه أَلْسُنَ الحمد! شكوى الظمآن (٢) صُدٌ عن القراح العذب لأول وروده، والهيمان رُدُّ عن استِرواح القُرْب لمُغضِل صدوده، من زمانٍ هجم عليٌ بإنعاده (٧)، على حين

⁽۱) النص نثرًا وشعرًا في ديوان ابن خاتمة (ص ۱۹۸) ونفح الطيب (ج ۸ ص ۱۷۱ ـ ۱۷۳).

 ⁽٢) في ديوان أبن خاتمة والنفح: «الركاب».
 (٣) في ديوان أبن خاتمة والنفح: «الركاب».

⁽٤) في الديوان والنفح: "قُمُرٌ".

⁽٥) في الديران والنفح:: قيا شافعي. وفي هذا البيت تورية ظاهرة.

 ⁽٦) في الديوان والنفع: ﴿ فَلَمْآنِ ٩.
 (٧) في الأصل: ﴿ بعاده ٩ والتصويب من النفع .

إسعاده (١١)، ودَهَمني بفراقه غَبُّ إنارة أَفُقى به وإشراقه؛ ثم لم يَكُفِه ما اجْتَرم في ترويع خياله الزاهر، حتى حرم عن تشييع كماله الباهر، فَقُطع عن تَوْفية حقُّه، ومُنع من تادية مُسْتَحقّه، لا جَرَمَ أنه أَنِفَ لشعاع (٢) ذُكائه، من هذه المطالع النائية (٣) عن شريف الإنارة، وبُخِل بالإمتاع بذكائه، عن هذه المسامع النائية عن لطيف العبارة، فراجع أنظاره، واستَرْجع مُعارَه؛ وإلَّا فعهدي بغروب الشمس إلى الطُّلوع(٢٠)، وأنَّ البَذر ينصرف (٥٠ بين الاستقامة والرُجوع. فما بالُ هذا النّير الأسعد، غَرَبَ ثم لم يطلع من الغد، ما ذاك إلا لِعَدْوَى الأيام وعُذُوانها، وشأنها في تغطية إساءتها وجه إحسانها، وكما قيل: عادت هيف إلى أديانها؛ أستغفر الله أن لا يُعَدُّ ذلك من المُغْتَفَر في جانب ما أوليت (٢) من الأثر (٧)، التي أزرى العيان فيها بالأثر، وأربى الخُبْرُ على الخَبَر (٨)؛ فقد سُرِّتْ مُتَشَوِّفات الخواطر، وأقرَّتْ متَشَرِّفاتُ (٩) النواظر، بما جَلَتْ (١٠٠ من ذالكمُ الكمال الباهر، والجمال الناضر، الذي قيَّد خُطى الأبصار، عن التشوُّف والاستبصار؛ وأخذ بأزمَّة القلوب، عن سبيل كل مأمول ومرغوب؛ وأنّى للعين بالتحوّل عن كمال الزّين؟ أو للطّرف(١١١)، بالتحوّل(١٢١) عن خِلال الظّرْفِ؟ أو للسّمع من مُراد، بعد ذلك (١٣٠ الإصرار والإيراد، أو للقلب من مُراد، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم في خُلَل وأبراد؛ وهل هو إلّا الحُسنُ جُمعَ في نظام، والبَدْرُ طالَع التّمام، وأنوار الفضائل(١٤) ضمّها جنسُ اتفاقِ والتآم؛ فما تُرعى العين منه في غير مرعًى خصيب، ولا تستهدف الآذان (١٥) لغير سهم في حَدَق البلاغة مُصيب؛ ولا تطلعُ (١٦) النفسُ سوى مطلع له في الحُسْن والإحُسان أوفرُ تصيب. لقد أزرى بناظم حُلاه فيما تعاطاه (١٧) التقصير، وانفسح من أعلاه بكل باع قَصِير، وسَفُهَ حلمُ القائل: إنَّ الإنسان عالَمٌ صغير، شكرًا للدهر على يد أسداها بقلب مزاره، وتُخفة ثناء (١٨) أهداها بنمطلع أنواره، على تَغاليه في

⁽١) في الأصل: االنفادة؛ والتصويب من النفح.

⁽٢) في الأصل: اشارع، والتصويب من النفح. والذكاء، بضم الذال: الشمس.

 ⁽٣) في الأصل: «النافية» والتصويب من النفح. (٤) في الأصل: ٥ طلوع»، والتصويب من النفح.

⁽٥) في النفح: اليتصرف. (٦) في النفح: الولت.

⁽٧) الأَثْرُ: جمع أثرة وهي المكرمة المتوارثة، لسان العرب (أثر).

⁽٨) أربى الخُبْر على الخُبُر: أي زادت الخبرة على الخبر.

⁽٩) في النفح: «مستشرفات». ﴿ ٩) في النفح: «حَوَثُ».

⁽١١) في النفح: "أو الطرف". (١٢) في النفح: "بالتنقل".

⁽١٣) في النفح: •ذلكم الإصدار الأدبي والإيراد». (١٤) في النفح: •الفضل».

⁽١٥) في النفح: «الأذن بغير سهم». (١٦) في النفح: «ولا تستطلع».

⁽١٧) في النفح: اليتعاطاه. (١٨) كلمة اثناء، غير واردة في النفح.

ادّخار(۱) نفائسه، وبُخله بنفائس ادّخاره؛ ولا(۲) غَزو أن يضيق عنّا نطاق الذّكر، ولمّا يتّسعُ لنا سوار الشكر؛ فقد عُمّت هذه الأقطار بما شاءت من تَخفِ، بين تُخفِ وكرامة، واجتَنَتُ أهلها ثمرة الرخلة في ظلّ الإقامة، وجرى الأمرُ في ذلك مَجْرى الكرامة. ألا وإنّ مُفاتحتي لسيدي ومُعَظّمي، حرس الله تعالى مَجْدَه، وضاعف سَعْدَه! فاتحة مَنْ ظَفِر من الدهر بمطلوبه، وجرى له القَدَرُ على وفق مَزغُوبه؛ فشرع له إلى أمله(۲) بابّا، ورفع له من خجله جلبابّا، فهو يَكْلَفُ بالاقتحام، ويَأْنفُ من الإحجام، غير أنّ الحَصْر عن دَرَج قَصْده يقيّده، فهو (٤) يُقْدِم والبصرُ يُبَهْرج نقده فَيُقْعِده؛ فهو يُقدّم رجلًا ويؤخر أخرى، ويجدّد عَزْمًا ثم لا يَتَحَرّى؛ فإن أبطأ خِطابي فَلُواضحٌ يُقدّم رجلًا ويؤخر أخرى، ويجدّد عَزْمًا ثم لا يَتَحَرّى؛ فإن أبطأ خِطابي فَلُواضحٌ الاعتذار (٥)، ومثلُكُم لا يقبل حياة الأعذار؛ والله عزّ وجلّ يَصل إليكم عوائد الإسعاد والإسعاف، ويحفظ لكم (١) ما للمَجْد من جوانبٍ وأكناف، إن شاء الله تعالى. كتب(٧) في العاشر من ربيع الأول عام ثمانية وأربعين وسبعمائة.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة غير ما مرّة، منها في استدعاء شمال الخواص من أهل الأقطار الأندلسية، عند إعذار الأمراء في الدولة اليُوسُفيّة (٨)، في شهر شعبان من عام أحد وخمسين وسبعمائة.

شعره: كان مُجَلِّيًا، وأنشد في حَلِبة الشعراء قصيدة أولها^(٩): [الكامل] أَجِنانُ خُلْدٍ زُخْرِفَتُ أم مَضنَعُ؟ والعِيدُ عاوَدَ أم صَنيعٌ يُضنَعُ؟ والعِيدُ عاوَدَ أم صَنيعٌ يُضنَعُ؟ ومن شعره (١٠٠): [الكامل]

مَن لم يُشاهِدُ مَوْفِفًا لِفراقِ إِن كنتَ لم تَرَهُ فسائِلُ مَنْ دأى مِنْ حَرُ انفاسِ وخَفْقِ جَوانح

لم يَذر كيف تَوَلَّهُ العُشَاقِ يُخبِرُكَ عن وَلَهي وهَوْلِ سياقي (١١) وصُدوع أكباد وفيض مآقي

⁽١) في النفح: «ادخاره». ﴿ لا غرو».

⁽٣) في النفح: «أهله».

⁽٤) في النفع: «يقيّده، والبصر يُبَهْرج نقده فيقعده، فهو يُقَدُّمُ رِجُلًا. ١٠.

⁽٥) في النفح: «الأعذار، ومثلكم مَنْ قبل جليات الأقدار، والله سبحانه يصل لكم عوائلا.

⁽٦) في النفح: (بكم). (٧) في النفح: (وكتب في عاشر ربيع،٠٠٠.

 ⁽٨) أي دولة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل (٧٣٣ ـ ٧٥٥ هـ).
 وترجمته في اللمحة البدرية (ص ١٠٢).

⁽٩) البيت في ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي (ص ١٩٩).

⁽١٠) القصيدة في ديوان ابن خاتمة (ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣) والكتيبة الكامنة (ص ٢٤٠ ـ ٢٤١).

⁽١١) في الأصل: قسياق، والتصويب من المصدرين.

دُهي الفؤادُ فلا لسانٌ ناطِقٌ ولقد أشير لِمَنْ تَكَلُّفَ رَحْلَةً عَلَى أَرَاجِعُ مِنْ ذَمَاي حُشَاشَةً فَمضَى ولم تَعْطِفْه نحويَ ذِمَّةٌ يا صاحِبيٌّ وقد مَضي حُكُمُ النُّوَى (٤) واستَقْبِلا بي (٧) نَسْمَةً من (٨) أرضكم إنى لَيَشْفيني النّسيمُ إذا سرى مَنْ مُبِلغٌ بِالبِحِزعِ أهل مُوَدِّتي ولئن تحوَّل عَهْدُ قُرْبِهِمُ (٩) نَوَى أنِفَتْ خلائقي الكِرامُ لِخُلْتي قسمًا به ما استغرقتني فِكُرَةً لى آهة (١٢) عند العَشِيُّ لعله أبكى إذا هَبُّ النسيمُ فإنْ تُجِدُ أومى بتسليم (١٣) إليه معَ الصّبا مَنْ لي وقد شحط(١٤) المزار بنازح إن غاب عن عَيْني فَمَثُواه الحَشا جازت علي يَدُ النّوى بفراقه أخبابَ قلبي هل لماضِي عَيْشِنا(١٦)

عند الوداع ولا يَلدُ (١) مُترَاق أَنْ عُبِجُ عَلَى ولو بِقَدْدٍ فُواقِ (٢) أشكر بها بعض الذي أنا لاق هيهات! لا بُقيا(٣) على مُشتاق روحا على بشيمة (٥) العُشَاق (٦) فلعل نفحتها تنحل وثاقى مُتَضَوّعًا من تلكُمُ الآفاق أنى على حُكم الصبابة باق؟ ما حُلْتُ عن عَهْدي ولا(١٠) ميثاقي نَسَبًا إلى الإخلاق والإخراق(١١) إلا وفِخري فيه واستغراقي يُضغى لها، وكذا مع الإشراق بَلَلًا بِهِ فَبِدَمْعِيَ المُهْرَاقِ فالذُّكُرُ كُتبي والرفاقُ رفاقي أدنى لقلبي مِنْ جَوَى أشواقي فسراه (١٥) بين القَلْب والأخداق آمًا لما جَنَتِ النّوى بفراق رَدُّ فَيُنْسَخَ بُغَدُكُمْ بِتِلاقِ؟

⁽١) في الأصل: ﴿طايع، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

 ⁽٢) الفُواق: ما بين الحلبتين من الوقت، أو ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع. محيط المحيط (فوق).

 ⁽٣) في الديوان والكتيبة: ﴿ لا يُثني،
 (٤) في المصدرين: «الهوى».

⁽٥) في الأصل: «بمشيمة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

⁽٦) في المصدرين: «الإشفاق». (٧) في المصدرين: «واستقبلاها».

⁽٨) في الأصل: «عن» والتصويب من المصدرين.

⁽٩) في الديوان: ﴿ حُبُهُم ٩ . ﴿ ٩) في الديوان: ﴿ وعن ٩ .

⁽١١) في المصدرين: ﴿ إِلَى الْإِخْلَالَ وَالْإِخْلَاقَ، (١٢) في المصدرين: ﴿ لَي أَنَّهُ ۗ .

⁽١٣) في الأصل: «أوما ما تكتب. . ، * وهكذا ينكسر الوزنّ، والتصويب منّ المصدرين.

⁽١٤) في المصدرين: قمّن لي على شحط. . .٠٠ (١٥) في المصدرين: «وسراه».

⁽١٦) في الديوان: ﴿عيشكم،

أم هل الأنواب التجلّد راقع ما غاب كوكب حُسْنِكُمْ عن ناظري المع أخي أوز علي حديث لهم وإذا جَنَحْت لماء أو طَرَب فَمِن وإذا جَنَحْت لماء أو طَرَب فَمِن وَالصّبابة حَضْرتي (٢) فَلَيْلُهُ (٤) عني من لَحاني إنني فَلَيْلُهُ (٤) عني من لَحاني إنني

وقال (٥): [البسيط]

وقفت والرّخُبُ^(۱) قد زُمَّتْ ركائبُهُ وقد تَمايلَ نَحْوي للوَداعِ وهل أَضُمُ منه كما أهوى^(۹) لغير نوّى تهفو^(۱) فأَذْعَرُ خَوفًا من تقلصها^(۱) هل عند مَنْ قد دَعًا بالبَيْن مُقْلَتَه ^(۱) أَشَيعُ القَلْبَ من^(۱۲) رَغْم عليٌ وما أُري وُشاتيَ أتي لستُ مُقْتَقِرًا⁽¹⁾ الوجدُ طبع ^(۱۲) وسُلواني مُصانَعةً الوجدُ طبع ^(۱۲) وسُلواني مُصانَعةً وإنَّ السجديد إذا ما زِيدَ في خَلَقِ قَالًا السَّعَ مُعَلِيًّا في خَلَقِ قَالًا المنافِق مُصانَعةً وَإِنَّ السجديد إذا ما زِيدَ في خَلَقِ

إذ ليس مِنْ داءِ المحبّةِ راقِ الله وأمطرتِ الدّما آماقي كأسًا ذَكَتْ عَزفًا وطِيبَ مذاقِ كأسًا ذَكَتْ عَزفًا وطِيبَ مذاقِ دَمْعي الهَمُوع (١) وقلبيَ الخفّاقِ والدمعُ ساقِيتي (٣)، وأنت الساقي راضِ بسما لاقسيْتُه وألاقي

وللنفوس مَعَ النّوى (٧) تَقْطيعُ لراحلِ (٨) القَلْبِ صَدْرَ الرُّكُب توديعُ؟ ريحانةً في شَذَاها الطّيبُ مجموعُ إِنَّ الشّفيقَ بسوءِ الظنّ مَوْلوعُ أَنَّ البرّدى منه مرئيٌ ومَسْموعُ؟ بقاءُ جسمٍ له لِلْقلْبِ تَشْييعُ لِمَا جرى وصميمُ القلبِ مصروعُ لِما جرى وصميمُ القلبِ مصروعُ هيهاتِ يُشْكِلُ مصنوعُ ومَطْبوعُ ومَطْبوعُ (٢١) هيهاتِ يُشْكِلُ مصنوعُ ومَطْبوعُ ومَطْبوعُ تَبَيْنَ النّاسُ أَنَّ النَّوبَ مَرْقُوعُ النَّاسُ أَنَّ النَّوبَ مَرْقُوعُ النَّاسُ أَنَّ النَّوبَ مَرْقُوعُ المَا النَّاسُ أَنَّ النَّوبَ مَرْقُوعُ النَّاسُ أَنَّ النَّوبَ مَرْقُوعُ النَّاسُ أَنَّ النَّوبَ مَرْقُوعُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَا النَّاسُ أَنَّ النَّوبَ مَرْقُوعُ الْمَاسُ أَنَّ النَّوبَ مَرْقُوعُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْمُعْمِلُ اللْمُعْمِلُومُ اللَّهُ اللْمُعْمِلُومُ اللَّهُ اللْمُعْمِلُومُ اللَّهُ اللْمُعْمِلُومُ اللَّهُ اللْمُعْمِلُومُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعْمِلُومُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْم

⁽١) الهَمُوع: المنصبة؛ يقال: هَمَعَت العين إذا سال دمعها. لسان العرب (همع).

⁽٢) في الأصل: الخَضْرَتي؛ والتصويب من المصدرين.

⁽٣) في الأصل: اساقيني، والتصويب من المصدرين.

 ⁽٤) في المصدرين: الفَلْيَسْلُ ١.

⁽٥) القصيدة في ديوان ابن خاتمة (ص ١٩٩ ـ ٢٠٠) والكتيبة الكامنة (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢).

 ⁽٦) في المصدرين: ﴿والبَيْنُ ٩.
 (١) في المصدرين: ﴿مع الأنفاس ٩.

⁽٨) في الأصل: اللراحل، والتصويب من المصدرين.

⁽٩) في الأصل: فأهدى، والتصويب من المصدرين.

⁽١٠) في الأصل: ﴿يهفو﴾ والتصويب من المصدرين.

⁽١١) في المصدرين: اتَّقُصُّفهاا. (١٢) في المصدرين: امغلبة ١٠

⁽١٣) في الأصل: «عن» والتصويب من المصدرين.

⁽١٤) في المصدرين: «مكترنّا». (١٥) في المصدرين: اطبعي».

⁽١٦) في المصدرين: المطبوع ومصنوعه.

وقال أيضًا (١): [الكامل]

لولا حيائي من عيونِ النّرجِسِ ورَشَفْتُ من تُغر الأقاحةِ ريقَها وهَتَكُتُ أستارَ الوقار ولم أَبَلُ^(۲) ما لي وصَهْباءِ الدِّنانِ مُطارحًا شَتَانَ بيس مُظاهرٍ ومُخائلٍ مُخجَمْجِمٍ بالعَذْل باكرني به نَزُهْتُ سمعي عن سَفاهةِ نُطْقِهِ مُفَّفُتُ في العُشّاق يومًا إن أكن أعذولَ وَجُدي ليس عُشُّكِ فاذرُجي (٥) هل تُبْصِرُ الأشجارُ والأطيارُ والسنة وهو الييستي وكفي به ما ذاك من شَكْوٍ ولا لحَلالةِ (١) من شَكْوٍ ولا لحَلالةِ (١) من شَكْوٍ ولا لحَلالةِ (١) شَكْرًا لمَن بَراً الوجودَ بجُوده وسما بِساط الأرض فيه (٧) فمذه وسما بِساط الأرض فيه (٧) فمذه ورَشي بأنواع الممتحاسن هذه

لَلْشَمْتُ خَدُ الوَرْدِ بِينِ السُّنَدُسِ وَضَمَمْتُ أعطافَ العُصونِ المُبْسِ للباقلا (٣) تلحظ بطرفِ أشوَسِ سَجْعَ القِيانِ مُكاشِفًا وَجْهَ المُسي شوب الحِجا ومُطهّرٍ ومُدَنَّس ثوب الحِجا ومُطهّرٍ ومُدَنَّس والطيرُ أفصَحُ مُسْعدِ بِتأنَّسِ وأَعَرْتُه صَوْتًا رَحْيمَ المَلْمُسِ وأَعَرْتُه صَوْتًا رَحْيمَ الأَخْرس (٤) ونصيحَ رُشْدي بانَ نُصْحُكَ فَاجُلِسِ أَزِهارُ وَسَعَى الفصيحَ الأَخْرس (٤) أَنْها لَهُ المُعْلِسِ الحَيْقِ مُسَبِّحٍ ومُقَدِّسِ فَقَنَى إليه الحَلُ وَجْهَ المُفْلِسِ فَعَدْسِ فَقَنَى إليه الحَلُ وَجْهَ المُفْلِسِ فَدَّى بِيرُهُ الأَرْضِ أَوْثَرَ مَجُلْسِ وَدَحًا بِسِيطَ (٨) الأَرْضِ أَوْثَرَ مَجُلْسِ وأَنَازَ هَذِي بِالجَوارِي (٩) الحُئُسِ وأَنَازَ هَذِي بِالجَوارِي (٩) الحُئُسِ

⁽١) القصيدة في ديوان ابن خاتمة (ص ١٩٣ ـ ١٩٦).

⁽٢) أي لم أبال.

⁽٣) في الأصل: اللباقلام، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

⁽٤) في الديوان: قالذي يدع الفصيح لأخرسه.

 ⁽٥) أُخذه من المثل: اليس هذا بِعُشَك فادْرُجي، أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حقَّ فَدَعيه؛
 يقال تَرْجَ: أي مشى ومضى، يضرب لمن يَرْفَعُ نَفْسَه فوق قَدْره، مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٨١).

⁽٦) في الديوان: قمن سُكُر ولا لخلاعةٍ،

 ⁽٧) كلّمة «فيه» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى. ورواية صدر البيت في الديوان هي:

رفع السسما سَفْهَا يَسرُوقُ رُوارُه

 ⁽٨) دحا الأرض: بسطها، وفي عجز البيت إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَالِكَ دَحَنْهَا ﴿ إِنَّى ﴾ سورة النازعات ٧٩، الآية ٣٠.

⁽٩) في الأصل: «بالجوار» والتصويب من الديوان.

وأذرُ أخلاف (١) العَطاءِ تَطُولًا حتى إذا انتظم الوجود بنسبة واستخمَلَتْ كل النُّهُوس كمالها سأجل هاد للخلائق مُرشد بالمصطفى المهدي إلينا رخمة نِعَمٌ يَضيق الوَضفُ عن إحصائها إيه فَحَدُّثنى حديثَ هُواهُمُ إن كنتُ قد أَحْسَنْتُ نَعْتَ جَمالِهِم ما إن دَعَوْكَ بِبُلْبُل إلَّا لِما سُبْحانَ مَن صَدَع الجميعُ بحَمْده وامتدُّتِ الأطلالُ ساجدةً له فإذا تراجعت الطيور وزايلت فيقولُ ذا: سَكِرَتْ لنعْمةِ مُنْشِدٍ كلُّ يُنفُوهُ بقوله (٨) والبَحَقُّ لا

وقال(١٠): [الكامل]

زارت على حَذر من الرُقباء تَصِلُ الدُّجي بسوادِ فَرْع فاحم فَوَشَى (۱۲) بها مِنْ وَجْهِهَا وَحُلِيُّهَا أملًا بزائرة على خَطَر السُرَى

وأنالَ فَضلًا مَن يُطِيعُ ومَن يُسِي وكساهُ تُوبَيْ نُورِهِ والحِنْدِس(٢) شفع العطايا بالعطاء الأنفس وأتلم نور للخلائق منقبس مرّمى الرّجاءِ (٣) ومسْكَة المُتَينِس فَلُ الخطيبُ بها لسانَ الأوْجَس(٤) ما أَبْعَدَ السُّلوانَ عن قُلْب الأسي(٥) فلقد سَهَا عنى العَذُول بهم وسي (٦) قد هِجْتَ من بَلْبالِ هَذِي الأَنْفُس وبشُكره من ناطق أو أخرس بجبالها من قائم أو أفعس أغصانَها بانَ (٧) المُطيعُ من المُسِي ويقولُ ذا: سَجَدَتْ لذِكْر مُقَدُّس يَخْفى على نَظرِ اللَّبيب (٩) الأَكْيَس

والليلُ مُلْتحفُ (١١) بفضل رداءِ لتزيد ظلماء إلى ظلماء بَدْرُ الدُّجى وكواكبُ الجَوْزاءِ ما كنتُ أَرْجُوها ليوم لِقَاءِ

⁽١) الأخلاف: جمع خِلْف وهو حلمة ضرع الناقة، أو هو للناقة كالضرع للشاة. محيط المحيط (خلف)،

⁽٢) الجندس: الظلمة. لسان العرب (حندس).

⁽٣) في الأصل: •الرجا• وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

⁽٤) الأوجس: الدهر.

⁽٥) الأسي: الحزين. (٧) في الأصل: ﴿بأنَّ والتصويب من الديوان.

⁽٦) في الديوان: «العذول وقد نسي».

⁽٨) في الديوان: ابذوقه ١٠ (٩) في الأصل: «اللبيت؛ والتصويب من الديوان.

⁽١٠) الأبيات في ديوان ابن خاتمة (ص ١٨٣) والكتيبة الكامنة (ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

⁽١١) في المصدرين: الملتف،

⁽١٢) في الأصل: قوشي، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

أَفْسَخْتُ لَولا عِفَةً عُذْرِيَّةً لَنَفَعْتُ عُلَّةً لَوْعَتِي بِرُضابِها ومن ذلك ما قاله أيضًا⁽¹⁾: [الخفيف]

أَرْسَلَتْ لَيْلِ شَغْرِها مِن عَقْصِ فَأَرَثْنا الصباحَ في جُنْح لَيْلِ وتَصَدَّتْ برامحاتِ نُهُودٍ فتولِّتْ جيوشُ صَبْري انهزامًا ليس كلُّ الني يَفِرُ بناجٍ كيف لي بالسُّلُو عنها وقلبي ما تعاطيتُ ظاهِرَ الطَّبْرِ إلَّا

ومن ذلك قوله أيضًا (٥): [الخفيف] أنا بَيْن الحياة والموتٍ وَقُفُ حَلٌ بي مِنْ هواكُ ما ليس يُنْبي عَجَبًا لانعطاف صدْغَيْك والمِغُ ضَاق صدري بضيق حِجْلِكَ (٢) واستو كيف يُرْجى فِكاكُ قَلْب مُعنى

ومن ذلك قوله أيضًا (٩): [البسيط] رقّ (١٠) السّنا ذَهبًا في اللّازُورُديُ كأنما الشّهب والإصباحُ يَنْهَبُها

وتُنقَى علي له رقيب رائي ونَضحت ورد خدودها ببكائي

عن مُحَيًّا رَمى البُدورَ بِنَقْصِ يَتَهادى ما بين غُضْنٍ ودِغْصِ (٢) أُشْرِعَتْ للأنام من تحت قُمْصِ وبودِي ذاك السلقاء وجرضي وبودي ذاك السلقاء وجرضي رُبُ ظُعْنِ (٣) فيه حياة لشَخْصِ قد هوى جِلْمُهُ بِمَهْوى لِخُرْصِ (٤) قد هوى جِلْمُهُ بِمَهْوى لِخُرْصِ (٤) رَدْني جِيدُها باؤضَم نُصَ

نَهُ مَن خَافِتُ ودَمْعُ ووَكُفُ عنه نَعْتُ ولا يُعَبُّرُ وَصْفُ عَظُفُ والجِيدُ ثم ما منكَ عَظْفُ قف طَرفي حَيرانَ ذاك (٧) الوَقْفُ في غرام قيداه قِرْطُ وشَنفُ (٨)

فَالْأَفْقُ مَا بِينِ مَرْقُومٍ ومَوْشِيًّ لِآلِيءُ (١١) سَقَطَتْ مِنْ كَفُّ زَنْجِيًّ

⁽١) الأبيات في ديوان ابن خاتمة (ص ١٩٧).

⁽٢) الدُغْص: قطعة من الرمل مستديرة، أو الكثيب، وبه يشبه الرُّذف.

⁽٣) في الديوان: ﴿ طُغنِ * . ﴿ ٤) الخُرْص: القناة والسنان .

⁽٥) الأبيات في ديوان أبن خاتمة (ص ٢٠٠). (٦) الجِجْل: الخلخال.

⁽٧) في الأصل: ﴿ذَلَكُ وَهَكَذَا يَنْكُسُرُ الْوَزْنُ، وَالْتُصُوبِ مِنْ الدِّيوانَ.

⁽٨) الشُّنَف: ما علق في أعلى الأذن، أو ما عُلَق في أسفل الأذن فقرط.

⁽٩) البيتان في ديوان ابن خاتمة (ص ١٩٦) والكتيبة الكامنة (ص ٢٤٤).

⁽١٠) في المصدرين: «خَطَّه. (١١) في المصدرين: ادراهم،

ومن شعره في الحِكَم قوله(١): [الطويل]

هو الدَّهْرُ لا يُبْقي على عائدٍ به فمَنْ لم يُصَبُ في نَفْسه فَمُصابُهُ

ومن ذلك قوله (۳): [الوافر] مِلاكُ الأمرِ تَقْوى اللهِ، فاجْعَلَ وبادرُ نحو طاعتِه بِعَرْم

ومن ذلك أيضًا (٥): [الوافر]
دماء فوق خَدُكِ ام خَلُوق (٢)؟
ومَا ابتَسَمَتْ ثَنايا أم أقاحٍ
وتلك سِناةُ نَوْم ما تعاطَتْ
لقد أغدَتْ معاطِفُك انشناء لقد أغدَتْ معاطِفُك انشناء جمالُك حَضْرتي وهواك راحي

تُـقاه عُـدُة لـصَـلاح أمَـرِكُ فما تَدْرِي متى يمضي (٤) بعُمْرِكُ

فَمَنْ شَاءً عَيْشًا يَصْطَبِرُ لنَوائِبِهُ

لفَوْتِ (٢) أمانيه وفَقْدِ حبايبة

ورِينَ ما بنَغركِ أم رَحينُ؟
ويكنِفُها شِفاهُ أم شقينُ (٧)
جُفُونُك أم هي الخَمْرُ العتينُ
وقلبي سُكُرُه ما إنْ يُفينُ
وكأسُك مُقْلتي فمتى أفينُ؟

ومن شعره في الأوصاف (٨): [الخفيف]

أَرْسَل السجَوُ ماء وَرْدِ رِذَاذَا فَانْتَنَى حَوْل السُوقِ الدِّوْح حَجْلًا وسما في الغُصُون حَلْيَ بَنَان فترى الزَّهر تَرقُمُ الأرض رَقْمَا فترى الزَّهر تَرقُمُ الأرض رَقْمَا فيكانُ المياه سَيفٌ صقيلً

سَمِّع (٩) الحزن والدُمائث رَشَا وجرى فوق بُرْدة الرّوض رَقْشَا أَصْبَحَتْ من سُلافة الطّل رَغْشا وترى الريح تَنْقُشُ الماء نَقْشا وكان البطاح غُمْدٌ مُوشَى

⁽۱) دیوان ابن خاتمة (ص ۱۸۷) ونفح الطیب (ج ۸ ص ۱۷٤).

⁽٢) في النفح: ﴿ يِفُوْتِ ٤ .

 ⁽٣) ديوان ابن خاتمة (ص ١٢٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ١٧٤). وقد تقدّم البيئان في الجزء السادس من النفح (ص ١١٥).

⁽٤) في النفح الجزء الثامن: ﴿يُقْضِي ٩٠٠

⁽٦) الخَلُوق: ضرب من الطيب.

 ⁽٨) هذه الأبيات لم ترد في ديوان ابن خاتمة.
 (٩) في الأصل: اوسمّع وهكذا ينكسر الوزن.

⁽٥) الأبيات في ديوان ابن خاتمة (ص ٢٠٣).

⁽٧) الشقيق: شقائق النعمان.

وكتب عقب انصرافه من غَرْناطة في بعض قدماته عليها ما نصه (1): "مِمّا قلته بديهة عند (7) الإشراف على جنابكم السعيد، وقدومي (7) مع النفر الذين أتحفَتُهم السيادة (3) سيادتُكم (9) بالإشراف عليه، والدخول إليه، وتَنْعِيم الأبصار في المحاسن المجموعة لديه، وإن كان يومًا قد غابت شمسه، ولم يَتْفِقْ أن كمل أنسه؛ وأنشده حينئذ بعض مَن حضر، ولعلّه لم يَبْلُغكم، وإن كان قد بلغكم (1) ففضلُكم يحمِلُني في (9) إعادة الحديث (1) [الطويل]

أقول وعَيْنُ الدُّمعِ (٩) نَصْبَ عيونناً أهدذي سماء أم بناء سما به أهدذي سماء أم بناء سما به تناظرت الأشكال منه تقابلًا وقد جَرَتِ الأمواهُ فيه مَجَرَة وأشرَف مِنْ عَلْياه (١١) بَهْوً تحفّه وأشرَف مِنْ عَلْياه (١١) بَهْوً تحفّه يُطِللُ على ماء به الآسُ دائرًا هناك ما شاء العُلى من جَلالة هناك ما شاء العُلى من جَلالة

ولاح لبسستانِ الوزارة جانب كواكبُ غَضَتْ عن سناها الكواكبُ على السّغد وُسْطى عِقْدِهِ والجنائبُ (١٠) مذانبها شهب لَهُن ذوائبُ مسماسي زُجاجٍ وَشْيُها مُتناسبُ كما افتَر تُغر أو كما اخضَر شاربُ بها يزدهي بُستانُها والمراتبُ

ولما أحضر الطعام هنالك، دُعِيَ شيخنا القاضي أبو البركات^(١٢) إلى الأكل، فاعتذر بأنه صائم، قد بيّته من الليل، فحضرني أن قلت^(١٣): [المتقارب]

دَعَوْنا الخطيبَ أبا البركاتِ لأُكُلِ طعامِ الوزيرِ الأجَل

⁽۱) النص نثرًا وشعرًا في الكتيبة الكامنة (ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥). ونفح الطيب (ج ٨ ص ١٧٤ ـ ٥). النص نثرًا وشعرًا في الكتيبة الكامنة (ص ٢٤٤ ـ ١٧٥).

⁽٢) في الكتيبة: ﴿حين﴾. (٣) في المصدرين: ﴿ودخوله، .

⁽٤) كلُّمة «السيادة» غير واردة في المصدرين. (٥) في الكتيبة: «سيادتك».

⁽٦) في الكتيبة: البلغ؛. (٧) في الكتيبة: اعلى١.

⁽٨) الأبيات أيضًا في ديوان ابن خاتمة (ص ١٨٥).

⁽٩) عين الدمع: كان من عجيب مواضع غرناطة، وهو عبارة عن جبل فيه الرياض والبساتين، ويتصل بجبل الفخار، راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٣٨) ففيه دراسة مفصلة عن هذا الموضع.

⁽١٠) في الديوان والنفح: ﴿ وَالْحَبَائَبُ } .

⁽١١) في الأصل: «علَّياه والتصويب من الديوان والنفح. وفي الكتيبة: «أعلاه فهو تحفَّه شماس زجاج...».

⁽١٢) هو محمد بن محمد بن إبراهيم، المشهور بابن الحاج البلفيقي، المتوفّى سنة ٧٧٣ هـ، أو ٧٧١ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة، وأشرنا هناك إلى مصادر ترجمته.

⁽١٣) الأبيات في ديوان ابن خاتمة (ص ١٨٦) والكتيبة الكامنة (ص ٢٤٥) ونفح الطيب (ج ٨ ص ١٧٥).

به احتفل الحُسنُ حتى كمل (١) وما كل عُذر له مُستَقل وليس الجنان مُحَلّ العُمَلْ

وقد ضَهُنا في نَداه جِسَانُ فَأَعْرَضَ عنا لِعُذْرِ (٢) الصّيام فإنّ البحنانَ مَحَلُ البَحِزاء

وعندما فرغنا من الطعام أنشدتُ الأبيات شيخنًا أبا البركات، فقال(٣): لو أَنْشَدتَنيها، وأنتم بَعْدُ لم تَفْرغوا منه (٤) لأكلْتُ معكم، برًّا بهذه الأبيات، والحَوالة في ذلك على الله تعالى.

ولما(٥) قضي الله، عزَّ وجلَّ، بالإدالة، ورَجَعْنا إلى أوطاننا من العُذُوة، واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدّمة، والتّيه على السلطان والدولة(٦)، والتُّكَبُّر على أَعْلَى رُنَّبِ الخِدمة، وتطارحْتُ على السلطان في استنجاز وعد الرحلة، ورغبت في تفويت(٧) الذمّة، ونَفَرْتُ عن الأندلس بالجملة، خاطبني بعد صَدْرِ بَلَغَ من حُسن الإشارة، وبراعة الاستهلال الغاية، بقوله:

ووإلى هذا يا سيدي، ومحلُّ تعظيمي وإجلالي، أمْتَعَ اللهُ تعالى الوجودَ بطول بقائكم! وضاعف في العِزُّ درجات ارتقائكم! فإنَّهُ من الأمر الذي لم يَغِبْ عن رأي المَقُول (٨)، ولا اختلف فيه أريابُ المَحْسُوسِ (٩) والمعقول؛ أنَّكم بهذه الجَزِيرة شمسُ أَفْقها، وتاجُ مَفْرِقها، وواسطة سِلْكها، وطِراز مُلْكها، وقِلادة نَحْرها، وفريدة دهرها(١٠٠)، وعِقْد جِيدِها المنْصُوص، وكمال(١١١) زينتها(١٢) على المعلوم والمخصوص(١٣)؛ ثم أنتم مَدارُ أفلاكها، وسِرُ سياسة أملاكها، وتُرْجمان بيانها، ولسانُ إحسانها، وطبيب مارّستانها، والذي عليه عَقْد إدارتها، وبه قِوام إمارتها؛ فلَدَيه (١٤) يُحَلُّ المشكل، وإليه يُلجأ في الأمر المُغضل؛ فلا غَزُو أن تتقيُّد بكم الأسماعُ والأبصار، وتُحدّق نحوكم الأذهانُ والأفكار؛ ويُزْجَرُ عنكم السانح والبارح(١٥)،

(٧) في المصدرين: "تبرئة"،

⁽٢) في الكتيبة: (بعذر).

⁽١) في الكتيبة: «الحسن فيما احتفل».

⁽٤) في الكبينة: "من الطعام".

⁽٣) في النفع: ﴿فقال لي ٩٠٠

⁽ه) نص رسالة ابن خاتمة هذه في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٦٪ - ١٧٠) وأزهار الرياض (ج ١ ص 057 _ +YY).

⁽٦) في أزهار الرياض: "والدالة"،

⁽٩) في المصدرين: «أرباب المعقول»،

⁽٨) في المصدرين: «العقول». (١٠) في أزهار الرياض: ﴿ دُرُها! .

⁽¹¹⁾ في النفح: «وتمام».

⁽١٢) في الأزهار: ﴿ زينها ﴾.

⁽١٣) في المصدرين: ﴿على العموم والخصوص ١٠٠

⁽١٤) في النفح: ﴿ وَلَدْيُهِ ۗ أَ.

⁽١٥) السائع: الطائر الذي يمرّ من اليسار إلى اليمين، البارح: الطائر الذي يمرّ من اليمين إلى اليسار، =

ويُسْتَنْبَأُ مَا تَطْرِفُ عنه العين وتَخْتَلجُ الجوارح، استقراءً (١١) لِمَرامكم، واستطلاعًا لطالع اعتزامكم، واستكشافًا لمرامي(٢) سهامكم، لا سيما مع إقامتكم على جُناح خُفُوق، وظهوركم في مُلْتَمَع بُرُوق، واضطراب الظّنون فيكم مع الغروب والشروق؛ حتى تستقرُّ بكم الدَّار (٣)، ويلقى عصاهُ التِّسْيار؛ وله العُذر في ذلك إذ صَدْعُها بفراقكم لم يَنْدمل (٢)، وسرورها بلقائكم لم يَكْتَمل؛ فلم يَبْرَ (٥) بَعْدُ جناحُها المَهيض (٦)، ولا جَمَّ ماؤها المَغِيض، ولا تميَّزت من داجيها لياليها البيض؛ ولا استوى نهارُها، ولا تألَّقت أنوارُها(٧)، ولا اشتملت نعماؤها، ولا نُسبت غَمَّاؤها؛ بل هي كالنّاقِه(٨)، والحديث العَهد بالمكاره، تُستشعر (٩) نَفُس العافية، وتتمسّع (١١) منكم باليد الشافية؛ فبحنانكم (١١) عليها، وعظيم (١٢) حرمتكم على مَن لديها، لا تَشُوبوا لها عَذْبَ المُجاج بالأجاج، وتُقْنِطوها(١٣٠ مما عُوِّدت من طيب المزاج، فما لدائها، وحياة قُرْبكم غير طَبُّكم من علاج. وإني لَيَخْطُر بخاطري محبةً فيكم، وعنايةً بما يَعنيكم، ما نال جانبكم صانه الله بهذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر ما نالكم من حُسن العَهْد وكرم الوفاء، وأنَّ الوطن إحدى المواطن الأظارَ التي يحقُّ لهنَّ جميلُ الاحتفاء، وما يتعلَّق بكم من خُرْمة أولياء القرابة وأولي(١٤) الصُّفاء، فيغلب على ظني أنكم لحُسن العهد أَجنَح، وبحق نفسكم على أوليائكم أسمَح، والتي (١٥) هي أعظم قيمة في (١٦) فضائلكم أوهَبُ وأَمْنَح (١٧٠)؛ وهَبْ أَنْ الدُّرُّ لا يحتاج في الإثباب إلى شهادة النُّحور واللبَّات، والياقوتُ غني المكان، عن مظاهرة القلائد والتّيجان؛ أليس أنَّه أعلى للعِيان، وأبعدُ عن مكابرة البرهان، تألُّقُها في تاج الملك أنوشِروان؟ والشمس(١٨) وإن

وكان بعض العرب يتفاءل بالسانح ويتشاءم بالبارح، وكان بعضهم على العكس. لسان العرب (سنح) و(برح).

⁽١) استقراء لمرامكم: تتبعًا لمواضع رغبتكم.(٢) في المصدرين: ٤عن مرامي٥.

⁽٣) في المصدرين: «الديار».

⁽٤) يندمل الصُّدْع: يصلح؛ يقال: اندمل الجرحُ إذا شغي، والصُّدُعُ: الشِّق.

⁽٥) كذا في أزهار الرياض. وفي النفح: «يَبْرَأُ». (٦) المهيض: المكسور. لسان العرب (هيض).

⁽٧) في النفح: ﴿وَلَا تَأْلُفُتُ أَنْهَارُهَا ۗ .

⁽٨) الناقه: مَن شفي من مرضه ولم ترجع قوته بعد. لسان العرب (فقه).

⁽٩) في النفح: الستشعرة. (١٠) في النفح: الويتمشحة.

⁽١١) في الأصل: •فبحياتكم، والتصويب من المصدرين.

⁽١٢) في النفح: (وعظم). (١٣) في المصدرين: (وتفطموها عمّا).

⁽١٤) في المصدرين: ﴿وَأُودًاء ٩٠٠ (١٥) في المصدرين: ﴿وَللَّتِيء .

⁽١٦) في المصدرين: قمنه. (١٦) في المصدرين: قوأسْجَعُه.

⁽١٨) في المصدرين: ﴿فَالشَّمْسِ ﴾.

كانت أم الأنوار وجلا الأبصار، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل: آليل (1) هو أم الغار؟ وكما في علمكم ما فارق ذوو الأحلام (٢)، وأُولو الأرحام، مواطن استقرارهم، وأماكن قرارهم، إلا برَغْمهم واضطرارهم، واستبدال دار هي (٣) خير من دارهم، ومتى توازن الأندلس بالمغرب، أو يُعَوَّض عنها إلا بمكة أو يثرب؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء وعُبّاد، وما فوقه مرابط جِهاد، ومعاقد ألوية في سبيل الله، ومَضَارب أوتاد؛ ثم يُبُوِّىء (1) ولَذَه مُبُوَّا أجداده، ويجمع له بين طرافه (٥) وتلاده؛ أعيذ أنظاركم المُسَدَّدة من رأي فائل (٦)، وسعي طويل لم يَحُل منه بطائل، فحسبكم من هذا الإياب السعيد، والعَوْد الحميد، وهي طويلة.

فأجبته عنها بقولي (٧): [السريع]

لُمْ في الهوى العُذريُ أو لا تَلُمْ فالعَذُلُ لا يَذخُلُ اسماعي شأنكُ تَعْنيفي وشأني الهوى كل امرى؛ في شأنه ساعي

«أهلًا بتُخفة القادم، ورَيْحانة المنادم، وذكرى (١) الهوى المُتقادم، لا يصغر (٩) الله مَسْراك! فما أسراك، لقد جَلَبتَ (١٠) إليَّ من همومي ليلا، وجُبْتَ (١١) خَيْلًا ورَجُلا، ووفيت من صاع الوفاء كَيْلًا، وظننت بي الأسف على ما فات، فأعملت الالتفات، لكيلا (١٢)، فأقسم لو أنَّ الأمرَ (١٣) اليومَ بيدي، أو كانت اللّمةُ السوداء من عُدَدي، ما أفلَتَ أشراكي المنصوبة لأمثالك (١٤)، حَوْل المياه

⁽١) في الأصل: قالليل؛ والتصويب مِن المصدرين.

⁽٢) في المصدرين: «ذوو الأرحام وأولوا الأحلام».

⁽٣) كلمة «هي، غير واردة في المصدرين. (٤) كذا في أزهار الرياض. وفي النفح: «يبوّا».

⁽٥) في المصدرين: ﴿طارفه ﴿.

⁽٦) الرأي الفائل: الضعيف. لسان العرب (فيل).

 ⁽۷) هذان البيتان والرسالة في ريحانة الكتاب (ج ۲ ص ۲۰۲ ـ ۲۰۰)، ونفح الطيب (ج ۸ ص
 (۷) هذان البيتان والكتيبة الكامنة (ص ۲٤٤ ـ ۲٤٥)، وأزهار الرياض (ج ۱ ص ۲٦۷ ـ ۲۷۰).

⁽٨) في النفح: ﴿وذكر﴾. (٩) في الكنيبة: ﴿لا يصفر﴾.

⁽١٠) في النفح والأزهار: ﴿جُبْتُ. وَفِي الربِحَانَةِ: ﴿جَنْتُ.

⁽١١) فيَّ النفحَ والأزهار: ﴿وجسُت رَجُلًا وخيلًا . وفي الريحانة: ﴿وجبته...٩.

⁽١٢) هذا من الاكتفاء، وهو يشير إلى قول الله تعالى: ﴿ لِكُيْتُلَا تَأْسُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَآ مَاتَكَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَآ مَاتَكَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَآ مَاتَكَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَآ

⁽١٣) في الربحانة: الأمري.

⁽١٤) أخذه من بيت الشريف الرضي: [البسيط] لو كانت اللَّمةُ السوداء من عددي

يوم الغميم لما أفلتُ أشراكي

وبين المسالك، ولا علمت^(۱) ما هنالك، لكنك طَرَقْتَ حِمَّى كسَحَتْه^(۲) الغارة الشَّغواء، وغيَّرت رَبْعه الأنواء، فخمد^(۳) بعد ارتجاجه، وسَكت^(۱) أذينُ دَجاجه، وتلاعَبَتِ الرياحُ الهوجُ^(۵) فوق فِجاجه^(۲)، وطال عَهْدُه بالزِّمان^(۷) الأول، وهل عند رَسْم دارس من مُعَوَّل^(۸) وحَيًّا الله نَدْبًا إلى زيارتي نَدَبَك، وبآدابه الحكيمة^(۹) أذبك: [الوافر]

فكان وقد أفاد بك الأماني كمن أهدى الشّفاء إلى العليل وهي شيمة بُوركت من شيمة، وهبةُ اللهِ قِبَلَهُ من لَدُنِ المَشيمة، ومَنْ مثله في صلة رَغي، وفضل سعي، وقولٍ (١٠٠ وَوَغي: [مجزوء الخفيف]

قسمًا بالكواكب الز زُهْر والزُهْرُ عاتِسه إنسمه إنسما الفَضل مِلة خُتِمتُ بابن خاتمه

كساني حُلّة وصفه (١١)، وقد ذهب زمان التجمّل، وحمّلني ناهض (١٢) شكره، وكتّدي (١٢) واه عن التحمّل، ونظرني بالعين الكليلة عن العيوب (١٤) فهلا أجاد التأمّل، واستطلع طِلْع نَثّي (١٥)، ووالى في مركب (١٦) المعجزّة حتّي، ﴿إِنَّمَا أَشَكُوا بَقِي﴾ (١٧): [الوافر]

ولو تُركُ القَطا ليلاً لناما

(١) في الريحانة: ﴿ولعلمْتُ﴾. (٢) في النفح والأزهار: ﴿كَسَعَتُهُۗ .

(٣) في الربحانة: افجمدا.(٤) في الربحانة: افجمدا.

(٥) في الأصل: ﴿والهوجِ والتصويب من المصادر.

(٦) في الريحانة: المجاجه؟.
 (٧) في الريحانة والنفح: ابالزمن؟.

(٨) هذا عجز بيت من معلقة امرىء القيس وهو: [الطويل]
 وإنَّ شفائي عَبْرَةً إنْ سَفَحْتُها وهل عند رسم دارسٍ من مُعَوَّٰكِ؟

دیران امریء القیس (ص ۹).

(٩) في النفح والأزهار: ﴿الحكمية؛ . ﴿ (١٠) في النفح: ﴿وقول وَغيُّهُ.

(١١) في النفح والأزهار والريحانة: «فضله». ﴿ ١٢) كلمة «نَاهِضِ» ساقطة فَي النفح والأزهار.

(١٣) الكُتَدُ: مجتمع الكتفين، لسان العرب (كتد).

(١٤) في النفح والأزهار والريحانة: «العيب». وهنا يشير إلى قول الشاعر: [الطويل] وعين الشخط تُبْدي المساويا

(١٥) في الريحانة: ﴿بُنِّيِّهِ. والنُّثُ: ما يَذيعه المرءُ من سرّ. لسان العرب (نثث).

(١٦) في النفح والأزهار: امبرك. وفي الربحانة: افي أحرك المجرّة.

(١٧) سورة يوسف ١٢، الآية ٨٦.

وما حالُ شمل وَيَدُه (۱) مَفْروق، وقاعدته فروق، وصُواعُ (۲) بني أبيه مسروق، وقلب (۳) قَرْحه من عَضَّة الدهر دام، وجَمْرَةُ حَسْرته ذات احتدام، هذا وقد صارت الصُّغْرى، التي كانت الكُبْرى، لمشيبٍ لم يَرُغْ (۱) أن هَجَم، لمَّا نَجَم، ثم تهللَ عارضهُ وانسجم: [الكامل]

لا تَجْمَعي هَجْرًا عليُّ وغُرْبَةً فالهَجْرُ في تَلَفِ الغريبِ سريعُ

نظرْتُ فإذا الجَنْبُ ناب^(ه)، والنَّفْس فريسة ظُفُر وناب، والمالُ أكيلةُ انتِهاب، والعُمْرُ رهن ذَهاب، واليَّدُ صِفْرٌ من كل اكتساب، وسوق المَعاد مُتراميةٌ، والله سريع الحساب: [الوافر]

ولو نُغطى الجِيارَ لَما افْتَرَقنا ولكن لا خِيار مع الرمانِ

وهَبْ أَنَّ العُمْرَ جديدٌ، وظِلُ الأمن مديدٌ، ورأي الاغتباط بالوطن سديدٌ، فما الحجّةُ لنفسي إذا مرّت بِمَطارح جَفْوَتها، وملاعب هَفُوتها، ومَثاقف (٢) قَناتها، ومظاهر عُزّاها (٩) ومُناتها، والزمان (٨) وَلُود، وزِنادُ الكون غير صَلُود (٩): [الكامل]

وإذا امسرؤ لَدَغَتْ أَفْ عَلَى مَسرَّةً تَرَكَتُه حين يُجَرُّ حَبْلُ يَفْرَقُ (١٠)

ثم أن المُرغُب قد ذهب، والدهر قد استرجع ما وَهَبَ، والعارضُ قد اشتَهب، وآراء (۱۱) الاكتساب مرجوحة مرفوضة، وأسماؤه على الجوار مخفوضة، والنيّة مع الله على الزُهد فيما بأيدي الناس مَغقودة، والتوبة بفضل الله عز وجل شروطها (۱۲) غير مُعارضة (۱۳) ولا مَنْقودة، والمعاملة سامِريّة، ودروع الصبر

⁽١) في الريحانة: ﴿ قُيْلُهُ ۗ ٤.

⁽٢) الصُّواع، بضم الصاد: إناه كان الملك يشرب به ويكيل. وفي القرآن الكريم: ﴿نَفَوْدُ صُواعَ الْمَلِكِ ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٧٢.

⁽٣) في الربحانة: ﴿وقلبه﴾. (٤) في الكتيبة: ﴿لم يَدُعُه.

⁽٥) في النفح: (باب).

⁽٦) في الأصل: (ومناقب) والتصويب من النفح والأزهار. وفي الريحانة: (ومثاقب).

⁽٧) في الأصل: «عُزاتها» والتصويب من النفح والأزهار. وفي الريحانة: «عُراها وهناتها».

⁽٨) في الريحانة: ﴿والزمنِ ٨

 ⁽٩) في الريحانة: «الكون صلود». والبيت لصالح بن عبد القدوس، وورد في تاريخ بغداد (ج ٩)
 ص ٣٠٤)، وصدره هناك هكذا:

وإن امرز لسنسغنه أفعس مرة

⁽١١) في الربحانة: ﴿مَفْرِقٌ . ﴿ (١١) في الربحانة: ﴿وأَدَاتُ ۥ .

⁽١٢) في النفح والأزهار: ﴿وَجُلُّ مَنْقُودَةٌ . ﴿ ﴿ ١٣) فِي الرَّيْحَانَةُ: ﴿مُعْتَرَضَةٌ ﴾.

سابرية، والاقتصاد قد قَرَّتِ العينُ بصحبته، والله قد عَوْض حُبُ الدنيا بمحبته، فإذا راجعها مِثْلِي من بعد الفراق، وقد رَقى لَدْغَتَها أَلفُ راق، وجمعتني بها الحُجُرة، ما الذي تكون الأجرة؟ جلُ شاني، وقد (١) رضي الوامق وسَخِط(١) الشاني، إني إلى الله تعالى مُهاجر، وللغرض(١) الأدنى هاجر، ولأظعان السُرى زاجر، لأحُد(١) إن شاء الله وحاجر، ولكن دعاني إلى(٥) الهوى، لهذا(١) المولى المُنعم هَوى، خلغتُ نَغلَي الوجود وما خلغتُه، وشوق(٧) أمرَني فأطغتُه، وغالبُ واللهِ صَبْري فما استطغتُه، والحال والله أغلب، وعسى أن لا يخيبَ المَطْلب؛ فإن يسَره(٨) رضاه فأمل(٩) كَمَل، وراحل الحتمل، وحاد أشجَى الناقة والجَمَل؛ وإن كان خلافُ ذلك، فالزمان(١٠) جَمُّ العوائق(١١)، والتسليم بمقامي لائق: [السبط]

ما بين غَمْضةِ (١٢) عين وانتباهتها يُصَرّفُ (١٣) الأمْرُ من حالٍ إلى حالٍ

وأما تفضيله هذا الوطن على غيره (١٤)، ليُمَن طَيْرِه، وعموم خَيْره، وبركة جهادِه، وعُمْران رُباه ووهادِه، بأشلاء عُبَّاده وزهّاده (١٥)، حتى لا يفضُلُه إلّا أحدُ الحرمين، فَحَقُ بريء من المَيْن، لكنّي (١٦) للحَرَمين جَنحُتُ، وفي جو الشوق إليهما سَرَختُ (١٧)، فقد (١٨) أفضَت إلى طريق قَصْدي مَحَجَّتُه، ونصرتني والمِئةُ لله حُجَّتُه، وقَصْدُ سيدي أَسْنى قصد، توخَّاه الشكر (١٩) والحمد، ومعروف عُرِفَ به النُكْر، وأملٌ (٢٠) انتحاه الفكر، والآمال والحمد لله بَعْدُ تُمْتار، والله يخلق ما يشاء ويَخْتار، ودعاؤه يظهر الغيب مَدَد، وعُدَّة وعَدَد، وبرُه حالَى الظُعن (٢١) يشاء ويَختار، ودعاؤه يظهر الغيب مَدَد، وعُدَّة وعَدَد، وبرُه حالَى الظُعن (٢١)

 ⁽١) في النفح والأزهار والربحانة: قوإن.
 (٢) في النفح والأزهار والربحانة: قوإن.

⁽٣) في الريحانة والنفح والأزهار: ﴿وللعَرَضِ﴾. ﴿٤) في النفح والأزهار: ﴿لِنَجْدِهِ.

⁽٥) في النفح والأزهار: اللهوى، وفي الريحانة: الكني دعاني إلى الهدى.

⁽٦) في النفيع والأزهار: ﴿ إلى هذا ٤. وفي الربحانة: ﴿ إلى المولى ٤.

⁽٧) في النفح والأزهار: ﴿وشوقي، (٨) في النفح والأزهار: ﴿يَسُرِ».

⁽٩) في النفح: «فأمر». ﴿ فَأَمَرُهُ. ﴿ فَأَمَرُهُ.

⁽١١) في النفح: ﴿العلائق؛ ﴿ طُرُفَةٌ ﴾ .

⁽١٣) في الريحانة: ﴿ يَقَلُّبِ ﴾ . (١٤) قوله: ﴿على غيره ﴿ غير وارد في النفح.

⁽١٥) في الريحانة: قبأشلاء زُمّاده، (١٦) في النفح والأزهار: قلكنني،

⁽١٧) في النفح والأزهار: «سَنحْتُ». (١٨) في الريحانة: «وقد».

⁽١٩) في النفح والأزهار: «الحمد والشكر». د ١٧٠ ما ما النام المام الله المام الم

⁽٢٠) في الريحانة والنفح والأزهار: ﴿والآمال من فضل الله بَعْدُ تُمْتارٍۗ ٩.

⁽٢١) في الريحانة: قحالي الإقامة والظُّفنَّه.

والإقامة مُغتَمَلَ مُغتَمد (١)، ومجال المعرفة بفضله لا يَخصُره أحد (٢)، والسلام (٣)،

وهو الآن بقيد الحياة، وذلك ثاني عشر شعبان عام سبعين وسبعمائة.

أحمد بن عباس بن أبي زكريا(٤)

ويقال ابن زكريا. ثُبّت بخط ابن التّيّاني، أنصاريُّ النسب، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان^(٥) كاتبًا حسن الكتابة، بارع الخطّ فصيحًا، غزير الأدب، قوي المعرفة، شارعًا في الفقه، مشاركًا في العلوم، حاضر الجواب، ذكيًّ الحاطر، جامعًا للأدوات السلطانية (٢)، جميل الوجه، حَسن الخِلْقة، كلفًا بالأدب، مؤثرًا له على سائر لذًاته، جامعًا للدواوين (٧) العلمية، معنيًا بها، مقتنيًا للجيّد منها، مُغاليًا فيها، نفًاعًا مَن خَصّه بها للا يَسْتخرَج منها شيئًا، لفَرْط بُخله بها، إلّا لسبيلها، حتى لقد أثرى كثيرٌ من الورَّاقين والتجَّار معه فيها، وجمع منها ما لم يكن عند مَلِك.

يساره: يقال إنه لم يجتمع عند أحد من نُظَرائه ما اجتمع عنده من عَيْن وورق ودفاتر وخِرَق، وآنية، ومتاع وأثاث وكُراع.

مشيختُه: روى عن أبي تمام غالب التياني، وأبي عبد الله بن صاحب الأحباس.

نباهتُه وحُظُوته: وزَرَ لزُهير العامري (٩) الآتي ذكره، وارثًا الوزارة عن أبيه، وهي ما هي في قطر مُتَحَرِّ بينابيع السَّخيلة، وثَرَّ بهذه الأمنَة مستندًا إلى قَعْساء العزّة، فتبنَّك نعيمًا كثيرًا، تجاوز الله عنه.

دخوله غرناطة: الذي اتصل علمي أنه دخل غرناطة منكوبًا حسبما يتقرّر.

 ⁽١) في الريحانة والنفح والأزهار: (ومعتمد).
 (٢) في الريحانة والنفح والأزهار: (معتمد).

⁽٣) في الريحانة: ﴿والسلام الكريم من مُجِبُّه المئني على كماله، فلان،

 ⁽٤) ترجمة أحمد بن عباس في الذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٧٧)، وفي الذخيرة (ق ١ ص ٢٥٦)،
 والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٩٣)، والمغرب (ج ٢ ص ٢٠٥)، ونقح الطيب (ج ٥ ص ٨١).

⁽٥) قارن بالذخيرة (ق ١ ص ٦٦٤ ـ ٦٦٥). (٦) في الذخيرة: الملوكيّة».

⁽٧) في الذخيرة: ١جمّاعًا للدفاتر، مقتنيًا للجيد منها.

⁽٨) في الذخيرة: ﴿بشيء منها ٩.

 ⁽٩) مَلَك زهير العامري ألمرية من سنة ١٨٨ هـ إلى سنة ٤٢٩ هـ. وستأتي ترجمته في هذا الجزء،
 وهناك تُبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

نكبته: زعموا أنه كان أقوى الأسباب فيما وقع بين أميره زُهير، وبين باديس أمير غُرناطة، من المفاسدة، وفَصْل صَحْبه إلى وَقَم باديس وقَبيله، وحطّه في حيُز هواه وطاعته، وكان ما شاء الله من استيلاء باديس على جُمُلتهم، وَوَضْع سيوف قومه فيهم، وقَثْل زُهير، واستئصال محلّته؛ وقبض يومئذ على أحمد بن عباس، وجيء به إلى باديس، وصدرُه يغلي حقْدًا عليه، فأمر بحبسه، وشفاؤه الولوغ في دمه، وعجل عليه بعد دون أصحابه من حَمَلة الأقلام. قال ابن حيان (١١): حديث ابن عباس أنه كان قد وَلع (٢٠) ببيت شعر صَيَّره هَجُواه أوقات لعبه بالشطرنج، أو مَعْنَى يسنحُ له مستطيلًا بجَدّه: [المتقارب]

عيونُ الحوادث عني نِيامٌ وهَضْمي على الدهر شيءٌ حَرامُ وشاع^(۲) بيتهُ هذا عند^(٤) الناس، وغاظهم، حتى قَلَب له مصراعه بعضُ الشعراء^(٥) فقال:

السيُوقِظُها (٢) قَدَرٌ لا يسنام ال

فما كان إلّا «كلا» و«لا» حتى (٧) تنبّهت الحوادث لهَضْمه، انتباهة انتزعت منه نخوته وعزّته، وغادرته أسيرًا ذليلًا يَرْسُف في وزن أربعين رطلًا (٨) من قَيْده، منزعجًا من عَضّه لساقه البَضّة، التي (٩) تألمت من ضغطة جوْرَبه، يوم (١٠) أصبح فيه أميرًا مُطاعًا، أغتَى (١١) الخلقِ على بابه، وآمنَهم بمكره، فأخذه أخذ مليكِ مقتدر، والله غالبٌ على أمره.

وفاته: قال أبو مروان (۱۲): كان باديس قد أرجا قتله مع جماعة من الأسرى، وبَذَل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار من الذَّهب العَيْن، مالت إليها نفسُ باديس إلَّا أنه عَرَض ذلك على أخيه بُلكِين، فأنِف منه، وأشار عليه بقتله، لتوقعه إثارة فتنة أخرى على يديه، تأكُل من ماله أضْعاف فِديته. قال: فانصرف يومّا من بعض رَكبَاته مع أخيه (۱۳)، فلمّا توسّط الدار التي فيها

⁽١) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٦٦٨ ـ ٦٦٩). (٢) في الذخيرة: «أولع».

⁽٣) في الذخيرة: قوذاع، (٤) في الذخيرة: قفي،

⁽٥) في الذخيرة: «الأدباء». (٦) في الذخيرة: «سيوقظنا».

 ⁽٧) في الذخيرة: ﴿إِلَّا كُلَّا حَتَى، (٨) كلمة ﴿(طلاً ﴿ ساقطة في الذخيرة.

⁽٩) في الذخيرة: قالتي طالما تألمته. (١٠) في الذخيرة: قطبُه.

⁽١١) في الذخيرة: «أعتى خلق الله على بابه، وآمنهم لمكر ربّه».

⁽١٢) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٦٦٣ ـ ٦٦٤) وبعض منه في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٢).

⁽١٣) في الذخيرة والبيان المغرب: ﴿أَخِيهُ بِلْقِينِ ٩.

أحمد (۱) بقصبة غُرناطة، لصق القصر، وقف هو وأخوه بلكين، وحاجبه علي بن القرّوي، وأمر بإخراج أحمد إليه، فأقبل يَرْسُف في قيده حتى وقف (۲) بين يديه، فأقبل على سبه وتبكيته بذنوبه، وأحمدُ يتلطّف (۳) إليه، ويسأله إراحَتَه مما هو فيه، فقال له: «اليوم تستريح من هذا الألم، وتنتقل إلى ما هو أشدًه؛ وجعل يُرَاطِنُ أخاه بالبربرية (٤)، فبانَ لأحمد وجه الموت، فجعل (٥) يكثرُ الضّراعة، ويضاعف (١) عدد المال، فأثار غضبه، وهز مِزْراقه (٧)، وأخرجه من صدره؛ فاستغاث الله، _ زعموا _، عند ذلك، وذكر أولاده وحرمه؛ لِلْحين أمر باديس بحزّ رأسه ورُمِيَ (٨) خارج القصر.

حدَّث خادم باديس، قال^(۹): رأيت جسد ابن عباس ثاني يوم قتله^(۱۱)، ثم قال لي باديس: خُذْ رأسه وواره مع جسده؛ قال^(۱۱): فنبشْتُ قبره^(۱۲)، وأضفتُه إلى جسده، بجَنْب أبي^(۱۲) الفتوح قتيل باديس أيضًا. وقال لي باديس^(۱۱): ضَعْ عدُوًا إلى جَنْب عدو، إلى يوم القِصاص؛ فكان قتلُ أبي جعفر عشيَّة الحادي والعشرين من ذي حجة سنة سبع وعشرين وأربعمائة^(۱0)، بعد اثنين وخمسين يومًا من أسره. وكان يوم مات ابن ثلاثين، نفعه الله ورحمه.

أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطية القُضاعي (١٦)

من أهل مرّاكش، وأصله القديم من طُرْطُوشة ثم بعد من دانية، يكنى أبا جعفر.

⁽١) في الذخيرة: «أحمد بن عباس». وفي البيان المغرب: افلما مرّ على الدار التي فيها ابن عباس.».

 ⁽٢) في المصدرين: (أقيم).
 (٣) في المصدرين: (يُلَطُّفُه ويسأله).

 ⁽٤) في المصدرين: «أخاه بلقين بكلامه».
 (٥) في المصدرين: «وجعل».

⁽٦) في المصدرين: ﴿وَيُضْعَفُ لهـ».

⁽٧) في المصدرين: «مِزْرقته فأخرجها من صدره».

⁽٨) في المصدرين: قووُوْري، (٩) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٦٦٨).

⁽١٠) في الذخيرة: "قتل". (١١) كلمة اقال! ساقطة من الذخيرة.

⁽١٢) في الذخيرة: قصداها. (١٣) في الذخيرة: قبحنب قبر أبي......

⁽١٤) كلمة «باديس» ساقطة في الذخيرة. (١٥) في الذيل والتكملة (ج ١ ص ٢٧٩): «مات وهو ابن ثلاثين سنة وأشهر عشية يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة».

⁽١٦) ترجمة أبي جعفر بن عطية في المعجب (ص ٢٦٧)، والبيان المغرب، قسم الموحدين (ص ٥٧)، وإعتاب الكتاب (ص ٢٢٥)، ونفح الطيب (ج ٧ ص ١٧٤)، والترجمة هنا معظمها ورد في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٩٤، ٢٢٥، ٢٢٨)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٩٤، ٢٢٥، ٢٣٨)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ١٩٤، ٢٢٥، ٢٣٨)، وتاريخ المنّ بالإمامة (ص ٢٢٠).

حاله: كان كاتبًا بليغًا، سهل المأخذ، مُنقاد القريحة، سيَّال الطبع.

مشيخته: أخذ عن أبيه، وعن طائفة كبيرة من أهل مراكش.

نباهته: كتب عن علي بن يوسف بن تاشُفين، وعن ابنه^(۱) تاشفين، وعن أبى إسحاق، وكان أحظى كُتّابهم. ثم لمّا انقطعت دولة لَمْتُونة، دخل في لفيف الناس، وأخفى نفسه. ولمّا أثار الماسي(٢) الهداية بالسوس، ورمى المُوَحُدين بحَجَرهم الذي رموا به البلاد، وأعيا أمره، وهزم جيوشهم التي جهزوها إليه وانتدب منهم إلى ملاقاته، أبو حفص عمر بن يحيلي الهِنْتائي، في جيش خشن من فرسان ورَجَّالة، كان أبو جعفر بن عطية، من الرُّجالة، مُزتَسمًا بالرماية، والتقى الجُمْعان، فهُزم جيش الماسي، وظهر عليه الموحَّدون. وقتل الدُّعِي المذكور، وعَظَمَ موقعُ الفتح عند الأمير الغالب يومئذ أبو حفص عمر، فأراد إعلام الخليفة عبد المؤمن، بما سَناه الله، فلم يَلْق في جميع مَن استصحبه مَن يُجلي عنه، ويُوفي ما أراده، فذكر له أن فتَّى من الرّماة يُخاطر بشيء من الأدب والأشعار والرسائل فاستحضره، وعرض عليه غرضه، فتجاهل وظاهر بالعجز، فلم يقبل عذره، واشتذّ عليه، فكتب رسالة فائقة مشهورة، فلمّا فرغ منها وقرأها عليه اشتدّ إعجابُه بها وأحسن إليه، واعتنى به، واعتقد أنه ذُخْرٌ يُتحِف به عبد المؤمن، وأنفذ الرسالة، فلمّا قُرِئت بمحضر أكابر الدولة، عَظَمّ مقدارها، ونَبُه فضل منشئها، وصدر الجوابُ ومن فصوله الاعتناء بكاتبها، والإحسان إليه، واستصحابُه مكرّمًا. ولما أدخل على عبد المؤمن سأله عن نفسه، وأحظاه لديه وقلَّده خُطَّة الكتابة، وأسند إليه وزارته، وفوَّض إليه النظر في أموره كلها؛ فنهض بأعباء ما فُوِّض إليه، وظهر فيه استقلاله وغِناؤه، واشتهر بأجمل السَّعي للناس واستمالتهم بالإحسان وعمَّت صنائعُه (٢)، وفَشا معروفه، فكان محمود السّيرة، مُنْحَبُ (٤) المحاولات، ناجع المساعي، سعيد المأخذ، مُيَسِّر المآرب، وكانت وزارته زَيْنًا للوقت، كمالًا للدولة.

محنته: قالوا: واستمرّت حالته إلى أن بلغ الخليفة عبد المؤمن أن النصارى غزوا قَصَبة المرية، وتحصّنوا بها؛ واقترن بذلك تقديم ابنه يعقوب على إشبِيلية،

⁽١) في النفح: ﴿وعن ابنيه تاشفين وإسحلق٩.

 ⁽۲) هو الثائر محمد بن عبد الله بن هود، الملقب بالهادي، وقد ظهر في رباط ماسة بمنطقة السوس، وكُثر أتباعه، ثم قضى عليه أبو حفص عمر عام ٥٤١ هـ.

⁽٣) الصنائع: جمع صنيعة وهي المعروف. لسان العرب (صنِع).

⁽٤) في النفع: المبخت ا.

فأصحبه أبا جعفر بن عطية، وأمره أن يتوجّه بعد استقرار ولده بها إلى ألمرية؛ وقد تقدّم إليها السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، وحَصَر مَن بها النصارى، وضيّق عليهم، ليحاول أمر إنزالهم، ثم يعود إلى إشبيلية، ويتوجّه منها مع واليها، إلى مُنازلة الثائر بها على الوهيبي؛ فعمل على ما حاوله من ذلك؛ واستنزل النصارى من ألمريّة على العهد بحُسن محاولته، ورجع السيد أبو سعيد إلى غرناطة، مُزْعَجِين إليها، حتى يسبقا جيش الطاغية؛ ثم انصرف إلى إشبيلية ليقضي الغرض من أمر الوهيبي. فعندما خلا منه الجوّ، ومن الخليفة مكانه، وجدت حُسّاده السبيل إلى التدبير عليه، والسعي به، حتى أوغَروا صدر الخليفة؛ فاستوزر عبد المؤمن ابن عبد (۱) السلام بن محمد الكومي. وانبرى لمطالبة ابن عطية، وجدّ في التماس عَوَراته، وتشنيع سَقَطاته، وأغرى به صنائعه، وشحن عليه حاشيته، فبرُوا وراشُوا وانقلبوا، وكان مما نقم على وأغرى به صنائعه، وشحن عليه حاشيته، فبرُوا وراشُوا النقلبوا، وكان مما نقم على المتونيين، وانتياشهم من خمولهم، حتى تزوج بنت يحيئ الحمار من أمرائهم؛ وكانت أمها زينب بنت علي بن يوسف، فوجدوا السبيل بذلك إلى استئصال شَافته وكانت أمها زينب بنت علي بن يوسف، فوجدوا السبيل بذلك إلى استئصال شَافته وللحكام، حتى نظم منهم مروان بن عبد العزيز، طليقه ومُسْتَرَقُ اصطناعه، أبياتًا طرحت بمجلس عبد المؤمن (۲): [البسيط]

قبل للإمام أطال (٣) الله مُدِنّه أو الله مُدِنّه أو الزراجين قوم قد وترته م ميل وللوزير إلى آرائهم ميل فبادر الحزم في إطفاء (٥) نارهم (٦) هم العدو ومَنْ والاهم كهم العدو ومَنْ والاهم كهم الله يعلم أنى ناصع لكم

قولًا تَبينُ لذي لُبُّ حقائقهُ وطالبُ الثار لم تُؤمن بوائقهُ (٤) لذاك ما كَثُرَت فيهم علائقهُ فربما عاق عن أمر عوائقه فاحذر عَدُولً واحذر مَن يُصادقه والحذر عَدُولً واحذر مَن يُصادقه والحدر مَن يُصادقه

⁽١) في النفع: «فاستوزر عبد السلام».

 ⁽۲) الأبيات في الحلّة السيراء (ج ۲ ص ۲۲٦)، والبيان المغرب ـ قــم الموحدين (ص ٥٩)، ونفح الطيب (ج ۷ ص ١٧٥).

⁽٣) في البيان المغرب: «أدام».

⁽٤) الزراجين: كلمة أطلقها المهدي بن تومرت على المرابطين، وواحدها زرجان وهو طائر أسود البطن، أبيض الريش، شبّه المهدي المرابطين به الأنهم بيض الثياب، سود القلوب. نظم الجمان (ص ٨٥). وانظر الإحاطة (ج ١ ص ٢٦٦ حاشية رقم ٢ من تعليق المحقق عنان. والبوائق: جمع بائقة وهي الداهية. محيط المحيط (بوق).

 ⁽٥) في الحلة السيراء: ﴿إخماد﴾.
 (٦) في البيان المغرب: ﴿نورهم﴾.

⁽Y) هذا البيت ساقط في البيان المغرب.

قالوا: ولمّا وقف عبد المؤمن على هذه الأبيات البليغة في معناها وَغِرَ صدرُه على وزيره الفاضل(١) أبي جعفر، وأسرٌ له في نفسه تغيّرًا، فكان ذلك من أسباب نكبته. وقيل: أفضى إليه بسرٌ فأفشاه، وانتهى ذلك كله إلى أبي جعفر وهو بالأندلس، فقلق وعَجُلَ بالانصراف(٢) إلى مَرَّاكُش، فَحُجِبَ عند قدومه، ثم قِيدُ بالأندلس، فقلق وعَجُلَ بالانصراف(٢) بعده، حاسرَ العمامة، واستُخضر الناسُ على طبقاتهم، وقرروا(١) ما يعلمون من أمره، وما صار إليهم منه(٥)، فأجاب كل بما اقتضاه هواه، فأمر(١) بسجنه، ولفّ معه أخره أبو عقيل عطية، وتوجُه عبد المؤمن في إثرِ ذلك زائرًا إلى تُربة المهدي(٧)، فاستصحبهما منكوبين بحال ثِقاف. وصدرت عن أبي جعفر في هذه الحركة، من لطائف الأدب، نظمًا ونثرًا في سبيل التوسّل بتُربة إمامهم(٨)، عجائبُ لم تُجُدِ(٩)، مع نغوذ قَدَر الله فيه. ولما انصرف من وُجُهته أعادهما معه، قافِلًا إلى مراكش، فلما حاذى تاقْمَرُت، أنفَذَ الأمر رحمهما الله المتصلة بالحصن على مقربة من الملّاحة هنالك، فمضيا لسبيلهما، بالشّغراء المتّصلة بالحصن على مقربة من الملّاحة هنالك، فمضيا لسبيلهما، رحمهما الله(١٠٠).

شعره وكتابته: كان ممّا خاطب به الخليفة عبد المؤمن مُستعطفًا كما قلناه من رسالة:

قتالله لو أحاطت بي (١١) خطيئة ، ولم تَنْفَكُ نفسي عن الخيرات بطيئة ، حتى سَخِرْتُ بمَن في الوجود، وأَنِفْتُ لآدم من السجود، وقلت: إن الله لم يُوح إلى (١٢) الفُلك إلى نوح ، وبَرَيْتُ لقرار (١٣) ثمُود نَبْلا، وأبرَمْتُ لِحَطَب نار الخليل حَبْلا، وحطَطْتُ عن يونس شجرة اليَقْطين، وأوقذتُ مع هامان على الطين، وقبضتُ قبضة من الطير (١٤) من أثر الرسول فنبذتُها ؛ وافترَيْتُ على العَذراء البتول (١٥) فقذفتُها ؛ وكتبتُ صحيفة (١٦) القطيعة بدار الندوة، وظاهرتُ الأحزاب بالقُصْوى من العُذوة،

⁽١) كلمة (الفاضل) ساقطة في نفح الطيب. (٢) في النفح: (الانصراف).

⁽٣) كلمة «الثاني» غير واردة في النفح. ﴿٤) في النفح: •على ماه.

⁽٥) في النفع: ﴿ إِلَيْهُ مَنْهُمَا . ﴿ ﴿ وَأَمْرُهُ .

⁽٧) في النفح: «المهدي محمد بن تومرت». (٨) في النفح: «إمامهم المهدي».

⁽٩) في النفح: «لم تُجدِ شيئًا». (١٠) في النفح: «الله تعالى».

⁽١١) في النفح: ﴿ بِي كُلُّ خَطِّينَةِ ٩. ﴿ (١٢) فِي النَّفْحُ: ﴿ فِي الْفَلْكُ لَنُوحٍ ﴾ .

⁽١٣) في النفع: «لقُدار». وقدار ثمود: هو عاقر ناقة صالح.

⁽١٤) قوَّله: هُمن الطير؛ ساقط في النفح.

⁽١٥) العذراء البتول: هي مريم أمّ عيسى عليهما السلام.

⁽١٦) هي صحيفة القطيعة التي كتبتها قربش وعلِّقتها في الكعبة لمقاطعة بني هاشم رهط النبي ﷺ.

وذَمَمْتُ كُلُ قُرشي، وأكرمْتُ لأجل وَحْشي (١) كُلُّ حبشي، وقلتُ إن بيعة السُّقيفة لا توجب لإمام (٢) خليفة، وشحذْتُ شَفْرة غلام (٣) المغيرة بن شعبة، واعتَقَلْتُ (١) من حصار الدار وقَتُل أشْمُطها (٥) بشُعبة، وغادرت الوجْه من الهامة خضيبًا، وناولْتُ مَنْ قَرَعُ سنَّ الخمسين (٢) قضيبًا، ثم أتيت حَضرة المغصوم (٧) لائذًا، وبقبر الإمام المهديّ عائِذًا. لقد آن لمقالتي أن تُسْمع، وأن (٨) تُغفر لي هذه الخطيئاتُ أَجْمَع:

> فَعَفْوًا أميرَ المؤمنين فَمَنْ لَنا [وكتب مع ابن له صغير آخرة](١٠٠): [البسيط]

بان العزاء لفرط البت والحزن وعطفة منكم أنجى من السُفن لها ورحمتُكم (١١١) أوقى من الجُنَن بمن أجارَتْهُ رحماكم من المِحن بنصره لم يَخَفُ بطشًا من الزمن والطُّرْف ينهض بعد الرُّكض من وَسَنِ من دون مَن عليهم لا ولا ثمن تلك الحيَاتَيْن من نَفْس ومن بَدَنِ لم يألفوا النُّوح في فَرْع ولا فَنَن والكل لولاك لم يُوجد ولم يَكُن

بحَمل (٩) قلوب هَدُّها الخَفَقانُ

عطفًا علينا أمير المؤمنين، فقد قد أغْرَقَتْنا ذنوبٌ كلُّها لُجَجِّ وصادقتنا سهام كلها غرض هيهات للخطب أن تسطو حوادثه مَنْ جاء عندكم يَسْعى على ثقة فالثوبُ يَطْهُرُ بعد(١٢) الغسل من دَرَن أنتم بَذَلْتُم حياة الخَلْق كلّهم ونحن من بعض مَن أَخْيَتُ مكارمُكُم وصِبْية كفراخ الوُزق من صِغر قد أَوْجَدَتُهُمْ أيادٍ منكَ سابغة(١٣)

⁽١) وحشي: هو قاتل حمزة عمّ الرسول ﷺ في غزوة أحُد. وقد أسلم فيما بعد، وقتل مُسَيلمة الكذّاب.

⁽٢) في النفع: «إمامة الخليفة».

⁽٣) غلام المغيرة: هو أبو لؤلؤة، قاتلُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

⁽٤) في النفح: ﴿واعتلقت﴾.

⁽٥) أراد بأشمط الدار عثمان بن عقان رضي الله عنه.

⁽٦) في النفح: «الحسين».

⁽٧) في النفح: «المعلوم». (٩) في النفح: فبردًّ. (٨) في النفح: ﴿وتغفرُ ٩.

⁽١٠)ما بين قوسين غير وارد في الإحاطة، وقد أضفناه من النفح، لأن الأبيات على قافية النون المكسورة، وهي على البسيط.

⁽١٢) في النفح: «عند». (١١) في النفح: ﴿ورحمة منكم أوقي. . . ٪.

⁽١٣) في النفع: دسابقة.

ومن فصول رسالته التي كتب بها عن أبي حفص، وهي التي أورثته الكتابة العليَّة والوزارة كما تقدم قوله (١٠):

الكتبنا(٢) هذا من وادي ماسة بعد ما تَزَحزح (٣) أمر الله الكريم، ونصر الله المعلوم (٤) ﴿ وَمَا اَلنَّمَرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْمَهِيزِ الْمُكِيدِ (٥) فَتَحْ بمسرى (٦) الأنوار إشراقًا، وأخدَق بنفوس المؤمنين إحداقًا، ونبه للأماني النَّائمة جُفونًا وأخداقًا، واستغرق غاية الشكر استغراقًا، فلا تطيق الألسن كُنه (٧) وَصُفه إدراكًا ولا لحاقًا؛ جمع المُتات الطبُ (٨) والأدب، وتقلّب في النعم أكرم مُنقلب، وملا دلاء الأمل إلى عَقْد الكرّب (٩): [البسيط]

فَتُحْ تُفَتُّحُ أبوابُ السماء له وتَبْرُزُ الأرضُ في أثوابها القُشبِ

وتقدّمت بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مُهلة. كان أولئك الضالُون المرتدّون قد بَطِروا عدوانًا وظلمًا، واقتطعوا الكُفْر معْنَى واسمًا، وأملى لهم الله ليزدادوا إثمًا؛ وكان مقدّمُهم الشقي قد استمال النفوس بخُزَعْبلاته، واستهوى القلوب بمَهُولاته، ونصب له الشيطان من جبالاته، فأتنهُ المخاطبة (١٠٠ من بُعْد وكَثَب، ونسَلَتْ إليه الرسلُ من كل حَدَب، واعتقدته الخواطر أغجَبَ عَجَب؛ وكان الذي قادهم لذلك (١١١)، وأوْرَدَهُم تلك المهالك، وصولُ مَنْ بتلك (١٢) السواحل، ممّن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس، فيما سلف من الأعوام، واشتغل على رَغْمه (١٢) بالصيام والقيام، آناء الليل (١٤) والأيام، لبسوا الناموس أثوابًا، وتدرّعوا الرياء جِلْبابًا، فلم إلى التوفيق (١٥) بابًا».

ومنها في ذكر صاحبهم (١٦٠):

⁽١) الرسالة في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٧٨). (٢) في النفح: «كتابنا».

 ⁽٣) في النفع: «ما تبعد».
 (٤) في النفع: «المعهود المعلوم».

⁽٥) سُورة آلَ عمران ٣، الآية ١٢٦. (٦) في النفح: قفتح بَهَرَ الأنوار».

⁽٧) في النفح: ولِكُنه. والطّلب، والطّلب،

⁽٩) البيت لأبي تمام وهو في ديوانه (ص ١٤). (١٠) في النفتح: «المخاطبات».

⁽١١) في النفح: وإلى ذلك. أو الله عند النفع النفع

⁽١٣) في النفح: «على زُغمه بالقيام والصيام». (١٤) في النفح: «الليالي».

⁽١٥) في النفح: ﴿بِالتَّوْفِينَ ١.

⁽١٦) هو محمد بن عبد الله الماسي المدّعي للهداية، كما جاء في النفح، وكما تقدّم عنه قبل قليل.

الفصرع والحمد(١) لله لحينه، وبادرت إليه بوادرُ مَنُونه، وأتَتْه وافداتُ الخطيثات عن يُساره، ويمينه، وكان (٢) يدّعي أن المنِيَّة في هذه الأعوام لا تصيبه، ويزعم أنه يُبشّر بذلك والنوائب لا تنوبه؛ ويقول في سواه قولًا كثيرًا، ويختَلِق على الله إفْكًا وزورًا؛ فلما عاينوا(٣) هيئة اضطجاعه، ورأوا ما خَطَّته(٤) الأسِنة في أعضائه (٥)، ونفذ فيه من أمر الله ما لم يقدروا على استرجاعه؛ هُزمَ لهم من كان لهم من الأحزاب، وتساقطوا على وجوههم كتُسَاقُط (٢) الذُّباب، وأعطوا عن بَكُرة أبيهم صَفْحَة (٧) الرّقاب، ولم تقطِر كلومهمُ إلّا على الأعقاب(٨)؛ فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم، وأذِنت (٩) الآجال بانقراض آمالهم (١٠)، وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم؛ فلم يُعايَن منهم إلَّا مَن خَرَّ صريعًا، وسقى الأرض نَجيعًا(١١١)، ولَقِيَ من وقع(١٢) الهِنْديّات أمرًا فظيعًا؛ ودعت الضرورة باقيهم إلى التّرامي في الوادي، فمَن كان يؤمل الفرار منهم ويَرْتَجيه، ويَسْبَحُ طامعًا في الخروج إلى ما يُسْجيه، اختطفته الأسنَّة اختطافًا، وأذاقته موتًا ذُعافًا(١٣)؛ ومَن لجَّ في الترامي على لجُجَه، ورام البقاء في تُجُه (١٤)، قضى عليه شَرَقُه، وألوى فَرقته (١٥) غَرقه. ودخل الموحُدون إلى الباقية(١٦٦) الكائنة فيه، يتناولون قتالهم طعنًا وحربًا(١٧)، ويلقونهم بأمر الله هَوْنًا(١٨) عظيمًا وكُرْبًا، حتى سَطَت (١٩) مراقات الدماء على صفحات الماء، وحكت حُمرتها على زُرُقه حمرة الشّفق على زُرُق (٢٠٠ السماء؛ وظهرت (٢١١ العِبرة للمُعْتبر، في جري الدماء (٢٢) جَزْيَ الأَبْحُر».

⁽١) في النفح: ﴿يحمد اللهِ ٩.

 ⁽٢) في النفع: (وقد كان يدّعي أنه بُشر بأن المنيّة...».

 ⁽٣) في النفح: ﴿ رأوا ٤٠.
 (٤) في النفح: ﴿ رأوا ٤٠.

⁽٥) في النفح: «أعضائه وأضلاعه». (٦) في النفح: «تساقط».

⁽٧) في النفح: «صفحات».

 ⁽٨) كناية عن جبنهم وفرارهم، وقد أخذ هذا من قول الشاعر: [الطويل]
 قلسنا على الأعقاب تُذمَى كلومُنا ولكنْ على أعناقنا يَقْطُرُ الدّما

لسان العرب (دمي).

⁽٩) في النفح: (وآذنت). (١٠) في النفح: (آمادهم).

⁽١١) النجيع: الدم. لسان العرب (نجع). (١٢) في النفح: قمن أمر الهنديات فظيعًا،

⁽١٣) يقال: السّم الذعاف، أي القائل لحينه. لسان العرب (ذعف).

⁽١٤) في النفح: البجه. (١٥) في النفح: البذقنه.

⁽١٦) في النفح: قالبقية؛. (١٦) في النفح: قوضربًا؟.

⁽٢٠) في النفح: (زرقة). (٢٠) في النفح: (وجرت).

⁽٢٢) في النفع: «في جري ذلك الدم».

دخوله غرناطة: احتلّ بغرناطة عام أحد وخمسين وخمسمائة، لما استَدْعى أهل جهات المريّة، السيّد أبا سعيد إلى مُنازلة من بها النصارى؛ وحشد، ونزل عليها، ونصب المجانيق على قَصَبتها، واستَضرخ من بها الطاغية (۱)، فأقبل إلى نصرهم؛ واستمدّ السيد أبو سعيد الخليفة، فوجّه إليه الكبير أبا جعفر بن عطية صُحبة السيد أبي يعقوب ابنه، فلحق به، واتصل الحصار شهورًا سبعة، وبُذِلَ الأمنُ لمن كان بها، وعادت إلى مَلَكَة الإسلام، وانصرف الوزير أبو جعفر صُحبة السيد أبي يعقوب إلى إشبيلية، وجرت أثناء هذه أمور يطول شرحها؛ ففي أثناء هذه الحركة دخل أبو جعفر غرناطة، وعُدٌ فيمن ورد عليها.

مولده: بمرَّاكُش عام سبعة وعشرين وخمسمائة (٢).

وفاته: على حسب ما تقدّم ذكره، لليلة بقيت من صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسين وخمسين وخمسين وخمسين وخمسمائة (٢).

أحمد بن محمد بن شعيب الكِرياني

من أهل فاس، يكنى أبا العباس، ويُعرَف بابن شُعيب من كِريانة، قبيلة من قبائل الرَّيف الغربي.

حاله: من «عائد الصّلة»: من أهل المعرفة بصناعة الطب، وتدقيق النظر فيها، مُشارِكًا في الفنون، وخصوصًا في علم الأدب، حافظًا للشعر؛ ذُكر أنه حفظ منه عشرين ألف بيت للمُخدثين، والغالب عليه العلوم الفلسفية، وقد مُقت لذلك، وتهتّك في علم الكمياء، وخلع فيه العِذار، فلم يُحل بطائل، إلّا أنه كان تفَوّه بالوصول شَنْشَنة المَفْتونين بها على مدى الدهر. وله شعر رائق، وكتابة حسنة، وخط ظريف. كتب في ديوان سلطان المغرب مُرئسًا، وتسرّى جارية روميّة اسمها صُبْح، من أجمل الجواري حُسْنًا، فأذبها حتى لُقّنت حظًا من العربية، ونظمت الشعر، وكان شديد الغرام بها، فهلكت أشدٌ ما كان حبًا لها، وامتداد أمل فيها، فكان بعد وفاتها لا يُرَى إلّا في تأوّه دائم، وأسف مُتمادٍ، وله فيها أشعار بديعة في غرض الرّثاء.

مشيخته: قرأ في بَلَده فاس على كثير من شيوخها، كالأستاذ أبي عبد الله بن أخروم نزيل فاس، والأستاذ أبي عبد الله بن رُشيد، ووصل إلى تونس، فأخذ منها الطبُ والهيئة على الشيخ رُخلَة وقته في تلك الفنون، يعقوب بن الدرَّاس.

⁽١) المراد ألفنش ريموندس، صاحب قشتالة.

⁽٢) في الحلَّة السيراء (ج ٢ ص ٢٣٨): قمولده سنة سبع عشرة وخمسمائة؟.

⁽٣) كذا جاء في الحلَّة السيراء.

وكان مما خاطب به الشيخ أبا جعفر بن صَفُوان، وقد نشأت بينهما صداقة أوجبها القدر المشترك من الولوع بالصنعة المَرْموزة، يتشوّق إلى جهة كانوا يَخُلون بها للشيخ فيها ضَيْعة بخارج مالَقَة كَلاَها الله: [المتقارب]

رعسى الله وادي شيئيسائية ومسرحنا بين خضر الغصون ومرزت عنا تحت أذواحه نشاهد منها كعرض الخسام ولله مسن در حسسائيه وليل به في شيئور الغصون والسحاره كيف راقت وصوله منك أبا جعفسر ولله منك أبا جعفسر ونبيلاني في شجون الحديث وتبيلاني في شجون الحديث فألقط من فيك سخر البيان فالقط من فيك سخر البيان فالشط من فيك سخر البيان فالشر الذي دونها معشر فاصبحت لا أنتغي بعدها

وتلك الغَدَايا وتلك اللّيالي (۱)
وَوَدُق المياه وسِحْر الظُّلالِ
ومخْرَعُنا في النّمير الزُّلالِ
إذا ما انتَشَت فوقه كالعَوالي (۲)
لآلٍ وأخسس بها من لآلِ
كخودٍ ترنّم فوق الحجالِ
حميد النسيم بها في اعتدالِ
عميد الحلال حميد الخِلالِ
وتُسفر لي عن معاني المعالي
ويا طِيبَة كل سِحْرِ حَلالِ
مُجيبًا به عن عريض النّوالِ
مُجيبًا به عن عريض النّوالِ
كثير المقال قليل النّوالِ

وخاطب الفقيه العالم أبا جعفر بن صفوان يسأله عن شي. من علم الصناعة بما نصُه: [الكامل]

دارُ السهسوى نَسجَدُ وساكِنها وممّا صدَّر به رسالة: [الطويل] أيُجْمَعُ هذا الشَّمْلُ بعد شَتاتِهِ؟ أمسا لِلْسِلى آية عسسسويّة أمسا لِلْسِلى آية عسسسويّة ويُورِدُ عَيْني بعد مِلْح مدامعي

أقصى أماني النفس من نَجُدِ

ويُرْصَلُ هذا الحَبْلُ بعد انْبِتاتِهِ؟ فيَنشُر ميَّتَ الأنْس بعد مماته؟ برزيته في عَذْبه وفراته؟

⁽١) في الأصل: الليال، (٢) في الأصل: اكالعوال.

⁽٣) في الأصل: «لا أبال».

وأنشد له صاحبنا الجليل صاحب العلّامة (١) بالمغرب، أبو القاسم بن صفوان قوله: [المنسرح]

> يا رُبُ ظَنِي شعارُهُ نُسُكُ يَشُرُكُ مَن هام به مُكتنبا اشكو له ما لقيتُ من حُرق ضبَرتُ حنى أطل عارضه

الحاظه في الورى لها فَتُكُ لا تعجبوا أن قومه الترَّكُ فَيُكُ لا تعجبوا أن قومه الترَّكُ فَيَنْ مُشِينًا إذا أشكو فينمشينًن (٢) لاهيا إذا أشكو فكان صبري ختامه مِسْكُ

ومن المعاتبة والفكاهة قوله: [السريع]

وبائع للكُتْبِ يبتاعُها بارخيض السَّوم وأغلاهُ في نِصْف الاستذكار أعطيتُه ومحض العين وأرضاهُ وله أيضًا: [الكامل]

يا مَن توعُدني بحادث هَجُره هذا عِذارك وهو موضع سَلْوَتي وأظلنُ سَلْوَتنا عَدًا أو بعده وله أيضًا: [الكامل]

قال العذول تنقُّصًا لجماله لا بل بدا فصلُ الربيع بِخَدُه

وله يرثي: [مجزوء الكامل]

يا قَبْرَ صُبْح، حل في وغدوت بعد عيانها أخشى المنبية إنها كم بين مُفيبور بفا وله أيضًا يرثيها: [الكامل]

يا صاحب القبر الذي أعلامه

إنَّ السَّلْقِ لَدُون ما يستوعَّدُ فَأَكْفِفُ فَقد سبق الوعيدُ المَوْعِدُ فَاكْفِفُ فقد سبق الوعيدُ المَوْعِدُ فبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ

هذا حبيبك قد أطل عِذارُهُ فعلذا تعساوى ليلهُ ونعهارُهُ

لكَ بمهجتي أَسْنَى الأماني (٣) أشهى البقاع إلى البعبان أشهى البقاع إلى البعبان تُقصي مكانك عن مكاني (٤) سَ وقبابر بالقيسروان

درست وثابت حُبّه لم يُدْرَس

⁽١) كان صاحب العلّامة بالمغرب يتولّى التوقيع باسم السلطان على المراسيم الملكية، وكانت وظيفته من أهم الوظائف الإدارية بالمغرب.

⁽٢) في الأصل: "فيمش" وهكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «الأمان".

⁽٤) في الأصل: المكانا.

ما الياسُ منك على التصبر حاملي لمّا ذُهبُتَ بكلٌ حُسْنِ أصبحتْ أضباخ أيامي ليبال كلها وقال في ذلك: [مجزوء الكامل] أغلينت ما صنع الفرا ووقفت منهم حيث للله سبنقت مطاياهم فسما أأطَفَتَ حسل صدودهم عين ذات عيرق أضعندُوا نلزلوا ببرقة تلمهد وتسيسامَسنُسوا عَسسْفَسان أن ما ضرهم المنسى قالوا تسفرة قسنا غددا عسمدا رأوا قسفسل السعسي آؤلى لىجسسمىك أن يَسرقُ أمسا السفسؤاد فسعسنسدهسم أعستاد حب مسحلهسم والها لسالفة الشبا أنسقت حسرارة لسؤعسة وقال أيضًا: [الكامل]

يا موجشي والبعد دون لقائه يُذنيك مني الشوق حتى إنني وأحن شوقًا للنسيم إذا سَرَى كان اللّقاء (٢) فكان حظي ناظري

أياشتني فكأنني لم أيأسِ نفسي تُعاني شَجُو كلُّ الأنفسِ لا تَنْجلى عن صُبْحِك المُتَنَفَّس

قُ غداة جَدلً به الرّفاق؟ نسطرات والسدمه استباق أبطا(١) بنفسك في السباق لِلْبَيْسِن خَطْبُ لا يُطساقُ أتقول دارُهُم العراق فلذاك ما شنب البراق يقفوا بمنجتمع الرفاق لبو وانتقوا بتعيض البوفاق فيشغلت عن وعد التسلاق مد فكان عيشك في اتّفاق ودميع عينيك أن يُسراق دغه ودغهوى الاشتهاق فسمحل صدرك عنه ضاق ب منضّت بأيامي الرقاق بين الترائب والتراق مين أدميعسي كيأس دِهاق

أدعوك عن شَحَطِ وإن لم تَسْمَعِ لأراك رَأْي العين لولا أدمعي لحديثكم وأصيح كالمُستطلع وسُطَ الفراق فصار حظي مسمعي (٣)

⁽١) في الأصل: وأبطى، رجاءت هنا مخفَّفة عن الأصل وهو: وأبطأ،.

⁽٢) في الأصلّ: اللقاء وهكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: المسمع،

فَابُغَتْ خَيَالُكُ تُهْدِه نَارِ الْحَشَّا إِنْ كَانَ يَجَهَلُ مِنْ مَقَامِي مَوْضَعِي (١) واصحبُه من نومي بتُحفة قادم فصدى فَليلُ رِكابكم لم تُجْمَع

دخوله غرناطة: دخل غَرْناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد (٢) لقربٍ من ولايته في بعض شؤونه؛ وحقّق بها تغيير أمر الأدوية المنفردة التي يتشوّف الطّيبُ إليها والشحرور، وهي بقرية شون (٢) من خارجها.

وفاته: رحمه الله، توفي بتونس في يوم عيد الأضحى من سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن الخمي ابن محمد بن حسين بن علي بن سليمان بن عرفة اللخمي

الفقيه، الرئيس، المتفنّن، حامل راية مذهب الشعر في وقته، المشار إليه بالبنان في ذلك ببلده، يكنى أبا العباس.

حاله: كان فذًا في الأدب، طِرْفًا في الإدراك، مهذب الشمائل، ذَلِق اللسان، معتبع المجالسة والمحاضرة، خُلُو الفكاهة، يرمي كل غرضٍ بسهم، إلى شرف النشأة وعز المرتبة، وكرم المَحْتِد، وأصالة الرياسة.

حدَّثني الشيخ أبو زكريا بن هُذَيل، قال: حضرت بمجلس ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم، وأبو العباس بَدْرُ هالتِه، وقُطْبُ جلالته، فلم يُحر بشيءٍ إلا ركض فيه، وتكلّم بمل فيه. ثم قمنا إلى زبّارين يُصلِحون شجرة عنب، فقال لعريفهم: حقَّ هذا أن يقضر، ويُطال هذا، ويُعْمل كذا. فقال الوزير: يا أبا العباس، ما تركت لهؤلاء أيضًا حظًا من صناعتهم، يستحقّون به الأجرة، فعجبنا من استحضاره، ووساعة ذرْعه، وامتداد حظَّ كفايته.

قدومه على غرناطة: قُدِمَ عليها مع الجُملة من قومه عند تغلب الدولة النصرية على بلدهم، ونزول البلاء والغلاء والمحنة بهم، والجلاء بهم في آخر عام خمسة

⁽١) في الأصل: الموضعة.

⁽٢) سابع سلاطين بني نصر هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، وقد حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. وسادس سلاطينهم هو محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، وقد حكم من سنة ٧٢٥ هـ إلى سنة ٧٣٣ هـ. راجع اللمحة البدرية (ص

⁽٣) شون: بالإسبانية Jun، وتقع شمال غرناطة.

وسبعمائة، ويأتي التعريف بهم بَعْدُ إن شاء الله. وكان أوفر الدواعي في الاستعطاف لهم بما تقدّم بين يدي أدعيائهم، ودخولهم على السلطان، أن الذي تنخل بمثله السّخائم، وتذهب الإحن. وخطب لنفسه، فاستمرت حاله لطيف المَنْزِلة، معروف المكانة، ملازمًا مجلس مُدبّر الدولة، مرسومًا بصداقته، مشتملًا عليه ببرّه، إلى أن كان من تقلّب الحال، وإدالة الدولة، ما كان.

شعره: وشعره نمط عالى، ومحل البراعة حال، لطيف الهبوب، غزير الماثية، أنيق الديباجة، جَمُّ المحاسن؛ فمنه في مذهب المدح، يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم (١٠): [الكامل]

مُلُكُتَ (١) رقِيً بالجمال فأجملِ انت الأميرُ على المِلاح ومَنْ يَجُرْ انت الأميرُ على المِلاح ومَنْ يَجُرْ ان قيل أنت البَدْرُ فالفضل الذي لولا الحظوظُ لكُنْت أنت مكانَهُ عيناكُ نازلتا القلوبَ فكلُها عيناكُ نازلتا القلوبَ فكلُها ما زلت أغذل في هواك ولم يزل أصبَحْتُ في شغل بحبك شاغلِ الم أهملِ الكتمانَ لكن أدمعي لم أهملِ الكتمانَ لكن أدمعي المهوى جمع الصحيحين الوفاءَ مع الهوى ما في الجنوب ولا الشمال جواب ما خلسا له من طيب عَرْفك نفحة ان كنت بعدي حُلْتَ عمّا لم أحُل أو حالت الأحوال فاستبدلت بي

وحَكَمْتَ في (٣) قلبي بجَوْرك فاغدِلِ في حكمه إلا جفونك يُغزَلِ لك بالكمال ونَقْصُهُ لم يُجهلِ ولكان دونك في الحضيض الأسفلِ إما جريح أو مُصاب المَقْتلِ فأصيب قلبي في الرُعيل الأول فأصيب قلبي في الرُعيل الأول عن أن أصيخ إلى كلام العُذَلِ عن أن أصيخ إلى كلام العُذَلِ قلبي وأملى الدُمْعُ كَشْفَ المشكلِ قلبي وأملى الدُمْعُ كَشْفَ المشكلِ قلبي وأملى الدُمْعُ كَشْفَ المشكلِ أهدى إليك مع الصّبا والشمال(٤) تجيء بها دماء عليلها المُتعللِ عنه وأهملَتَ الذي لم أهملِ عنه وأهملَتَ الذي لم أهملِ عنه وأهملَتَ الذي لم أهملِ فيك لم يُستَبُدلِ

⁽۱) هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن محمد اللخمي، المعروف بابن الحكيم. من أهل رندة، كاتب أديب بليغ، شهير الذّكر بالأندلس. توفي بفاس سنة ٧٢١ هـ. ترجمته في أزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٤٠) وقصيدة ابن عرفة اللامية في أزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٥٠).

⁽٢) في الأصل: «تُمَلُّكُت، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من أزهار الرياض.

⁽٣) كلمة «في، ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من أزهار الرياض.

⁽٤) هذا البيت والأبيات التي تليه لم ترد في أزهار الرياض.

لاقى الشرى لأذاب صُم الجندل شم الجبال أخفه لم تَحمل حتى على حَبْس الهزّبر المُشبل فوق السّنام فصرتُ تحت الكلكل وخِضاب أبي شيبة لم تَسْصِل لا تسنزلُ السلذات ما لهم يَسرُ حَسل لاقى الجمام وإنه لم يفعل بأواره يخلي كخلي المرجل من مِسله مشقالُ حَبَّة خَردلِ شعري لجرعه نقيع الحنظل فيها مرتاح ولا بمؤمل أنَّ المُجلِّى فيه دون الفُسكُل بِسَاقِ عَمِلَى مَرُ السحوادث حُولِ متجلد في عُسره مُتَجَمّل بقضاء حاجات الكرام مُوكّل مشل ينقوم مقامه منتمثل في الحال والماضي وفي المستقبل أقسيال لَخسم في السزمان الأولِ ومشاجع وأبي الفوارس نهشل تجلو طلاقته هموم المختلي لَقْط القطا الأسراب حول المَنْهلِ لم تحظُ فَضلًا من إطالة مُفصل ويقيم مُغريهم مقام المؤمل من رامع عند اللجاج وأعزل عنه وحلق عقابه بالمبطل فإذا استحق عقوبة لم يَعْجَل ومعيدَه غضًا كأن لم يَذَبُل

لاقينت بعدك ما لو أذ أقله وحملت في حُبُك ما لو حُمُلت من حَيْف دهر بالحوادث مُقدم قد كنتُ منه قبل كرّ صروفه ونُعصُول شَيْب قد ألم بِلمُتي ينوي الإقامة ما بقيت وأقسمت ومسير ظَغن ودان حميمه يطوي على جسدي الضلوع فقلبه في صدره ما ليس في صدري له اعرضت عنه ولو أشف لذته جُلِّيت في حَلْبات سَبْق لم يكن ما ضرّه سبقیه فی زمن مضی ساءت مئي عُجرَفيّةً قُلُب متحرق في البذل مذة سيره حتى يثوب له الغِنَى من ماجدٍ مثلُ الوزير ابن الحكيم وما له مساد الورى بحديثه وقديمه من بیت مجد قد سمعت بقبابه سامي الدعائم طال بيت وزارة يَلْقَى الوفود ببَسط وجه مُشرق فللأمسلي جَلدواه حَلول فسنسائله وإذا نحى بالعدل فصل قضية يقضي على سخب الخصوم وشغبهم ويلقن الحج الغيئ تحرجا فإذا قنضى صور المُحِقّ بحقّه عَجِلٌ على من يستحقُ مثوبةً با كافي الإسلام كل عظيمة

وقال أيضًا يمدحه بقصيدة من مطوّلاته: وإنما اجتلبتُ من مدحه للوزير ابن الحكيم لكونه يمدح أديبًا ناقدًا، وبليغًا بالكلام بصيرًا، والإجادة تلزم فيه منظومه، إذ لا يوسع القريحة فيه عُذْرًا، ولا يُقبل من الطّمع قَدْرًا، وهي: [الكامل]

أما الرسوم فلم تَرِقُ لما بي واستبدلت بوحوشها من أنس واستبدلت وقفت بها أرَقْرِقُ عَبْرَة ولقد وقفت بها أرَقْرِقُ عَبْرَة يبكي لطول بكاي في عَرَصاتها

واستغجمت عن أن ترد جوابي بييض الوجود كواعب أتراب منيض الوجود كواعب أتراب حتى اشتكى طول الوقوف صحابي (١) صخبي ورَجْعَتِ الحنينَ ركابي (٢)

ومن شعره في المقطوعات غير المطوّلات: [مجزوء البسيط]

لم يَبْقَ ذو عَيَنِ (٣) لم يَسْبِه فملاح بينهما طمالعًا

ومن ذلك قوله: [البسيط]

كأنما الخالُ مصباحٌ بوَجُنته أو نقطةً قَطَرَتْ في الخَد إذ رسَمَتْ

ومن ذلك قوله: [المنسرح]

وَعَـذَيْهِ أَن تَـزُورَ يا أملي حتى إذا الشمسُ للغروبِ دَنَتُ آنسَني البدرُ منك حين بدا

ومن ذلك قوله: [الرمل]

مَـجُـرُكُمْ ما لي عليه جَلدُ ما قسا قلبي مِنْ هِجرانِكُمُ

وَجُهُك من زَيْن بلا مَيْن كانه قسمس (أنا) بللا مَسْسن

هَبُّتُ عواصفُ أنفاسي فعطف (٥) خطَّ الجمال بخطُّ اللّام والألِفِ

فلم أزلُ للطريق مُرْتَقِبا وصَيُرَثُ من لُجَينها ذهبا لأنه لو ظَهرتَ لاحتَجبا

فأعيدوا لي (٦) الرضى أو فَعِدُوا (٧) ولي ولي الماء ال

⁽١) في الأصل: «صحاب». (٢) في الأصل: "ركاب».

⁽٣) ذَوْ عَين: الذي عظم سواد عينه في سعة، والأنثى عيناء، والجمع عين. لسان العرب (عين).

 ⁽٤) في الأصل: «القمر» وهكذا ينكسر الوزن،

⁽۵) عجز هذا البيت منكسر الوزن، ولا يتناسق ومعنى صدر البيت.

⁽٦) في الأصل: ﴿ إِلَيُّهُ وَهَكُذَا يَنْكُسُرُ الْوَزْنُ.

⁽٧) في الأصل: «فعدّوا» بتشديد الدال، وهكذا ينكسر الوزن.

ومن ذلك قوله: [البسيط]

أبْدَى عِذَارُك عُذري في الغرام به كاته ظن أني قد نسيت له

ومما هو أطول من المزدوجات قوله: [الطويل]

ويوم كساه الدُّجنُ (٢) ذَكنَ ثيابه ويوم كساه الدُّجنُ (٢) ذَكنَ ثيابه ولاحت بأفلاك الأُفقِ كواكب وجولة وجالت جيادُ الرُّاحِ بالرُّاحِ جولة ومن ذلك: [الخفيف]

عذلوني فيمن أُجِبُ وقالوا وكذا النُّملُ كلِّما حلُّ شيئًا قلت قَبْل العِذار أُعذر فيه إنما دبُّ نحو شَهْدِ بغيه

رهب (٣) نسيم الروض وَهْوَ عليل وهب (٣) نسيم الروض وَهْوَ عليل لها في البدور الطالعات أفول في البدول الطالعات أفول في في البدول الطالعات أفول في في البدول الوقار قيل المراب المر

وزادني شغفًا فيه إلى شغف

عَهْدًا فعرَّض لي(١١) باللام والألفِ

ذَبُ نَمْلُ العِذَار في وجنتيهِ منع النَّفْسَ أن تميل إليهِ منع النَّفْسَ أن تميل إليهِ شم من بحده ألام عليهِ فلذاك انتهى إلى شَفَتيهِ

وإحسانه كثير، ومثله لا يقنع منه بيسير.

وفاته: قال في «عائد الصلة»: «ولمّا كان من تغلّب الحال، وإدالة الدولة، وخلع الأمير، وقتل وزيره، يوم عيد الفطر من سنة سبع وسبعمائة، وانتهبت دار الوزير، ونالت الأيدي يومئذ، من شمّله دهليز بابه، من أعيان الطبقات، وأولي الخطط والرّتب، ومنهم أبو العباس هذا، رحمه الله؛ فأفلت تحت سلاح مشهُودٍ، وحيّز مَرْقوف، وثوب مسلوف؛ فأصابته بسبب ذلك علّة أيامًا، إلى أن أودت به، فقضت عليه بغرناطة، في الثامن والعشرين لذي حجة من سنة سبع وسبعمائة (١٤)؛ ودفن بمقبرة الغرباء من الرّبيط عَبْر الوادي تجاه قصور نجد، رحمة الله عليه.

⁽١) كلمة «لي؛ ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم المعنى والوزن معًا.

⁽٢) في الأصل: «الدجى» وهكذا ينكبس الوزن، ولا يستقيم مع المعنى. والدَّجن: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء. لسان العرب (دجن).

⁽٣) في الأصل: ﴿وَهَبُّتُ،

⁽٤) في أزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٥٧): توفي بغرناطة في ذي الحجة من عام ثمانية وسبعمائة.

أحمد بن علي المِلْياني (١)

من أهل مرَّاكش، يكني أبا عبد الله وأبا العباس.

صاحب العلامة (٢) بالمغرب، الكاتب الشهير البعيد الشأن (٣) في اقتضاء التّرة (٤)، المثل المضروب في العفّة (٥)، وقوة الصّريمة، ونفاذ العزيمة.

حاله: كان (٢) نبيه البيت، شهير الأصالة، رفيع المكانة، على سجيّة غريبة كانت (٢) فيه، من الوقار والانقباض والصَّمت. أخذ (٨) بحظ من الطُّب، حُسَن الخطّ، مليح الكتابة، قارضًا للشعر، يُذْهب (٩) نَفْسَه فيه كلّ مذهب.

وصمته: فتك (١٠) فَتْكة شنيعة (١١) أساءت الظنَّ بحَمَلة الأقلام على مر (١٢) الدهر؛ وانتقل إلى الأندلس بعد مشقّة. وجرى ذكره في كتاب «الإكليل» بما نصه (١٣):

«الصّارم، الفاتك، والكاتب الباتك (١١) أي (١٥) اضطراب في وقار، وتجهّم تحته أنس عقار! اتخذه صاحب (١٦) المغرب صاحب علامته، وتَوَّجَهُ تاجَ كرامته؛ وكان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثأر عَمّه، ويطوقهم دمه بزعمه، ويُقصر على الاستبصار (١٧) منهم بنات همّه، إذ سَعَوًا فيه حتى اعْتُقل، ثم جدُّوا في أمره حتى قُتل؛ فترصد كتابًا إلى مراكش يتضمّن أمْرًا جَزْمًا، ويشلُ (١٨) من أمور الملك عَزْمًا،

⁽۱) ترجمة الملياني في نفح الطيب (ج ۸ ص ٤٠٤). والمِلْياني: نسبة إلى مِلْيانة وهي مدينة كبيرة بالمغرب من أعمال بجاية، كثيرة الخيرات، مشهورة بالحُسن وكثرة الأشجار، وتدفّق المياه. آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٢٧٣)، والروض المعطار (ص ٥٤٧)، ومعجم البلدان (ج ٥ ص ١٩٦).

 ⁽۲) النص في نفح الطيب (ج ۸ ص ٤٠٥). وصاحب العلّامة بالمغرب هو الذي كان يتولى التوقيع
 باسم السلطان على المراسيم الملكية، وكانت وظيفته من أهم الوظائف الإدارية بالمغرب.

 ⁽٣) في النفح: «الشآو».
 (٤) في الأصل: «الثّرة»، والتصويب من النفح. والتّرة: الدّخل (الثأر). لسان العرب (وتر).

 ⁽٥) في النفح: «الهنة».
 (٦) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٠٥).

⁽٧) قُولُه: (كَانَت فيه) غير وارد في النفح. (٨) في النفح: (آخذًا!.

 ⁽٩) في النفح: «تذهب».
 (١٠) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٠٥).
 (١١) في النفح: «شهيرة».

⁽۱۳) النص في نفح الطيب (ج ۸ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥).

⁽١٤) الباتك: القاطع. محيط المحيط (بتك). (١٥) في الأصل: قابيٌّ، والتصويب من النفح.

⁽١٦) في النفع: قالك. والاستنصارا.

⁽١٨) في النفح: ﴿ويشمل ا

جعل الأمر(١١) فيه بضرب رِقابهم، وسَنِي أسبابهم؛ ولمّا أكَّد على حامله في العُجَل، وضايقه في تقدير الأجل، تأنَّى حتى علم أنه قد وصل، وأنَّ غرضه قد حصل. فَرُّ إلى تِلِمُسان، وهي بحال حصارها، فاتّصل بأنصارها، حالًا بين أنوفها وأبصارها؛ وتعجّب من فراره، وسوء اغتراره، ورجَحت (٢) الظنون في آثاره. ثم اتّصلت ^(٢) الأخبار بتمام الحيلة، واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة، وتَرْكها (٤) شَنْعةُ على الأيام، وعارًا في الأقاليم على حَمَلَةِ الأقلام؛ وأقام بتِلمُسان إلى أن حَلُّ مُخَنِّق حصارها (٥)، وأزيل هِمْيان (٦) الضيقة عن خَصْرها؛ فلحق بالأندلس، فلم (٧) يَعْدم برًّا، ورَغْيًا مستمرًا، حتى أتاه حِمامُه، وانصرمت أيامُه».

شعره: من (١٠) الذي يدل على برّه (٩)، وانفساخ (١٠) خُطاه في النّفاسة، وبُعْد شأوه، قوله: [الكامل]

> العِزُ ما ضُربَتْ عليه قِبابي والزُّهْرُ ما أهداه غصنُ براعتى والمجدُ(١٢) يمنع أن يُزاحَمَ مَوْردي فإذا بلوت صنيعة جازيتها وإذا عنقندت مودة أجريتها

والفضل ما اشتملت عليه ثيابي والمِسْكُ ما أبداه نقش (١١١) كتابي والعَزْمُ يأبى أن يُسام (١٣) جَنابي بجميل شكري أو جزيل ثوابي مجرى طعامي من دَمِي وشرابي وإذا طلبتُ من الفراقد والسُّهي شَارًا فَأُوشِكُ أَنْ أَنَالَ طِلابِي

وفاته: توفي رحمه الله يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمائة، ودفن بجبَّانة باب إلبيرة، تجاوز الله تعالى(١٤) عنه.

أحمد بن محمد بن عيسى الأموى

يكنى أبا جعفر، ويُعرَف بالزّيّات.

⁽١) في النفح: «جعل فيه الأمر». (٢) في النفح: اورجُمتا.

⁽٣) في النفح: (وصلت). (٤) في النفح: «فتركها شنيعة على...».

⁽٥) في النفح: ٦-صرها،

⁽٦) في الأصل: «اللَّقيان» والتصويب من النفح. والهِمْيان: تَكَة السروال.

⁽٧) في النفح: اولم.

⁽٨) النص والشعر في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٠٦).

⁽٩) في النفح: «بأوهه. (١٠) في النفع: ﴿وَانْفُسَاحِ﴾.

⁽١١) في النفح: «نِقْس». (١٢) في النفح: ﴿فَالْمُبَجِّدُ﴾.

⁽١٣) في النفح: فيضام،

⁽١٤)كلمة اتعالى، ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النفح.

حاله: من أهل الخير والصّلاح والأتباع، مفتوح عليه في طريق الله، نير الباطن والظاهر، مطّرح التصنّع، مُسْتَدلّ، مُجانب للدنيا وأهلها، صادق الخواطر، مُرْسَل اللسان بذكر الله، مبذول النصيحة، مُثابر على اتّباع السُنّة، عارف بطريق الصوفيّة، ثبتُ القدم عند زلّاتها؛ ناطق بالحكمة على الأُميّة؛ جميل اللقاء، متوغّل في الكَلف بالجهاد، مرتبط للخيل، مبادر للهينعة، حريص على الشهادة، بركة من بركات الله في الأندلس، يعزّ وجود مثله.

وفاته: توفي، رحمه الله، ببلده غرناطة، يوم الخميس الثاني والعشرين لجُمادى الثانية من عام خمسة وستين وسبعمائة؛ وشارف الاكْتِهال.

أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي(١)

من أهل بَلْش مالقة (٢⁾، يكنى أبا جعفر، ويُعرَف بالزيَّات، الخطيب، المتصوّف الشهير.

حاله: من فعائد الصلة؛ كان جليل القدر، كثير العبادة، عظيم الوقار، حَسَن الخُلُق، مخفوضَ الجَناح، متألَقَ البِشر، مبذولُ المؤانسة، يُذكِّر بالسَّلف الصالح في حُسن شيمته وإعراب لفظه، مزدحم المَجْلس، كثيرَ الإفادة، صبورًا على الغاشية، واضحَ البيان، فارسَ المنابر غير مُدافع، مستحقّ التصدُّر في ذلك بشروط قلما كمَلت عند غيره؛ منها حُسن الصورة، وكمال الأبهة، وجَهُوريَّة الصوت، وطيب النَّغمة، وعدم التَّهيُّب، والقدرة على الإنشاء، وغَلَبة الخشوع، إلى التفنُن في كثير من المآخذ العلمية، والرياسة في تجويد القرآن، والمشاركة في العربية، والفقه، واللغة، والأدب، والعروض، والمحاسنة في الأصلين، والحفظ للتفسير.

قال لي شيخنا أبو البركات بن الحاج، وقد جرى ذكر الخطابة: ما رأيت في استيفائها مثله. كان يفتح مجالس تدريسه أكثر الأحيان، بخُطَب غريبة، يطبِّق بها مفاصل الأغراض، التي يشرع في التكلّم فيها، وينظم الشعر دائمًا في مراجعاته ومخاطباته، وإجازاته، من غير تأنَّ ولا رُوِيَّة، حتى اعتاده ملكة بطبعه؛ واستُعمل في السّفارة بين الملوك، لدخض السّخائم، وإصلاح الأمور، فكانوا يُوجِبون حقّه، ويلتمون بركته، ويلتمسون دعاهه.

⁽۱) ترجمة أحمد بن الحسن الزيات الكلاعي في الكتيبة الكامنة (ص ٣٤)، وبغية الوعاة (ص ١٣١).

⁽٢) بَلِّش مالقة: بالإسبانية Velez Malaga، وهي مدينة تقع شرقي مالقة.

⁽٣) من مُجِس، والمقصود بها هنا الإتقان والبراعة.

مشيخته: تحمّل العلم عن جملة؛ منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المَذْحِجي من أهل الحمّة (١) ، من ذوي المعرفة بالقرآن والفرائض. ومنهم القاضي أبو علي الحسين بن أبي الأحوص الفهري، أخذ عنه قراءةً وإجازة. ومنهم العارف الرّباني أبو الحسن فضل بن فضيلة ، أخذ عنه طريقة الصوفية وعليه سَلك، وبه تأذب، وبينهما في ذلك مخاطبات. ومنهم أبو الزهر ربيع بن محمد بن ربيع الأشعري، وأبو عبد الله محمد بن يحيئ أخوه. ومنهم أبو الفضل عياض بن محمد بن عياض بن موسى، قرأ عليه ببّلش وأجاز له. ومنهم الأستاذ أبو جعفر بن الطّباع، وأبو جعفر بن الطّباع، وأبو جعفر بن الطّباع، وأبو وحمد بن يوسف الهاشمي الطّنجلي (٢)، والأستاذ النحوي أبو الحسن بن الطّائع، والإمام والكاتب الأديب أبو علي بن رشيق التّغلبي، والرّاوية أبو الحسن بن مَسْتَقور الطائي، والإمام أبو الحسن بن أبي الربيع، والأستاذ أبو إسحاق الغافقي الميربي، والإمام العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ البّلَوي، بما كان من إجازته العامّة لكل مَن العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ البّلَوي، بما كان من إجازته العامّة لكل مَن أدرك عام أحد وأربعين وستمائة، وغير هؤلاء ممّن يشُقُ إحصاؤهم.

تصانيفه: كثيرة، منها المسمّاة بـ «المقام المَخْزون في الكلام المَوْزون»؛ والقصيدة المسمّاة بـ «المشرف الأضفى في المأرب الأوفى، وكلاهما ينيف على الألف بيت؛ وانظم السّلوك في شِيَم الملوك، والمُجْتَنى النّضير والمُقْتَنى الخطير»، والعبارة الوجيزة عن الإشارة، واللطائف الرُّوحانية والعوارف الربَّانية،

ومن تواليفه: «أَسُّ مبنى العلم، وأُسُّ معنى الحلم» في مقدمة علم الكلام، و«لذّات السمع من القراءات السّبع» نظمًا، و«رصفُ نفائس اللآلي، ووصفُ عرائس المعالي» في النحو، و«قاعدة البيان وضابطة اللسان» في العربية، و«لهجة اللّافظ وبهجة الحافظ»، والأرجوزة المسمّاة به «قُرَّة عَيْن السائل وبُغية نفس الآمل في اختصار السيرة النبوية، و«الوصايا النظامية في القوافي الثلاثية»، وكتاب «عُدَّة الداعي، وعُمدة الواعي»، وكتاب «عوارف الكرم، وصِلات الإحسان، فيما حواه العين من لطائف الحِكم وخلق الإنسان»، وكتاب «جوامع الأشراف والعنايات، في الصّوادع والآيات»، و«النّفحة الوسيمة، والمِنْحة الجسيمة (٣)»، تشتمل على أربع قواعد اعتقادية والآيات»، و«النّفحة الوسيمة، والمِنْحة الجسيمة (٣)»، تشتمل على أربع قواعد اعتقادية

⁽١) الحّمة أو الحامة: بالإسبانية: Alhama، وهي من مدن غرناطة، وتقع غربي غرناطة إلى الجنوب من مدينة لوشة، استولى عليها الإسبان سنة ٨٨٧ هـ، أي قبل سقوط غرناطة بعشر سنين. راجع: مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٠).

⁽٢) الطنجلي والعلنجالي والطنجي: نسبة إلى طنجة.

⁽٣) في الأصل: «الجسمية».

وأصوليَّة وفروعيَّة وتحقيقيَّة، وكتاب «شُروف المَفَارقِ في اختصار كتاب المشارق، والمُفادة والمُفادة والمُفادة والمُفادة المُفتيص الدَّلالة في تخليص الرسالة»، واشُذور الذَّهب في صروم الخطب»، وافائدة المُلتقط وعائدة المُغتبط، وكتاب العُدَّة المُحِقّ وتُخفة المُستحقّ.

نشره: من ذلك خُطّبة أُلغيت الألف من حروفها، على كثرة تردّدها في الكلام وتصرّفها، وهي:

الحمدتُ ربي جلّ من كريم محمود، وشكرتُه عزّ من عظيم موجود، ونزّهته عن جهل كل مُلْحد كفور، وقدّسته عن قول كل مُفسد غَرور، كبير لو تقدم، في فهم نجد، قدير لو تصوّر في رسم لحد، لو عَدّته فكرةُ التصورُ لَتَصَوّر، ولو حَدَتُه فكرة لتعذّر، ولو فُهمت له كيفية لبطل قِدَمُه، ولو عُلمت له كيفية لحصل عدمُه، ولو حَصَره طَرْف لقُطع بتَجَسَّمه، ولو قهره وضف لصدع بتقسّمه، ولو فرض له شَبعٌ لرهقه كيف، ولو عرض له للحق عجلٌ ورَيْث. عظيم من غير تركُّب قُطر، عليمٌ من غير تركُّب قُطر، عليمٌ من غير ترتُّب فكر، موجود من غير شيء يُمسكه، معبود من غير وهم يُذركه، كريمٌ من غير عوض يُلْحقه، قوي من غير سبب يجمعه، علي غير عرض يُلْحقه، قوي من غير سبب يجمعه، علي من غير سبب يونعه، لو وجد له جنس لعُورِض في قيموميته، ولو ثبت له حِسَّ لتُوزعَ في دَبُموميَّته، ولو ثبت له حِسَّ لتُوزعَ في دَبُموميَّته، ولو ثبت له حِسَّ لتُوزعَ في دَبُموميَّته، ولو ثبت له حِسَّ لتُوزعَ في دَبُموميَّته،

ومنها: التقدّس عن لم فعله، وتنزّه عن سَمْ فضله، وجلّ عن ثم قدرته، وعزّ عن عَمْ عزّته، وعظمت عن مَن صفته، وكثرت عن كَمْ مِنْته؛ فَتَق ورتق، صور وحلق، وقطع ووصل، ونصر وخذل، حَمَدْتُه حَمْدٌ مَن عَرَف ربّه، ورهب مَنْنه، وصَفَتْ حقيقة يقينه قلبّه، وذكرت بصيرة دينه لبّه، قنهض لوَغي بشروط نفضته وحَدّ، وربط سِلْك سلوكه وشدّ، وهدم صرح عُتوه وهَدّ، وحرس مَعْقِل عقله وحدّ، طرد غرور غُرّته ورذله؛ عَلِمَ عِلْم تحقيق فنحا نحوه، وتفرّد له عزّ وجلّ بثبوت ربوبيّته وقدَمه، ونعتقد صدور كلّ جوهر وعَرَض عن جوده وكرمه، ونشهد بتبليغ محمد صلّى ربّه عليه وسلّم، رسوله وخير خَلْقِه، ونُعلن بنهوضه في ونشهد بتبليغ محمد صلّى ربّه عليه وسلّم، رسوله وخير خَلْقِه، ونُعلن بنهوضه في تبيين فرضه، وتبليغ شرعه، ضرب قبّة شَرْعه، فنسخت كلّ شَرْع، وبيّن لقومه كيف فقمع عدوّه خير قَمْع، قوم كل مُقوّم بقويم سِمَته، وكريم هَدْيه، وبيّن لقومه كيف يركنون فَوْره بقصده، وسديد سعيه، بشّر مُطَيعه، فَظَفِر برحمته؛ وحذّر عاصيه فشقي يركنون فَوْره بقصده، وسديد سعيه، بشّر مُطَيعه، فَظَفِر برحمته؛ وحذّر عاصيه فشقي بشمته،

الوبعد، فقد نُصِحتم لو كنتم تعقلون، وهُديتم لو كنتم تعلمون، وبُصُّرتم لو كنتم تعلمون، وبُصُّرتم لو كنتم تذكرون. وظَهَرتُ لكم حقيقةُ نَشْركم وبرزت

لكم خبيئة حشركم، فلم تركضون في طَلْق غفلتكم، وتغفلون عن يوم بَعْثكم، وللموت عليكم سيف مسلول، وحُكم عَزْم غير مَعْلول، فكيف بكم يوم يُؤخذ كل بذنبه؛ ويُخبر بجميع كسبه؛ ويُفَرَّق بينه وبين صحبه، ويَعْدَم نصرة حزبه، ويُشغل بهمه وكَرْبه، عن صديقه وتربه، وتُنشر له رقعته وتُعيَّن له بقعته، فربح عبد نظر وهو في مَهَل لنفسه، وترسَّل في رضى عمله جنَّة لحلول رَمْسه، وكسر صنم شهوته ليقرَّ في بحبوحة قُدُسه، وحَصَر بنظر يُنزله سَريرَ سروره بين عقله وجسمه».

ومنها: افتنبه ويُحك من سِنتك ونومك، وتفكّر فيمن هلك من صحبك وقومك، هتف بهم مَن تَعْلم، وشبٌ عليهم منه حَرَق مظلم، فخُرُبت بصيحته ربوعهم، وتَقَرَّقت لهوله جموعهم، وذُلُّ عزيزهم، وحُسىء رفيعُهم، وصُمَّ سميعُهم، فخرج كلُّ منهم عن قَصْره، ورُمِيَ غير مُوسَّد في قبره؛ فهم بين سعيدٍ في روضته مُقرَّب، وبين شقيّ في حُفْرته مُعذَّب، فنستوهب منه عزَّ وجل عصمته من كل خطيئة، وخصوصيّة تقي من كل نفس جريئة».

كتب إلى شيخنا الوزير ابن ذي الوزارتين ابن الحكيم، جوابًا عن مخاطبة كتبها إليه يلتمس منه وصايّته ونُصْحُه هذا الشعر: [السريع]

جلّ اسم مولانا اللَّطيف الخبير هـو الـذي أوجد ما فوقسها شم صلاة الله تَـــثـرى عـلى وصحبه الأولى نالوا مرأى وبعد فأنفسهم جوهر وبعد فأنفسهم جوهر فإنك استدعيت من ناصر ولستُ أهلًا أن أرى ناصحًا وإنما يحسنُ نصحَ الورى ومستحيلٌ أن يقود امرة واعجبًا يُلتَّمَس الخير من واعجبًا يُلتَّمَس الخير من فالكن إذا لم يكن بُدُّ فَعَن فالقِنه إن كنت به قانعًا لازم أبا بكر على مَنهج واقنع بما يكفي ودع غيره واقنع بما يكفي ودع غيره

وعزّ في سلطانه عن نَظيرُ وتحتها وهو العليم الخبيرُ ياقوتة الكون البشير النذيرُ يرجع منه الطّرف وهو الحسيرُ للأرواح منه ما للأثير نُضحًا طويلًا وهو منه قصيرُ لقلّة الصدق وخبث الضمير من ليس للشّرع عليه نكير يدُ امريء واهي المباني ضريرُ مغتقل العقل مهيض كسيرُ جهد أوفيك بسبر يسير مرا نظيمًا يُزدري بالنثيرُ واك تَفُر منه بخير كثير ذاك تَفُر منه بخير كثير فإنما الدنيا هباء نَثير

بُنيُ لا تخدعنك هذي الدُنا أين المشيدات أما زُلزلت؟ أين أنو شِروان أضحى كأن هذا مقالٌ مَن وَعاه اهتدى وصًى أبو بكر به أحمدا انقرضت أيامه وانتهى وها هو اليوم على عُدَّة

فإنها والله شيء حقير أين أخو الإيوان أين السدير؟ لم يَكُ أين المُعتدي أذَدَشيرُ وحيط من كل مخوف مُبيرُ وأحمدُ في الوقت شيخ كبيرُ وَهْنَا ومن قبلُ أتاه النّذيرُ مُبْرمه للشّرٌ وما من عندِيرُ

ومن شعره في طريقه الذي كان ينتحله (١):

شهودُ ذاتِكَ شيء (٢) عنكَ محجوبُ عُلُو وسُفْلُ ومن هذا وذاك معًا ومَنْزِلُ النَّفْسِ منه ميم مَرْكَزِهِ (٤) وإن تناءتُ مساويها فمنزلُها (٦) والروحُ إن لم تَحُنّه النَّفْسِ قام له (٧)

ومن شعره^(۸): [الكامل]

دَعْني على حُكُم الهوى أتضرّعُ إني وجذتُ أخا التضرّع فايزًا الملفضرة فايزًا الملفضة وأهلًا وما شيء بأنفَع للفتى وأمّعُ (١٠) أسم نفسك طالبًا إثباته وأخضع فمن دَأب (١١) المُحِبُ خضوعُهُ

لو كنتَ تُذركُهُ لم يبق مطلوبُ دُورٌ على نقطة الإشراق^(٣) منصوبُ إِنْ صَعِّ للغرض الظَّنِي^(٥) مرغوبُ أَوْجُ الكمال وتحت الروح تَقْليبُ في حضرة المُلْك تخصيصٌ وتقريبُ

فعسى يلينُ لنا الحبيبُ ويَخْشَعُ بسمسراده ومن اللئما ما يُسسمعُ من أن يَذِلُ عسى التذلُّلُ يَنفَعُ واقتع بتفريق لعلك تُخمعُ ولربما نال المُنى مَن يَخفع

(٢) في الكتيبة: (سرا).

⁽١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٣٥).

⁽٣) في الكتيبة: «الأشراف».

⁽٤) في الأصل: «ميمُ مذكرة». وهكذا ينكسر الوزن، وقد صوّبناه عن الكتيبة.

⁽٥) في الكتيبة: االعليني،

⁽٦) في الأصل: «مساويها فحيَّزُها... الأوج تقليبًا.

⁽٧) في الأصل: ٤٠٠٠ قام به في حضرة القدس.٠٠٠.

⁽٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٣٦).(٩) في الكتيبة: ﴿وَاهَا ٤٠.

⁽١٠) في الكتيبة: «فامُحُ». (١٠) في الكتيبة: «أدب».

ومن شعره (١): [الكامل]

ما لي بباب غير بابك موقف هذا مقامى ما حَييتُ فإن أمنت غَرَضي وأنتَ به عليمٌ لَمْحَةً وعليك ليس على سواك مُعَوَّلي

ومن المقطوعات في التجنيس (٢٠): [الوافر]

يُقالُ خِصالُ أهل العلم أَنْفُ ويجمعها الصلاح فمن تعدى ومنه في المعنى(٧): [البسيط]

ومَنْ جَمَعَ الخِصالَ الأَلْفُ سادا مذاهبه فقد جَمَع الفسادا

كلُّا(٢) ولا لى (٣) عن فِنائكُ مَصْرَفُ

فالذلُّ مَأْوى للضراعة(١) مَأْلَفُ

تَذَرُ (٥) الشُّتيتَ الشُّمْلِ وَهُوَ مُؤلُّفُ

جاروا علي لأجل ذا أو أنصفوا

فاسلُكُ من العمل المرضي مِنْهاجا إن شِئتَ فوزًا بمطلوب الكرام غدًا فكلُ شيء يحطُ القُذرَ منها جا(٩) واغلبُ هوى النَّفْسِ لا تَغُرُرُكُ خادعة (٨)

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مِرارًا عدة تشِذُ عن الحصر، أوجبتها الدُّواعي بطول عمره، من طلب العلم وروايته، وحاجة عامّة، واستدعاء سلطان، وقدوم من سفارة. كان الناس يُنْسالون عليه ويغشون منزله، فيما أدركت، كلما تبوّأ ضيافة السلطان، تبرُّكًا به، وأخذًا عنه.

مولده: وُلِدَ ببَلْش بلده في حدود تسع وأربعين وستمائة (١٠٠ .

وفاته: توفي ببلُّش سَخر يوم الأربعاء السابع عشر من شوَّال عام ثمانية وعشرين وسبعمائة. وممَّن رثاه شيخنا، نسيج وحده، العالِم الصالح الفاضل، أبو الحسن بن الجيّاب بقصيدة أولها: [الطويل]

تفيض نفوسٌ لا تفيض المدامعُ على مثله خضابة الدهر فاجع

⁽¹⁾ الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٣٦).

⁽٢) في الأصل: «لا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب عن الكتيبة الكامنة.

⁽٤) في الكتيبة: ﴿والضراعةُ ٩. (٣) في الكتيبة: اوما لي.

⁽٥) في الكتيبة: ﴿ تُدُعُ ٩.

⁽٦) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٣٧)، وبغية الوعاة (ص ١٣١) دون تغيير عمّا هنا.

⁽٧) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٣٧) وترتيبهما فيه عكس ما هنا.

⁽٨) في الكتيبة: ٤... لا يغررن عاجله.

⁽٩) وكلمة دجاء في آخر البيت أصلها: جاء. وقد حذف الهمزة للضرورة الشعرية.

⁽١٠) في بغية الوعاة: ولد ببلش سنة خمسين وستمائة.

ورثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شِبْرين (١٦)، رحمه الله، بقصيدة أولها: [المتدارك]

أيسساعد رائدة الأمسل أم يُسْمِعُ سائلة الطلك؟ يا صاح، فَديْتُك، ما فَعَل (٢) ذا من الأحباب وما فعلوا؟ فأجاب الدمع مناديه أمّا الأحباب فقد رحلوا

ورثاه من هذه البلدة طائفة، منهم الشيخ الأديب أبو محمد بن المرابع الآتي اسمه في العيادة له، بحول الله، بقصيدة أولها: [الكامل]

أدعوك ذا جزع لو أنَّك سامع ماذا أقول ودمع عيني هامع وانشد خامس يوم دفنه قصيدة أولها: [الخفيف]

عَبَراتُ^(۲) تفيض حزنًا وثُكلا وشجونٌ تعممُ بعضا وكُلًا ليس إلًا ليس إلًا صبابة أضرَمَتْها خَسْرَةٌ تبعثُ الأسى ليس إلًا وهي حسنة طويلة.

إبراهيم بن محمد بن مُفرِّج بن هَمُشُكُ (٤)

المتأمّر، رومي (٥) الأصل.

أَوَّلَيْتُهُ: مُفَرِج أو هَمُشُك، من أجداده، نصراني، أسلم على يدي أحد ملوك بني هود بسَرَقُسُطة؛ نزح إليهم، وكان مقطوع إحدى الأذنين، فكان النصارى إذا رأوه

 ⁽۱) هو محمد بن أحمد بن علي بن شبرين، وترجمته في الكتيبة الكامنة (ص ١٦٦)، وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠)، واللمحة البدرية (ص ٦٤، ٩٠، ٩٨)، ونفح الطيب (ج ٨ ص ٨٥).
 وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

⁽٢) في الأصل: «فعلت» وهكذا ينكسر الوزن.

⁽٣) في الأصل: ﴿ عَبْرَةً اللَّهُ مِنْ اللَّهِ الْوَزَنِ .

⁽٤) ترجمة ابن همشك في الحلة السيراء (ج ٢ ص ٢٥٨) وجاء فيه أنه إبراهيم بن أحمد بن همشك، وفي أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦١، ٢٦٣) وجاء فيه أنه إبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك، وأنه يكنى أبا الحسن، وفي البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٧٤ وصفحات غير متفرقة)، وفي المن بالإمامة (ص ١٣٧، ١٨١) وجاء فيهما أنه: إبراهيم بن همشك، والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٠، ضمن ترجمة اليعمري)، والأعلام (ج ١ ص ٢٩٠).

⁽٥) المقصود بالرومي: النصراني الإسباني.

في القتال عرفوه، وقالوا: هامُشك، معناه ترى المقطوع الأُذُن، إذ «ها» عندهم قريب مما هي في اللغة العربية، و«المُشْك» المقطوع الأُذُنين في لغتهم(١).

نباهته وظهوره: ولمّا خرج بنو هود عن سرقسطة، نشأ تحت خمول، إلّا أنه شهم متحرّك، خدم بعض الموحّدين في الصّيد، وتوسّل بدلالة الأرض؛ ثم نزع إلى ملك قَشْتالة واستقرّ مع النصارى؛ ثم انصرف إلى بقيّة اللَّمْتونيين (٢) بالأندلس بعد شفاعة وإظهار توبة. ولمّا ولي يحيئ بن غانِيّة قوطبة، ارْتَسَمّ لديه برسمه. ثم كانت الفتنة عام تسعة وثلاثين وثار ابن حَمْدِين بقرطبة، وتسمّى بأمير المؤمنين، فبعثه رسولًا ثقة بكفايته ودربته وعُجْمة لسانه؛ لمحاولة الصلح بينه وبين ابن حَمْدِين، فأغنى ونبّه قدرُه؛ ثم غلي مِرجَل الفتنة وكثر الثوّار بالأندلس، فاتصل بالأمير ابن عياض بالشرق وغيره، إلى أن تمكّن له الامتزاز (٣) بحصن شَقُوبش، ثم تغلّب على مدينة شَقُورة (١٥) وغيره، إلى أن تمكّن له الامتزاز (٣) بحصن شَقُوبش، ثم تغلّب على مدينة شَقُورة المين وداخله، حتى عقد معه صِهرًا على ابنته، فاتصلت له الرياسة والإمارة. وكان أيشد ما بينهما، فتفاتنا وتقاطعا، وانحاز بما لديه من البلاد والمعاقِل، وعُد من ثوّار الأندلس أولي الشوكة الحادة، والبأس الشديد، والشّبا المرهوب. وآثاره بعد انقِباض دولته تشهد بما تأثّل من مُلك وسَلَف من الدولة؛ والدّار الآخرة خير لمَن أتّمى. قال ابن صفوان: [الخفيف]

وديارٌ شكوى الزمان فتَشْكُ حَدَّثَتْنا عن عزَّةِ ابنِ هَمُشْك

حاله: قال محمد بن أيوب بن غالب، المدعو بابن حمامة: أبو إسحاق الرئيس، شجاع بُهْمَة (٢) من البُهَم. كان رئيسًا شجاعًا مِقدامًا شديد الحزم، سديد

⁽١) المُشْك بلغة الإسبان: mocho، وتعني المقطوع الرأس.

⁽٢) اللمتونيون: هم المرابطون، ويُنسَبون إلى قبيلة لمتونة.

⁽٣) الامتزاز هنا بمعنى الامتناع.

⁽٤) شقورة، بالإسبانية Segura de Sierra: مدينة من أعمال جيان بالأندلس. الروض المعطار (ص ٣٤٩).

 ⁽٥) هو أبو عبد الله محمد بن سعد الجذامي ابن مردنيش، أمير شرق الأندلس (مرسية وبلنسية).
 توفي بمرسية سنة ٧٦٥ هـ. أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٥٩)، والمن بالإمامة (ص
 ٢١٠، ١٠٩)، والحلّة السيراء (ج ٢ ص ٢٣١ ـ ٣٣٣).

⁽٦) البُهَمة: الشجاع الذي لا يُذرى من أين يأتي لشدة بأسه، أو كيف يُؤتى لاستبهام حاله. محيط المحيط (بهم).

الرأي، عارفًا بتدبير الحرب، حميً الأنف، عظيم السَّطوة، مشهور الإقدام، مُرتكبًا للعظيمة. قال بعض مَن عرَّف به من المؤرِّخين: وهو وإن كان قائد فرسان، هو حليفُ فتنة وعُدُوان، ولم يصحب قطُّ متشرِّعًا، ولا نشأ في أصحابه مَن كان متورِّعًا، سلَّطه الله على الخلق وأملى له فأضرَّ بمَن جاوره من أهل البلاد، وحُبِّب إليه العيث في العباد.

سيرته: كان جبّارًا قاسيًا، فظًا غليظًا، شديد النّكال، عظيم الجرأة والعبث بالخلق؛ بلغ من عيثه فيهم إحراقهم بالنّار، وقذفُهم من الشواهق والأبراج، وإخراج الأعصاب والرّباطات على ظهورهم، عن أوتار القِسِيِّ بزعمه، وضم أغصان الشجر العادي بعضها إلى بعض، وربط الإنسان بينها، ثم تسريحها، حتى يذهب كل غصن بحظّه من الأعضاء؛ ورآه بعض الصالحين في النوم بعد موته، وسأله ما فعل الله بك فأنشده: [البسيط]

من سرّه العيثُ في الدنيا بِخلْقَة من يصوّر الخَلْق في الأرحام كيف يشا فليضبِر اليوم صبري تحت بَطْشته مغلّلاً يمتطي جَمْرَ الغضا فَرْشا

شجاعته: زعموا أنه خرج من المواضع التي كانت لنصره مُتَصَيِّدًا، وفي صحبته محاولو اللهو وقارعو أوتار الغِناء، في مائة من الفرسان، ونقاوة أصحابه؛ فما راعهم إلا خيل العدو هاجمة على غِرَّة، في مائتي فارس ضِغف عددهم؛ فقالوا: العدو في مائتي فارس، فقال: وإذا كنتم أنتم لمائة، وأنا لمائة، فنحن قدرهم؛ فعد نفسه بمائة. ثم استدعى قَدَحًا من شرابه، وصرف وجهه إلى المُغَنِّي؛ وقال: أعد لي تلك الأبيات، كان يغنيه بها فتعجبه: [الخفيف]

يتلقى النّدا بوجه حَييي وصدورَ القَنا بوجه وَقاح هكذا هكذا تكون المعالي طُرُقُ الجِدُ غيرُ طرَق المزاح

فغنّاه بها، واستقبل العدو، وحمل عليه بنفسه وأصحابه، حملة رجل واحد، فاستولت على العدو الهزيمة، وأتى على معظمهم القتل، ورجع غانمًا إلى بلده. ثم ضربت الأيام، وعاود التصيند في موضعه ذلك، وأطلق بازه على حَجَلة، فأخذها، وذهب ليذكيها، فلم يحضره خنجر ذلك الغرض في الوقت، فبينما هو يلتيسه، إذ رأى نصلًا من فيصال المُعترك من بقايا يوم الهزيمة، فأخذه من التراب، وذبح به الطائر، ونزل واستدعى الشراب؛ وأمر المغني فغنّاه بيتي أبي الطيب(۱):

⁽١) هما مطلعا قصيدة مديح من ٤٧ بيتًا، وهما في ديوان المتنبي (ص ٤١١).

[الطويل]

تَذَكَّرْتُ ما بين العُذَيْبِ وبارِقِ مَجَرٌ عَوَالينا ومَجْرى السُوابقِ وصُحْرى السُوابقِ وصُحْبة قومٍ يَذْبَحُون قَنِيصَهُمْ بفَضلات (١) ما قد كسروا في المَفارقِ

وقد رأيت مَن يروي هذه الحكاية عن أحد أمراء بني مَرْدَنيش، وعلى كل حال فهي من مُسْتَظرف الأخبار.

دخوله غرناطة: قالوا، وفي سنة ست وخمسين وخمسمانة (٢)، في جُمادى الأولى منها، قصد إبراهيم بن هَمُشك بجمعه مدينة غُرناطة، وداخل طائفة من ناسها، وقد تشاغل الموحُدون بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم بالمغرب، وتوجُه الوالي بغرناطة السيد أبي سعيد إلى العُدوة، فاقتحمها ليلاً واعتصم الموحُدون بقصَبتها؛ فأجاز بهم بأنواع الحرب، ونصب عليهم المجانيق، ورمى فيها مَن ظَفِرَ به منهم وقتلهم بأنواع من القتل. وعندما اتصل الخبر بالسيد أبي سعيد، بادر إليها فأجاز البحر، والتفّ به السيد أبو محمد بن أبي حفص بجميع جيوش الموحِدين والأندلس؛ ووصل الجميع إلى ظاهر غرناطة، وأصحر إليهم ابن هَمُشك، وبرز منها، فالتقى الفريقان بمرج الأوقاد (٣) من خارجها، ودارت الحرب بينهم، فانهزم جيش الموحِدين، واعترضت الفل تُحُومُ الفدادين (٤) وجداول المياه التي تتخلل المَرْج (٥)، فاستولى عليهم القتل، وقتل في الوقيعة السيد أبو محمد؛ ولحق السيد أبو سعيد بمالقة؛ وعاد ابن هَمُشك إلى غرناطة فدخلها بجُملةٍ من أسرى القوم، أفحش فيهم المُثلة، بمرأى من أمر عدوّه، فجهز جيشًا، أصحبه السيد أبا يعقوب ولده، والشيخ أبا يوسف بن من أمر عدوّه، فجهز جيشًا، أصحبه السيد أبا يعقوب ولده، والشيخ أبا يوسف بن سليمان زعيم وقته، وداهية زمانه؛ فأجازوا البحر، والتقوا بالسيد أبى سعيد بمالقة، سليمان زعيم وقته، وداهية زمانه؛ فأجازوا البحر، والتقوا بالسيد أبى سعيد بمالقة، سيد بمالقة،

⁽١) في الديوان: «بفظة».

 ⁽٢) في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦١) تحدّث ابن الخطيب عن هذه المعركة وقال إن ابن مردنيش وجّه صهره القائد أبا الحسن ابن همشك إلى محاصرة غرناطة في جمادى الأولى من عام ٥٥٧ هـ.

 ⁽٣) مرج الرقاد: موضع بظاهر غرناطة، على نحو أربعة أميال من غرناطة، ويقابلها بالإسبانية:
 Merrojal. أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦١)، وتاريخ المن بالإمامة (ص ١٨٧)، والحلّة السيراء (ج ٢ ص ٢٥٨).

⁽٤) الفدادون: الرعيان والبقارون والفلاحون والمُكثِرون من الإبل، والمراد هنا: الحدائق والبقاع. محيط المحيط (فدد).

 ⁽٥) هو مرج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفيح وغوطة فيحاء. راجع مملكة غرناطة في عهد
 بني زيري البربر (ص ٤١).

وتتابع الجَمْع، والتف بهم من أهل الجهاد من المطوعة، واتصل منهم السير إلى قرية دِلَر^(۱) من قرى غرناطة؛ وكان من استمرار الهزيمة على ابن هَمُشك الذي أمدّه بنفسه وجيشه، من نصارى وغيرهم، ما يأتي ذكره عند اسم ابن مَرْدَنيش في الموحدين، في حرف الميم، بحول الله تعالى.

انخلاعه للموحدين عمًا بيده وجوازه للعدوة، ووفاته بها:

قالوا^(۲): ولمّا فَسَدُ ما بينه وبين ابن مردنيش بسبب بنته التي كانت تحت الأمير أبي محمد بن سعد بن مردنيش إلى أن طلّقها، وانصرفت إلى أبيها، وأسلّمَت إليه ابنها منه، مختارة كَنَفَ أبيها إبراهيم، نازعة في انصرامه إلى عروقها؛ فلقد حُكِيَ أنها سُئِلّت عن ولدها، وإمكان صَبْرها عنه، فقالت: جَرْوُ كلب، جرو سوء، من كلب سوء، لا حاجة لي به؛ فأرسلت كلمتها في نساء الأندلس مثلًا؛ فاشتدت بينهما الوَحشة والفتنة، وعظمت المحنة، وهلك بينهما من الرعايا المَمْرورين، المضطّرين، بقنينة (۲) الثوّار ممّن شاء الله بهلاكه، إلى أن كان أقوى الأسباب في تدمير مُلكه.

ولمّا صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده، وتغلّب على كثيرٍ منها، خدم ابن هَمُشك الموحّدين ولاذ بهم واستجارهم؛ فأجاز البحر، فقدِمَ على الخليفة عام خمسة وستين وخمسمائة، وأقرّه بمواضعه؛ إلى أوائل عام أحد وسبعين، فطُولِبَ بالانصراف إلى العُدُوة بأهله وولده، وأسكِنَ مِكْناسَة وأقطِعَ بها سآمّا(١) لها خطر، واتّصلت تحت عنايته إلى أن هلك.

وفاته: قالوا: واستمرّ مُقام ابن همشك بمكناسة غير كبير، وابتلاه الله بفالج غريب الأغراض، شديد سوء المزاج، إلى أن هلك؛ فكان يدخل الحمّام الحارّ، فيشكو حرّه بأعلى صراخه، فيخرج، فيشكو البرد كذلك، إلى أن مضى سبيله (٥).

إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق

يكنى أبا سالم.

 ⁽١) دِلر: بالإسبانية Dilar وهي قرية ما تزال حتى اليوم، وتقع جنوب غرناطة، ووادي دلر Río
 Dilar قريب من قرية الهمدان. تأريخ المن بالإمامة (ص ١٩١).

⁽٢) قارن بتأريخ المن بالإمامة (ص ٤١٣). (٣) قنينة الثوار: حظيرتهم.

⁽٤) السآم والسوام: الإبل الراعية. (٥) توفي ابن همشك في عام ٥٧٢ هـ.

أوليته: الشمس تخبر عن جلي وعن حُلل. فهو البيت الشهير، والجلال الخطير، والمُلك الكبير، والفَلك الأثير، ملاك المسلمين، وحُماة الدين، وأمراء المغرب الأقصى من بني مَرين، غيوث المواهب؛ وليوث العرين، ومعتمد الصَّريخ، وسهام الكافرين. أبوه السلطان أبو الحسن، الملك الكبير، البعيد شأو الصَّيت والهِمَّة والعزيمة، والتحلّي بحُليّ السَّنَة، والإقامة لرسوم المُلك، والاضطلاع بالهِمَّة، والصبر عند الشدّة. وأخوه أمير المسلمين فذلكة الحسب، وثير النَّصَبة، ويَدْرَة المعدن، وبيت القصيد، أبو عنان، فارس، الملِك الكبير، العالِم المُتَبحر، العامِل النظار، الجواد، الشجاع، القَسْور، الفصيح، مدد السعادة، الذي خرق الله به سباج العادة، فما عسى الشجاع، القسور، الفصيح، مدد السعادة، الذي خرق الله به سباج العادة، فما عسى وحسنب اللسان، وأين تقع العبارة، وماذا يحصرُ الوصف. عينُ هذا المجد فوّاره، وحسنبُ هذا الحسب اشتهاره، قولًا بالحق، وبُعدًا عن الإطراء، ونشرًا للواء النَّصَفة، حفظ الله على الإسلام ظلهم، وزيَّن ببدور الدين والدنيا هالتهم، وأبقى الكلمة فيمن اختاره منهم.

حاله: كان شابًا كما تَطَلَّع وَجهه، حسن الهيئة، ظاهر الحياء والوقار، قليل الكلام، صليفة عن اللفظ، آدَمَ اللون (١)، ظاهر السكون والحَيْريَّة والحشمة، فاضلًا متخلَقًا. قدّمه أبوه، أمير الرتبة، مُوفِّي الألقاب، بوطن سِجِلْماسَة، وهي عمالة ملكهم، فاستحق الرتبة في هذا الباب بمزيد هذه الرتبة المشترط لأول تأليفه. ولمّا قبضه الله إليه، واختار له ما عنده، أحوج ما كانت الحال إلى مَن ينظم الشّت، ويجمع الكلمة، ويصون الدّما سبحانه أحوج ما كانت الدنيا إليه، وصير إلى وارثه طواعية وقسرًا ومستحقًا وغِلابًا، وسِلْمًا، وذاتًا وكَسْبًا، السلطان أخيه، تحصل هو وأخ له اسمه محمد، وكنيته أبو الفضل، يأتي التعريف بحاله في مكانه إن شاء الله، فأبقى، وأغضى، واجتنب الهوى، وأجاب داعي البرّ والشفقة والتقوى، فصرفهما إلى الأندلس؛ باشرتُ إركابها البحر بمدينة سَلا ثاني اليوم الذي انصرفت من بابه، وصَدرتُ عن بحر جوده، وأفضتُ بإمامة عنايته، مُضحبًا بما يعرض لسان الثناء من صنوف كرامته، في غرض السّفارة عن السلطان بالأندلس، تغمّده الله برحمته، ونزل مَرْبَلَة من بلاد الأندلس المصروفة إلى نظره، واصلًا السير إلى غرناطة.

دخوله غرناطة: قَدِمَ هو وأخوه عليها، يوم عشرين من جُمادى الأولى، من عام اثنين وخمسين وسبعمائة. وبرز السلطان إلى لقائهما، إبلاغًا في التَّجلّة،

⁽١) آدم اللون: أسمر. لسان العرب (أدم).

وانحطاطًا في ذِمَّة التُّخَلِّق، فسعيا إليه مُرْتَجلين، وفاوضهما، حتى قُضِيَت الحقوق، واستَفْرَجت تفقُّده وجرايَتُه، وحلَّا بأحظى الأمكنة، واختَفَيا في سرير مجلسه مقسومٌ بينهما الحظ، من هشّتِه ولَخظَته. فأما محمد، فسوَّلت له نفسه الأطماع، واستفزَّته الأهواء، أمرًا كان قاطع أجله، وسَعْد أخيه، اختاره الله من دونه. وأمّا إبراهيم المترجم به، فجَنَح إلى أهل العافية، بعد أن ناله اعتقال، بسبب إرضاء أخيه أمير المسلمين فارس، في الأخريات لشهر ذي حجة من عام تسعة وخمسين وسبعمائة، وتقديم ولده الصبي، المُكنى بأبي بكر، المسمّى بسعيد؛ لنظر وزيره في الحزم والكفاية، خَرُّكه الاستدعاء، وأقْلَقَتْه الأطماع وهبُّ به السائل، وعَرُّض بغرضه إلى صاحب الأمر بالأندلس، ورفق عن صبُوحه، فشكا إلى غير مُضمت، فخرج من الحضرة ليلًا من بعض مجاري المياه، راكبًا للخطر، في أخريات جُمادي الأولى من العام بالحضرة المكتبة الجوار، من ثغور العدو، ولَحِق بملك قشتالة، وهو يومئذ بإشْبيليّة، قد شرع في تُخرِيةٍ إلى عدوّه من بَرْجِلونة، فطرح عليه نفسه، وعرض عليه مخاطبات استدعائه، ودسٌّ له المطامع المرتبطة بحصول غايته، فقبل سعايته، وجهّز له جَفْنًا من أساطيله، أركب فيه، في طائفة تَحْريكه، وطَعَن بحر المغرب إلى ساحل أزْمور(١٦)، وأقام به منتظرًا إلى إنجاز المواعد، ممّن بمرّاكش، فألفى الناس قد حَطَبوا في خَبْل منصور بن سليمان، وبايعوه يجملتهم، فأخفق مُسعاه، وأخلف ظنّه، وقد أَخَذَ منصور بمُخَنَّق البلد الجديد دار مُلْك فاس، واستوثق له الأمر، فانصرف الجَفْنُ أدراجه، ولمّا حاذي لبلاد غُمارة من أحواز أصِيلاً (٢). تنادي (٣) به قومٌ منهم، وانحدروا إليه، ووعدوه الوفاء له، فنزل إليهم، واحتملوه فوق أكْتَادهم، وأحدقوا به في سفح جبلهم، وتنافسوا في الذُّبُّ عنه، ثم كَبسُوا أُصِيلًا فملكوها، وضُيُّق بطنجة، فدخلت في أمره، واقتدت بها سُبّتة وجبل الفتح، واتصل به بعض الخاصّة، وخاطبه الوزير المحصور، وتخاذَل أشياع منصور، فخذلوه، وفرّوا عنه جهارًا بغير علَّة، وانصرفت الوجوه إلى السلطان أبي سالم، فأخذ بيعاتهم عَفْوًا، ودخل البلد المحصور، وقد تردّد بينه وبين الوزير المحصور مخاطبات في ردّ الدعوة إليه، فدخل البلد يوم الخميس خامس عشر (٤) شعبان من عام التاريخ، واستقرّ وجدّد الله عليه أمره، وأعاد مُلكَه، وصرف عليه حقّه؛ وبلي هذا الأمير من سير الناس إلى تجديد

⁽١) أزمور أو أزْمورة: بلد بالمغرب في جبال البربر. معجم البلدان (ج ١ ص ١٦٩).

 ⁽٢) أصيلا أو أصيلة: مدينة كبيرة بقرب طنجة، كثيرة الخير والخصب، كان لها مرسى مقصود.
 الروض المعطار (ص ٤٢).

 ⁽٣) في الأصل: اتنادوا.
 (٤) في الأصل: اعشرة.

عهد أبيه، وطاعتهم إلى أمره، وجنوحهم إلى طاعته، وتمنّي مدّته، حال غريبة صارت عن كَثَبِ إلى أضدادها، فصرف ولده إلى اجتثاث شجرة أبيه، فالتقط من الصّبية بين مُراهق ومُحتلم ومُستجمع، طائفة تناهز العشرين، غلمانًا رَدَنَة، قُتلوا إغراقًا من غير شُفعة توجب إباحة قطرة من دمائهم، ورأى أن قد خلا له الجوّ، فتواكل، وآثر الحجبّة، وأشرك الأبدي في مُلكه، فاستبيحت أموال الرعايا، وضاقت الجبايات، وكثرت الظلامات، وأخذ الناس حرمانُ العطاء، وانفتحت أبواب الإرجاف، وحُدّت أبواب القواطع، إلى أن كان من أمره ما هو معروف.

وفي أول من شهر رجب عام واحد وستين وسبعمائة، تحرّك الحركة العظمى إلى تِلِمُسان، وقد استدعى الجهات، وبعض البلاد، ونَهَدَ في جيوش تجرُّ الشوك والحَجَر، ففرَّ سلطانها أمام عزمه، وطار الذَّعر بين يدي الضّلالة، وكنّا قد استغثنا القرار في إيالته، وانتهى بنا الإزعاج إلى ساحل سَلَا من ساحل مملكته فخاطَبته وأنا يومئذٍ مقيم بتُربة أبيه، مُتذمِّم بها، في سبيل استخلاص أملاكي بالأندلس، في غرض التهنئة والتوسُّل:

«مولاي، فتَّاحُ الأقطار والأمصار، قائدة الزمان والأعصار، أثيرُ هِبات الله الآمنة من الاغتِصار، قدوةُ أُولي الأيْدي والأبصار».

وفاته: وفي ليلة العشرين من شهر ذي قعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة، ثار عليه بدار المُلك، وبلد الإمارة المعروف بالبلد الجديد، من مدينة فاس، الغادر مُخْلِفَهُ عليها عمر بن عبد الله بن علي، نَسَمَةُ السوء، وجُمَلة الشؤم، المثل البعيد في الجرأة على قَدَر، اهتبل (1) غرة انتقاله إلى القصر السلطاني بالبلد القديم، مُختولًا إليه، حَذِرًا من قاطع فلكيّ الجدر منه استعجله ضعفُ نفسه، وأعانه على فرض صحته به، وسد الباب في وجهه، ودعا الناس إلى بيعة أخيه المعتوه، وأصبح حائرًا بنفسه، يروم استرجاع أمر ذهب من يده، ويطوف بالبلد، يلتمس وجهًا إلى نجاح حيلته، فأعياه ذلك، ورَشَقت مَنْ معه السهام، وفرَّت عنه الأجناد والوجوه، وأسلمه الدهر، وتبرًا منه الجدُّ. وعندما جنَّ عليه الليل، فرّ على وجهه، وقد التفت عليه الوزراء، وقد منه الجدُّ. وعندما جنَّ عليه الليل، فرّ على وجهه، وقد التفت عليه الوزراء، وقد وجوههم شطر مظنَّة الخلاص، واتصفوا بعذار الإقلاع، لكنهم نكلوا عنه، ورجعوا أدراجهم، وتسللوا راجعين إلى بَرُ غادِرِ الجُمُلة، وقد سلبهم الله لباس الحياء والرئجة، وتأذن الله لهم بسوء العاقبة، وقصد بعضَ بيوت البادية، وقد فضحه نهار والرئية، وتأذن الله لهم بسوء العاقبة، وقصد بعضَ بيوت البادية، وقد فضحه نهار

⁽١) اهتبل: احتال. لسان العرب (هبل).

الغداة، واقتفى البعث أثره، حتى وقعوا عليه، وسِيقَ إلى مصرعه، وقُتل بظاهر البلد، ثاني اليوم الذي كان غدر فيه، جعلها الله له شهادة ونفعه بها، فلقد كان بقيَّة البيت، وآخر القوم، دماثة وحياء، وبُغدًا عن الشرّ، ورُكونًا للعافية.

وأنشذتُ على قبره الذي وورِيت به جثّته بالقلعة من ظاهر المدينة، قصيدة أدّيت فيها بعض حقّه: [الوافر]

بني الدنيا، بني لمنع السّراب، لُدُوا للموتِ وابنوا للخرابِ

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر ابراهيم ابن يحيى الهنتاني، أبو إسحاق

أمير المؤمنين بتونس، وبلاد إفريقية، ابن الأمير أبي زكريا، أمير إفريقية، وأصل الملوك المتأثّلين العزّ بها، والفرع الذي دَوِّح بها، من فروع الموحّدين بالمغرب، واستِجلابُه بها أبا محمد عبد المؤمن بن علي، أبا الملوك من قومه، وتغلّب ذريته على المغرب وإفريقية والأندلس معروف كله، يفتقر بسطه إلى إطالة كثيرة، تخرج عن الغرض.

وكان جدُّ هؤلاء الملوك من أصحاب المهدي، في العشرة الذين هبُوا لبيعته، وصَحِبوه في غُربته، أبو حفص، عمر بن يحيئ، ولم يزل هو وولده من بعده، مرفوع القَدْر، معروف الحق.

ولمّا صار الأمر للناصر (۱) أبي عبد الله بن المنصور أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي، صرف وجهه إلى إفريقية، ونزل بالمَهْدِيَّة، وتلوَّك إليه ابن غانية (۱) فيمن لقّه من العرب والأوباش، في جيش يسوق الشجر والمَدَر، فجهّز إلى لقائه عسكرًا لنظر الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص (۳)، جدّهم الأقرب،

⁽۱) الناصر أبو عبد الله هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، حكم الأندلس والمغرب من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. وترجمته في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٣٦).

 ⁽۲) هو أبو زكريا يحيئ بن إسحن المسوفي، المعروف بابن غانية، أمير مرسية وبلنسية وقرطبة
وغرب الأندلس من قبل علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي. قاوم الموحدين في أول
استيلائهم على الأندلس فقتلوه سنة ٥٤٣ هـ.

 ⁽٣) هو عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيئ الهنتاني الحفصي، مؤسس دولة الحفصيين بإفريقية. كان أبوه من موطدي دعائم الحكم لعبد المؤمن الموحدي. استوزره الناصر الموحدي ثم ولاه تونس سنة ٦٠٣ هـ. كما سيأتي بعد...

فخرج من ظاهر المهدية في أُهْبة ضخمة، وتَغْبئة مُحكمة، والتقى الجمعان، فكانت على ابن غانية، الدائرة، ونُصر الشيخ محمد نصرًا لا كفاء له، وفي ذلك يقول أحمد بن خالد من شِغر عندهم: [الطويل]

فتوحٌ بها شُدُّتْ عُرى الملْك والدِّينِ تراقب مَنَّا منْكُمُ غير مَمْنُونِ

وفُتحت المهدية على هيئة ذلك الفتح، وانصرف الناصر إلى تونس، ثم تفقّد البلاد، وأحكم ثقافها^(۱)، وشرع في الإياب إلى المغرب، وترجّع عنده تقديم أبي محمد بن أبي حفص المصنوع له بإفريقية، على مُلْكها، مستظهرًا منه بمضاء وسابقة وحزم؛ بسط يده في الأموال، وجعل إليه النظر في جميع الأمور، سنة ثلاث وستمائة. ثم كان اللقاء بينه وبين ابن غانية في سنة ست بعدها؛ فهزم ابن غانية، واستولى على محلّته؛ فاتصل سعده، وتوالى ظُهْره، إلى أن هلك مُشايعًا لقومه من بي عبد المؤمن، مظاهرًا بدعوتهم عام تسعة وعشرين وستمائة (٢).

ووَلِيَ أمره بعده، كبيرُ ولده، عبد الله على عهد المستنصر بالله بن الناصر من ملوكهم؛ وقد كان الشيخ أبو محمد زُوحم، عند اختلال الدولة، بالسيد أبي العلاء الكبير، عمّ أبي المستنصر على أن يكون له أسم الإمارة بقصّبة تونس، والشيخ أبو محمد على ما لسائر نظره؛ فبقي ولده عبد الله على ذلك بعد، إلى أن كان ما هو أيضًا معروف من تصيرُ الأمر إلى المأمون أبي العلاء إدريس، ووَقْبه السيف في وجوه الدولة بمراكش، وأخذه بترّة (٢٦) أخيه وعمّه منهم. وثار أهل الأندلس على السيد أبي الربيع بعده بإشبيلية وجعبعوا بهم، وأخذوا في التشريد بهم، وتبديد دعوتهم؛ واضطربت الأمور، وكثر الخلاف، ولحق الأمير أبو زكريا بأخيه بإفريقية، وعرض عليه الاستبداد، فأنف من ذلك، وأنكره عليه إنكازًا شديدًا، خاف منه على نفسه؛ فلحق بقابس فازًا، واستجمع بها مع شيخها مَكي، وسلف شيوخها اليوم من بني مكي؛ فمهّد له، وتلقّاه بالرحب، وخاطب له الموحدين سرًا، فوعدوه بذلك، عند خروج عبد الله من تونس إلى الحركة، من جهة القيرُوان. فلمّا تحرّك نحوا عليه، وطلبوا منه المال، وتلكّأ، فاستدُعوا أخاه الأمير أبا زكريا، فلم يَرُعُه وهو قاعد في خبائه آمِنٌ في سربه، إلّا ثورة الجند به، والقبض عليه، ثم طردوه إلى مرّاكش؛ وقعد

قليل. انظر الأعلام للزركلي (ج ٤ ص ١٧٦) وفيه ثُبْت بأسماء المصادر التي ترجمَت له.

⁽١) أحكم ثقافها: أحكم تحصينها؛ من قوله: ثقفه بالرمح: أي طعنه. لسان العرب (ثقف).

⁽٢) تقدُّم في الصفحة السَّابقة أن وفاة عبد الواحد بن أبي حفص كانت سنة ٦١٨ هـ.

⁽٣) الثُّرَّة: الطمنة الكثيرة الدم، والمراد أنه أخذ بالثأر.

أخوه الأمير أبو زكريا مقعده، وأخذ بيعة الجند والخاصّة لنفسه، مستبدًّا بأمره، ورَحَل إلى تونس، فأخذ بيعة العامّة، وقتل السّيد الذي كان بقَصَبَتها؛ وقبض أهل بجاية حين بلغهم الخبر على واليها السُّيد أبي عمران، فقتلوه تُغريقًا؛ وانتظمت الدولة، وتأثُّل الأمر. وكان حازمًا داهية مُشارِكًا في الطّلب، أديبًا راجِح العقل، أصيل الرأي، حَسَن السياسة، مَضنوعًا له، مُوفقًا في تدبيره؛ جبى الأموال، واقتنى العُدُد، واصطنع الرجال، واستكثر من الجيش، وهزم العرب، وافتتح البلاد، وعظَمت الأمَّنَة بينه وبين الخليفة بمراكش الملقب بالسُّعيد. وعزم كلُّ منهما على ملاقاة صاحبه، فأبي القَّدَر ذلك؛ فكان من مهلك السعيد بظاهر تِلِمُسان ما هو معروف. واتصل بأبي زكريا هَلكَ ولده ولتي العهد أبي يحيئ ببِجاية، فعظم عليه حزنه وأفرَط جزعُه، واشتهر من رثائه فيه قوله: [الطويل]

> ألا جازع يبكي لفُقد حبيبه لقد كان لى مال وأهل فقدتُهُم سأبكي وأرثي خسرة لفراقهم فلهفي ليوم فرق الدهر بيننا

فإني لَعَمْري قد أضر بي النُّكُلُ فهأنا لا مالٌ لدَيُّ(١) ولا أهلُ بكاءً قريح لا يَمَلُ ولا يَسْلو(٢) ألا فَرَجٌ يُرْجِي فينتظم الشَّمْل؟ وإني الأرضى بالقضاء وحُكمه وأعلم ربّي أنه حاكم عَدْلُ

نسبه ابنُ عَذاري المراكشي في البيان المُغْرب (٣). واعتلّ بطريقه فمات ببلد العُنَّابِ لانقضاء أربعة من مهلك السعيد؛ وكان موت السعيد؛ يوم الثلاثاء، مُنْسَلخ صفر سنة ست وأربعين وستمائة. وبويع ولده الأمير أبو عبد الله بتونس وسنّه إحدى وعشرين سنة، فوجد مُلْكًا مُؤسَّسًا، وجُنْدًا مجنَّدًا، وسلطانًا قاهرًا ومالًا وافرًا؛ فبلغ الغاية في الجبروت والتُّيه والنُّخوة والصَّلف، وتسمَّى بأمير المؤمنين، وتلقَّب بالمستنصر بالله؛ ونَقِم عليه أرباب دولته أمورًا أوْجَبت مداخلة عمّه أبي عبد الله بن عبد الواحد، المعروف باللِّحياني. ومبايعته سرًّا بداره، وانتهى الخبر للمستنصر، فعاجل الأمر قبل انتشاره برأي الحَزَمة من خاصَّته، كابن أبي الحسين، وأبي جميل بن أبي الحَمَلات بن مَرْدَنيش، وظافر الكبير، وقصدوا دار عمُّه فكبسوها، فقتلوا مَن كان بها، وعُدَّتهم تناهز خمسين، منهم عمّه، فسكن الإرجاف، وسَلِمَ المنازع، وأعطت

⁽١) في الأصل: ٤... لدي أهل ولا أهل. وهكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

⁽٢) في الأصل: ﴿وَلَا يُسُلُّهُ.

⁽٣) نسب أبي عبد الله الناصر لدين الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٣٦).

مقادها، واستمرّت أيّامه. وأخباره في الجود والجُرأة والتُعاظم على ملوك زمانه، مشهورة. وكانت وفاته سنة أربع وسبعين وستمائة ورّليّ أمره بعده ابنه الملقّب بالواثق بالله، وكان مَضْعوفًا، ولم تطل مدته.

عاد الحديث، وكان عمّه المُترجم، لمّا اتصل به مهلك أخيه المستنصر، قد أجاز البحر من الأندلس، ولحق بِتِلمُسان، وداخل كثيرًا من الموجّدين بها، كأبي هلال، فهيّا له أبو هلال تَمَلُّك بِجايَة، ثم تحرّك إلى تونس، فتغلّب عليها، فقتل الواثق وطائفة من إخوته وبنيه، منهم صبيٌّ يسمّى الفضل، وكان أنهضهم، واستبدّ بالأمر، وتمّت بيعته بإفريقية، وكان من الأمر ما يذكر.

حاله: كان أيدًا (١) جميلًا وسيمًا، رَبْعَة بادنًا، آدَمَ اللون، شجاعًا بُهْمَةً، عَجِلًا غير مَرَاخِ، ولا حازم، منحطًا في هوى نفسه، مُنْقادًا للذَّته، بريئًا من التشمُّت في جميع أمره. وَوَلِيَ المخلافة في حال كِبَره، ووخطه الشيبُ، وآثر اللهو، حتى زعموا أنه فُقِد فوُجِد في مزرعة باقلا مزهرة ألفي فيها بعد جهد، نائمًا بينها، نشوان يتناثر عليه سقطها؛ واحتجب عن مباشرة سلطانه؛ فزعموا أن خالصته (٢) أبا الحسن بن سهل، داخل الناس بولده أبي فارس في خلعه، والقيام مكانه، وبلغه ذلك، فاستعد وتأهب، واستركب الجند، ودعا ولده، فأحضره ينتظر الموت من يمينه وشماله، وأمر للحين فَقُتل وطُرحَ بأزقة المدينة، وعجل بإزعاج ولده إلى بجاية، وعاد إلى حاله.

دخوله غرناطة: قالوا: ولمّا أوقع الأمير المستنصر بعمّه أبي عبد الله، كان أخوه أبو إسحلق، ممّن فرّ بنفسه إلى الأندلس؛ ولجأ إلى أميرها أبي عبد الله بن الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر، ثاني ملوكهم (٣) فنوّه به، وأكرم نَزْله، وبوّأه بحال عنايته، وجعل دار ضيافته لأول نزوله القصر المنسوب إلى السيد(١) خارج حضرته،

⁽١) الأيّد: القوي. لسان العرب. (أيد).

⁽٢) الخالصة هنا: الصفيّ وموضع الثقة. لسان العرب (خلص).

⁽٣) هو محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ م. ترجمته في اللمحة البدرية (ص ٥٠) وسترد له ترجمة إضافية في هذا الجزء من الإحاطة.

⁽٤) هو أبو إسحاق بن يوسف الموحدي، وُلِّي غرناطة سنة ٦١٥ هـ، وبنى قصرًا خارج مدينة غرناطة غُرِفَ باسمه، وفي عصر بني نصر استعمل هذا القصر للضيافة، وما يزال حتى يومنا هذا بعض منه وقد زرته غير مرة، وهو عبارة عن بهو مربع ذي قبة عالية على جوانبها شعار بني نصر: «لا غالب إلا الله».

وهو آثرُ قصوره لديه، وحضر غزوات أغزاها ببلاد الروم، فظهر منه في نكاية العدو وصدامه سهولة وغناء.

ولمّا اتصل به موت أخيه تعجّل الانصراف، ولحق بتلمسان، وداخل منها كبيرًا من الموحّدين، يُعرَف بأبي هلال بباجة كما تقدم، فملّكه أبو هلال منها بجاية، ثم صعد تونس فملكها، فاستولى على مُلك ابن أخيه وما ثُمٌّ من ذمّه، وارتكب الوِزْر الأعظم فيمن قُتل معه، وكان من أمره ما يأتي ذكره إن شاء الله.

إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعي الذي قيضه الله لهلاك حينه:

قالوا: واتّهم بعد استيلائه على الأمر فتّى من أخِصًاء فتيان المستنصر؛ اسمه نُصير، بمال وذخيرة؛ وتوجّه إليه طلبُه، ونال منه. وانتهز الفتى فرصةً لحق فيها بالمغرب واستقرّ بجلال المراعمة من عرب دَبًاب، وشارع الفساد عليه، بجملة جهده، حريصًا على إفساد أمره، وعثرَ لقضاء الله وقدره بدَعِيٍّ من أهل بجاية يُعرَف بابن أبي عمارة.

حدّثني الشيخ المُسِنّ الحاج أبو عثمان اللّواتي من عدول المياسين، متأخر الحياة إلى هذا العهد؛ قال: خُضْتُ مع ابن أبي عمارة ببعض الدكاكين بتونس، وهو يتكهَّن لنفسه ما آل إليه أمره، ويعدُّ بعض ما جرى به القدر. وكان أشبه الخلق بأحد الصبية الذين ماتوا ذبحًا، بالأمير أبي إسحاق، وهو الفضل، فلاحت لنُصيرَ وجهُ حيلته، فبكى حين رآه، وأخبره بشبّهه بمولاه، ووعده الخلافة؛ فحرّك نَفْسًا مُهيّأة في عالم الغيب المحجوب إلى ما أبرزته المقادر، فوجده منقادًا لهواه، فأخذ في تلقينه ألقاب المُلَك، وأسماء رجاله، وعوائده، وصفة قصوره، وأطلعه على إماراتٍ جرت من المستنصر الأمراء العرب سرًّا كان يعالجها نُصير، وعرَضُه على العرب، بعد أن أظهر العويل، ولبس الحداد، وأركبه، وسار بين يديه حافيًا، حُزْنًا لما ألفاه عليه من المضيعة، وأسفًا لما جرى عليه، فبايعته العرب النافرة، وأشادوا بذكره، وتقوُّوا بما قرّره من إمارته؛ فعظَم أمره، واتصل بأبي إسحلٰق نبأه فبرز إليه، بعد استدعاء ولده من بجاية، فالتقى الفريقان، وتمّت على الأمير أبي إسحلق الهزيمة، وَاستَلْحم الكثير ممّن كان معه؛ وهلك ولده، ولجأ أخوه الأمير أبو حفص لقلعة سِنان، وَفَرْ هو لوجهه؛ حتى لحق ببجاية؛ وعاجله ابن أبي عمارة؛ فبعث جريدة من الجند لنظر أشياخ من الموحَّدين، أغرت إليهم الإيقاع، فوصَلَتْ إلى بجاية، فظن مَن رآه من الفُلِّ المنهزم، فلم يعترضُه مُعترض عن القَصَبة. وقُبض على الأمير أبي إسحلًى، فطوَّقه الحِمام، واحتُزُّ رأسه، ويُعث إلى ابن أبي عمارة به، وقد دخل تونس، واستولى على مُلْكها، وأقام سنين ثلاثة، أو نحوها في نعماء لا كفاء له، واضطلع بالأمر، وعاث في بيوت أمواله، وأجرى العظائم على نسائه ورِجاله إلى أن فَشَا أمره، واستقال الوطن من تمرُّته فيه؛ وراجع أرباب الدولة بصائرهم في شأنه، ونَهَد إليه الأمير أبو حفص طالبًا بثأر أخيه، فاستولى، ودحض عاره، واستأصل شأفته، ومَثَل به؛ والمُلك لله الذي لا تَزِن الدنيا جَناح بعوضة عنده.

وفي هذا قلت عند ذكر أبي حفص في الرجز المسمّى بـ النظم (١) الملوك، المشتمل على دول الإسلام أجمع، على اختلافها إلى عهدنا، فمنه في ذكر بني حفص: [الرجز]

أولهم يحيئ بن عبد الواحد وحو الذي استبذ بالأمور وعظُمت في صُقعه آثارُه ثم تولى ابنه المستنصر أصاب ملكا رئيسا أوطانه ودولة أموالها مجموعة فلم تُخَفُّ من عقدها انتكاثا هبئت بسسسر عنزه السرياح حستى إذا أدركه شرك الردى قام ابنه الواثق بالتدبير سطاعليه العم إبراهيم وعن قريب سلب الإمارة عَجِيبةً من لَعِب البليالي واخترم السيف أبا إسحاقا واضطربت على الدّعى الأحوال ثم أبو حفص سما عن قرب ورجم المحمق إلى أهمليه

وفضلهم ليس له من جاحد وحازها سبيعة البجمهور ونال مُلْكَا عاليًا مقدارُه وهو الذي عَلْياه لا تُنْحصر وافت عبزًا ساميها سُلطانه وطاعة أقوالها مسموعة وعاث في أموالها عِياثا وسقيت بسعده الراماح وانتحب الئادي عليه والئدى ثم مضى في زمن يسسيس والمملك في أربابه عقيم عنه الدعي ابن أبي عمارة ما خَـطُرت لـعاقـل بـبال أبا ملال لَقِئ المَحَاقا والحنق لا يغلبه النصحال وصير الدعي رهين الترب وبسعسده مسحسمسد يسليسه

⁽١) المراد كتاب (رقم الحلل في نظم الدول، وهو لابن الخطيب، وقد تقدم ذكره في غير مكان.

وهذه الأمور تستدعي الإطالة، مُخِلَّةً بالغرض، وَمَقْصِدي أن أستوفي ما أمكن من التواريخ التي لم يتضمنها ديوان، وأختصر ما ليس بقريب، والله وليّ الإعانة بمنّه.

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد ابن محمد ابن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي

يُكنى أبا إسحلق،

أوليّته: منزلُ جدّهم الداخل إلى الأندلس قرية شون (١) من عمل، أو قيل من إليم إلبيرة. قال ابن البستي: بيتهم في الأزد، ومجدهم ما مثله مجد، حازوا الكمال، وانفردوا بالأصالة والجلال، مع عفّة وصيانة ووقار، وصلاح ودبانة، نشأ على ذلك سلفُهم، وتبعهم الآن خلفُهم. وذكرهم مُطرّف بن عيسى في تاريخه (٢)، في رجال الأندلس. وقال ابن مَسعدة (٣): وقفت على عَقْد قديم لسلفي، فيه ذُكر محمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي، وقد حُلّي فيه بالوزير الفقيه أبي أحمد بن الوزير الفقيه أبي عمرو إبراهيم. وتاريخ العقد سنة ثلاث وأربعمائة، فناهيك من رجال تَحَلّوا بالجلالة والطهارة منذ أزيد من أربعمائة سنة، ويُوصفون في عقودهم بالفقه والوزارة منذ ثلاثمائة سنة، في وقت كان فيه هذا المنصّب في تَحْلية الناس، ووصفهم، في نهاية من الضّبط والحِرْز، بحيث لا يُتّهم فيه بالتّجاوُز لأحد، لا سيما في العقود، فكانوا لا يصفون فيه الشخص إلا بما هو الحقّ فيه والصدق، وما كان قصدي في هذا إلّا أن شهير واقف عليه، أو مستندٌ في الظهور إليه، بل ذكرهم على قديم الزمان شهير وقدّرهم خطير.

قلت: ولمّا عُقد لولدي عبد الله أسْعَده الله، على بنت الوزير أبي الحسن بن الوزير أبي الحسن بن الوزير أبي الحرير أبي عبد الله بن الفقيه العالِم الوزير، حَزْمِ فخارهم، ومُجَدِّدٍ آثارهم، أبي الحسن سهل بن مالك، خاطبْتُ شيخنا أبا البركات بن

⁽١) شون: بالإسبانية Jun، وتقع شمال غرناطة.

⁽٢) هو أبو القاسم مطرف بن عيسى بن لبيب بن محمد بن مطرف الغساني الإلبيري الغرناطي، من قضاة الأندلس وأدبائها ومؤرّخيها. توفي سنة ٣٥٦ هـ وقيل: ٣٥٧ هـ. من مؤلفاته افقهاء البيرة واشعراء إلبيرة واأنساب العرب النازلين في إلبيرة وأخبارهما. تاريخ علماء الأندلس (ص ٨٣٧)، وبغية الوعاة (ص ٣٩٢)، والأعلام (ج ٧ ص ٢٥٠).

 ⁽٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن مسعدة العامري، وقد سبق وترجم له ابن المخطيب
 في هذا الجزء.

الحاج، أعرض ذلك عليه، فكان من نصّ مراجعته: فسبحان الذي أرشدك لبيت السّتر والعافية والأصالة، وشحوب الأبرار، قاتلك الله ما أجلّ اختيارك. وخَلَفُ هذا البيت الآن على سَنَن سلفهم من التحَلّي بالوزارة، والاقتياد من العظمة الزاكية، والاستناد القديم الكريم، واغتنام العمر بالنسك، عناية من الله، اطّرد لهم قانونها، واتصلت عادتها، والله ذو الفضل العظيم.

حاله: كان من أهل السرِّ والخصوصيَّة، والصَّمت والوقار، ذا حظُّ وافر من المعرفة بلسان العرب، ذكيّ الذّهن، متوقّد الخاطر، مليح النادرة، شَنْشَنته معروفة فيهم. سار بسِيرة أبيه، وأهل بيته، في الطهارة والعدالة، والعفاف والنّزاهة.

وفاته^(۱):

إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني

من أهل قرطبة، يُكنى أبا إسحلق، ويُعرَف بابن حُرّة.

أَوْلَئِتُهُ: من أهل البيوتات بالحَضْرة، وَلِيَ أبوه القَهْرَمة لثاني (٢) الملوك من بني نصر، فتأثّل مالًا ونباهة.

حاله: هذا الرجل من أغيان القطر، ووزراء الصَّقع، وشيوخ الحَضْرة، أغنى هذه المَكرة يدًا، وأشغلهم بالعرض الأدنى نفسًا، تحرَّف بالتَّجر المربوب في حجر البجاه، ونَمَا ماله، تُحاط به الجِدات، وتنمو الأموال، ففار تتورها، وفَهَق حوضها، كثير الخوض في التصاريف الوقتية، والأدوات الزمانية، وأثمان السلع، وعوارض الأسعار، متبجّع بما ظهرت به يده من عِلْق مَضَنَّة هُرَى المدينة، الذي يُنفق على أسواقها، عند ارتفاع القيم، وتَمْييز الأسعار، وبلوغها الحدّ الذي يراه كُفؤ حبّته، ومنتهى ثمن غلّته. غَرِقُ الفكر، يخاطبُ الحيطان والشَّجر والأساطين، مُحاسِبًا إياها على معاملات وأغراض فنيَّة، يُرِي من التلبُّس شيئًا من المعارف والآداب والصنائع، وحجة من الحجج في الرُّزق. تَعْلَب عليه السَّذاجة والصحّة، دَمِثٌ، متخلَق، متنزًل، مُختصر الملبس والمطعم، كثير التبذّل، يعظم الانتفاع به في باب التوسعة بالتسلُّف

⁽١) كذا في الأصل.

 ⁽۲) ثاني سلاطين بني نصر هو محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة
 ۲۷۱ هـ إلى سنة ۷۰۱ هـ. ترجمته في اللمحة البدرية (ص ۵۰) وسترد ترجمته في هذا الجزء من الإحاطة.

والمداينة، حَسَن الخُلُق، كثير التجمُّل مُبْتَلى بالمُوقبِ والطَّانز (١٠)، يسمع ذي القحة، ويُصِمُّ على ذوي المسألة.

ظهوره وحظوته: لبس الحُظُوة شملة، لم يفارق طوقُها رقبته، إذ كان صِهرًا للمتغلب على الدولة أبي عبد الله بن المحروق (٢)، صار بسهم في جذور خُطته، وألقى في مَرَقة حُظُوته، مشتملًا على حاله، بعباءة جاهه. ثم صاهر المصيَّر الأمر إليه بعده القائد الحاجب أبا النعيم رضوان، مولى الدولة النصرية، وهلم جرًا، بعد أن استُعمل في السّفارة إلى العُدُوة وقَشْتالة، في أغراض تليق بمبعثه، مما يوجب فيه المياسير والوجوه، مُشَرِّفين مُعَزِّزين بمن يقوم بوظيفة المخاطبة والجواب، والرة والقبول. ووُلِّي وزارة السلطان، لأول مُلكه في طريق من ظاهر جبل الفتح إلى حضرته، وأيامًا يسيرة من أيام اختلاله، إلى أن رغب الخاصَّة من الأندلسيين في إزالته، وصُرِفَ الأمر إلى الحاجب المذكور الذي تسقيط مع رئاسته المنافسة، وترضَى الجملة.

محنته: وامتُحن هو وأخوه، بالتَّغْريب إلى تونس، عن وطنهما، على عهد السلطان الثالث من بني نصر (٢). ثم آب عن عهد غير بعيد، ثم أسِن واسْتَسَرُّ أديمُه، وضَجر عن الركوب إلى فلاحته التي هي قُرّة عينه، وحظُّ سعادته، يتطارح في سكَّة المتردِّدين بإزاء بابه، مباشرُ الثَّرى بثوبه، قد سَدِكت (٤) به شكايةُ شائنة، قلّما يَفْلِت منها الشيوخ، ولا من شَركها، فهي تزفه بولاء، بحال تقتحمها العين شَعَثًا، وبُعْدًا عن النظر، فلم يُطُلق الله يده من جِدتَه على يده، فليس في سبيل دواء ولا غذاء إلى أن هلك.

وفاته: في وسط شوّال عام سبعة وخمسين وسبعمائة.

مولده: في سنة خمس وسبعين وستمائة.

⁽١) المُؤقب: اسم فاعل أوقب، وهو القادح الذي بذمّ الآخرين. والطانز: الذي يسخر من الآخرين. لسان العرب (وقب) و(طنز).

⁽٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن المحروق؛ تولى الوزارة لسلطان غرناطة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري عام ٧٢٥ هـ، ثم قتل بأمر السلطان المذكور عام ٧٢٩ هـ. اللمحة البدرية (ص ٩٤).

 ⁽٣) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الملقب بالمخلوع، وقد حكم غرناطة من سنة ٧٠١ هـ حتى سنة ٧٠٨ هـ. اللمحة البدرية (ص ٦٠).

⁽٤) سَدِكَتْ به: لزمته ولم تفارقه. لسان العرب (سدك).

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي(١)

يكنى أبا إسحلق، ويُعرَف بابن المرأة.

حاله: سكن مالقة دهرًا طويلًا، ثم انتقل إلى مُرْسية، باستدعاء المُحَدَث أبي الفضل المُرْسي والقاضي أبي بكر بن مُخرز، وكان متقدمًا في علم الكلام، حافظًا ذاكرًا للحديث والتفسير، والفقه والتاريخ، وغير ذلك. وكان الكلام أغلَبُ عليه، فصيح اللسان والقلم، ذاكرًا لكلام أهل التصوّف، يطرّز مجالسه بأخبارهم. وكان بحرًا للجمهور بمالقة ومرسية، بارعًا في ذلك، متفنّنًا له، متقدّمًا فيه، حَسن الفهم لما يلقيه، له وُثُوب على التمثيل والتشبيه، فيما يقرب للفهم، مؤثرًا للحُمول، قريبًا من كل أحد، حَسن العِشرة، مُؤثرًا بما لديه. وكان بمالقة يتّجر بسوق الغزل. قال الأستاذ أبو جعفر وقد وصمه: وكان صاحب حِيّل ونوادر مستظرفة، يُلهي بها أصحابه، ويؤنسهم، ومتطلّعًا على أشياء غريبة من الخواص وغيرها، فتن بها بعض الحَلْبة، واطلع كثير ممّن شاهده على بعض ذلك، وشاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المُرتكبات الشّنيعة، فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه، منهم شيخنا القاضي العَدل المسمّى الفاضل، أبو بكر بن المرابط، رحمه الله؛ أخبرني من ذلك بما شاهد مما يقبُح ذكره، وتَبَرًا منه مَن كان سعى في انتقاله إلى مرسية، والله أعلم بغيبه وضميره.

تواليفه: منها^(۲) شرحُه كتاب الإرشاد لأبي المعالي، وكان يعلقه من حفظه من غير زيادة وامتداد. وشرح الأسماء الحسني. وألّف جزءًا في إجماع الفقهاء، وشرح محاسن المجالس لأبي العباس أحمد بن العريف. وألّف غير ذلك. وتواليفه نافعة في أبوابها، حسنة الرصف والمباني.

مَن روى عنه: أبو عبد الله بن أحلى، وأبو محمد عبد الرحم^نن بن وصلة. وفاته: توني بمرسية سنة إحدى^(٣) عشرة وستمائة.

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري تِلِمْساني وقرشي الأصل، نزل بسَبْتَة، يكنى أبا إسحاق، ويُعرَف بالتلمساني.

⁽۱) ترجمة ابن دهاق في التكملة (ج ۱ ص ۱٤٠)، والوافي بالوفيات (ج ۲ ص ۱۷۱)، والديباج المذهب (ج ۱ ص ۲۷۲).

 ⁽۲) قارن بالتكملة (ج ۱ ص ۱٤٠).
 (۳) في الأصل: الحد عشر، وهو خطأ نحوي.

حاله: كان فقيهًا عارفًا بعقد الشروط، مبرّزًا في العدد والفرائض، أديبًا، شاعرًا، مُحسِنًا، ماهرًا في كل ما يحاول. نظم في الفرائض، وهو ابن ثمانٍ⁽¹⁾ وعشرين سنة، أرجوزة مُحكَمة بعلمها، ضابطة، عجيبة الوضع. قال ابن عبد الملك: وخبرت منه في تكراري عليه، تيقظًا وحضور ذِهن، وتواضعًا، وحُسن إقبال وبرّ، وجميل لقاء ومعاشرة، وتوسّطًا صالحًا فيما يناظر فيه من التواليف، واشتغالًا بما يعنيه من أمر معاشه، وتخامُلًا في هيئته ولباسه، يكاد ينحط عن الاقتصاد، حسب المألوف والمعروف بسببتة. قال ابن الزبير: كان أديبًا لغويًا، فاضلًا، إمامًا في الفرائض.

مشيخته: تلا بمالقة على أبي بكر بن دَسْمان، وأبي صالح محمد بن محمد الزّاهد، وأبي عبد الله بن حفيد، وروى بها عن أبي الحسن سهل بن مالك، ولقي أبا بكر بن مُحرز، وأجاز له، وكتب إليه مُجيزًا أبو الحسن بن طاهر الدباج، وأبو علي الشلوبين. ولَقِيَ بسَبتة الحسن أبا العباس بن علي بن عصفور الهواري، وأبا المُطرّف أحمد بن عبد الله بن عُفيرة، فأجازا له. وسمع على أبي يعقوب بن موسى الحساني الغُماري.

من روى عنه الكثير ممن عاصره، كأبي عبد الله بن عبد الملك وغيره.

تواليفه: من ذلك الأرجوزة الشهيرة في الفرائض، لم يُصَنَّف في فنها أحسن منها. ومنظوماته في السِّير، وأمداح النبي، ﷺ، من ذلك المُعَشِّرات على أوزان العرب، وقصيدة في المولد الكريم، وله مقالة في علم العروض الدُّوبَيْتي.

شعره: وشعره كثير، مبرّز الطّبقة بين العالي والوسَط، مُنْحازًا أكثر إلى الإجادة جمّة، وتقع له الأمور العجيبة فيه كقوله: [المنسرح]

الغَدْرُ في الناس شيمة سَلَفَتْ ما كلُّ مَنْ سَرُبتْ (٢) له نِعَمْ ما كلُّ مَنْ سَرُبتْ (٢) له نِعَمْ بلل ربما أغقَبُ الجزاءَ بها أما ترى الشمس تَعْطف بالنُ

قد طال بين الورى تصرفها منك يرى قَدْرها ويَغرفها منك يرى قَدْرها ويَغرفها مضرفها مضرفة عنك عز مضرفها عور على البَدْر وهو يَكْسِفُها؟

دخوله غرناطة: أخبر عن نفسه أن أباه انتقل به إلى الأندلس، وهو ابن تسعة أعوام، فاستوطن به غرناطة ثلاثة أعوام، ثم رحل إلى مالقة، فسكن بها مدّة، وبها

⁽١) في الأصل: «ثمانية»، وهو خطأ نحوي. (٢) في الأصل: «سَرَتُ» وهكذا ينكسر الوزن.

قرأ معظم قراءته. ثم انتقل إلى سَبْتة، وتزوّج بها أخت الشيخ أبي الحكم مالك بن المُرَحِّل. وهذا الشيخ جدَّ صاحبنا وشيخنا أبي الحسين التِلمساني لأبيه، وهو ممَّن يُطرِّز به التأليف، ويُشار إليه في فنون لشُهرته.

ومن شعره، وهو صاحب مطوّلات مجيدة، وأمادح مُبدية في الإحسان مُعيدة، فمن قوله يمدح الفقيه أبا القاسم العَزَفي أمير سبتة: [الكامل]

أرأيت مَن رَحَلُوا وزمُوا العِيسا(١) ولا نزلوا على الطلول حَسِيسا(٢)؟ يومًا بما يَشْفي لديك نَسيسا؟ الأنيسها؟ أم هل تحسّ حسيسا؟

أخَسِبْتُ سوف يعود نُسْف تُرابها هل مُؤنِس^(۳) نارًا بجانب طورها

مولله: قال ابن عبد الملك: أخبرني أنَّ مولده بتلمسان سنة تسع وستمائة.

وفاته: في عام تسعين وستمائة بسبتة، على سنّ عالية، فَسَحَت مدى الانتفاع

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

المشهور بالطُوَيْجِن (١)، من غرناطة.

حاله: من كتاب «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، نسيجَ وحده في الأدب، نظمًا ونثرًا، لا يُشَقّ فيهما غُبارُه، كلام صافي الأديم، غزير المائية، أنيق الدّيباجة، موفور المادة، كثير الحلاوة، جامعٌ بين الجزالة والرُّقَّة؛ إلى خطُّ بديع، ومشاركة في فنون، وكرّم نفس، واقتدار على كل محاولة. رحل بعد أن اشتهر فضله، وذاع أوجه، فشرِّق، وجال في البلاد. ثم دخل إلى بلد السُودان، فاتصل بملكها، واستوطنها زمانًا طويلًا، بالغًا فيها أقصى مبالغ المَكِنَة، والحُظوة، والشُّهرة، والجلالة، واقتنى مالًا دَثْرًا، ثم آب إلى المغرب، وحَوَّم على وطنه، فصرفه القدر إلى مُسْتَقرّه من بلاد السودان، مُستزيدًا من المال. وأهدى إلى ملك المغرب هديَّة تشتمل على طُرَف، فأثابه عليها مالًا خطيرًا، ومدحه بشعر بديع كتبناه عنه. وجرى ذكره في كتاب االتاج، بما نصّه (٥):

⁽١) زُمُّوا العيس: خطموها للرحيل. لسان العرب (زمم).

⁽٢) عجز البيت مختل الوزن.

⁽٣) في الأصل: •هل من مؤنس. . . • وهكذا ينكسر الوزن.

⁽٤) يكنى أبا إسحن، وترجمته في نثير فرائد الجمان (ص ٣٠٨)، والكتيبة الكامنة (ص ٢٣٥)، ونفح الطيب (ج ٢ ص ٤٠٥)، و(ج ٣ ص ٣٩٧).

⁽٥) النص في الكتيبة الكامنة (ص ٢٣٥).

اجوًاب الآفاق، ومحالف الإباق^(۱)، ومُنفق سَغد^(۲) الشّعر كل الإنفاق؛ رفع ببلده (۲) للأدب رايةً لا تحجم، وأصبح فيها يسوّي ويُلْجِم؛ فإن نَسَب، جرى ونَظَم لَظُم الجُمان المحامد، وإن أبَّنَ ورَثَى غَبَّر في وجوه السوابق وحَثا. ولمّا اتّفق كسادُ سوقه، وضِياق حقوقه، أخذ بالحَزْم، وأدخل على حروف علائه عوامل الجزم، يسقُط على الدول سقوط الغَيْث، ويجلُّ كِناس الظّبا وغاب اللّيث، شيّع العجائب، وركَّض النّجائب، فاستضاف بِضرام، وشاهد البرابي والأهرام، ورمى بعَزْمَته الشآم، فاحتلُ على مدينة السّلام، وأورّد بالرّافدين رَوَاجِله، ورأى اليمن وسواحله، ثم عَدَل إلى الحقيقة عن المجاز، وتوجّه إلى شأنه الحجاز، فاستلم الرّكن والحجر، وزار القبر الكريم لمّا ضدر، وتعرّف بمجتمع الوفود بملك السُّود، فغمره بإرفاده، وصحِبَه إلى بلاده، فاستقرّ بأوّل أقاليم العَرْض، وأقصى ما يَعْمُر من الأرض، فحلٌ بها محل الحُمْر في فاستقرّ بأوّل أقاليم العَرْض، وأقصى ما يَعْمُر من الأرض، فحلٌ بها محل الحُمْر في الغار، والنور في سواد الأبصار؛ وتقيّد بالإحسان، وإن كان غريب الوجه واليد واللسان. وصدرت عنه رسائلُ أثناء إغرابه، تشهد بجلالة آدابه، وتمَلّق الإحسان بأمدانه، به

نشره: فمن ذلك ما خاطب به أهل غَرْناطة بلده؛ وقد وصل إلى مَرَّاكُش:

سلام ليس دارين شعاره، وحلق الروض والنضير به صداره، وأنسى نجدًا شمّه الزكي وعراره، جرِّ ذيله على الشجر فتعطر، وناجى غصن البان فاهتز لحديثه وتأطّر، وارتشف الندى من ثغور الشّقائق، وحيًا خدود الورد تحت أردية الحدائق، طَرِبت له النّجدية المُسْتهامة، فهجرت صباها ببطن تِهامة، وحَنَّ ابن دهمان لصباه، وسَلا به التّميمي عن ريّاه، وأنسى النّهيري ما تضوّع برقيب من بطن نعماه، واستَشرف السمر والبان، وتخلق بخلوقة الآس والظّيَّان (أنّ)، حتى إذا راقت أنفاس تحيّاته ورقّت، وملكت نفائس النفوس واستَشرقت، ولبست دارين في ملائها، ونظمت الجوزاء في عقد ثنائها، واشتغل بها الأعشى عن روضه ولَها، وشهد ابن بُرْد شهادة أطراف المساويك لها، خيَّمت في رَبْع الجود بغَرْناطة ورقّت، وملأت دَلُوها إلى عقد رَكْبه، وأقبلت منابتُ شرقها عن غربه، لا عن عَرْفه؛ هناك تَتْرى لها صدور المجالس تحمل وأقبلت منابتُ شرقها عن غربه، لا عن عَرْفه؛ هناك تَتْرى لها صدور المجالس تحمل صدورًا، وترائبُ المعالى تُحلَّى عقودًا نفيسة وجذورًا، ومحاسن الشرف تحاسن

⁽١) في الكتيبة الكامنة: «الرفاق». لم (٢) في الكتيبة الكامنة: «سعر» إلى

⁽٣) كلمة «ببلده» ساقطة من الكتيبة الكامنة. ١

⁽٤) الظَّيَّان: ياسمين البّرّ. محيط المحيط (ظري). مريخ

البروج في زهرها، والأفنية في إيوانها، والأندية في شِغْب بَوَّانها (١)، لو رآها النعمان لهجر سَديره، أو كِسْرى لنبذ إيوانه وسريره، أو سيف لقصّرَ عن غُمدانه، أو حسّان لترك جلَق (٢) لغسّانه: [الطويل] ٢٠

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول أرض مَسّ جلدي ترابُها

فإذا قضيتُ من فَرْض السلام خَتْما، وقَضَت من فارِهِ النَّناء حَتْما، ونَفَضت طيب عرارها على تلك الأنداء، واقتطفت أزاهرَ محامدها أهلُ الودّ القديم والإخاء، وعمّت مَن هنالك من الفضلاء، وتلَتْ سُوَر آلائها على مِنْبر ثنائها، وقصَّت وعَطَّفت على مَن تحمل من الطلبة بشارتهم، وصدرت عن إشارتهم، وأنارت نجمًا حول هالتهم المُنيرة ودارَتِهم، فهناك تقصُّ أحاديث وجُدي على تلك المناهج، لا إلى صلة عالج، وشوقى إلى تلك العَلْيا، لا إلى عبلة، والجزا إلى ذلك الشريف الجليل، فسقى الله تلك المعاهد غَيْداقًا(٣) يهمي دعاؤها، ويغرق رُوْضها إغراقًا، حتى تتكلُّل منه نحور زُنْدها دُرًا، وترنو عيون أطراف نرجسها إلى أهلها سَرَرًا، وتتعانق قدود أغصانها طربًا، وتعطف خصور مذانبها على أطراف كُثبانها لَعِبا، وتضحك ثغور أقاحيها(٢) عند رقص أدواحها عُجْبًا، وتحمرُ خدود وردها حياة، وتشرق حدائق وردها سناءً، وتهدي إلى ألسنة صِباها خبر طُيبة (٥) وإنباء، حتى تشتغل المطريّة عن روضتها المردودة، والمُتَكَلِّىء عن مشاويه المجودة، والبكري عن شقائق رِياض روضته النديّة، والأخطل عن خلع بيعته الموشِيَّة. فما الخَوَرْنق (٦) وسُراد، والرُّصافة وبغداد، وما لفَّ النِّيل في مَلاَّته كرمًا إلى أفدين سقايته، وحارته غمدان عن محراب، وقصر وابرية البلقاء عن غوطة ونهر، بأحسن من تلك المشاهد التي تساوي في حُسنها الغائب والشاهد. وما لمصر تفخر بنيلها، والألفُ منها في شُنيلها(٧)، وإنما زِيدَت الشين هنالك ليعد بذلك: [الوافر] 🗼

ويا لِله من شوق حَشيث ومن وَجْدِ تنَشَط بالصميم إذا ما هاجه وجد حديث صبا منها إلى عَهْدِ قديم

⁽١) شِعْب بَوْاذً: موضع بأرض فارس، وهو أحد متنزهات الدنيا. معجم البلدان (ج ١ ص ٥٠٣).

 ⁽۲) جِلْق: هي دمشق نفسها، وقيل: موضع بقرية من قرى دمشق. معجم البلدان (ج ۲ ص ۱۵٤).

⁽٣) الغَيْداق من الشباب: الناعم، والجمع غياديق. محيط المحيط (غيدق).

⁽٤) في الأصل: "أقاحها"، والأقاحيُّ: جمع أقحوان وهو نبات. محيط المحيط (قحا).

⁽٥) طُيْبة: اسم لمدينة رسول الله ﷺ. معجم البلدان (ج ٤ ص ٥٣).

⁽٦) الخورنق: قصر كان بظهر الحيرة. معجم البلدان (ج ١ ص ٤٠١).

⁽٧) ورد قول ابن الخطيب هذا في نفح الطيب (ج ١ ص ١٤٨).

أَجْنَح إنساني في كل جانحة، وأنطق لساني من كل جارحة، وأهيم وقلبي رهين الأنين، وصريع البَيْن، تهفو^(۱) الرياح البليلة إذا ثارت، وتطير به أجنحة البروق الخافقة أينما طارت، وقد كنت أستنزل قُربهم براحة الأجل، وأقول عسى وطن يدنيهم ولعل، وما أقدر الله أن يُذني على الشَّحَط، ويُبري جراح البين بعد اليأس والقَنَط، هذا شوقي يستعيرُه البُركان لناره، وَوَجْدي لا يجري قَيْس في مضماره، فما ظنُك وقد حمت حول المورد الخَصِر، ونسمت ريح المنبِت الخَضِر، ونظرت إلى تلك المعاهد من أمم، وهمست باهتصار ثمار ذلك المجد اليانع والكرم، وإن المحبّ مع القُرب لأعظم هَمًا، وأشدُ في مقاساة الغرام غمًا: [الوافر]

وأبرح ما يكون الشوق يومًا إذا دَنَـتِ الـدُيـارُ مـن الـديـارِ

وقَرُبت مسافة الدُّوَّار، لكن الدهر ذو غِيَر، ومَن ذا يحكم على القَدَر، وما ضوَّه لو غفل قليلًا، وشفى بلقاء الأحبّة غليلًا، وسمح لنا بساعة اتفاق، ووَصَل ذلك الأمل القصير بباع، وروى مسافة أيام، كما طوى مراحل أعوام.

لُذُ إبليس، أفلا أشفقت من عذابي، وسمّخت ولو بسلام أحبابي؟

أَسْلَمْتَني إلى ذَرْع البيد، ومحالفة الذميل والوخيد (٢)، والتنقُل في المشارق والمغارب، والتمطّي في الطّهوات والغوارب، يا سابق البين دَعْ محمله، وما بقي في الجسم ما يَحْوله، ويا بنات جديل، ما لكنَّ وللذميل؟ لبت سَقَمي عقيم فلم يلد ذات البين، المُشَتَّة ما بين المحبين، ثم ما للزاجر الكاذب، وللغراب الناعب، تجعله نذير الحلا، ورائد الخلا، ما أبعد من زاجر، عن رأي الزّاجر، إنما فعل ما ترى، ذات الغارب والقرى، المحتالة في الأزمَّة والبرى، المتردّدة بين التَّاويب والسُرى؛ طالما باكرَت النُوى، وصَدَعت صَدْع الثَّوى، وتركت الهائم بين رَبْع مَحيل، ورسم مستحيل، يقفو الأثرُ نحوه، ويُسْأل الطّلل عن عهده، وإن أنصَفَت فما لعين معقودة، وإبل مطرودة، مالت عن الحوض والشّوط، وأسلمت إلى الحبل والعصا والسّوط، ولو خُيِّر النائي لأقام، ولو تُرك القطا ليلًا لنام، لكن الدهر أبو بَراقش (٢)،

⁽١) في الأصل: "تهفق".

⁽٢) الذُّميل: السير اللين. والوخيد: السير السريع. لسان العرب (ذمل) و(وخد).

 ⁽٣) أبو بَرَاقش: طائر صغير برّي كالقنفذ أعلى ريشه أغرّ وأوسطه أحمر وأسفله أسود، فإذا هُيِّج انتفش فتغيّر لونه ألوانًا شبِّى حتى قبل لكل متلوّن ذي وجهين: أحول من أبي برقش، ومنه قول الشاعر: [مجزوم الكامل]

كابس بُسراقِسُ كسلٌ يُسوْ مِ لسونَـهُ يَستَسقَسلَسبُ محيط المحيط (برقش).

وسهمٌ بينه وبين بنيه غيرُ طائش؛ فهو الذي شَتَّت الشُّمْل وصَدَعه، وما رُفع سيفٌ بعماده إلّا وضعه، ولا بلّ غليلًا أَخْرَقه بنار وَجْده ولا نفعه. فأقسم ما ذاتُ خضاب وطَوْق، شاكيةُ غرام وشوق، برزت في مِنَصَّتها، وترجمت عن قضيّتها، أو غُربت عن بيتها، ونَفَضَتْ شرارة زفرتها عن عينها، مَيْلًا حكتِ المَيْلا والغريض، وعَجْماء ساجلت بسَجْعها القريض، وكَصَّت (١١) الفودَ فكأنما نقرت العود، وردُّدت العويل، كأنما سمعت النُّقيل، نبُّهت الواله فثاب، وناحت بأشواقها فأجاب. حتى إذا افتَرُ بريقُها، استراب في أنَّتها، فنادى يا حصيبة الساق، ما لَكِ والأشواق؟ أباكِيَةٌ ودموعك راقيةً؟ ومحرّرة وأعطافك حالية؟ عُطّلت الخوافي، وحُلَّيت القوادم، وخُضَّبت الأرجل، وحضرت المآتم. أمَّا أنتِ، فنزيعة خِمار، وحليفة أنوار وأشجار، تُتَردُّدين بين منبر وسرير، وتتهادين بين رؤضة وغَدِير؛ أسرفتِ في الغناء، وإنما حكيت خرير الماء، وولعت بتكرير الراء، فقالت: أعد نظر البقير، والأمر ما جَدَع أنفَه قَصير، أنا التي أغْرَقْتُ في الرُّز،، فكنيت عن الكل بالجزء؛ كنت أربع بالفيافي ما ألافي، وآنسُ مع مقيلي، بُكرته وأصيلي، تحتال من غدير إلى شَرْج (٢)، وتنتقل من سرير إلى سَرْج، آونة تلتقط الحَب، وحينًا تتعاطى الحُب، وطورًا تتراكض الفنّن، وتارة تتجاذب الشُّجن، حتى رماه الدهر بالشَّتات، وطَرَقه بالآفات، فهأنا بعده داميةُ العين، دائمة الأين، أتعلُّل بالأثر بعد العَين؛ فإن صعدت مناري، ألهبت منقاري، أو نكأت أحشائي، خُضُبت رجلي بدمائي، فأقسم لا خلعت طَوْق عهده، حتى أردي من بعده، بل ذات خَفْض وتُرَف، وجمال باهر وشرّف، بسط الدهر يدها، وقبض ولدها، فهي إذا عقدت التُّمائم على تريب، أو لفّت العمائم على نجيب، حثّت المفؤود، وأدارت عين الحسود، حتى إذا أينعت فُسالها، وقضى حمْلُها وفِصالها، عَمرَ لحدُها بوحيد كان عندها وسطى، وفريد أضحى في نحر عشيرتها سِمْطا، استحثَّت له مُهَبَّات النسيم الطَّارق، وخافت عليه من خَطَرات اللُّحظ الرّاشق، فحين هشٌ للجياد، ووهب التماثم للنُّجاد ونادى الصريم، يا الآل والحريم، فشدَّ الأناة، واعتقل القناة، وبرز يختال في عيون لامه، ويتعرُّف منه رمحه بألِفِه ولامه، فعارضه شَفْن (٣) الكفّين، عاري الشعر والمُنْكبين، فأسلمه لِحثَّفه، وترك حاشية ردانه على عِطفه، فحين انْبهَم

⁽١) كَصَّت الفودُ: دَقُّتُه. والفود: معظم شعر الرأس، والمراد هنا: الرأس. محيط المحيط (كصّ) و(فود).

⁽٢) الشّرج: مسيل الماه من الحَرّة إلى السهل. محيط المحيط (شرج).

⁽٣) الشُّش: الغليظ، محيط المحيط (ششن).

لشاكِلَته ما جَرَى برزت لترى: [الطويل]

فلم تلق فيها^(١) غيرَ خَمْسِ قوائم يحطُ على أعطافه وتراثبة

وأشلاء لحم تحت لين سخايل بكف حديد الناب صُلْبِ المفاصل

أعظم من وجد إلى تلك الآفاق، التي أظلَعت وجوه الحسن والإحسان، وسَفَرت عن كمال الشرف، وشرف الكمال عن كل وجه حسان، وأبرزت من ذوي الهمة المنفظة، والسير الشريفة، ما أقر عين العلياء، وحلى جيد الزمان، فَتقوا للْعلم أزهارًا أزبّت على الروض المَجود، وأداروا للأدب هالة استدارَت حولها بُدُور السُعود، نظم اللهر محاسنهم حُليًا في جيده ونحره، واستعار لهم الأفق ضياء شمسه وبَدْره، وأعرب بهم الفخر عن صميمه، وفسح لهم المجد عن مصدره، فهم إنسان عين الزمان، وملتقى طريقي الحسن والإحسان، نَظمت الجوزاء مفاخرهم، ونترت النشرة مآثرهم، واجتلبت الشعرى من أشعارهم، وطلع النور من أزرارهم، واجتمعت النبريًا لمعاطاة أخبارهم، ووذ الذّلو لو كرع في حوضهم، والأسدُ لو ربض حول ربض حول المسك محاسنهم فرق، وطرب الصبح الأخبارهم فخرق جبينه وشق، وحام النسر حول حمامهم وحلق، وقد الفخار جدار محامدهم وخلق، إلى بلاغة أخرست لسان ليد، وتركت عبد الحميد غير حميد، أهل ابن هلال لمحاسنهم وكبر، وأعطى القارىء ما زجر به قلمه وسطر، وأيس إياس من لحاقهم فأقصر لما قصر.

ومنها: فما لِلْوَشِي تألِّق ناصعه، وتأنَّق يانعُه، بأحسن ممّا وشَتْه أنفاسُهم، ورسمته أطراسُهم، فكم لهم من خريدة غذّاها العلم ببرّه، وفريدة حلّاها البيان بدُرّه، واستضاءت المعارف بأنوارهم، وباهّت الفضائل بسناء منارهم، وجُلِّيت المشكلات بأنوار عقولهم وأفكارهم، جَلُوا عروس المجد وحَلُوا، وحلّوا في ميدان السيادة ونشأوا، وزاحموا السُهى بالمناكب، واختطّوا التُرْب فوق الكواكب، لزم محلهم التُكبير، كما لزمت الياءُ التُصغير، وتقدّموا في رُتبة الأفهام، كما تقدّمت همزة الاستفهام، ونزلوا من مراتب العَلْياء، مَنْزِلة حروف الاستِعلاء، وما عسى أن أقول ودون النهاية مدّى نازح، وما أغنى الشمس عن مَدْح المادح، وحَسْبي أن أصف ما أعانيه من الشوق، وما أجدهُ من التّوق، وأعلّل نفسي بلقائهم، وأتعلّلُ بالنّسيم الوارد من تِلْقائهم، وإن جلاني الدهر عن ورود حوضهم، وأقعّدني الزمان عن اجتناء من تِلْقائهم، وإن جلاني الدهر عن ورود حوضهم، وأقعّدني الزمان عن اجتناء رئوضهم، فما ذهب ودادي، ولا تغيّر اعتقادي، ولا جفّت أقلامي عن مدادهم ولا

⁽١) كلمة الفيها، ساقطة من الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى.

مدادي، وأنا ابن جَلا^(۱) في وجُدِهم، وطلاع الثّنايا إلى كرّم عهدهم، إن دعوا إلى وُدً صميم وجدوني، أضع العمامة عن ذوي عهد قديم عرفوني، ولو شرعوا نحوي قلم مُكاتبتهم، وأسَخُوا بالعِلْق التَّمين من مخاطبتهم، لكفُوا من قلبي العاني قَيْد إساره، وبَلُوا صدى وَجُدي المُتحَرِّق بناره، ففي الكتابة بُلغة الوطر، وقد يُغْنِي عن العين الأثر، والسلام الأثير الكريم الطيب الرّيا، الجميل المحيّا، يحضُر محلهم الأثير، وكبيرهم إذ ليس فيهم صغير، ويعودُ على من هناك من ذوي الوُدُ الصميم، والعهد القديم، من أخ بَرُّ وصاحب حميم، ورحمة الله وبركاته.

ولا خفاء ببراعة هذه الرسالة على طولها، وكثرة أُصولها، وما اشتملت عليه من وصف وعارضة، وإشارة وإحالة، وحلاوة وجزالة.

شعره: ثبت لديً من متأخّر شعره قوله من قصيدة، يمدح بها ملك المغرب^(۲)، أمير المسلمين، عند دنوّ ركابه من ظاهر تِلِمْسان ببابه أولها^(۳): [الكامل]

خَطَرْت كميّاسِ(1) القنا المُتأطّر ﴿ وَرَنتُ بِالْحِاظِ الْغِزَالِ الْأَغْفَرِ

وحول كل كناس كف مُفترسِ ويشتكي الزُندُ ما بالقلب من خَرَسِ سيوف ألحاظها من آية الحرَسِ آيات موسى وقلبي موضع القبس تحت الكتُومين من شغرٍ ومن غَلَسِ تقول بعد نُفُوذ الرَّمْية احترسِ في النَّازعات وما تنفكُ من عَبَس خَطَرْت كميّاسِ (1) القنا المُتأطّرِ ومن شعره في النسيب: [البسيط]

زارت وفي كل لخط طرف مُحترس يشكو لها الجيدُ ما بالحلي مِن هَدْ يسكو لها الجيدُ ما بالحلي مِن هَدْ متى تلا خدها الزّاهي الضحى نَطَقَت في لحظها سِحْرُ فِرْعون ورقتها تخفي النّمومَيْن من حَلْي ومُبتسم وتُرسل اللّحظ نحوي ثم تهزأ بي أشكس إليسها فوادًا واجلًا أبدًا

⁽۱) أخذه من قول سحيم بن وثيل الرياحي: [الوافر] أن أن من قول سحيم بن وثيل الرياحي: [الوافر] أن أن ابن جَلا وظلائم النشنايا منى أضع العمامة تَعَرفوني وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٢٤).

 ⁽۲) هو أمير المسلمين أبو الحسن علي المريني، ملك المغرب، كما جاء في نثير فرائد الجمان (ص
 ٣٠٩).

⁽٣) ورد منها خمسون بيتًا في نثير فرائد الجمان (ص ٣٠٩ ـ ٣١٢) وجاء فيها أنه قالها في مدح الملك المغربي المذكور يحرّضه فيها على قتال أمير المؤمنين أبي تاشفين العبد الوادي ملك تلمسان، قاتل أبيه.

⁽٤) في نثير فرائد الجمان: الكميّادا.

يا شُفّة النّفس إنّ النّفس قد تَلِفت هذا فؤادي وجَفْني فيك قد جمعا ويا لطارق نوم منكِ أرّقني ما زال يشرب من ماء القُلوب فلم ملأتِ طَرْفي عن وردٍ تفتح في وقلت للخظ والشذغ اخرسا فهما وليلة جنشها سخرا أجوس بها أستفهم الليل عن أمثال أنجمه وأهمتك الستر لا أخشى بوادره بتنا نُعاطى بها ممزوجةً مَزَجَتُ أنكختها من أبيها وهي آيسةً نورٌ ونارٌ أضاءا في زُجاجتها حتى إذا آب نور الفجر في وضع وهَيْمُنَتْ بالضنا تحت الصباح صبًا قامت تجر فضول الريط آنسة تَلُوثُ فُوقَ كثيب الرمل مِطْرَفَها فظل قلبئ يَقْفوها بملتَهب دهر يُسلون لونسيسه كسعسادتسه

إلا بقيّة رجع الصوت والنّفس ضِدْين فاعتبري إن شئت واقتبسي ليلًا ونبهني للوجد ثم نسي أبصرتُه ذابلًا يشكو من اليَبَس رِياض خَدِّيك صلاً غير مُفْتَرس ما بين مُضم وفَتُاك ومُنْتَكسِ شبا العوالي وخيس الأخنف الشرس وأسأل(١) العِيسَ عن سِرْب المها الأنس ما بين مُنتهز طورًا ومُنتهس خُلُو الفكاهة بين اللّين والشّرس فثار أبناؤها في ساعة العُرُس فذاك خدُك يا ليلي وذا نَفَسي (٢) معزك جال بين الفَجْر والغَلَس قد أنذَرَتْها ببَرْدِ القلب واللَّعُسِ كريمة الذيل لم تجنّح إلى دُنّسِ وتمسّحُ النُّوم عن أجفانها النُّعُسِ طورًا ودمعي يتلوها بمنبجس فالصبح في مأتم والليل في عُرسِ

وإحسانه كثير، ومقداره كبير. ثم آب إلى بلاد السودان، وجَرت عليه في طريقه محنة، ممّن يعترض الرفاق ويُفسد السبيل، واستقرَّ بها على حاله من الجاه والشُهرة، وقد انخذ إماء للتسرِّي من الزِّنجيَّات، ورزق من الجوالك أولادًا كالخنافِسة. ثم لم يلبث أن اتصلت الأخبار بوفاته بتُنبُكتو، وكان حيًّا في أوائل تسعة وثلاثين وسيعمائة (٣).

 ⁽١) في الأصل: «وأسال» وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: "نَفْسِ»، بدون ياء.

 ⁽٣) في نثير فرائد الجمان (ص ٣٠٨): توفي بمالي من أرض جناوة في عام ٧٤٤ هـ. وهكذا جاء في نفح الطيب (ج ٣ ص ٤٠٦). وذكره المقري ثانية ولم ينفح الطيب (ج ٣ ص ٣٩٧). وذكره المقري ثانية ولم يلقبه بالساحلي، فتوهم أنه شخصية أخرى وقال: توفي بمراكش سنة نيف وأربعين وسبعمائة.

إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحلق بن أسد بن قاسم النميري

من أهل غَرْناطة، يكنى أبا إسحنق ويُعرَف بابن الحاجّ (١).

أوليته: بيت نبية، يزعم من يُعنى بالأخبار، أن جدَّهم الداخل إلى الأندلس نُوابة بن حمزة النَّميري، ويشركهم فيه بنو أرقم الوادي شيون (٢). وكان سكناه بجهة وادي آش، ولقومه اختصاص وانتقال ببعض جهاتها، وهي شَوْظر، والمنظر، وقرسيس، وقطرش؛ تغلّب العدو عليها على عهد عبد العزيز، وآوى جميعهم إلى كَنَف الدولة النصرية، فانخرطوا في سِلك الخدمة، وتمخض خلفُهم بالعمل. وكان جدّه الأقرب إبراهيم، رجلًا خيِّرًا من أهل الدين والفضل والطهارة والذكاء؛ كتب للرؤساء من بني إشقيلُولة، عند انفرادهم بوادي آش. واختص بهم، وحصل منهم على صِهْر بأم ولدِ بعضهم، وضبط المهمَّ من أعمالهم. ثم رابته منهم سجايا أوْجَبَت انصرافه عنهم، وجنوحه إلى خالهم السلطان الذي كاشفوه بالثورة، فعرف حمَّه، وأكرم وفادته، وقبل بيانه؛ فقلده ديوان جنده، واستمرّت أيام عُمره تحت رَعْيه، وكُنف عنايته. وكان ولده عبد الله، أبو صاحبنا المترجم به، صَدْرًا من صدور المستخدمين في كبار الأعمال، على سنن رؤسائهم، المترجم به، صَدْرًا من صدور المستخدمين في كبار الأعمال، على سنن رؤسائهم، عمرها إلى إيالة بني نصر؛ وجرى طلاقه هذا، في صلً دنيا عريضة؛ تغلّبت عليه تصيرها إلى إيالة بني نصر؛ وجرى طلاقه هذا، في صلً دنيا عريضة؛ تغلّبت عليه بأخرة، ومضى لسبيله، مصدوقًا بالكفاية، وبراعة الخط، وطيب النفس، وحُسُن المعاملة

حاله: هذا^(۳) الرجل نشأ على عفاف وطهارة؛ امتهك صبابة ترف من بقايا عافية، أعانته على الاستظهار ببزّة، وصانته من التحرّف بمهنة. ثم شد وبَهُرت خصاله، فبَطح بالشّعر؛ وبلغ الغاية في إجادة (١) الخط، وحاضر بالأبيات، وأرسم (٥) في كتابة الإنشاء، عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، مُستحقًا حُسْن سِمة (٢)، وبراعة

 ⁽١) ترجمة ابن الحاج النميري في الكنيبة الكامنة (ص ٢٦٠)، ونيل الابتهاج، طبعة فاس (ص
 (١٤)، والمنهل الصافي (ج ١ ص ٦٦)، ونثير فرائد الجمان (ص ٣١٣)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٩) و(ج ٩ ص ٣٣٠).

⁽۲) نسبة إلى مدينة وادي آش. (۳) نفح الطيب (ج ۹ ص ۳۳۰).

 ⁽٤) في النفع: قجودة.
 (٥) في النفع: قوارتسم في كتاب الإنشاء.

⁽٦) في النفح: قسمت، وجودة أدب وخطَّه.

خط، وجودة أدب، وإطلاق يد، وظهور كفاية؛ وفي أثناء هذا الحال، يُقيد ولا يفتر، ويروي الحديث، ويعلِّق الأناشيد، ولا يغِبُّ النظم والنثر، ولا يُعفى القريحة، مُعَمِّى، مخولًا في العناية، مشتملًا على الطهارة، بعيدًا في زمان الشَّبيبة عن الرِّيبة، نزيهًا على الوسامة عن الصَّبوة والرُّقية، أعانه على ذلك نخوة في طبعه، وشفوفُ وهمَّة. كان مليح الدُّعابة، طيُّب الفكاهة، آثر المشرق، فانصرف عن الأندلس في محرّم عام سبعة وثلاثين وسبعمائة، وألمّ بالدول، محرّكًا إياها بشعره، هازًا أعطافها بأمداحه؛ فعُرفَ قَذْرُه، وأعين على طِيِّته؛ فحجِّ وتطوُّف، وقيُّد، واستكثر، ودوَّن في رحلة سفره؛ وناهيك بها طُرفة؛ وقفل إلى إفريقية، وكان عَلِق بخدمة بعض ملوكها، فاستقرُّ ببجاية لديه، مضطلعًا بالكتابة والإنشاء. ثم انتقل إلى خدمة سلطان المغرب، أمير المسلمين أبي الحسن؛ ولم ينْشِب أن عاد إلى البلاد المشرقية، فحج، وفَصل إلى إفريقية، وقد دالت الدولة بها بالسلطان المذكور، فتقاعد عن الخدمة، وآثر الانقباض؛ ثم ضرب الدهر ضرباته، وآل حال السلطان إلى ما هو معروف، وثابت للموحّدين برملة بجاية بارقة لم تكد تتقد حتى خُبّت، فعاد إلى ديوانه من الكتابة عن صاحب بجاية. ثم أبي مُؤثِرًا للدُّعة في كَنف الدولة الفارسية(١١)، ونَفَض عن الخدمة يده، لا أحقَّق مضطرًا أم اختيارًا، وحجة كليهما قائمة لديه، وانقطع إلى تربة الشيخ أبي مَذْين (٢) بِعُبَّاد تِلِمْسان، مُؤثِرًا للخُمول، عزيزًا به، ذاهبًا مذهب التَّجلَّة من التجريد والعكوف بباب الله، مفْخَرًا لأهل نِحلته، وحجّة على أهل الحرص والتهافت، من ذوي طبقته، راجع الله بنا إليه بفضله. ثم جبرته الدولة الفارسية على الخدمة، وأبْرَته بزَّة النُّسك، فعاد إلى ديدنه من الكتابة، رئيسًا ومرؤوسًا. ثم أفلت نفيَه موتُ السلطان أبي عنان فلحق بالأندلس، وتُلقي بِبرُّ وجراية، وتنويه وعناية، واستعمل في السفارة إلى الملوك؛ ورُلِّي القضاء في الأحكام الشرعية بالقليم بقرب الحَضْرة؛ وهو الآن بحاله الموصوفة، صَذْرًا من صدور القطر وأعيانه، يحضر مجلس السلطان، ويُعَدُّ من نُبهاء مَن يُنتاب بابه، وقد توسّط من الاكتهال، مُقيمًا لرسم الكتابة والظرف مع الترخيص للباس الحرير، والخِضاب بالسواد، ومصاحبة الأبُّهة، والحرص على التَّجلَّة.

⁽١) أي في دولة السلطان فارس أبي عنان.

 ⁽۲) الشيخ أبو مَذْين: هو الصوفي شعيب بن الحسين التلمساني، الأندلسي الأصل، المتوفّى بتلمسان
 سنة ٩٩٤ هـ. وقبره بعُبّاد تلمسان ويُزار إلى جانب مدافن الأولياء. الأعلام (ج ٣ ص ١٦٦)
 وفيه ثُبْت بأسماء مصادر ترجمته.

وجرى ذكره في «التاج المُحلّى» بما نصُه (١٠): «طَلَع شهابًا ثاقبًا، وأصبح بشِعره للشّعرى مُصاقبًا، فنَجَمَ وبرع، وتمّم المعاني واخترع؛ إلى خطّ يستوقف الأبصار رائقه، وتقيّدُ الأخداق حدائقه، وتفتن الألباب فنونه البديعة وطرائقه، من بليغ يطارد أسراب المعاني البعيدة فيقتنصها، ويغوص على الدّرر الفريدة فيُخرِجها، ويستخلصها بطبع مذاهبه دافقة، وتأييد رايته خافقة. نبّه في عصره شرف البيان من بعد الكرى، والنّدب بالنشاط إلى تجديد ذلك البساط وانبرى، فدارت الأكواس، وتضوع الورد والآس، وطاب الصّبوح، وبدّل الروح المَروح، ولم تزل نفحاته تتأرّج، وعقائلُ بناته تتبرّج، حتى دُعِيَ إلى الكتابة، وخطب إلى تلك المثابة، فطرّز المفارق برقوم أقلامه، وشنف المسامع بدُر كلامه؛ ثم أجاب داعي نفسه التي ضاق عنها جُثمانه، لا بل زمانه، وعظم لها فكره وغمّه، وتعب في مداراتها، وكما قال أبو الطيب المتنبي: وشدّ للطّواف الإزار. ثم هبّ إلى المغرب وحوّم، وقفل قفول النسيم عن الرّوض وشدّ للطّواف الإزار. ثم هبّ إلى المغرب وحوّم، وقفل قفول النسيم عن الرّوض بعدما تلوّم، وحطّ بإفريقية على نار القِرى، وحمد بها صباح السّرى، ولم يلبث أن بعدما تنقل، ووجر الحميمُ شِفافه وتنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، وكان عزمُه أن يجتمع نتقل، ووجر الحميمُ شِفافه وتنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، وكان عزمُه أن يجتمع نتقل، ووجر الحميمُ شِفافه وتنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، وكان عزمُه أن يجتمع نتقل، ووجر الحميمُ شِفافه وتنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، وكان عزمُه أن يجتمع نتقل، ووجر الحميمُ شِفافه وتنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، وكان عزمُه أن يجتمع نتقل، ووجر الحميمُ شِفافه وتنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، وكان عزمُه أن يجتمع

مشيخته: روى^(۲) عن مشيخة بلده وأشجر، وقيّد واستكثر، وأخذ في رحلته عن أناس شتّى يشقّ إحصاؤهم.

تواليفه: منها كتاب «المُساهلة والمسامحة، في تبيين طرق المداعبة والممازحة»، والعقاظ الكرام، بأخبار المنام»، واتنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح»، وكتاب الوسائل، ونزهة المناظر والحمائل» والزهرات، وإجالة النُظرات، وكتاب في التُورية» على حروف المعجم، أكثره مروي الأسانيد عن خلق كثير، والله تعالى يُخُره؛ وجزء في تبيين المشكلات الحديثة الواصلة من زُبيد اليمن إلى مكّة؛ وجزء في بيان اسم (۲) الله الأعظم، وهو كبير الفائدة، وانزهة الحَدَق، في ذكر الفِرَق»، وكتاب الأربعين حديثًا البُلدانية، والمُستدرك عليها من البلاد التي دخلتها، ورويت فيها، زيادة على الأربعين، والموضة العباد المستخرجة من الإرشاد»، وهو من تأليف شيخنا القطب أبي محمد الشافعي؛ والأربعون حديثًا التي رويتها عن الأمراء والشيوخ،

 ⁽١) نقل لسان الدين في الكتية الكامنة (ص ٢٦٠ ـ ٢٦١) ما ذكره في التاج المحلى، وهو لا يوافق
 ما أدرجه هنا في ترجمة ابن الحاج.

⁽٢) نفح الطيب (ج ٩ ص ٣٣١). (٣) في النفح: ١١لاسم الأعظم، كثير الفائدة،

الذين رَوَوا عن الملوك والأمراء؛ والشيوخ الذين رَوَوا عن الملوك والخلفاء القريب عهدهم؛ ووصلت بها خاتمة ذكرتُ فيها فوائد مما رويته عن الملوك والأمراء، وعن الشيوخ الذين رَوَوا عن الملوك والأمراء؛ وكتاب «اللّباس والصّحبة» وهو الذي جُمعت فيه طرق المتصوّفة، المدّعي أنه لم يجمع مثله؛ وكتاب فيه شُطْر الحماسة لحبيب، وهو غير مُكْمَل؛ ورجز^(١) في الفرائض على الطريقة البديعة التي ظهرت ببلاد^(٢) الشرق؛ ورجز صغير في الحَجْب والسُّلاح، ورجز في الجَدَل؛ ورجز أن في الأحكام الشرعية سمّاه، بـ «الفصول المُقتضبة، في الأحكام المُنتَخبة»؛ وكتاب سمّاه ب «مثاليث (٢٠) القوانين، في التُّورية والاستخدام والتُّضمين، وهو كله من نظمه؛ وله تأليف سمّاه بـ "فَيْض العُباب، وإجالة قِداح الآداب، في الحركة إلى قُسَنطينة والزَّابِ.

شعره: ومن شعره في المقطوعات(٤): [الكامل]

طاب العُذَيبُ بماء (٥) ذِكُركِ وانثنى والهتَزُّ من طرب للقياكُ الحِمَى ومن ذلك (٧): [الطويل]

ليَ المدحُ يُرُوى منذ كنتُ كأنما وما لي هجاءً فاعجبن لشاعر ومن ذلك (٨): [الطويل]

ولي فَرَسٌ من عِلْية الشُّهب سابقُ غدوتُ (٩) له في حَلْبة القوم مالكًا

فكأنما ماءُ العذيب سلافَهُ فكأنَّما باناتُهُ (٦) أعبطافُهُ

تصورت مدخا للورى وثناء وكاتب سر لا يُقِيم هِجاء

أصرّف يوم الوغى كيف اطلبُ يتابعُني ما شئت في السُّبْق أَشْهَبُ (١٠)

⁽٢) في النفح: قبالمشرق. (١) في النفيح: ﴿وجزمُهُ.

⁽٤) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٦). (٣) في النفح: «مثالب».

⁽٥) في الكتيبة: ابطيب.

⁽٦) في الأصل: فبأناته، وقد اخترنا هذه الكلمة كما في الكتيبة الكامنة لأنها أكثر ملاءمة للمعنى. والبانات: جمع بانة وهي التي يشبه بها الخصر الدقيق.

⁽٧) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٦)، ونثير فرائد الجمان (ص ٣١٨)، ونفح الطيب (ج ٩ ص

⁽۸) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٦).

⁽٩) في الأصل: «عدوت، بالعين المهملة، والتصويب من الكتيبة.

⁽١٠) في الكتيبة: «فتابعني منه كما شاء أشهب،

وقال، وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء «فيض^(۱) الثغور» وشرب منها^(۲): [المتقارب]

وها أنت من عَيْنه شاربُ (٣) وعَيْن بَدا فَوقَها حاجبُ

تَعَجُّبُتُ مِنْ ثَغُر هذي البلادِ فَلِلَّهُ ثَلِّخُلِرٌ أَرى شَارِبُا ومن ذلك (١٤): [المتقارب]

تُحَثُّ على العَوْد في كلُّ بيتُ إلى الأنس خِلُّ على يحثُ الكُميتُ

وحمراء في الكأس مشمولة في الكأس مسابقًا

وقال مُضمُّنًا، وقد تذكر حمراء غرناطة، وبابها الأخفل المعروف «بباب الفَرَج^{ه(٦)}: [المتقارب]

تشوقُ النُّهُوسَ وتَسبي المُهَجُ أرتنا الوجى واشتكت العرجُ وليكن الأقرع باب الفرخ

أقول وحمراء غرناطة تشوق ألا ليت شعري بطول الشرى وما لي في عرج رغبة

وقال مُلْغزًا في قلم وهو ظريف(٧): [الطويل]

أحاجيك (٨) ما واش يُرادُ حديثُهُ تراهُ مع الأحيان أَضفَر ناحلًا

ويهبوى الغريبُ النازحُ الدارِ إفصاحَهُ كمِثْلِ مريضٍ وهو قد لازم الرَّاحَهُ (٩)

وقال: [الطويل]

لذلك وجها؟ قلت أخسِنْ به قَضدا فلا تُنكروا فيها الكُميت ولا الوَرْدا

وقالوا رمى في الكأس وَرْدًا فهل تُرَى الما تما الكأس حَلْبة؟

⁽١) في نفح الطيب (ج ٩ ص ٣٣٧): ٤ببعض الثغور٩.

⁽٢) البيتان في نفح الطيب (ج ٩ ص ٣٣٧).

⁽٣) رواية عجز البيت في النَّفع هي:

ومسولاي من عينها شارب

⁽٤) البيتان في الكتبة الكامنة (ص ٢٦٦)، ونفح الطيب (ج ٩ ص ٣٢٧).

⁽٥) في الكتيبة: اجب،

⁽٦) كان باب الفرج في عهد بني نصر باب قصر الحمراء الرئيسي، وليس له أثر اليوم.

⁽٧) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٧)، ونفح الطيب (ج ٩ ص ٣٣٦).

⁽٨) في النفح: ﴿سَأَلْتُكُ ٩.

⁽٩) في النفح:

كمثل عليل وهو قد لازم الراحه

تراه مدى الأيام أصغر ناحلاً

وقال^(١): [الطويل]

كُماةً تلاقتْ تحتَ نَقْعِ سيوفهم فلا غَرْوَ أن غَنْتُ وتلك رواقصُ

وقال: [الرجز]

وعارضٌ في خددًه نباته أخرى دموعي إذ جَرَتْ شوقًا له

فحُسنه بين الورى يَسحرنا فعلت منا عارض مُعطرنا

وللهام رَفْصُ كلّما طُلِبَ الثّارُ

لها(٢) فيهمُ في مارِدِ الحرب أوتارُ

وقال وقد توفي السلطان أبو يحيئ بن أبي بكر، صاحب تونس، وولي ابنه أبو حفص بعد قتله لإخوته: [الطويل]

وإخوته أولى وقد جاء بالنُنكر سوى عُمَر من بعد موت أبي بكرٍ وقالوا أبو حفص حَوَى المُلْك غاصبًا فقلت لهم كفّوا فما رضي الوَرَى

وقال مضمُّنًا، وقد حضر الفتى الكبير عَنْبر قتالًا، وكان فارسًا مذكورًا عند بني مَرِين: [الكامل]

> ولقد أقول وعنبرٌ ذاك الفتى يا عاثرين لدى الجلاد لَعَا فقد

يَلْقى الفوارس في العَجَاج الأكور بَسَقَت لكم ربح الجلاد بعنبر

وقال وقد اشتاق إلى السبيكة (٣) خارج حمراء غرناطة: [مجزوء الرمل] إنَّ (٤) إفراط بُسكائسي للم يَرُغ منى عربكة

لم يَـرُغ مني عـريـكـة زاد شـوقـي لـلــــيـكـة

وقال: [الكامل]

لمًا نزلت من السبيكة صادني فاعجب لظبي صاد لنِثًا لم يكن

قد أذاب السين لسنا

ظبيّ وددت لديه أن لم أنزلِ من قبلها مُتخبّطًا في أحبلِ

⁽١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٨).

 ⁽۲) بياض في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا، وفي الكتيبة: «فبينهم في مأزق الحرب...».

 ⁽٣) السبيكة: موضع خارج مدينة غرناطة، وقد تغنى بها عدد من الشعراء. راجع في ذلك: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٣٧).

 ⁽٤) في الأصل: (وإنَّهُ وهكذا ينكسر الوزن.

وقال وهو ظريف: [الكامل]

قد قارب العشرين ظبيّ لم يكن وبدا الربيع بخده فكأنما وقال(١): [الطويل]

أَتَوْني فعابوا مَن أُحِبُ جمالَهُ فما فيه عيبٌ غير أنَّ جفونه وقال: [المتقارب]

آیا عجبًا کیف تهوی الملوكُ وتحسِدُني وهي مخدومةً

ليترى الورى عن حُبّه سُلُوانا وافى الربيع ينادم النعمانا

وذاك على سَمْعِ المُحِبِّ خفيفُ مِراضٌ وأنَّ الخَصْرَ منه ضَعيفُ

محلي وموطن أهلي وناسي وما أنا إلا خديدم بسفاس

نشره: ونشرهُ تِلوَ نظمه في الإجادة، وقد تضمّن الكتاب المسمى بـ «أنفاضة الجراب» منه ذكر كل بديع؛ فمما ثبت فيه، مما خاطبته به، وقد ولّي خُطّة القضاء بالإقليم، أداعبه، وأثير ما تستحويه عجائبه: [السريع]

يا(٢) قاضي العدل الذي لم تزل تمتار شُهُب الفضل من شمسك قَعَدْتَ للإنصاف من نفسك قَعَدْتَ للإنصاف من نفسك

«ما للقاضي، أبقاه الله، ضاق ذَرْعُ عدله الرَّحيب، عن العجيب؛ وهم عن العتب، وضَنْ على صديقه حتى بالكَتْب؛ أمِن المُدَوَّنة الكبرى ركب هذا التحريج، أم من المَبْسوطة ذهب إلى هذا الأمر المريج؛ أم من الواضحة امتنع عن الإمام ببديع الوفاء والتعريج؟ من أمثالهم ارْضَ من أخيك بعُشْر وُدَّه إذا وُلِّي، وقد قَنِعنا والحمد لله بحبًة من مُدَه، وإشارة من دَرْجه، وبُرَّة وصاعةٍ معتدلة، من زمان بلوغ أشده؛ فما باله يمطُل مع النِنى، ويحُوج إلى العنا، مع قرْب الجَنَى؛ المحلة حُلة ضالع، ومطمع وطامع، ومَرْأى ورأي، ومستمع وسامع، والكَنفُ واسع، والمكان لا ناء ولا شاسع؛ والضّرع حافل؛ والزّرع كافي كافل؛ والقريحةُ وارية الزّند، والإمالة خافقة البند؛ وهَبُ أن البُخل يقع بها في الخِوان على الإخوان، فما باله يسمح بالبيان، وليس الخبر كالعِيان؛ ويتعدّى حظ الجِنان، لا خَطَ البنان؛ أُعيد سيدي من ارتكاب رأي ذميم، كالعِيان؛ ويتعدّى حظ الجِنان، لا خَطُ البنان؛ أُعيد سيدي من ارتكاب رأي ذميم، القاضّوية، وقد نامت في مِهاد أهل الظرف، نوم أهل الكهف، ولم تُبال بمردّد الويل القاضّوية، وقد نامت في مِهاد أهل الظرف، نوم أهل الكهف، ولم تُبال بمردّد الويل

⁽٢) في الأصل: •أيا وهكذا ينكسر الوزن.

⁽١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٩).

واللُّهف، أو شُرْبةٍ لحفظ الصُّحة بخُتْجا، ودقَّت لإعادة الشُّبيبة عَفْصًا وَردٍ سَخْتَجا؛ وغطّت الصبح بالليل إذا سجا، ومدّت على ضاحي البياض صِلّا سَجْسجا؛ وردّت سَوْسن العارض بُنَفْسجا، ولَبِس بحرها الزّاخر من طَخْلُب البحر مُنْتَسجا؛ وأحكامُ العامّة، ومزين المرأة ينصح ويُرشد، ويطوي المحاسن وينشُد، حتى حسُنت الدَّارة، وصحَّت الاستِدارة، وأعجبه الوجهُ الجميل، والقدُّ الذي يميد في دَكَّة الدَّار ويميل، وأغرى بالسُّواك السُّميم والتكميل، ووَلج بين شَفرتي سيد الميل، وقيل لو صاح اليمين خاب فيك التّأميل؛ وامتدّ جناح برنس السّرق، واحتفل الغصن الرُّطيب في الورق، ورشّ الوَرْد بمانه عند رَشْح العرق. وتهيّاً لمنطّلَق، فقرأت عليه نساء أعوانه، وكَتَبَة ديوانه، سورة الفَلَق؛ من بعد ما وَقَف الإمليق حُجَّابه على إقدامهم، وسحبهم جلاوزتهُ من أقوامهم؛ فمثلوا واصطفُّوا، وتألُّفوا والتفُّوا، وداروا وحفُّوا، وما تسلّلوا ولا خفوا؛ كأنما أسمعتهم صيحة النّشر، وأخرجوا لأول الحَشر، فعُيونهم بملتقى المِضراع معقودة، وأذهانُهم لمكان الهيبة مَفْقودة، وحِبالتهم قبل الطلب بها منقودة؛ فبعد ما فَرَش الوسادي وارتفع بالنّفاق الكساد، وذارع البكا وتأرّج الحُسَّاد، واستقام الكون وارتفع الفساد، وراجعت أرواحَها الأجسادُ؛ جاءت السَّادة القاضوية فجلست، وتنعُّمت الأحداق بالنظر فيها واختلَست، وسجَّت الأكفُّ حتى أَفْلُست؛ وزانت شمسُها ذلك الفَلك، وجَلَت الأنوار ذلك الحَلك، وفُتحت الأبواب وقالت هَيْت لك؛ ووقفت الأعوانُ سِمَاطَين ومَثَلُوا خَطّين، وتشكّلوا مجرّة تنتهي منك إلى البطين، يُعلنون بالهديَّة ويجهرون، و﴿ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَغْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾''؛ من كل شهاب ثاقب وطائفٍ غاسِق واقِب، وملاحظ مُراقب؛ كميشُ الإزار، بعيد المزار، حامل للأوبار، خصيم مبين، وارثّ سوفسطائيًا عن رثين، مضطلع بفقه البين وحريمها، فضلًا عن تلقين الخصوم وتعليمها، يرأسهم العريف المقرّب، والمقدّم المُدرّب، والمُشافه المُباشر، والنّابح الشاكر، والنّهج العاشر؛ الذي يقتضي خلاص العَقْد، ويقطع الكالي والنُّقد، ويُزكِّي ويجرِّح، ويُمسك ويسرِّح ويطرح، ويحمل من شاء أو يشرّح، والمُسيطر الذي بيده ميزان الرّزق، وجميع أجزاء المُفْتَرق، وكافة قابلة، وحم الدُّواة الفاغرة، ورشا بلالة الصُّدور الواغِرة؛ فإذا وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع، أيَّان يجتمع الرِّعاع، وأعلنًا النِّداء، وطلب الأعداء، وصاحا: جعل الله أنفسنا لك الفِداء، ورُفع الأمر إلى مُقطِع الحق، والأولى بالمثوبة الأحق، أخذتُهُما الأيدي دفعًا في القُفِيّ، ورفعا السّتر اللّطيف الخَفِي، وأمسكا بالحِجْر والأكمام، ومنعا المباشرة والإلمام؛ فإذا أدلى بحجّته مَنْ

⁽١) سورة التحريم ٢٦، الآية ٦. 🖺 ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ إِ

أدلى، وسمعها دينه عدلًا، وحقُّ القول، واستقرّ الهَوْل، ووَجُبت اليمين، أو الأداء الذي يفوت له الذخر الثمين، أو الرهن أو الضّمين، أو الاعتقال الذي هو على احدهما كالأمين؛ نَهُش الصُّل، الذي سليمه لا هل، ولَسَبَت العقارب، التي لا يُفلتُها الهارب، ولا تُخفى منها المشارب؛ وكم تحت ظلام الليل من غرارة يحملها غِرَ، وصدُّه ربح فيها صِرَ؛ ويهدي ارتقاب قُلَّة شَهْد، وكبش يُجَرُّ بقرنيه، ويُذْفع بعد رفع ساقيه؛ ومِغزى وجَذي وقلائد، وسرب دجاج، ذوات بجاج، يفْضَحن الطّارق، ويشعثن المَفارق، فمتى يستفيقُ سيدي مع هذا اللّغط العائد بالصّلة، واللهو المتَّصلة، وتَفْرغ يده البيضا لأعمال ارْتِياض، وخطَّ سوادٍ في بياض، أو حَنينِ لدَوْح ﴿ أَو رِياضٍ؛ أَو إِمتاع طَرْف، باكتشاف حَرْف، أو إعمال عدل لرسول في صَرْف، أَو حَشْو طَرْف، بتُحفة ظَرف؛ شأنُه أشدُّ استغراقًا، ومثواهُ أكثر طِراقًا، من ذكرى حبيب ومنزل(١١)، وأمَّ مُعَدُّل؛ وكيف يستخدمُ القلم الذي يصرف ماء الحبر، بذَوْب التَّبر، في تُرُّهاتِ عَدم جَناها؛ وأقطَع جانب الخيبة لفظها ومعناها؛ اللُّهمَّ إلا أن تحصل النفس على كفاية تُحتم لها الصُّدر، ويُشام من خلالها اللَّجين الرفيع القدر، أو يحيى للفكاهة والأنس، أو يُنفق لديها ذمامٌ على الجِنس؛ فربما تقعُ المخاطبة المبرورة، وتبيحُ هذا المُرْتَكَب الصعب الضرورة؛ والمرغوبُ من سيَّدنا القاضي أن يَذْكَرَنا يومًا بالإغفال في نعيمه، ولا يخيُّبَ آمالنا المتعلُّقة بأذيال زعيمه، ويُسْهِمَنا حظا من فرائد خَطُّه، لا من فوايد خُطَّته، ويجعلَ لنا كِفْلًا من فضل بُريته وحِنْطُته لا من فضل هِرَّته وقِطَّته؛ فقد غُنينا عن الحلاوات بحلاوات لفظه، وعن الطرَف المجموعة، بَفُنُونَ حِفْظه، وعن قَصَب الشُّكر، بقصب أقلامه؛ وعن جنى الرِّوْم برَوامه، وبهَذيه، عن جَذيه؛ وبمجاجَته، عن دجاجته؛ وبدَلَجه عن أثرُجه؛ وعن البُر بِبرُه، وعن الحَبِّ بِحُبِّه؛ ولا نأمُل إلَّا طلوع بطاقته، وقد رضينا بوُسْع طاقته؛ وإلَّا فلا بدُّ أن يجيش جيش الكلام إلى عَتْبه، ونُوالي عليه ضرايب الكتايب، حتى يتُقِي بضريبة كَتْبه، والسلام».

فراجعني بما نصه: [الطويل]

فنيت عن الإنصاف منّي لأنني فمن سمعنا أو مَن بعينك إنني

كما قُلْتُ لكم من فراقكم قاضِ بكلُ الذي تَرْضاه يا سيدي راضِ

⁽۱) یشیر إلی قول امری، القیس: [الطویل] قفا نُبّكِ من ذِكْری حبیبٍ ومَـنْزِكِ دیوان امری، القیس (ص ۸).

بِسَقْطِ اللُّوى بين الدُّخُولِ وحَوْمَلِ

العَمَرَكُ الله أيها الإمام الفذُ، ومَن بمَدْحه تطرَب الأسماع وتَلَذُ، أوحدُ الدنيا وحائزُ الرُّتبة العليا؛ ولولا أنك فوق ما يقال، والزُّلَة إن لم تُظهر العجز عن وضفِك الاتقال، الأطلتُ في القول، وهَدَرْتُ هدير قَرْع الشَّول، لكن تحصيل الحاصل مُحال، ولكلِّ في تهيبُّب كمالك مقال، ومقامٌ وحال؛ ولولا أنَّ الدعاء مأمول، وهو يظهر الغَيْب مَقْبول، والزيادة من فضل الله الا تنتهي، والنَّعَم قد تُوافيك، فوق ما تشتهي، المُريت أن ذلك أمرٌ كفي، وأمرٌ ظهر فيه ما خَفي: [البسيط]

إن قلتُ لا زلتَ مرفوعًا فأنت كذا أو قلتُ زانك ربّي فهو قد فَعَلا

إيهِ يا سيدي، ما هذه الكلمات السّحريّة والأنفاس النّفيسة الشّجرية، والألفاظ التي أنالت المرغوب وخالطت بشاشتُها القلوب، والنَّزَعات الرَّائقة، والأساليب الفائقة، والفصاحة التي سلبت العقول، والبلاغة التي أوجَبَت الذُّهول؛ والبيان الذي لا يضيق صحيفه، ولا يبلغ أحد مدُّه ونُصيفه؛ يمينًا بما احتوى من المحاسن، واللطائف التي لم يكن ماؤها بالآسن، وقسمًا ببراعتك التي هي الواسي المُطاع، وطِرْسِك الذي أبهجت به الأبصار والأسماع؛ لقد عاد لي بكتابتك عيدُ الشُّوق، وجاد لي بخطابك جدُ التُّوق، ولَعَهدي بنفسي رَهن أشجاني، غيرَ مَحْلولة عُقدة لساني، أشدُّ من الصخرة جَلَدًا، وأغلظ من الإبل كبدًا؛ حتى إذا بَدَت حقيدة القلب وهب نسيمه الرَّطْب، وأَفْيَح موردُه العَذْب، وأضاء بنوره الشُّرق والغرب، ولم يبقَ لي بتُّ ولا شُجَن، ولا شاقني أهل ولا وطن؛ ومضى سيف اللسان بعد النبو، ونَهَض طَرْف الفكر بعد البُكر، وهزُّني الطّرب المثيرُ للأفراح، ومشى الجَذَل في أطرافي وأعطافي مشي الرَّاح؛ بيد أني خُجِلت ولا خُجُلة ربَّة الخِذر، وتضاءلت نفسي لجلالة ذلك القِدْر؛ وقلت ما لي بشربةٍ من كأس بيانه، وقُطرة من بُحور إحسانه؛ حتى أؤدِّي ولو بعض حقَّك، وأكتب عَقْد مِلَك رقيَّ لرقك، إنني على ما وليتُ من الصَّدقة والصَّداقة وبعد طلاقك؛ لكني أقوم في حقك مُسْتَغْفِرًا، ولا أرضي أن أكون لذِمَّة المخدوم خفرًا؛ على أنني أقول، قد كتبتُ فلم يُرَدُّ جوابي، وجَرَمْت فهاج الجوى بي، ولعَمْري قد لزمت فيه خِطّة الأدب، ولم أرّ التُّثقيل على المولى الرُّفيع الرُّتب؛ فأما وقد نَفِقَتْ عندك بضاعتي المُزْجاة، وَشَملني من لدُنْك الحلم والإناة، وشرُفتني بالخطاب الكريم، والرسالة التي عرفتُ في وجهها نُضْرة النعيم؛ فما أبْغِي إلَّا إيرادها عليك وكلها خراج، ولِبُرْدها في الإجادة إنهاج؛ ولعلُّك ترضى التُّخريج من مُدَوُّنة الأخبار، والمُبْسُوطة والواضحة، لكن من الأعذار. وأمَّا الولاية التي يُقنع بسببها من الوُدَ بالعُشْر، أو بحبَّة من المُدّ إلى يوم النِّشْر، فلا بدُّ أن يكون القانع محتاجًا للوالي، ومُفْتَقِرًا إلى التَفَقُّد المتوالي؛ وأما إذا كان القانع هو الذي تولَّى الخُطَّة، وأَكْسِبَ الهرَّ

الذي أشار إليه والقطَّة، فهو قياسٌ عكسه كان أقْيَس، بل تعليمٌ لمَن وجد في نفسه خيفةً واوجس؛ وهانا قد فهمْتُ وعلمتُ، من حُسْن تأديبك ما علمتُ، وعلى ما فرُّطت في جَنْبك نَدمت، وإلى المعذرة والحمد لله ألهِمت؛ ومع ذلك أعيدُ حديث الشيخ القاضي، وذكر عهدك به في الزمان الماضي؛ فلقد أجاد في الخضاب بالسُّواد، واعتمد على قول المالكي الذي هَدَى إلى الرُّشاد، وأوجبه بعضهم في بلاد الجهاد؛ وبيَّن عمرُ منافع الخضاب الصادقة الإشهاد، وخضَب بالسُّواد جماعة من الصَّحابة الأمجاد؛ وكان ذلك ترخيصًا لم يُعدُّ شَرْعًا، لكنه دفّع شرًّا وجلب نَفْعًا؛ لا كأخيه الذي أبكي عين الحَميم، وأنشد قول الرُّضِيُّ يوم السقيم، وفجع قلوب أترابه، ولم يأتِ بيت النَّصْف من بابه؛ وإلَّا فقد علم أن في الخير مشروع(١١)، وتعجُّل الشيء قبل أوانه ممنوع، وسَتَغْبِط أخاك ولو بعد حين، وما كل صاحب يحمد في إيضاح وتبيين، وإني لأرجو أن تتزوجها بكْرًا، تلاعِبها وتلاعِبُك، أو ثَيْبًا تَقْصُر عن حبّها مآربك؛ فلا جَرَمَ ترجع إلى الخضاب، وحينئذ تُمَتُّع برشف الرُّضاب؛ وإلَّا قالت سيدي، لا تعظم المُني، ولا تجعل القَطْر قبل أن يموت عمر؛ لعَمْرُ الله إن هذا الموقف صَعْب، قد ملاً الروح منه رَوْعٌ ورُغب؛ وإن أضاف إلى ذلك غَلَبة الأوهام، وظن الشيخوخة الصادرة عن نيل المرام، سكن المُتحرك المصلوب، وتنغُّص عند ذلك المحبوب؟ والله يُعينك أيّها المولى، ويواليك من بَسْطه أضعاف ما ولى. وأما الأوصاف التي حسَبْتُها أوصافي، وأَوْجَبْتَ حُكْمها بالقياس على خلافي، فهي لغَمْري أوصاف لا تُراد، ومَراع لا شكّ أنها تُراد؛ غير أني بعيد العَهد بهذه البلاد، لا أمت لها إلّا بالانتساب وَالميلاد، لا كالقضاة الذين ذكرتَ لهم عهدًا، ونَظَمْت حُلاهم في جيد الدهر عِقْدًا؛ ولو أنك بسرّك بَصُّرتني بشروط القضاء وسجايا أهل الصَّرامة والمضاء، لحقَّقت المنَّاط، وأظهرت الزهد والاغتباط؛ لكني جهلت والآن ألهمت؛ وما عُلَّم الإنسان إلَّا ليَغلم، والله يهدينا إلى الذي يكون أحسن وأقوم؛ وإني لأُغلِم سيدي بخبري، وأطلِع جلاله على عُجَري (٢) وبُجَري؛ ولكني رَحَلتُ عن تلك الحَضرة، وعَدِمت النُّظرة في تلك النُّظرة؛ لبستُ الإهمال، واطُّلعت في السفر والاعتمال، فأقيم بادي الكآبة، مُهتاج الصُّبابة، قد فارقتُ السُّكن، وخلفت الدار مثيرةَ الشُّجن:

وكانت جَنّتي فخرجت منها كآدم حين أُخرَجه النصرارُ

⁽١) تقتضي قواعد الإعراب أن تُنصَب؛ لأنها اسم إنَّ.

⁽٢) العُجَر: العيوب. والبُجَر: الأحزان. لسان العرب (عجر) و(بجر).

حتى إذا حطَطَتُ رَحْلي بالقرى، وقَنِعت بالزَّاد الذي كفي معيارًا والقِرى؛ أَذْخلت إلى دار ضيقة المسالك، شديدة الظّلمة كالليل الحالك، تُذَكّرني القّبر وأهواله وتُنسيني الذي أهواه، بل تزيد على القبر برَفَل لا يُتَخَلُّص، وبراغيث كزريعة الكتَّان حين تُمَحُّص؛ وبَعُوضِ يُطيل اللُّهْز (١٠)، ولا تغنِّي حتى تشرب، وبوق يسقط سقوط النَّدى، ويَزْحف إلى فراشي زَّخف العدا؛ وأراقم خارجة من الكُوَى، وحيَّات بلذُغها نزَّاعة للشُّوى؛ وجنون يُسمع عزيفها، وسُرَّاق لا يعدم تخويفها؛ هذا ولا قَرَق لمن بالقَهْر حُبس، إلا حصيرٌ قد اسودٌ من طول ما لبس؛ لا يُجتزى في طهارته بالنَّضح، ولا يُحشد مَن جلس عليه إلَّا بالجرح؛ حتى إذا سجا الليل، وامتدُّ منه على الآفاق الذيل، فارقني العونُ فراق الكرى، ورأيت الدمع لما جَرَى قد جَرَى؛ فأتوسُدُ والله ذراعي، ولأحمد والله اضطجاعي؛ فكِلَا لَيْلَيُّ محمومين (٢)، والوجع والسُّهر مَحْمولان على الرأس والعين؛ حتى إذا طلع الصبح، وآن لبالي وعيونِ الخصوم الفَتْحُ، أتاني عونٌ قد انحنى ظهره ظهره، ونيّف عن المائة عمرُه، لا يشعر بالجون الصُّيِّب، ولا تُسمعه كلمات أبي الطيِّب؛ بَرْبَري الأصل، غير عارف بالفَصْل؛ حتى إذا أذِنْتُ للخصوم، وأردتُ إحياء الرسوم، دخل عليَّ غولان عاقلان، وأثْقُل كَتفي منهما ماثلان، قد أكلا الثّوم النّيء والبصل، وعَرَقا في الزّنانير عرقًا اتّصل، يُهديان إليّ تلك الروائح، ويُظهران لي المخازي والفضائح؛ فإذا حَكَمْتُ الأحدهما على خصمه، وأردت الفصل الذي لا مطمع في قَصْمه؛ هرب العونُ هربًا، وقضى من النجاة بنفسه أربًا؛ واجتمع إلى النصحاء، وجاء المرضى والأصحّاء، كلُّ يقول أتريد تعجيل المنايا، وإنَّكال الولايا، وإتعاب صديقك السُّيد العِماد، بمَرْتبَةٍ كما فعل مع القاضي الحدّاد؛ فأقول هذا جهاد، وما لي في الحياة مُراد، فأزْتكبُ الخطر، وأقضي في الحكم الوَطَر، والله يسلُّم، ويُكَمِلُ اللطف ويتمِّم. وأما إذا جاء أحدكم لكَتْب عقد، وطمعتُ في نسيئةٍ أو نقد، قطعتُ يومي في تفهُّم مقصده، مستعيذًا بالله من غضبه وحَرَده؛ حتى إذا ما تخلُّصتُ منه، وملأت السَّجل بما أثبتُه عنه، كشف عن أنياب عُضل، وعبس عبوس المحب لانقطاع وَصْل؛ وقال: لقد أخطأتَ فيما كتبتَ، ورسمتَ ما أردت وأحببتَ؛ فأكتُبُ عقدًا ثانيًا وثالثًا، وأرتقبُ مع كل كلام حادثٍ حادثًا؛ فإذا رضي، فأسأله كيف؛ وسِنّ السّالي الذي أظهره، أو اسمه أو السيفُ، أخرج من فمه دِزهمًا نُتِنّا، قد لزم ضِرسًا عَفِنًا؛ فأعاجله في البخُور، وأحكُّه في الصُّخور، حتى إذا حُمل لمَن يبيع

⁽١) اللَّهْز: الطُّعْنُ، يقال: لَهَزَه بالرمح إذا طعنه في صدره. لسان العرب (لهز).

⁽٢) تقتضي قواعد الإعراب أن ترفع هكذا: امحمرمانه.

خبز الذَّرة مُنتِنًا، ويرى أنه قد فَضَل بذلك أنسًا وحُسْنًا، وجده ناقصًا زائفًا، فيرجع حامله وَجِلًا خائفًا، ويبقى القاضي فقيدَ الهجُوع، يشُدُّ الحجر على بطنه من الجوع، على أنني أحمَدُ خلاء البَطْن، وما بجسمي لا يُحكّى من الوَهن؛ لتعذّر المِرحاض، وبُغْد ماء الحياض، وكُمُون السُّباع في الغياض، وتعلَّق الأفاعي بالرِّداء الفِضْفاض، ونجاسة الحجارة، وكثرة تردُّدِ السّيارة، والانكشاف للربح العقيم، والمطر المُنْصَبّ إلى الموضع الذميم. هذه الحال، وعلى شرحها مجال، وقد صَدَقْتُك سُنن فكري، وأعلمْتُك بذات صَدْري، فتُجَلَّى الغرارة غُرور، وشهود الشُّهد زور، والطَّمع في الصُّرَّة إصرار، ودون التُّبر يعلم الله تَيَّار. وأما الكبْشُ، فحظَى منه غُبارُه إذا خطر، والثُّور بقَرنه إذا العيد حَضَر، كما أن حظَّى من الجَدْي التأذِّي بمسلكه، وإنَّ جَذْي السماء لأقربُ لي من تملُّكه، وأنا من الحلاوة سالِمُ ابنُ خَلاوة، ولا أعهد من طَرْف الطرف الدَّماوة، ودون الدُّجاج كل مَدَجِّج، وعِوَض الأَثرجِّ رجَّة بكل مَغرج، ولو عرفتُ أنك تقبل على علَّاتها الهدايا، وتُوجبُ المزيد لأصحابك المزايا، لبعثتُ بالقُماش، وأنفَذْتُ الرّياش، وأظهرتُ الغِني، والوقوف بمبنى المُني، وأوردْتُها عليك من غير هَلع، مطّلعة في الجَوف بعد بَلْع، من كل ساحليَّة تُقَرُّب إلى البحر، وعُذْوِية لا تُعدّ وصدر مجلس الصُّدر، حتى أجمعَ بين الفاكهة والفُكاهة، ويبدو لي بعد الشقف وجوه الوجاهة، وأتبرأ من الصُّدّ المذموم، ولا أكون أهدأ من القطا لطرق اللُّوم؛ لأنك زَهَدُتَ في الدُّنيا زُهد أبن أذْهم، وأَلْهَمَك الله من ذلك أكرم ما ألهم؛ فَيَدُك من أموال الناس مقبوضة، وأحاديث اللُّها الفاتحة لِلها مرفوضة؛ وإذا كان المرء على دين خليله، ومن شأنه سلوك نَهْجه وسبيله، فالأليقُ أن أزهد في الصُّفراء والبِّيْضاء، وأقابل زُخرف الدنيا بالبغضاء، وأحقِّق وأرجو على يدك حُسن التخلِّي، والاطَّلاع على أسرار التُّجلِّي؛ حتى أسعد بك في آخرتي ودُنياي، وأجد بركة خاطرك في مماتي ومَخياي؛ أبقاك الله بقاء يُسْر، وأمْتَع بمناقبك التي يحسِدُها الياقوت والدُّر، ولا زلتَ في سيادة تروق نَغْتًا، وسعادةٍ لا ترى فيها عِوَجًا ولا أمتًا، وأقرأ عليك سلامًا عاطر العَرف، كريم التأكيد والعَطْف، ما رثى لحالي راثٍ، وذكرت أدّاية حراث، ورحمة الله وبركاته. وكتبه أخوك ومَمْلُوكك، وشيعةُ مَجْدك، في الرابع والعشرين من جُمادى الأولى عام أربعة وستين وسبعمائة».

مولده: بغرناطة عام ثلاثة عشر وسبعمائة.

محنته: توجّه رسولًا عن السلطان إلى صاحب تِلمُسان السلطان أحمد بن موسى بن يوسُف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يَغُمُراسِن بن زيّان، وظفر بالجَفْن الذي رَكبه العدو، بأخواز جزيرة حبيبة، من جهة وَهْران، فأسِرَ هو ومَن بأسطول

سفره من المسلمين؛ وبلغ الخبر فعظم الفجع؛ وبينا^(۱) نحنُ نَروم سفر أسطول يأخذ الثار، ويستقري الآثار، فيقيل العثار؛ إذ^(۲) اتصل الخبر بمهادنة السلطان المذكور، فَهُدي مَن أُسِرَ بذلك المال الذي يَنيف على سبعة آلاف من العَيْنِ في ذلك؛ فتخلُّص من المحنة لأيام قلائل، وعاد؛ فتولَّى السلطان إرضاءه عمّا فقد، وضاعف له الاستغناء وجَدِّد؛ وكان حديثه من أحاديث الفَرَج بعد الشدَّة محسوبًا، وإلى سعادة السلطان منسوبًا، وأنشدْتُه شعرًا في مصابه، بعدها، وقد قضيت له من بِرَّ السلطان على عادتي، ما جَبَر الكَشر، وخَفَض الأمر: [المتقارب]

خَلُضت كما خَلُصَ الزَّبْرُقان وقد مَحَق النُّور عنه السُراز (٣) وفسي السُراز (٤) وفسي السسي السسي السسي السسي السسي السسي السسي السسي السسي السسية والسراد

وكان تاريخ هذه المحنة المُرْدَفة المِنحة، حسبما نقلته من خطّه؛ قال: «اعلموا يا سيدي أبقاكم الله تعالى، أنّ سفرنا من ألمريّة، كان في يوم الخميس السادس لشهر ربيع الآخر من عام ثمانية وستين وسبعمائة، وتغلّب علينا العدو في عَشيّة يوم الجمعة الثاني منه، بعد قتال شديد؛ وكان خروجُنا من الأسر في يوم السبت الثاني والعشرين لربيع الثاني المذكور، وكان وصولي إلى الأندلس في أسطول مولانا نصره الله، في جُمادَى الآخرة من العام المذكور، بعد أن وصلوا قَرْطاجَنَة وأخذوا أجفانًا ثلاثة من أجفان العدو، وعمل المسلمون الأعمال الكريمة».

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر ابراهيم ابن فَرْقَد القُرشي العامري^(ه)

قال ابن عبد الملك: كذا وقفتُ على نَسَبه بخطّه في غير ما موضع من أهل مُورَة (٢٠)، وسكن إشبِيلية.

حاله: كان مُتفنّنًا في معارفه، محدِّثًا، راوية، عَذُلّا، فقيهًا، حافظًا، شاعرًا، كاتبًا، بارعًا، حَسَن الأخلاق، وطِىء الأكناف، جميل المُشاركة لإخوانه وأصحابه، كتبًا، بخطه الكثير من كبار الدُّواوين وصغارها، وكان من أصحُّ الناس كَتْبًا، وأتقنهم

⁽١) في الأصل: (وبين). (١) في الأصل: (إذا).

⁽٣) في الأصل: «السّرا».

⁽٤) البيت منكسر الوزن، ولا معنى له، وخصوصًا صدره.

⁽٥) ترجمة إبراهيم بن خلف العامري في التكملة (ج ١ ص ١٣١).

⁽٦) مُورَة، بالإسبانية Mora: حصن بالأندلس من أعمال طليطلة. معجم البلدان (ج ٥ ص ٢٢١).

ضَبْطًا وتقييدًا، لا تكاد تلقى فيما تولّى تصحيحه خللًا، وكان رؤوفًا شديد الحنان على الضعفاء والمساكين واليتامى، صَلببًا في ذات الله تعالى، يعقِد الشروط مُحْتَسِبًا، لا يقبل ثوابًا عليها إلّا من الله تعالى.

مشيخته: تلا بالسبّع على أبي عمران موسى بن حبيب، وحدَّث عن أبي الحسن بن سليمان بن عبد الرحمان المُقْرى، وعبد الرحمان بن بَقِّي، وأبي عمرو ميمون بن ياسين، وأبي محمد بن عتاب، وتفقّه بأبويّ عبد الله بن أحمد بن الحاجّ، وابن حميد، وأبي الوليد بن رشد، وأجاز له أبو الأصْبَغ بن مناصف، وأبو بكر بن قُرمان، وأبو الوليد بن طريف.

مَن روى عنه: روى عنه أبو جعفر، وأبو إسحق بن علي المَزْدالي، وأبو أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عُفير، وأبو بكر بن حكم الشَّرمسي، وابن خير، وابن تِسع، وابن عبد العزيز الصدفي، وأبو الحجاج إبراهيم بن يعقوب، وأبو علي بن وزير، وأبو الحسن بن أحمد بن خالص، وأبو زيد محمد الأنصاري، وأبو عبد الله بن عبد العزيز الذَّهبي، وأبو العباس بن سَلْمة، وأبو القاسم بن محمد بن إبراهيم المُراعي، وأبو محمد بن أحمد بن جُمْهور، وعبد الله بن أحمد الأطلس.

تواليفه: دوَّن برنامَجًا مُمْتعًا ذكر فيه شيوخه، وكيفيَّة أخذه عنهم، وله رجزٌ في الفرائض مشهور، ومنظومٌ كثير، وترسُّل مُنوِّع، وخُطَب مختلفة المقاصد، ومجموعٌ في العَرُوض.

دخوله غرفاطة: قال المؤرِّخ: وفي عام أربعة وخمسين وخمسمائة، عند تغيّب الخليفة (١) بالمَهْدِيَّة، استدعى السيد أبو سعيد الوالي بغرناطة، عند استقراره بها، الحافظ أبا بكر بن حبيش، والكاتب أبا القاسم بن المُراعي، والكاتب أبا إسحلق بن فَرُقد، وهو هذا المترجم به، فأقاموا معه مدّة تقرب من عامين اثنين بها.

شعره: مما ينقل عنه قصيدة شهيرة في رئاء الأندلس: [المتقارب]

ألا مُسْعِدُ مُسْجِزُ ذو فِطَنَ يبكي بدمع مَعِينِ هَتِنَ جَالِمُ مُسْعِدُ مُسْجِزُ ذو فِطَنَ لا غالبُ من حقود الزَّمنَ ويَسْدُبُ الطلالها آسِفًا ويَزثي من الشَّغر ما قد وَهَنْ

 ⁽۱) هو الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي الذي حكم الأندلس والمغرب حتى سنة ۵۵۸ هـ.
 راجع البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ۷۹).

ويبكي الأيامي ويبكي اليتامي ويسكو إلى الله شكوى شبج وكانت رباطًا لأهل التُقي وكانت معاذًا لأهل التقيي وكانت شَجّى في حُلوق العِدا

ويتحكي الحمام ذوات الشجن ويدعوه في السّر ثم العَلَن فعادت مناطا لأهل الوثن فعسارت ملاذًا لِمَن لم يَدِنْ فأضحى لهم مالها مُحتَجَنَ

وهي طويلة، ولديُّ خلاف فيمن أفْرَط في استحسانها. وشعره عندي وسَط. ومن شعره وهو حجَّة في عُمْره عند الخلاف في ميلاده ووفاته، قال: [الطويل]

> ثمانون(١١) مَعْ سِتُ عَمَرْتُ وليتني فلا الدُّمْعُ في مَخو الخطينة غُنْيَةً فيا سامع الأصواتِ رُحْماكُ أزتَجي وزَكَ السذي تَسدريه من شيهمة وذك مثابي في العقود وكتبها ولا تُخرِمني أَجْرُ ما كنتُ فاعلًا

أرَقَتُ دموعي بالبكاء على ذَنب إذا هاجٌ من قلبِ مُنِيب إلى الرُّبُ فَهَبْ (٢) إِنْسِكَابَ الدَّمْعِ مِنْ رِقَّة القلبِ تَعَلَّقَ بالمَظْلوم من شدَّة الكَرْب لوجهك لم أقبل ثوابًا على كَتْب فحقُّ اليتامي عندي من لِذِي صَعْب ولا تُخزني يوم الحساب وهوله إذا جنتُ مذعورًا من الهَوْلِ والرُّغبِ

مولده: حسبما نُقل من خط ابنه أبي جعفر، وُلِدَ، يعني أباه سنة أربع وثمانين

وفاته: بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء الثامن عشر من محرم عام اثنين وسبعين وخمسمائة. ونُقل غير ذلك.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدِس بن محمود النفزي

أُبَّذِي (1) الأصل، غَرناطي الاستقرار، ويكنى أبا إسحاق.

حاله: خاتمة الرُّحَّال بالأندلس، وشيخ المجاهدات وأرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات، مأثور الإخلاص مشهور الكرامات، أَصْبَرُ الناس على

⁽١) في الأصل: «ثمانون عاماً مع ست. . . ، وهكذا ينكسر الوزن.

⁽٢) في الأصل: «فَهَبُ لي انسكاب...» وهكذا ينكسر الوزن.

⁽٣) في التكملة (ج ١ ص ١٣٢): "ومولده بعد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة".

⁽٤) نسبة إلى أَبَّذَه، وهي مدينة صغيرة بالأندلس على مقربة من النهر الكبير، وهي بالإسبانية: Ubeda. الروض المعطار (ص ٦).

مجاهداته، وأدومهم على عمل وذِكْرِ وصلاة وصوم، لا يفْتُرُ عن ذلك ولا ينام، آية الله في الإيثار، لا يدَّخر شيئًا لغد، ولا يتحرَّف بشيء، وكان فقيهًا حافظًا، ذاكِرًا للغة والأدب، نحويًا ماهرًا، درس ذلك كله أول أمره، كريم الأخلاق، غلب عليه التصوّف فشهر به، وبمعرفة طريقه الذي نَدٌ فيها أهل زمانه، وصنَّف فيها التصانيف المفيدة.

ترتيب زمانه: كان يجلس إثر صلاة الصبح لمن يقصده من الصالحين، فيتكلم لهم بما يجريه الله على لسانه، ويُيسِّر من تفسير، وحديث وعِظَة، إلى طلوع الشمس؛ فيتنفَّل صلاة الضُّحى، وينفصل إلى منزله، ويأخذ في أوراده، من قراءة القرآن والذُّكر والصلاة إلى صلاة الظهر، فيُبكِّر في رواحه، ويُوالي التنفُّل إلى إقامة الصلاة، ثم كذلك في كل صلاة، ويصل ما بين العِشاءين بالتنفَّل، هذا دأبُه أبدًا.

وكان أمره في التوكُّل عجبًا، لا يَلُوي على سبب، وكانت تُجبى إليه ثمرات كلُّ شيء، فيدفع ذلك بجملته، وربما كان الطعام بين يديه، وهو محتاجٌ، فيعرِض مَن يسأله، فيدفعه جُمُلة، ويبقى طاويًا، فكان الضعفاء والمساكين له لياذًا يَنْسِلون من كل حَدَب، فلا يردُّ أحدًا منهم خائبًا، ونفع الله بخدمته وصحبته، واستخرج بين يديه عالمًا كثيرًا.

مشيخته: أخذ القراءة عن أبي عبد الله المحضرمي، وأبي الكوم جُودي بن عبد الرحمان، والحديث عن أبي الحسن بن عمر الوادي آشي، وأبي محمد عبد الله بن سليمان بن حَوطِ الله، والنحو واللغة عن ابن يُربوع وغيره، ورَحَل وحجَّ، وجاور وتكرّر. ولَقِيَ هناك غير واحد، من صدور العلماء وأكابر الصوفية، فأخذ صحيح البخاري سماعًا منه سنة خمس وستماثة عن الشريف أبي محمد بن يونس، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن المغرباني، ونصر بن أبي الفرج الحضرمي، وسُنَن أبي داود وجامع الترمذي على أبي المحسن بن أبي المكارم نصر بن أبي المكارم البغدادي، أحد السامعين على أبي الفتح الكروخي، وأبي عبد الله محمد بن مستري الحمة، وأبي المعالي بن وَهَب بن البنا، وببجاية عن أبي الحسن علي بن عمر بن عطية.

مَن روى عنه: روى عنه خَلْقٌ لا يُحصَون كثرة؛ منهم أحمد بن عبد المجيد بن هُذيل الغسّاني، وأبو جعفر بن الزبير، وغيره.

تواليفه: صنّف في طريقة التصوّف وغيرها تصانيف مفيدة؛ منها "مواهب العقول وحقائق المَعقُول، و«الغيرة المذهلة، عن الحَيْرة والتّفرقة والجَمْع»، و«الرحلة العنوية»، ومنها «الرسائل في الفقه والمسائل»، وغير ذلك.

شعره: له أشعار في التصوّف بارعة، فمن ذلك ما نقلته من خط الكاتب أبي إسحاق بن زكريا في مجموع جمع فيه الكثير من القول: [الوافر]

يضيق عليّ مِنْ وَجْدِي الفضاء وأرضُ اللهِ واسعةٌ ولكرنسيٌ أعلى رأينا العرش والكرنسيٌ أعلى فأين الأينُ منا أو زمانً شهدنا للإلله بكل حُكم ويَدْعوني الإلله إليه حقًا ويُقبضني ويُبسطني ويَقضي ويُعي في وجود الخَلْق نَحْوًا فكم أخفي وجودي وقت فَقْدي فصحُرُ ثم صَحْوُ ثم سكر فوصفي حال من وصفي ولكن إذا شمسُ النهار بَدَتْ تولُّت

ومن شعره: [البسيط]

كم عارف سَرَحَت في العلم همّتُه كساه نبورُ السهدى بُبرْدًا وقلده كسب ابن آدم في التحقيق كِسُوته كَلُف فؤاذك ما يُبدي عجائبه كيف وكم ومتى والأين مُنسَلِبٌ كبُرْ وقد شُ وَنَزُهُ ما أطَقْتَ فلم كُرْسِيَهُ ذَلٌ والعرش استكان له كبل يُبقِرُ بان العجرز قيده

ويُقْلقني من الناس العناء أبت نفسي تحيط بها السماء فوالناهما حرم الولاء (١) بحيث لناعلى الكُلّ اشتواء فغاب القلب وانكشف الغطاء فيُوْنِسُنِي من الخوف الرَّجاء فيُوْنِسُنِي من الخوف الرَّجاء بتَفْريقي وجمعي ما يشاء بتَفْريقي وجمعي ما يشاء يُسنعت من تولاه الفناء كان الفقد والإخيا سواء كذاك الدهر ليس له انقيضاء خفاء ظهورُ الحق ليس له خفاء ضحوم الليل ليس لها انجلاء نجوم الليل ليس لها انجلاء

فَعَقْلُهُ لحجابِ العقلِ هَتَّاكُ

دُرًا فَفِي قَلْبِهِ لِلْعِلْمِ السلاكُ
إِنَّ السقلوب الأَنْوارُ واخلكُ
إِنَّ السسن آدم لللأسرار دَرُاكُ
عن وضف باريها والجهل تباكُ
يَصل إلى مَلِكِ الأملاك أملاك
ونُسزَهُ اللهِ أمللكُ وأفللكُ وألفلكُ
والعجز عن دَرَك الإدراك درُاكُ
والعجز عن دَرَك الإدراك درُاكُ
والعجز عن دَرَك الإدراك درُاكُ

وقال: وهو ما اشتُهِرَ عنه، وأنشدها بعض المشارقة في رحلته في غرض اقتضى ذلك، يقتضي ذكره طولًا: [البسيط]

وجُوْدُ كَفِّيه أَجْرِي مَنْ يُجارِيها

يا مَن أنامله كالمُؤْن هاميةٌ

⁽١) هنا اختلفت حركة الروي، فجاءت مكسورة، وهذا ما نسمّيه بالإقواء.

انظر إلى رِقْعَتي وافْهَمْ معانيها سوى حروف من القرآن أتلوها فامْنُنْ عليها بريح منك يُجْريها ولا الصّبابة إلّا مَن يعانيها

بحق مَنْ خَلَق الإنسانَ من عَلَقِ الني فقيرُ ومسكين بلا سبب سفينةُ الفَقْر في بحر الرَّجا غَرِقَتْ لا يعرفُ الشوق إلا مَنْ يُكابِدُه

وقال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك، وقد ذكره: على الجُملة فبه خُتم جِلّة أهل هذا الشأن بصُفّع الأندلس، نفعه الله ونفع به.

مولده: ولد بجيّان سنة اثنتين وستين وخمسمائة أو ثلاث وستين.

إبراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر التَّسُوليّ (١)

من أهل تازيّ، يكنى أبا سالم، ويُعرَف بابن أبي يحيى.

حاله: من أهل «الكتاب المؤتمن» (٢): كان (٣) هذا الرجل قيّمًا على «التّهذيب»، ودرسالة ابن أبي زيد»، حسن الإقراء لهما؛ وله عليهما تقييدان نبيلان، قيّدهما أيام قراءته إياهما على أبي الحسن الصّغيّر، حضرت مجالسه بمدرسة عُذُوة الأندلس من فاس، ولم أز في متصدّري بلده أحسن تدريبًا (٤) منه. كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، موفيًا حقوقها، وذلك لمشاركته الحَضَر فيما في أيديهم (٥) من الأدوات؛ وكان مجلسه وقفًا على «التهذيب» و«الرسالة»؛ وكان مع ذلك شيخًا (١) فاضلًا، حسن اللقاء، على خلق بائنة من (٧) أخلاق أهل مصره. امتُجنَ بصحبة السلطان، فصار يستعمله في الرسائل، فمر في ذلك حظً كبير من عُمره ضائعًا، لا في راحة دنيا، ولا في نصيب (٨) آخرة. ثم قال: هذه (٩) سُنّة الله فيمن خدم الملوك، ملتفتًا إلى ما يُغطونه، لا إلى ما يأخذون من عُمره وراحته، أن يبوؤا (١٠) بالصَّفْقة الخاسرة، لَطَفَ

 ⁽۱) ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمان التسولي في تاريخ قضاة الأندلس (ص ۱۷۲)، ونفح الطيب (ج
 ۷ ص ۳٦۲)، وأزهار الرياض (ج ٥ ص ٥٠) وكنيته فيه: «أبو إسحاق».

⁽٢) عنوان هذا الكتاب هو: «الكتاب المؤتمن في أنباء أبناه الزمن، وهو من تأليف ابن الحاج البلفيقي، شيخ لسان الدين ابن الخطيب.

⁽٣) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣).

⁽٤) في النفع: «تدريسًا». (٥) في النفع: ﴿بأيديهم، (٤)

⁽٦) في النفع: ﴿ سُمُحًا ﴾. (٧) في النفع: ﴿ على ٩٠

⁽٨) في النفع: ﴿ وَهَذُهُ اللهُ عَ النفع: ﴿ وَهَذُهُ اللهُ عَ النفع: ﴿ وَهَذُهُ اللهُ عَ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفِعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّاقِ النَّفْعِ النَّفِقِ النَّقِعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّفْعِ النَّقِعِ النَّفْعِ

⁽١٠) في النفح: ايبوء.

ومن كتاب «عائد الصلة» (١): الشيخ، الحافظ، الفقيه، القاضي، من صدور المغرب، مُشاركًا في العلم، متبحرًا (٣) في الفقه، كان وجيهًا عند الملوك، صَجِبهم، وحضر مجالسهم، واستُعمل في السفارة، فلقيناه بغرناطة، وأخذنا بها عنه؛ تامّ السّراوة (٤)، حَسَن العهد، مليح المجالس، أنيق المحاضرة، كريم الطبع، صحيح المذهب.

تصانيفه: قَيد (٥) على «المُدوَّنة» بمجلس شيخه القاضي (٦) أبي الحسن كتابًا مفيدًا وضمّ أجوبته على المسائل في سِفْر، وشرح كتاب «الرسالة» شرحًا عظيم الفائدة.

مشيخته: لازم (٧) أبا الحسن الصغير، وهو كان قارى، كُتُب الفقه عليه، وجُلُ انتفاعه في التفقّه به. وروى عن أبي زكريا بن أبي ياسين (٨)، قرأ عليه كتاب «المُوطّأ»، إلّا كتاب «المكاتب»، وكتاب «المدبّر»، فإنه سمعه بقراءة الغير، وعن أبي عبد الله بن رشيد، قرأ عليه «المُوطأ»، و«شفاء» عباض، وعن أبي الحسن بن عبد الجليل السّداري (٩)، قرأ عليه «الأحكام الصغرى» لعبد الحق، وأبي الحسن بن سليمان، قرأ عليه «رسالة ابن أبي زيد»، وعن غيرهم.

وفاته: فُلِج بآخَرَة، فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان فَمَن (۱۰) دونه، وتُوفي بعد عام ثمانية وأربعين وسبعمائة (۱۱).

إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد ابن أبي العاصي التَّنوخي (١٢)

أصله من جزيرة طريف، ونشأ بغرناطة واشتهر.

⁽١) النص أيضًا في نفح العليب (ج ٧ ص ٣٦٣).

⁽٢) في النفح: «مشاركة». (٣) في النفح: «وتبحّرًا».

⁽٤) السراوة: السخاء في مروءة. لسان العرب (سرا).

⁽٥) النص أيضًا في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٣).

⁽٦) كلمة «القاضي» غير واردة في النفح.

⁽۷) النص في نفح الطيب (ج ۷ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤). (۵) في النف وي المرت ع

⁽٨) في النفح: ﴿ وَكُرِيا بِنْ يَسَ ٩٠ . (٩) في النفح: ﴿ السدراتي ١٠ .

⁽١٠) في النفح: قومن.

⁽١١) في تاريخ قضاة الأندلس: توفي في حدود ٧٤٩ هـ.

⁽١٢) ترجمة إبراهيم التنوخي في الكتيبة الكامنة (ص ٣٢)، وبغية الوعاة (ص ١٨٥) وجاء في بغية الوعاة أنه وُلِدُ في حدود سنة سبع وسبعين وستمائة، وتوفي سنة ٧٢٦ هـ.

حاله: من «عائد الصلة»: كان نسيج وحده حياءً، وصَدُقة، وتخلَّقًا، ومشاركة، وإيثارًا. رَحَلَ عند استيلاء العدو على جزيرة طريف، عام أحد وسبعين وستمائة، مُتحوِّلًا إلى مدينة سَبْتة، فقرأ بها واستفاد. وورد الأندلس، فاستوطن مدينة غرناطة، وكتب في الجملة عن سلطانها، وترقى مُعارج الرُّتب، حالًا مُحالًا، من غير اختلاف على فضله، ولا نزاع في استحقاقه، وأقرأ فنونًا من العلم، بعد مهلك أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، بإشارة منه به؛ ووُلِّيَ الخطابة والإمامة بجامعها منتصف صفر عام ستة عشر وسبعمائة، وجمع بين القراءة والتدريس، فكان مُقرئًا للقرآن، مبرِّزًا في تجويده، مدرَّسًا للعربية والفقه، آخذًا في الأدب، متكلِّمًا في التفسير، ظريف الخط، ئَبْتًا محققًا لما ينقله. وألقى الله عليه من المحبة والقبول، وتعظيم الخلق له، ما لا عَهْد بمثله لأحد؛ بلغ من ذلك مبلغًا عظيمًا، حتى كان أحبُّ إلى الجمهور من أوصل أهلهم وآبائهم، يتزاحمون عليه في طريقه، يتمسَّحون به، ويَسْعَوْن بين يديه، ومن خلفه، ويتزاحم مساكينُهم على بابه، قد عوَّدهم طَلاقة وجهه، ومُواساته لهم بقُوتِه، يفرُّقه عليهم متى وجدوه، وربما أعجلوه قبل استواء خُبزه، فيفرّقه عليهم عجينًا، له في ذلك أخبار غريبة. وكان صادعًا بالبحق، غَيورًا على الدين، مُخالفًا لأهل البدّع، مُلازِمًا للسُّنَّة، كثير الخشوع والتخلِّق على علق الهمَّة، مَبْذُول المشاركة للناس والجِدُّ في حاجاتهم، مُبتليًا^(١) بوسواس في وضوئه، يتحمل الناس من أجله مَضَضًا في تأخير الصلوات ومضايقة أوقاتها.

مشيخته: قرأ ببلده على الخطيب القاضي المُقرىء أبي الحسن عُبيد الله بن عبد العزيز القرشي، المعروف بابن القارىء، من أهل إشبيلية، وقرأ بسَبتة على الأستاذ إمام المقرئين لكتاب الله، أبي القاسم محمد بن عبد الرحمان بن الطيّب بن زرقون القيسي الضرير، نزيل سبتة، والأستاذ أبي إسحاق الغافقي المريوني، وقرأ على الشيخ الوزير أبي الحكم بن منظور القيسي الإشبيلي، وعلى الشيخ الراوية الحاج أبي عبد الله محمد بن الكِتامي التِلمساني بن الخَضار، وقرأ بغرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وأخذ عن أبي الحسن بن مستقور.

شعره: كان يُقْرِض شعرًا وسطًا، قريبًا من الانحطاط. قال شيخنا أبو بكر بن الحكيم (٢) في كتابه المسمّى بـ «الفوائد المُنتخبة، والموارد المُستعذبة»: كتب إليه

⁽١) في الأصل: "مبتلي"، وقد صرّبناه لأن قواعد اللغة تقتضي النصب، كونه خبر كان.

 ⁽٣) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي، وسيترجم له
 ابن الخطيب بإفاضة في الجزء الثاني من كتاب الإحاطة.

شيخنا وبركتُنا أبو جعفر بن الزيّات في شأن شخص من أهل البيت النبوي بما نَصُّه:

رجل يدعى القرابة للبي سال(١) منى خطابكم وَهُوَ هذا فهبوه دعاء كمم وأمنكونى وعسلينكسم تسحيية الله مسا دا

بت وإذ الشريا منه بسمعزل ولكم في القلوب أرفع مَنْزل منه حظا يُنمى الثواب ويَجزلُ م أميرُ السهدى يُولِّي وَيعُزلُ

فأجابه: [الخفيف]

ك وحادي البلاد أطَيَب منزل یا امامی ومَن به قطرکم ذا لم أضع ما نظمتم من يدي حتى أنيل الشريف تحفة منزل وحباه بكل منتح جزيل مَنْ غدا يمنحُ الثّواب ويجزلُ

دُمْسَتُهُ تسنسرون عسلُمُا ثسوابُ الله فسيله لسكه أعسزُ وأجهزل

تسذكسرون الله ذكسرًا كسشيسرًا وطلبتتم منتي الدعاء وإني

لكن اذعو ولتَذعُ لي برضا الله وأبدى فهم ذكر قد أنزل

وحديث الرسول صلى عليه

وعليكم تحيتي كل حين

قال: ومما أنشدني من نظمه أيضًا في مَعْرض الوصيَّة للطلبة (٢): [الكامل] عدوى علوم المرءِ مَنْحُ الأقوم(٣)

يعمل به فكأنما^(٤) لم يَغلم

وعمليكم سكينة الله تنزل

عند نفسي من الشروط بمُعْزِلُ

كل وقت وربّ لنا الغيثُ ينزل

ما اطمأنت بمكة أم معزل

اغمَلْ بعلْمكَ تُؤت علمًا إنما وإذا الفتى قد نال علمًا ثم لم

⁽١) في الأصل: «سأل» وكذا ينكسر الوزن.

⁽٢) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٣٣)، وبغية الوعاة (ص ١٨٦).

⁽٣) في الكتيبة الكامنة: ١٠٠٠ تؤت حُكْمًا إنما جدوى... نَهْجُ الأقوم؛. وفي بغية الوعاة: ١٠٠٠ تؤت حكمة إنما جدوى... نَهْجُ الأَقُوم،.

⁽٤) في الكتيبة والبغية: افكأنها.

وقال موطئًا على البيت الأخير(١): [المتقارب] كاري

أمولاي أنتَ الغفورُ الكريم لبذل النّوال مع المَغذِره (٢) عمل ذنوبٌ وتصحيفُها ومن عندك الجودُ والمغفره

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد ابن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس ابن أحمد بن أخميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخَزْرجي (٣)

أمير المؤمنين (٤) بالأندلس، رحمه الله.

أُوليَّته: تُقرَّر عند ذكر الملوك من قومه في اسم صِنْو جدَّه، أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله.

حاله: من كتاب «طُرْفة العصر في تاريخ دولة بني نصر» من تصنيفنا «كان، رحمه الله، حسن (۱ الخُلُق، جميل (۷) الرُّواء، رجلَ جدّ، سليم الصدر، كثير الحياء، صحيح العقل (۸)، قَبْتًا في المواقف، عفيف الإزار، ناشئًا في حِجر الطهارة، بعيدًا عن (۱ الصَّبُوة، بريئًا من المعاقرة. نشأ مُشتَغِلًا بشأنه، مُتَبَنِّكًا (۱ نعمة أبيه، مختصًا بإيثار السلطان جَدَّه أبي أُمّه، وابن عمّ والده، منقطعًا إلى الصَّيْد، مصروف (۱۱) اللَّذَة إلى استجادة سلاحه، وانتقاء مراكبه، واسْتِفْرَاه جَوارحه، إلى أن أفضَى إليه الأمر، وساعدته الأيام، وخدمه الجَدُّ، وتنقل (۱۲) إلى بيته المُلْك به، وثوى في عقبه الذّكر، فبذل العدل في رعيته، واقتصد في جبايته، واجتهد في مدافعة

⁽١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٣٣). وقوله: (وقال موطنًا على البيت الأخير؛ جاء في الكتيبة الكامنة بعد هذين البيتين مباشرة: [مخلع البسيط]

دنياكُ مهما اعتبرَتَ فيها كجيفةِ عرضةُ انتهابِ إنْ شِشْقَها فاحتملُ أذاها واضيِرْ عليها مع الكِلابِ

⁽٢) في الكتيبة الكامنة: ١٠٠٠ أنت الكريم العفو... وللمعذره.

⁽٣) ترجمة إسماعيل بن فرج في اللمحة البدرية (ص ٧٨).

⁽٤) في اللمحة البدرية (ص ٧٨): «أمير المسلمين». وهو اللقب الصحيح لــــلاطين بني نصر.

⁽٥) النص في اللمحة البدرية (ص ٧٨). (٦) في اللمحة البدرية: ﴿جميلُ ٤.

⁽٧) في اللمحة البدرية: «حسن». (٨) في اللمحة البدرية: «العقد».

⁽٩) في اللمحة البدرية: «من».

⁽١٠) تُبَنُّك بالمكان: أقام به وتأهل، وتبنُّك في عزَّه: تمكُّن.

⁽١١) في الأصل: قمعروف؛ والتصويب من اللمحة البدرية.

⁽١٢) في اللمحة: «وانتقل به إلى بيت الملك وثوى.

عدو الله(۱)، وسدٌ ثَلْم ثغوره(۲)، فكان غرّة في قومه، ودُرَّة في بيته، وحسنَةً من حسنات دهره، وسَيَرِد نبذُ من أحواله، مما يدلّ على فضل جلاله.

صفته: كان معتدل القدّ، وسيم الصورة، عَبْل اليدين، أبيض اللون، كثير اللحية، بين السواد والصهوبة (٢) أنجل أغينَ أفْوة مليح العين، أقنى الأنف، جَهير الصوت؛ أمه الحُرّة الجليلة، العريقة في الملوك، فاطمة بنت أمير المؤمنين أبي عبد الله نُخبة المُلك، وواسطة العِقْد، وفخر الحَرّم، البعيدة الشّأو في العزّ والحُرْمة، وصِلة الرّعي، وذكر التراث. واتصلت حياتها، ملتّمَسة الرأي، برنامجًا للفوائد، تاريخًا للأنساب، إلى أن توفيت في عهد حفيدها السلطان أبي الحجّاح، رحمها الله، وقد أنفّت على تسعين من السنين، فكان الحفل في جنازتها، مُوازيًا لمنصبها، ومتروكها، المُفضى إليه خطيرُه، وقلت في رثائها: [الطويل]

نبيت على علم بغائلة الدهر ونركن للدنيا اغترارًا بقهرها ونمطل بالعزم الزّمان سفاهة وتُغْري بها نفسي المطامع والهرى هو الدهر لا يبقى على حُدَثانه وبين الخطوب الطارقات تَفاضُل الم تر أنّ المجد أقوت ربوعُه ولاحَتْ على وجه العلاء كآبة

ونعلم أنّ الخلق في قبضة الدَّهْرِ وحَسْبُكُ مَن يرجو الوفاء من الغَدْرِ فيومٌ إلى يوم، وشهر إلى شهر ونرفض ما يَبْقى ضَيْعة العُمْرِ جديدٌ ولا ينفك من حادث نُكْرِ كفضل من اغتالَتُهُ في رِفْعة القَدْرِ وصوّح من أذواحه كل مُخْضَرُ فقطب من بعد الطلاقة والبِشْرِ

وثبتُ اسمها في الوَفيات من الكتاب المذكور بما نصه:

«السلطانةُ الحرّة، الطاهرة، فاطمة بنت أمير المسلمين أبي عبد الله ابن أمير المسلمين الغالب بالله، بقيّة نساء الملوك، الحافظة لنظام الإمارة، رعيًا للمتات (٤) وصلةً للحرّمة، وإسداءً للمعروف، وسَتْرًا للبيوتات، واقتداء بسلفها الصالح، في نزاهة النفس، وعُلُو الهِمّة، ومتانة الدين، وكشف الحجاب، ونفاذ العزم، واستِشعار الصبر. تُوفِيت في كفالة حفيدها أمير المسلمين أبي الحجاج، مواصلًا برّها، ملتمسًا دعاءها،

⁽١) في اللمحة: «عدوه الله وعدوه». (٢) في اللمحة: «لغره».

⁽٣) الصهوبة: هي احمرار الشعر.

⁽٤) المُتات: ما يُمَتُّ به كالحرمة والقرابة. محيط المحيط (متت).

مستفيدًا تجربتها وتاريخها، مباشرًا مُواراتها بمقبرة الجنان، داخل الحمراء، سَخَر يوم الأحد السابع لذي حجة، من عام تسعة وأربعين وسبعمائة».

أولاده: تخلف (١) من الولد أربعة؛ أكبرهم محمد، ولي الأمر (٢) من بعده، وفَرَج شقيقه التالي له بالسنّ، المنصرف عن الأندلس بعد مهلك أخيه المذكور، المتقلب في الإيالات، الهالك أخيرًا في سجن قصبة ألمرية عام أحد وخمسين وسبعمائة، مظنونًا به الاغتيال، ثم أخوه أمير المسلمين أبو الحجاج، تغمّده الله برحمته، أقعد القوم في المُلك، وأبعدُهم أمّدًا في السعادة، ثم إسماعيل أصغرهم سنًا، المُبتلي في زمان (١) الشبيبة في الثقاف (١) المُخيف مدة أخية، المستقر الآن مُوادعًا مَرْفودًا، بقصر المُسْتَخلص من ظاهر شالُوبانية، وبنتين ثنين من حَظِيّته عَلْوة، عقد عليهما أخوهما أبو الحجاج، لرجلين من قرابته.

وزراؤه: وزر^(٥) له أول أمره القائدُ البُهمة^(٢) أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الفهري، وبيت هؤلاء القوّاد شهير، ومكانتهم من الملوك النصريين مَكينة. أشرك معه في الوزارة الفقيه الوزير أبا الحسن علي بن مسعود بن علي بن مسعود المحاربي، من أعيان الحَضْرة، وذوي النباهة، فجاذب رفيقه حَبْل الخُطّة، ونازعه لباس الحُظوة، حتى ذهب باسمها ومسمّاها. وهلك القائد أبو عبد الله بن أبي الفتح، فخلص له شِربها، وسيأتي التعريف بكل على انفراد.

كتابه: كتب (٧) عنه لأول أمره بمالقة، ثم بطريقه إلى غرناطة، وأيامًا يسيرة بها، الفقية الكاتب أبو جعفر بن صَفْوان المتقدّم ذكره. ثم ألقى المقادة إلى كاتب الدولة قَبْلُ، شيخنا أبي الحسن بن الجيّاب فاصل الخُطّة، وباري القوس، واقتصر عليه إلى آخر أيامه.

قضاته: استَقْضى (^) أخا وزيره، الشيخ الفقيه أبا بكر بن يحيى بن مسعود بن علي، رجل الجزالة، وفَيْصل الحُكم، فاشتد في إقامة الحكم (٩)، وغَلُظ بالشرع، واستعان بالجاه، فخِيفتُ (١٠) سطوته، واستمرّ قاضيًا إلى آخر أيامه.

⁽١) النص في اللمحة البدرية (ص ٧٨ ـ ٧٩). ﴿ ٢) في اللمحة: ﴿ وَلَيَّ عَهِدُهُ وَالْأُمْيُرُ مَنْ بَعِدُهُۥ .

⁽٣) في اللمحة: «المبتلي زمن شبيهت بالاعتقال». (٤) الثّقاف: الاعتقال. لسان العرب (ثقف).

⁽٥) النص في اللمحة البدرية (ص ٧٩). (٦) كلمة «البهمة» ساقطة في اللمحة البدرية.

⁽٧) النص في اللمحة البدرية (ص ٧٩). (٨) النص في اللمحة البدرية (ص ٧٩ ـ ٨٠).

⁽٩) في اللمحة: «الحقّ،

⁽١٠) في الأصل: «فخيف» والتصويب من اللمحة البدرية.

رئيس جنده الغربي: الشيخ (١) البُهمة (٢)، لبابُ قومه، وكبير بيته، أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء (٢) إدريس بن عبد الله (٤) بن عبد الحق، مشاركًا له في النعمة، ضاربًا بسهم في المنحة، كثير التجنّي والدّالّة، إلى أن هلك المخلوع، وخلا الجوّ، فكان منه بعض الإقصار،

الملوك على عهده: وأولًا بعدوة المغرب: كان على عهده من ملوك المغرب السلطان الشهير، جوادُ الملوك، الرّخب الجنّاب، الكثير الأمل، خِدْن العافية، ومحالف الترفيّة، مُفحم (1) النّعيم، السعيد على خاصته وعامته، أبو سعيد عثمان بن السلطان الكبير، المجاهد، المُرابط، أبي يوسف (٧) بن عبد الحق. وجرت بينه (٨) وبينه المراسلات، واتصلت أيامه بالمغرب بعد مهلكه وصدرًا من أيام ولده أبي عبد الله حسبما مرّ (٩) عند ذكره.

وبمدينة تِلمُسان، وطن القِبُلة، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يَغُمُراسِن بن زيّان. ثم توفي قتيلًا (١٠) على عهده بأمر ولده المذكور، واستغرقت أيام ولده المذكور الوالي بعده، إلى أن هلك في صدر أيام أبي الحجاج؛ وجرت بينه وبين الأمير مراسلات وهدايات.

وبمدينة تونس، الشيخ المُتَلَقِّبُ بأمير المؤمنين أبو يحيئ زكريا بن أبي خفص المدعو باللّحياني، المتوثّب بها على الأمير أبي البقاء خالد بن أبي زكريا بن أبي حفص، وهو كبير، إلّا أن أبا حفص أكبر سنّا وقدرًا، وقد تملّك تونس تاسع جُمادى الآخرة من عام ظهر له اضطراب مَنْ بها، أحد عشر وسبعمائة، وتم له الأمر. واعتَقَل أبا البقاء بعد خَلْعه، ثم اغتاله في شوّال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ثم رَحَل عن تونس لما ظهر له من اضطراب أمره بها، وتوجّه إلى طرابلس (١١) في وسط عام خمسة عشر (١١)، واستمناب صِهرَهُ الشيخ أبا عبد الله بن أبي

⁽١) النص في اللمحة البدرية (ص ٨٠).

⁽٢) البُهْمة: الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى له من شدة بأسه. لسان العرب (بهم).

⁽٣) في اللمحة: «العلى».

⁽٤) في المصدر نفسه: اعبد الله بن يعقوب بن عبد الحقا.

⁽٥) النّص في اللمحة البدرية (ص ٨٠ ـ ٨٧). وفي الأصل: "وأولاد" والتصويب من اللمحة.

 ⁽٦) في اللمحة: الرمتبحبح النعيم.
 (٧) في اللمحة: اأي يوسف يعقوب بن٠٠٠٠.

⁽٨) في اللمحة: ﴿وجرت بينهما ٩٠ في اللمحة: ايمرًّا.

⁽١٠) في اللمحة: اقتيلًا بأمر ولده على عهده سادس عشر جمادى الثانية من عام ثمانية عشر وسبعمائة».

⁽١١) في اللمحة: ﴿ أَطْرَابِلُسِ ۗ ، ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ أَفِي الْلَمِحَةُ : ﴿ وَسَبِعُمَائَةٍ ﴾ .

عمر (۱)، ولم يعُد بعدُ إليها. ثم اضطرب أمرُ إفريقية، وتنوّبه (۲) عدة من الملوك المخفصيين، منهم الأمير أبو عبد الله بن أبي عمر (۱) المذكور، وأبو عبد الله بن اللّحياني، والسلطان أبو بكر بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحلق، لبنة تمامهم، وآخر رجالهم، واستمرّت أيامه إلى أيام ولده الأمير بالأندلس ومعظم أيام ولديه، رحم الله الجميع.

ومن ملوك الروم بقَشْتاله؛ كان على عهده مقرونًا بالعهد القريب من ولايته، الطاغية هرانده بن شائجة بن ألهنشة (٤) بن هراندة المجتمع له مُلْك قشتالة وليون (٥)، وهو المتغلّب على إشبيلية، وقُرطبة، ومُرسية، وجيّان؛ ابن الهنشة (٦) الذي جرت له وعليه هزيمة الأرك (٧) والعِقاب (٨)، ابن شائجه بن الهنشة المسمّى إنبرذور، وهو الذي أفرد صهره وزوج بنته بملك برْتقال، إلى أجداد، يخرجنا تقصّي ذكرهم عن الغرض.

ومن ملوك رَغُون (٩) من شرق الأندلس، الطّاغية جايمش بن بِطُره بن جايمش الذي تغلب على بَلَنسِية، ابن بِطْرُه بن الهَنْشة (١٠)، إلى أجداد عدة كذلك. ثم هلك في أخريات أيامه، فوُلِّيَ مُلْكَ أَرغون (١١) بعده الهنشة (١٠) بن جايمش إلى أخريات أيامه.

وببُرتُقال ألهنشة (١٠) بن يومس (١٣) بن ألهنشة (١٠) بن شانجة بن ألهنشة (١٠) بن شانجة بن ألهنشة (١٠) بن شانجة بن ألهونشة (١٠)، وتسمّى (١٤) أولًا دُوقًا.

ذكر تصير الأمر إليه: لما وَلِيَ (١٥) الأمر بالأندلس، حرسها الله، السلطان أبو الجيوش نصر بن السلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان البي عبد الله بن

⁽١) في اللمحة: «عمران». (٢) في اللمحة: «وتناوبه».

 ⁽٣) كلمة (بن) ساقطة في اللمحة.
 (٤) في اللمحة: (ألفونش).

⁽٥) في اللمحة: •ملك ليون وقشتالة. (٦) في اللمحة: •ابن الهونش.

⁽٧) كانت رقعة الأرك سنة ٩٩١ هـ بين الموحدين بقيادة الخليفة المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي وجيوش قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن، وكان النصر فيها للموحدين. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢١٨ ـ ٢٢١).

⁽٨) كانت وقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ، بين الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الموحدي وجيوش قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين، فكانت السبب في هلاك الأندلس. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٦٣).

⁽٩) مملكة رغون: هي نفسها أراغون. (١٠) في اللمحة: «الهونش».

⁽١١) في اللمحة: الرغونا. (١١) في اللمحة: اآخرا.

⁽١٣) في اللمحة: ﴿ ذُونيشٍ ٩.

⁽١٤) في الأصل: ﴿ويسمو، والتصويب من اللمحة. (١٥) قارن باللمحة البدرية (ص ٨٢ ـ ٨٤).

نصر، يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة، بالهجوم على أخيه أبي عبد الله الزُّمِن المُقْعد، الآمِن في ركن بيته، واغتيال ابن الحكيم وزيره ببابه، والإشادة بخلعه حسبما يأتي في موضعه، استقرُّ الأمر على ضعف أخيه، وسارع دِخْلته، فساءت السُّيرة لمنافسة الخاصّة، وكان الرئيس الكبير عميدُ القرابة، وعَلَم الدولة أبو سعيد فرج، ابن عمّ السلطان المخلوع، وأخيه الوالي بعده، راسخًا قدمه وعُزفه، بمثوبة الوارث، ولنظره عن أبيه المُسَوّع عن جدّه مالَقَة وما إليها، ولنظره مدينة سَبْتة، المُضافة إلى إيالة المخلوع عن عهد قريب، قد أفرد بها ولده المترجم به، وجميعهم تحت طاعته، وفي زمان انقياد سوغ مديد الدولة، بل مذّ سَرْوِها لِما شاء عزّ وجلّ من احتوائهم في حبل هذا الدايل، يتعقبون على الرئيس الكبير أمورًا تَثِرُ مخيمة الصدور، وتستدعى قرض الطاعة، وتحتوي على مظنّات مُخلة، واحترسوا صافيات منافعه، وأوعزوا إلى وُلاة الأعمال بالتضييق على رجاله، وصرفوا سُننه عن نظره. ولمّا بادر إلى الحضرة لإعطاء صفقة البّيعة وتهنئة السلطان نصر عن روحه وابن عمّه، على عادته، داخله بعض أرباب الأمر، مُحذِّرًا، ومُشيرًا بالامتناع ببلده، والدُّعاء لنفسه، ووعده بما وسعه، فاستعجل الانصراف إلى بلده، ولم تمرّ إلّا برهة، واشتعلت نار الفتنة، وهاجت مراجل الحفيظة، فتلاحق به ولدُّه، وأظهر الانفراد والاستعداد في سابع عشر رمضان من هذا العام. وأقام ولده إسماعيل، برسم الملك والسلطان، ورتب له ألقاب الملك، ودوَّن ديوان الملك بحسبه، ونازل خُضَرَةً أَنتَقيرة، وناصبها القتال، فتملُّكها؛ ودخلت مَرْبلة في طاعته، وتحرّك إلى بَلْش فنازلها، ونصب عليها المجانيق فدانت، فضخمت الدعوة، ومكنت الجباية، والتف إليه من مساعير الحروب ومَن أجاب. وتحرَّك إلى غرناطة في أول شهر محرم، عام اثني عشر وسبعمائة، ونزل بقرية العَطْشا من مرجها. وبرز السلطان نصر في جيش خشن(١)، مُستجاد العدّة، وافر الرُّجُل(٢)، فكان اللقاء ثالث عشر الشهر، فأظهر الله أقلُ الفئتين(٢)، وانجرَّت على الجيش الغرناطي الهزيمة، وكبا بالسلطان نصر فرسه في مجرى سقي لبعض الفدن، فنجا بعد لأي ودخل البلد مفلولًا، وانصرف الجيش المالقي ظاهرًا إلى بلده. وطال بالرئيس وولده الأمر وضرَّستها الفتنة، وعظُم احتياجه إلى المال، وكادت تفضحه المُطاولة، وزاحمه الملك بمكلف ضخم، فاقتضى ذلك إذعانه إلى الصلح، وإصغاره المهادنة، على سبيله من المقام ببلده، مُسلِّمًا للسلطان في جبايته، جاريةً وطائفةً في رئاسته، وأرزاق جنده، فتمّ ذلك في ربيع الأول من العام المذكور. ثم لَقِحت فتنة في العام

⁽٢) الرَّجْل: الجنود المشاة.

⁽١) في اللمحة: ﴿ أَخْشَنَ ٩ .

⁽٣) في اللمحة: «الطائفتين».

بعده، فعادت جَذِعة، وكانت ثورة الأشياخ في غرناطة في رمضان من العام المذكور هاتفين بخُلْعان السلطان، وطاعة مخلوعهم، وطالبين منه إسلام وزيره خِذْن الروم، المتهم على الإسلام أبي عبد الله(١) بن الحاجّ. ثم لحق زعماؤهم بمالقة عند اختلال ما أبرموه، فكانت الحركة الثانية لغرناطة بعد أمور اختصرْتُها، من استبداد السلطان أبي الوليد بأمره (٢٦)، والانحطاط في القبض على أبيه، إلى هوى جنده، والتصميم في طلب حقّه، فاتصل سيرُه، واحتلّ بلوشة سِرار شوال فتملّكها. ورحل قافلًا إلى وطنه، طريد كلب الشتاء، وافر الخزانة، واقتضى الرأي الفائل ممّن له النظر الجاش من زعيم شيوخ جندها، اتّهامًا له بالطاغية، فسجنه. ثم بَدَا له في أمره، ثم سرَّحه بعد استدعاء يمينه، فوغُرُت صدور حاشيته، وتبعهم مَن كان على مثل رأيهم، وهو شوكة حادّة، فصرفوا الوجوه إلى السلطان المقبل الحظ، المحبوب إليه هوى الملك، بما راعه، ثانيًا من عِنانه بأحواز أرجدونة، إلَّا تثويب داعيهم، فكرُّ إلى المدينة وبرز إليه جيشها، ملتفًا على عبد الحق بن عثمان، فأبلي (٣)، وصدَق الحملة، فكادت تكون الدائرة؛ فلولا ثبوت السلطان لما أستقيلت بأسفلهم الحملة، فولوا منهزمين، وتبعهم إلى سور المدينة، وقد خَفَتَ النَّفيف والغوغاء النَّاعقون(١) بالخُلعان، الشُّرهون إلى تبديل الدُّعوات، وإلى (٥) تسنّم المآذن والمنارات (٦) والرُّبا. وبرز أهل رَبُض البيّازين، الهافون إلى مثل هذه البوارق، إلى شُرَف رَبُوتهم (٧)، كلّ يشير مستدعيّا إعلانًا بسوء الجِوار، وملل الإيالات، والانحطاط، وبعد التلُّون والتقلُّب، وسآمة العافية؛ شَنْشَنة معروفة في الخَلْق مألوفة. وبودر غلق باب إلبيرة، ففُضّ (^) قفله، ودُخلت المدينة، وجاء^(٩) السلطان إلى معقل الحمراء بأهله وذخيرته وخاصّته، وبرز السلطان أبو الوليد بالقصبة القُدْمي تجاهها، بالدار الكبرى المنسوبة لابن المَوْل، يُنفذ الصكوك، ويذيع العفو، ويؤلف الشَّارد، وضعُفت بصائرُ المحصورين، وفَشِلوا على وجود الطعمة، ووفور المال، وتمكّن المَنَعة، فالتمسوا لهم ولسلطانهم عهدًا نزلوا به، مُنتقلين إلى مدينة وادي آش، في سبيل العِوَض بمال معروف، وذخيرة موصوفة؛ وتمّ ذلك، وخرج السلطان رحمه الله مخلوعًا، ساء به القرار، جانيًا على مُلْكه الأخابيث والأغمار، ليلة الثامن والعشرين من شوّال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، واستقرَّ بها

⁽١) في اللمحة: االإسلام محمد ابن البحاج». (٢) في اللمحة: ابنفسه».

⁽٣) في اللمحة: ﴿وأبلى في الدفاع، فكادت تقع به الدبرة لولا ثبوت.

⁽٤) في اللمحة: ﴿والناعقونُ ﴾. ﴿ وَالناعقونُ ﴾.

⁽١) في اللمحة: قرالمنازه». (٧) في اللمحة: قبيوتهم».

⁽٨) في اللمحة: «فنُقض». (٩) في اللمحة: «ولجاءً.

مُوادِعًا مرة، ومُحاربًا أخرى، إلى أن هلك حسبما يأتي ذكره. وخَلا للسلطان (١) الجوّ، وصُرِفَت (٢) إليه المقادة، وأطاعه القاصي والدَّاني، ولم يختلف عليه اثنان، والبقاء الخُلص لله وحده.

مناقبه: اشتد الشد الله على أهل البدع، وقصر الخوض على ما تضطر البه الملة. ولقد تُذوكر بين يديه أهل البيت، فبذل في فِذية بعضهم ما يعزّ بذله، ونقل منهم بعضًا من حِرَف خبيثة، فزعموا أنه رأى رسول الله، ﷺ، في النوم، فشكر (1) له ذلك. واشتد في إقامة الحدود، وإراقة المُسكِرات، وحظر تجلّي القينات للرجال في الولائم، وقصر طربهن على أجناسهن من الناس، وأخذ يهود الذمّة بالتزام سِمةٍ تُشهرهُم، وشارة تميّزهم، وليوفّى (٥) حقهم من المعاملة التي أمر بها الشّارع في الخطاب والطُّرق (١)، وهي شواشي صُفْر.

ولقد حدَّث مَن يخفُ حديثه، من الشيوخ أُولي المجانة والدُّعابة، قال: كنّا عاكفين على راح، وبرأسي شاشيّة ملف حمراء، فحاول أصحابي إنامتي، حتى أمكن ذلك، وبادروا إلى رِقاع من ثوب أصفر، فصنعوا منها شاشية، ووضعوها في رأسي، مكان شاشيتي، وأيقظوني، فقمت لشأني، وقد هيّثوا ثمنّا لشراء بَقْل وفاكهة، وجهّزوني لشرائه، فخرجت حتى أتيت دكان السوق، فساومته، فلمّا نظر إليّ قال لصاحبه: جزى الله هذا السلطان خيرًا، والله لقد كنت أبادر هذا اللّعين بالسلام عند لقائه، أظنه مُسلمًا، وبصق عليّ؛ فَهَمَمْت أن أُوقع به، ثم فَطِنتُ للجِلية، فانتزعتُها، وبادرت فأوسعتُهم ذمّا، وعَظُم خجلي، وسبقني إليهم عين لهم عليّ، فكاد الضحك يُهلكهم عند دخولي. ومناقبه كثيرة.

جهاده وبعض الأحداث في مدته: والتَأْثُت (٧) الأمور، لأول مدته، فَجَرَت على جيشه بمظاهرة جيش المخلوع لجيش الرُّوم، الهزيمة الشنيعة، بوادي فُرْتونة الوقع بهم الطاغية بطره، كافل ملك الروم، المُمَلك صغيرًا على عهد أبيه، وعمّه الذَّابَ عنه، ففشا في الأعلام القتل، وذلك في صفر من عام ستة عشر وسبعمائة، وظهر العدو بعدها فغلب على حصن شتمانس (٨) وحصن بجيج (٩)، وحصن طشكر،

⁽١) في اللمحة: «للسلطان أبي الوليد». (٢) في اللمحة: «وضُربتُ».

⁽٣) النص في اللمحة البدرية (ص ٨٤). (٤) في اللمحة: «يشكر».

⁽٥) في اللمحّة: اليوفّوا». (٦) في اللمحة: افي الطرق والخطاب.

⁽٧) النص في اللمحة البدرية (ص ٨٤ - ٨٥).

 ⁽A) في اللمعَة البدرية: ﴿وظهر العدو بعدها على حصن قنبل وحصن متمانس؟.

⁽٩) في المصدر نفسه: الرحصن نجيحاً،

وثغر^(۱) رُوط. ثم صرفت المطامع عزمه إلى الحضرة، فقصد مَرْجها، وكفّ الله عاديته، وقمّعَه، ونصر الإسلام عليه، ودالت للدين عليه الهزيمة العظمى بالمرج من ظاهر غرناطة على بريد منها، واستولى على محلّته (۱) النّهُب، وعلى فرسانه ورجاله القتل، وعظم الفتح، وبَهَرَ الصنع وطار الذكر، وثاب السّعد. وكانت الوقيعة سادس جُمادى الأولى من عام تسعة عشر وسبعمائة، وفي ذلك يقول كاتبه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب:

الحَمْدُ حَقُّ الحمد للرحمان ومُكيِّف الصنع الكريم ودافعُ ال في كل أمر للمُهَيْمِن حكمة

كافي العدو وناصر الإيمان خُطُب العظيم وواهب الإحسان أغيت على الأفكار والأذهان

واستقرّ مَلكهم القتيل بأيدي المسلمين بعد فرارهم، فجعل في تابوت خشب، وأنصب بالسور المُنازل من الحمراء يسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها، إذاعة للشهرة، وتثبتًا لتخليد الفخر.

ومن الغريب أنني في هذه الأيام بعد خمسين سنة تمامًا (٢)، تفقدت ذلك المكان في بعض ما أباشره، أيام نيابتي عن السلطان بدار مُلُكه على عادتي، فألفيته قد علا عليه كوم من الحجارة، رجم الصبيان إياه، فظهر لي تجديد الإشادة به، والاستفتاح بوقوع مثله، ولمّا كُشِفَ عن الرّمة لتُنقل إلى وعاء ثان، ألفي بعَظْم القَطَن (٤) العريض منها سنان مُرهب ثبت في العظم، انتزع منه، وقد غالبتني الرقة والإجهاش، وقلت اللّهم أدّخر رضوانك لمّن أودع في هذه الرّمة الطاغية، سنان جهادك إلى اليوم، وأبنه وارفغ درجته، إنك أهل لذلك.

رجع (٥): واستقامت الأيام، وهلك المخلوع، فصفا الجو، واتحدت الكلمة، وأمكن الجهاد، فتحرّك في شهر (٦) رجب من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وأعمل القصد (٧) إلى بلاد العدو، ونازل حصن إشكر (٨)، الشّجى المعترض (٩) في حلق

⁽١) في المصدر نفسه: ووحصن رُوطه. (٢) في المصدر نفسه: ومحلاته».

⁽٣) أي بعد خمسين سنة من تاريخ وقيعة وادي فرتونة من عام ٧١٩ هـ، وهو ما يوافق سنة ٧٦٩ هـ.

⁽٤) عظم القطن: عظم ما انحدر من ظهر الإنسان واستوى. محيط المحيط (قطن).

 ⁽٥) النص في اللمحة البدرية (ص ٨٥).
 (٦) كلمة اشهرا غير واردة في اللمحة البدرية.

⁽٧) في اللمحة: ﴿ الحركةُ ﴾.

 ⁽A) إشكر: بالإسبانية Huescar، وهي من مدن غرناطة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر
 (ص ٤٥).

⁽٩) في اللمحة: «المتعرض».

بَسْطة، فأخذ بمُخَنِّقه (۱)، ونشر الحرب عليه (۲)، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد مُحماة طاق (۲) البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير شررها، واستقرت بين محصوريه، فعاثت عياث الصواعق السموية، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وأتوا بأيديهم، ونزلوا قسرًا على حكمه في الرابع والعشرين من الشهر، وأقام بظاهره، فصيره دار جهاد، وعمل في خندقه بيده، وانصرف، فكانت غزاة جمة البركة عظمت بها على الشرق الجَدُوى، وأنشد الشعراء في هذه الوجهة قصائد أشادت بفضلها، وشهرت من ذكرها، فمن ذلك عن كاتب سرّه (١٤) قوله (٥): [الكامل]

أمّا مَداكَ فغاية لم تُلْحَقُ (٢) أغيَث على غرّ الجياد السُّبّق (٧)

ورفع إليه شيخنا الحكيم أبو زكريا بن هُذيل، قصيدة أولها(^): [الطويل]

بحيث القباب(٩) الحُمْر والأَسَدُ الوَرْدُ كتائبُ سكانُ السماءِ لها جُنْدُ

أنشدني منها في وصف النفط قوله:

وظنّوا بأنّ الصَّغْق (١٠٠ والرَّعْدَ في السما غرائبُ أشكالٍ سما هُرْمُسُ بها ألا إنها الدنيا تريك عجائبًا

فحاق بهم من دونها الصَّغَقُ والرَّعْدُ مهندة (۱۱) تأتي الجبال فَتَنْهَدُ ومها في القوى منها فلا بُدُ أن يَبُدو

وفي (۱۲) العاشر لشهر رجب من عام خمسة وعشرين وسبعمائة، تحرّك للغزو (۱۳) بعد أخذ الأهبّة والاستكثار والاجتهاد للمطوعة، وقصد مدينة مَرْتُش العظيمة الساحة، الطيبة البقعة، فأضرَب بها المحلّات وكان القصد (۱۱) إجمام الناس، فصوّب (۱۵) الحشود ووجّهها إلى ما بها من بَخر (۱۲) الكروم والملتفّات، وأدواح

⁽١) في اللمحة: «بمخنقها». (٢) في اللمحة: ﴿عليها».

⁽٣) في اللمحة: ﴿طَاقَةُ ال

⁽٤) كاتب سرّه: هو الحكيم أبو زكريا بن هذيل كما جاء في اللمحة البدرية.

⁽٥) البيت في اللمحة البدرية (ص ٨٦). (٦) في اللمحة البدرية: «لم تسبق».

⁽٧) جاء في اللمحة البدرية بعد هذا البيت، البيت التالي:

فاشرخ بسعدك كل معنى مشكل وافتخ بسيفك كل باب مغلق

⁽٨) الأبيات في اللمحة البدرية (ص ٨٥). (٩) في اللمحة: «البنود».

⁽١٠) في اللمحة: «بأن الرعد والصعق. ٢٠٠. (١١) في اللمحة: «مهندمة».

⁽١٢) النّص في اللمحة البدرية (ص ٨٦).

⁽١٣) في اللمحة: ﴿إِلَى الغزر، وأَخَذَ الأَهْبَةُ. ٢٠٠٠.

⁽١٤) في اللمحة: قصده. (١٥) في اللمحة: قصرفت.

⁽١٦) في اللمحة: قشكره.

الأشجار، فأمعنوا في إفسادها، وبرز حاميتها، فناشبت الناس القتال، فحميت النفوس، وأريد منعُ الناس، فأعيا أمرهم وسال منهم البحر، فتعلّقوا بالأسوار، وقيل للسلطان: بادر بالركوب، فقد دُخِل الرئبض^(۱)، فركب ووقف بإزائها، فدخل البلد^(۱) عَنُوة، واعتصم أهله بالقصّبة، فدُخلت أيضًا القصبة عنوة، وانطلقت أيدي الغوغاء على مَن بها من ذَكر وأُنثى كبيرًا أو صغيرًا^(۱)، فساءت القَتْلة، وقبُحت الأحدوثة، ورُفِعَت من الغد آكام من الجثث صَعِد ذُراها المؤذّنون، وقَفَل إلى غرناطة بنصر لا كفاء (٤) له، فكان (٥) دخوله من هذه الغَزاة في الرابع والعشرين لرجب المذكور.

وفاته: ولما^(۱) فصل من مَرْتُش نقم على أحد الرؤساء من قرابته، وهر ابن عمّه محمد بن إسماعيل، المعروف بصاحب الجزيرة، أمْرًا تقرَّعه عليه، وبالغ في الإهمال له (۲)، وتوعّده بما أثار حفيظته، فأقدم عليه بالفَتْكة الشّنعاء التي ارتكبها منه بباب قصره، بين عبيده وأرباب دولته (۱۵)، آمنَ ما كان سربًا، وأعزَّ سلطانًا (۱۹) وجُندًا؛ وذلك يوم الاثنين ثالث يوم من دخوله من مرتُش، بعد أن عاهد في الأمر جُمّلة من القرابة والخدّام، فوثب به، وهو مجتاز بين السّماطين من ناسه إلى مجلس (۱۱) كان يجلس فيه للناس، فاعتنقه وانتضى (۱۱) خنجرًا كان ملصقًا في ذراعه، فأصابه بجراحات ثلاث؛ إحداهن في عنقه، بأعلى تَرْقُوته، فخرَّ صريمًا. وصاح بكرٌ وزيره، فعمّته سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك، ووقعت الرَّجُة، وسُلّت السيوف، وتشاغل كلُّ بمَن يليه، واستُخلص السلطان من يديه، وحِيلَ بينه وبينه؛ وحين تشاغل القوم بالوزير، رُفع السلطان وظنَّ أنه قد أفلت جريحًا، فوقع البُهْت، وبادروا الفرار، فسُدّت المناهب، فَقُتلوا حيث وُجدوا. وأخذت الظّنَة قومًا من أبريائهم، فامتُحنوا (۱۲)، ونهب (۱۳) الغوغاء دورهم، وعُلقتْ بالجدران أشلاؤهم، وكان يومًا فامتُحنوا (۱۲)، ونهب (۱۳) الغوغاء دورهم، وعُلقتْ بالجدران أشلاؤهم، وكان يومًا عصيبًا، واختُمل السلطان إلى بعض دور قصره، وبه صُبابة روح، أشبه عصيبًا، وموقفًا صعبًا، واختُمل السلطان إلى بعض دور قصره، وبه صُبابة روح، أشبه

⁽١) في اللمحة: «البلدة. (١) في اللمحة: «الحصنة.

⁽٣) في اللمحة: «صغير أو كبيره.

⁽٤) في الأصل: ﴿ لا كفا ﴾ والتصويب من اللمحة البدرية.

 ⁽٥) في اللمحة: ﴿وكانَّ.
 (٦) النص في اللمحة البدرية (ص ٨٨ ـ ٨٨).

⁽٧) في اللمحة: •وبالغ في تأنيبه، وتوعّده...٠.

⁽٨) قوله: ﴿وأرباب دولته اساقط في اللمحة البدرية .

⁽٩) في اللمحة: اوأعزّ نفرًا وأمكن امتناعًا، غدوة يوم الاثنين الثالث من يوم دخوله.

⁽١٠) في اللمحة: قالى مجلس القعود الخاص، فاعتنقه.....

⁽١١) في اللمحة: ﴿وسلُّهُ. ﴿ (١٢) في اللمحة: ﴿فَاسْتَحَلَّمُوا ۗ.

⁽١٣) في اللمحة: ﴿ونهبت،

شيء بالعدم، للُزُوق العمامة بفوهة شريانه المبتور، ففاض لحينه بنفس زوال العمامة، رحمه الله.

وكان من أخذ البيعة لولده الأمير أبي عبد الله من بعده، ما هو معروف في موضعه. ودفن غَلَس ليلة (١) الثلاثاء، ثاني يوم وفاته، بروضة الجنة (٢) من قصره، إلى جانب جدّه؛ وتنوهي الاحتفال بقبره نقشًا، وتخريمًا (٣)، وإحكامًا، وحَلْيًا، وتمويهًا، يشقّ (٤) على الوصف، وكُتب بإزاء رأسه في لوح الرخام ما نصه، من كلام شيخنا، بعد سطر الافتتاح:

«هذا قبر السلطان الشهيد، فتاح الأمصار، وناصر ملّة المصطفى المختار، ومحيي سبيل آباته الأنصار، الإمام العادل، الهمام الباسل، صاحب الحرب والمحراب، الطاهر الأنساب والأثواب، أسعد الملوك دولة، وأمضاهم في ذات الله صوّلة، سيف الجهاد، ونور البلاد الحسام (٥) المسلول في نصرة الإيمان، والفؤاد المعمور بخشية الرحمن، المجاهد في سبيل الله، المنصور بفضل الله، أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن الهمام الأعلى الطاهر الذات والفخار (١)، الكريم المآثر والآثار، كبير الإمامة النصرية، وعماد الدولة الغالبية، المقدّس، المرحوم أبي سعيد فرج، ابن عَلَم الأعلام، وحامي جمى الإسلام، صِنو الإمام الغالب، وظهيره (٧) العلي المراتب، المقدّس، المرحوم أبي الوليد إسماعيل بن نصر، قدّس الله روحه العليّب، وأفاض عليها (٨) غيث رحمته الصيّب، ونفعه بالجهاد والشهادة، وحباه (١) بالحسنى والزيادة، جاهد في سبيل الله حقّ الجهاد، وصنع له في فتح البلاد، وقتل كبار والزيادة، جاهد في سبيل الله حقّ الجهاد، وصنع له في فتح البلاد، وقتل كبار الأعاد (١٠٠٠)، ما يجده مذخورًا يوم التناد، إلى أن قضى الله بحضور أجّله، فختم عمره بخير عمله، وقبّضه إلى ما أعدّ له من كرامته وثوابه، وغبار الجهاد طيّ أثوابه، فاستشهد (١٠) رحمه الله شهادة أثبتت له في الشهداء من الملوك قدّمًا، ورفعت له في فاستشهد السعادة عَلمًا.

⁽١) في اللمحة: اليلة يوم الثلاثاء. (٢) في اللمحة: الجنان؟.

⁽٣) في اللمحة: ﴿وتنجيدُا ٤. ﴿ ٤) في اللمحة: ﴿يشذُ عن الوصف ٩.

 ⁽٥) في الأصل: •ذي الحسام • والتصويب من اللمحة.

⁽٦) في اللمحة: ﴿وَالنَّجَارِ﴾.

⁽٧) في الأصل: ﴿وظهيره المقدس العلي. . . ، والتصويب من اللمحة .

⁽٨) في اللمحة: ﴿عليهٌ. ﴿ وَ اللَّهُ مِنَ الْأَصَلُ: ﴿وَحَيَّاهُۥ وَالتَّصُوبِ مِنَ اللَّمَحَةُ.

⁽١٠) في اللمحة: اكبار ملوك الأعادة. (١١) في اللمحة: الستشهدة.

"وُلِدَ رضي الله عنه، في الساعة المباركة بين يَدَي الصبح من يوم الجمعة سابع عشر شوّال(١) عام سبعة وسبعين وستمائة، وبويع يوم الخميس السابع والعشرين لشوّال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، واستشهد في يوم الاثنين السادس والعشرين لشهر رجب(٢) عام خمسة وعشرين وسبعمائة. فسبحان الملك الحق، الباقي بعد فناء المخلق.

وبعده من جهة اللوح الأخير (٣): [البسيط]

تخص قَبْرَكَ يا خَيْرَ السلاطين قبر به من بني نصر إمامُ هدى أبو الوليد، وما أدراك من ملكِ سلطانِ عدلِ وبأسِ غالبٍ وندّى شدف أما قد طواه الموت من شرف ومن لسانِ بذكر الله منطلق أما الجهادُ فقد أحيا معالمه فكم فتوح له تُزهي (٤) المنابرُ من مجاهدٌ نالَ من فضل الشهادة ما قضى كعثمانَ في الشهر الحرام ضُحّى في عارضيه غبار الغزو تمسحه في عارضيه غبار الغزو تمسحه يُسقى بها عين تسنيم (٥)، وقاتُله تبكي البلادُ عليه والعباد معًا لكنه حكم ربً لا مَرَدٌ له فرحمة الله ربً العالمين على فرحمة الله ربً العالمين على

تحية كالصبا مرئت بدارين عالي المراتب في الدنيا وفي الدين مستنصر واثق بالله مأمون وفضل تقوى وأخلاق ميامين وسر مجد بهذا اللحد مدفون ومن فواد بحب الله مسكون وقام منه بمفروض ومسنون عليه بأخر غير ممنون يُخبي عليه بأخر غير ممنون وفاة مستشهد في الدار مطعون في جنة الخلا أيدي حورها العين في جنة الخلا أيدي حورها العين ممردد بين زَقوم وغيسلين فالدار مطعون في الدار مطعون في الدار مطعون في الدار مطعون في خنة الخلا أيدي حورها العين في خامره الجزم بين الكاف والنون فأمره الجزم بين الكاف والنون سلطان عدل بهذا القبر مدفون

بعض ما رُثِيَ به: وعَظُمَتْ (١) فيه فجيعةُ المسلمين لما تَكلوا من جهاده وعزمه، وبَلَوْه من سعده وعزّ (١) نصره، فكثرت فيه المراثي، وتراهنت أن في شَجْوِه القرائح، وبكاه الغادي والرائح. فمن المراثي التي أُنشِدَت على قبره، قول كاتبه شيخنا

⁽١) في اللمحة: «شهر شوّال». (٢) في اللمحة: «رجب الفرد».

⁽٣) القصيدة في اللمحة البدرية (ص ٨٨ ـ ٨٩). (٤) في الأصل: ٥تزهو، والتصويب من اللمحة.

⁽٥) في الأصل: "تسليم" والتصويب من اللمحة. (٦) النص في اللمحة البدرية (ص ٨٩).

⁽٧) في اللمحة: ﴿وعزَّةٌ . ﴿ وعزَّةٌ .

أبي الحسن بن الجيّاب(١): [الطويل]

أيا عَبرة العين امْزُجي الدُّمْعَ بالدُّم ويا قلبُ ذُبُ وَجُدًا وعَمَّا ولَوْعةً ويا سلوة الأيّام لا كنتِ فابعدي وصِخ بأناة الصبر سُخفًا تأخري ولِمْ لا وشَمْسُ الملك والمجد والهُدي ثورى بين أطباق الثرى رهن غربة على مَلِك الإسلام فاسمَح بزَفْرَةِ على عَلَم الأعلام والقمر الذي على أؤحد الأملاك غير منازع ومَنْ مثل إسماعيل نورٌ لمُهتَدِ وما مثل إسماعيل للبأس والندى وما مثلُ إسماعيل للحرب يُجْتَنى وما مثل إسماعيل سَهْمُ سعادةِ شهيذ سعيذ صبحته شهادة أتت وغُبار الغَزْوطي ثيابه فتبا لدار لا يدوم نعيها ولا أنسها إلا رهين بوخشة فيا من يرى الدنيا مُجاجة نَحْلة فمن شام منها اليوم برق تبسم فضاحكها باك وجَذْلانُها شج وسراؤها تنفنى وضراؤها معا سَطَتْ بملوك الأرض من بعد آدم فكم من قصير قصرت شأو عُمُره وكم كسرت كسرى وفضت جيوشه ولو أنها ترعى إمام هداية لأغفّت

ويا زفرة الحزن اخكمي وتحكمي فإنّ الأسى فَرْضَ على كل مُسلم إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم وقل لشكاة الحزن أهلا تَقَدّمي وفَتُاح أبواب النّدى والتكرّم وحيدا وأضمته الليالي بأسهم تُساقع درًا بين فَذَ وتَوام تجلى بوجه العصر غرة أدهم أصسالة أعراق وفسضسل تسقده وبُشرى لمكروب وعفو لمُجرِم الإضراخ مذعور وإغناء معدم به الفتح من غَرس القنا المُتَحَطّم أصناب به الإسلام شاكلة الدم تبوّأ منها في الخلود التنعم ظهيرُ أمانٍ من دخان جَهنَّم فما عِرْسُها إلَّا طليعة مأتم ولا شَهْدُها إلَّا مشوبٌ بعلقم ألا فاعتبرها فهي نَبْتة أرْقَم ففي الغد تلقاه بوجه جهئم وطالعها هاو ومنبصرها غهم فكلتاهما طيف الخيال المُسَلّم تُبَدّد منهم كل شمل مُنظم فحر صريعا للبدين وللفم فلم تُخمِه منها كتائبُ رستُم عليًا من حُسام ابن مُلْجَم

⁽١) ورد منها في اللمحة البدرية فقط البيتان الأول والثاني.

⁽٢) هو عبد الرحمان بن ملجم المرادي، قاتل الإمام علي بن أبي طالب.

وما قَتلَتْ عشمان في جَوْف داره فقدس من مُستَسلم ومُسلّم ومُسلّم ومُسلّم ومُسلّم وما أمكنَتْ فيروز (١) من عُمر الرّضى فَهدّتْ من الإسلام أرفع مَعْلم

إلى آخرها. وتضمن إجمال ما ذكر من ذلك، التاريخ المُسمّى بـ «قطع السلوك» (٢) المنظوم رجزًا من تأليفي بما نصه: [الرجز]

وعندما خيف انتثار السلك
تدارك الأمر الإمام الطاهر
وهو أبو الوليد إسماعيل
ابن الرئيس الماجد الهمام
وجده صنو الإمام الغالب
فقاد من مالقة البحنودا
وعاد نصر بمدى حمرائه
فخلع الأمر وألقى باليد
وسار في الليل إلى وادي الأشى
ولم يزل فيها إلى أن ماتا
واتسق الأمر وقر المملك

ووزر السروم وزيسر السمسلا فعالج الدار طبيب ماهر والشمس لا يفقدها دليل فَرْدُ السعسلا وعسلم الأعسلام مناقب كالشهب الثواقب ونسر الأعلام والبنواقب أتى وأمر الله مسن ورائسه من بعد عهد موثق مؤكد والملك لله يعز من يَسَا وطلق الدنيا بها بشانا وربما جز الحياة الهلك

ومن الرجز المذكور في وصف جهاده ومقتله: [الرجز]

وكان يوم المرج في دولته وفتح المعاقل المنيعة وانتبه الدهر له من نومه بكى عليه الحرب والمحراب

ففرق الأعداء من صولته وابتهجت بعدله الشريعة على يدي طائفة من قومه وندبته الطنفة الغراب

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر (٣)

السلطان الذي احتال على أخيه، المنونّب على ملكه، يكنى أبا الوليد.

⁽١) هو أبو لؤلؤة فيروز قاتل الخليفة عمر بن الخطاب.

⁽٢) هو اسم كتاب ابن الخطيب: "رقم الحلل في نظم الدول".

⁽٣) معظم هذه الترجمة ورد في اللمحة البدرية (ص ١٢٦ ـ ١٢٩).

حاله: كان صبيًا كما اجتمع وجهه، بادنًا(١) دمِثَ الخلق، ليّن الجانب، شديد البياض، كثيف الحاشية، متصلًا بالجفوة، لطول الخَجْبة، وبُغد التمرّن والحُنْكة، غُرًّا، فاقدًا لحُسُن الأدب، عريقةً ألفاظه في العُجمة. تصيُّر الأمر إلى أخيه السلطان خيرتهم ولُباب بيتهم، يوم قتل أبوهما؛ وله مِزيّة السّنّ والرّجاحة والسكني بمحل وفاة الأب؛ فأبقى عليه، وأسكنه بعض القصور لِصْقَه، ولم يضايق أمُّه فيما استأثرت به من بيت المال، إذ كان إقليدُه في يدها، وبيضاؤه وصفراؤه في حكمها، ورقه مُتَبَوّاه، واستدعى له ولأخيه المعلم الذي كان السبب في إفاتة إرماقهما، وإعدام حياتهما، الشيخ السُّفلة محمد البطروجي البائِس، فردّ ذلك السّرب، فاستمرت أيام احتجابه وانتظاره على قصره، إلى رمضان من عام ستّين وسبعمائة. وحرّك سماسرة الفتنة له ولأمّه جواز الطمع في المُلْك، ودندنوا لها حتى رقَصَت على إيقاعهم، وخَفْتُ إلى مواعدهم، وشمّروا إلى خلاص الأمر؛ وأحام الوثبة صِهرُه الرئيس أبو عبد الله، حِلف الشؤم زوج أخته، محمد بن إسماعيل، الشهير الكائنة، المذكور في موضعه من حرف الميم، فسيّرت إليه أمُّه المال، فبنّه في الدعرة والشرار، حتى تمّ غرضه، واقتحم القلعة من بعض أسوارها عند البالية، وقد هُدِمَ منها شيء في سبيل إصلاحه، ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من عام ستين وسبعمائة؛ والسلطان ليلتئذ غير حالً بهاء فملؤوها لُجبًا ولَغطَا وصراخًا وهَوْلًا وتُنْويرًا، في جُملة تناهز المائة؛ وانضاف إليهم أخوانُ رأيهم من حُرَّاسها وسكانها؛ فألبس الناس، وسُقِط في أيديهم. وأهدى الليل فتكتة هائلة، وأدَّاها شنيعة، فاقتصر كل على النظر لنفسه، وانقسموا فرقتين؛ قصدت إحداهما دار كبير الدولة، وقَيُّوم التُّفويض، وشيخ رجال الملك رضوان، المستبدُّ بإحالة كورتها، الشيخ الذُّهول، معزوز القدر، ورائب النِّكتة، ومُعود الإقالة، وجرَّار رَسَن الأطواد، وطول الإملا، الماشي على خذ الدنيا، المغضوض البصر عن النّظر، المستهين بكل سَبَّة وحيَّة تسعى، المعوَّل على نظره، وقوة سَعْده وإجابة دعوته، مع كونه نسيج وحده في عفافه وديانته، ورضى الناس به، وسقوط منافستهم من أجله، ومُأويهم على مولٌّ لفظه، وبساط معاملته، وصحة عقده. فعالجوا بابه طويلًا وتولُّجوا داره، وقتلوه بين أهله وولده.

وقصدت الأخرى دار الأمير المترجم به ومعها صهره، فأخرجوه، وأركبوه على فرس، راعِد الفرائض، ممتقع اللون، مختلط القول، تحفّ به داياته بين مُوَلُولةٍ،

⁽١) في اللمحة البدرية (ص ١٢٦): ابدينًاه.

وتافِلةٍ ومعودة، قد جعلوا به سيفًا مُضلتًا على سبيل اللواعب بالتصول والرواقص، في مدارج اللهو؛ واستُخرجت طبول الملك فقرعت، وقيدت الخيل من مرابطها فرُكِبَت، وقصدت الخزائن السلاحية ففُرقت، وتمّ الأمر، وحلّ من الريب على دار الإمارة القصد، وخرجت الكتب إلى البلاد والقواعد، فالتقت باليد أمهاتها لقطع مَن بها من أولي الأمانة، بتمام الأمر، وهلاك السلطان، فتمّ له الأمر، وبادر أخوه السلطان لحينه لظهر سابق كان مرتبطًا عند مَجر له من الجنة لصق القلعة، فاستأجر الليل، ووافق الحزم، فاستقر بوادي آش، وكان أملك بها، ونازلته المحلّات، وأخذ بمختفة الحصص، واستُنصرت لمنازلته الناس، وأعملت الحِيل؛ وتأذّن الله بثبوت بعدم، وانتقاله إلى مَلِك المغرب صبح عيد النحر من العام المذكور؛ إلى أن أعاد الله أمره وردّ عليه حقّه، وتولّى بعد اليأس جبره، حسبما يُذكّر في موضعه، إن

وخلا الجو لهذا الأمير المضعوف، واستولى على أريكة المُلك الأغمار وأُولو البطالة، وأولياء صهره الرئيس، خاطبها له أبتداءً ثم ناقلها إلى نفسه انتهاءً، وحاملها إلى غايته دَرَجًا، وإلى إعاقته سُلَّمًا؛ وهو ما هو من غشّ الحبيب، وسوء العقد، ودَخُل السريرة، واستيطان المكروه، فأغرى منه بالعهد نفسًا مطاوعةً للشهوة، متبرِّمة بالامتحان والخَلْوة، بريَّة من نور العلم وتهذيب الحكمة، ناشئة بين أخابيث القسوة، جانيةً أماني الشهوة والمخالفة، مضادّة للفلاح، حايدة عن سبيل النجاة، بمحل اغتراب عن النُصحاء، وانتباذ عن مقاعد الأحرار؛ فجرى طُلْق الجموح في التخلُّف، حتى كبا لِفيه ويديه، وأعان نُسمة السوء الرئيس على نفسه؛ وقد كان اصطنع الرجال، واستركب أولى البسالة، وأسالف الذعرة؛ واختص في سبيل خدمته والذبّ عنه، بالبؤساء والمساعير، يُشركهم في الأكلة، ويصافيهم النعمة. وأظلم ما بينهما، فحذِرَ كلُّ جانب أخيه، إلَّا أن المهين كا أضعف من أن يستأثر بخطة المعالجة، ويهتدي إلى سبيل الحزم. وفي عشيّ يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر شعبان، شارفه من مُكُمن غدره الرُّحب بجوار قصره، وارتبط به الخيل واستكثر من الحاشية، وأخفى المساعير، وداخل المَوروري المشؤوم على الدولة، فبادر رجاله سدَّ الأبواب، وانخرط في جملة أوباشه من باب السلطان، من الرُّجْل لنظر ممالته في العناء، وعونه على الهول الموروري، فأحاط به، وقد بادر الاعتصام بالمصنع ثاني الصرح المنسوب إلى هامان سموًا ونفالًا في السُكاك(١) وسعة ذرع. وبعدما رقي وصرخ بالناس،

⁽١) السَّكاك: الهواء الملاقي عنان السماء، والسماء. محيط المحيط (سكك).

يناشدهم الذّمام، فخف إليه منهم الكثير، وتراكموا بالطريق تحته، وتولّى استنزاله عن سويّه مملوك أبيه، العِلْج المخذول عبّاد، وقد تحصّل في قبضته الغادر، فَقَتل له في الغارب والذّروة، ووعده الحياة، فنزل عن أمان فُسحة الغَدْر الصّراح، والوفاء المُسْتباح. ولحين استهاله، أمر نقله إلى المُطْبَق، فقِيد مُختبلًا كثير الضراعة، إلى الأريّ (١) لصِق قصره، وتعاوَرَتُه السيوف، وألحِق به صغيره قيْس، استُخرج من بعض الخزائن، وقد جَهَدت أمّه في إخفائه؛ فمضى لسبيله، وطُرح رأسه على الزعاع المخزائن، وقد جَهَدت أمّه في إخفائه؛ فمضى لسبيله، وطُرح رأسه على الزعاع المُجيبين لندائه، فانفضوا لحينه، وبقي مطروحًا موارى بحِلُس (٢) دابّة من دواب الظهر، إلى يوم بعده، فوُورِي هو وأخوه بمقربة من مدفن أبيهما، فكان من أمرهما عبرة. وقد استوفى ذلك الكتاب المسمى بـ قنفاضة الجراب، من تأليفنا.

وزراء دولته: قُدُّم للوزارة عشية (٣) يوم ولايته، محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري، بطالع الشؤم، ونَعْبة النحس. عهد بالطبيب الإسرائيلي الحبري العظيم المهارة في الفن النجومي، إبراهيم بن زُرْزار، يتطاير بتلك الولاية بكُوْن النُّحس الأعظم في درجة طالعها، جِذُوًا انفرد بنَخْز أديمِه الجهَّالةُ، المعدودون في البَهْم والهَمَج، الذين لا يعبأ الله بهم؛ فكان الخبر وفوق الخبر، فلم يُرَ في الأندلس وزارةٌ أثقل وطأة، ولا أخبث عهدًا، ولا أعظم شَرَهَا، ولا أكثر حَجْرًا منها. ثم كانت عاقبتهما أنهما في النار خالدان فيها، وذلك جزاء الظالمين من رجل حَبَرْكي (٤)، كَمِد اللون، تنطِف سحنتهُ مرَّةً وسُمًّا، غائر العين، مطأطىء الرأس، طَرفٌ في الحقد والطمع وعي المنطق وجمود الكفّ، معدنٌ من معادن الجهل، مثلٌ في الخيانة؛ تناول الأمر مُزاحمًا فيه بالرئيس المتوثّب، وابن عمّ نفسه، الغادر، الضخم الجرارة، بالوَعَث المهين، وثور النقل، وثعبان الفواكه، وصاعقة الأخونة(٥)، ووكيل الدولة المنحط عن خلالهم بالأبوَّة والنشأة؛ فجرت أمورها أسوأ مجاريها، إلى أن كان ما أذِنَ الله به، من مداخلة الرئيس الغادر، على قتل أميره المسكين المَهين، مقلَّده أنْوَه الرِّتب، وتاركه وخطة الخيانة؛ ثم أخذه الأخذُة الرابية بيد مَن أمدُّهُ في الغيّ، وظاهره في الخزي؛ فجعله نكالًا لما بين يديه وما خلْفَه، وموعظةً للمتَّقين، حسبما يأتي في اسمه، بحول الله تعالى .

⁽١) الأرتي: محبس الدراب. لسان العرب (أري).

⁽٢) الحِلْس: كساء تُجلِّل به الدابّة تحت البردعة. لسان العرب (حلس).

⁽٣) في اللمحة البدرية (ص ١٢٧): اعشيًّا.

⁽٤) الحَبَرْكي: الغليظ الرقبة والضعيف الرُّجلين كأنه مقعد لضعفهما، لسان العرب (حبرك).

⁽٥) الأخونة: جمع خِوان رهو المائدة. لسان العرب (خون).

كاتبه: واستعمل في الكتابة صاحبنا الرجل الأخرق، الطُوال، الأهوج، البري من الخلال الحميدة، إلّا ما كان من وَسَط الخط وسوقي السجع، والدرك الأسفل من النظم، عبد الحق⁽¹⁾ بن محمد بن عطية المحاربي، الآتي ذكره^(۲). وهو الذي أفرده الله، جلّ جلاله؛ بالغاية البعيدة من مجال سوء العهد؛ وقلّة الوفاء. وتولّى القضاء أبو جعفر^(۳) أحمد بن أبي القاسم بن جُزّي أيامًا، ثم شَهْر به قوم من الفقهاء منافسيه، ورشقوه بما أوجب صرفه؛ وَقَدَّم للقضاء الشيخ المُسِنّ، الطويل السباحة في بحر الأحكام، المُفري الوَدَجَين والحلقوم بسِكين القضاء، المنبوز^(٤) بالموبقات فيه، تجاوز الله عنه، سَلْمون بن علي بن سلمون. وشيخ الغزاة على عهده، يحيى بن عُمر بن عبد الله بن عبد الحق، شيخ الغزاة لأخيه، أصبح يوم الكائنة في قياده، ونصح له فأمر له؛ وضاعف برّه.

الملوك على عهده

مولده: في يوم الاثنين الثامن والعشرين لربيع الأول من عام أربعين وسبعمائة. وفاته: حسبما تقرَّر آنفًا في يوم الأربعاء السابع والعشرين لشعبان من عام أحد وستين وسبعمائة.

أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفي الصحراوي(٥)

من أمراء المرابطين، صِهْرُ علي بن يوسف بن تاشُفين، زوج أُخته، وأبو ولده منها يحيئ، المشهور بالكرم.

أَوْلَيْتُهُ: معروفة تُستقرأ عند ذكر ملوكهم.

حالهم: كان مثلًا في الكرم، وآيةً في الجود، أنْسَى أجواد الإسلام والجاهلية إلى الغاية؛ في الحياء والشجاعة والتّبريز في ميدان الفضائل. استوزر الوزير الحكيم الشهير أبا بكر بن الصائغ، واختصّه؛ فتجمّلت دولته ونَبُه قدره. وأخباره معه شهيرة.

 ⁽١) في اللمحة البدرية (ص ١٢٧): «الفقيه أبو محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية المحاربي».

⁽٢) ستأتي ترجمته في الجزء الثالث من الإحاطة.

⁽٣) في اللمحة البدرية (ص ١٢٨): «الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزي».

⁽٤) المنبوز: المعروف، المشهور.

 ⁽٥) أخبار أبي بكر بن إبراهيم، المشور بابن تيفلويت، صاحب سرقسطة، في البيان المغرب (ج ٤ ص ٦١).
 ص ٦١) والمغرب (ج ١ ص ٦١) و(ج ٢ ص ١١٩)، والحلة السيراء (ج ٢ ص ٢٧٦).
 والمسوفي: نسبة إلى مسوفة وهي قبيلة بربرية من بطون صنهاجة.

ولايته: وُلِّي غَرِناطة سنة خمسمائة. ثم انتقل منها إلى سَرَقُسُطة عند خروج المستعين بن هود إلى روطة (١)، فأقام بها مراسم المُلْك، وانهمك في اللذَّات، وعكف على المُعاقرة، وكان يجعل التَّاج بين ندمائه، ويتزيَّا بزيِّ الملوك، إلى أن هلك بها تحت مضايقة طاغية الروم المستولي عليها بعد.

خروجه من الصحراء: قال المؤرّخ: كان أبو بكر هذا رئيسًا على بعض قبيلهِ في الصحراء، وكان ابن عمّه منفردًا بالتدبير؛ فاتفق يومًا أن دخل على ابن عمّه في خبائه، وزوج ابن عمّه تمتشط في موضع قريب من الخباء؛ فاشتغلت نفسُ أبي (٢) بكر بالمرأة لحُسنها وجمالها، فحين دخل قال لابن عمّه: فلانة تريد الوصول إليك؛ وإنما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه، فنطق باسم المرأة لشُغل باله بها، فقال له ابن عمّه بعد طول صَمّت وفكرة، وقد أنكر ذلك: عهدي بهذا الشخص لا يستأذن علينا. فرجع عقله، وثاب لبه، وعلم قدر ما من القبيح وقع فيه، فخرج من ذلك المجلس، وركب جَمَلَه، وهانَ عليه مفارقة وطنه من أجل العار، واستصحب نفرًا قلبلًا من أصحابه على حال استعجال، ورحل ليلًا ونهارًا، حتى وصل سِجِلْماسة (٣) أولي عمالات علي بن يوسف ابن عمّه؛ واتصل به قدومه، فأوجب حقّه، وعرف قدره، وعقد له على أخته، وولاه على سَرَقُسُطة دار ملك بني هُود بشرق الأندلس، بعد ولاية غرناطة.

نبذة من أخباره في الكرم: قالوا: لمّا حلّ بظاهر سِجلماسة، مجهول الوفادة، خافي الأمر، نزل بظلّ نخلة بظاهرها، لا يعرف أحدًا ولا يقصده، فجاء في ذلك الموضع رجل حداد فقراه (٤) بعَنْز كان عنده، وتعرّف له، وأبو بكر يستغرب أمره؛ فلمّا فرغوا من أكلهم، قال للحداد: ألا تصحبنا لموضع أملنا، وتكون أحد إخواننا، حتى تحمد لقاءنا؟ فأجابه؛ وصحبه الحداد، وخدمه، فلمّا قرُبوا من مَرَّاكُش، استأذن أبو بكر عليّ بن يوسف بن تاشفين، وأعلمه بنفسه، فأخرج له عليّ بن يوسف فرسًا من عِتاق خيله، وكسوة من ثيابه وألف دينار، فأمر أبو بكر بدفعها للحداد، فَبُهتَ

⁽۱) روطة، بالإسبانية Rucda؛ وهي معقل أو جضن أو ثغر كان قد لجأ إليه صاحب سرقسطة عماد الدولة عبد الملك بن أحمد بن المؤتمن بن المقتدر بن هود، عندما أخرجه أهل سرقسطة من مدينتهم واستذَّعوا عامل علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٣ هـ. أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٧٥)، والمغرب (ج ٢ ص ٤٢٨).

⁽٢) في الأصل: «أبو» وهو خطأ نحوي.

⁽٣) سجلماسة: مدينة في جنوب المغرب في طرق بلاد السودان. آثار البلاد (ص ٤٢).

⁽٤) قراه: أضافه وأكرمه. لسان العرب (قرا).

الحداد؛ وانصرف الرسول مُوجَّها إلى مرسله فأخبره بما عاين من كرمه وفعله، فأعاده إليه في الحين بفرّس أخرى، وكِسّى كثيرة، وآلاف من المال، فلمّا دخل مَرَّاكُش، ولقي عليّ بن يوسف وأنزله، أنزل الحداد مع نفسه في بيت واحد، وشاركه في الأموال التي توجّه بها، فانصرف يجرّ وراءه دنيا عريضة.

ولمّا مَلَكَ سَرَقُسطة (۱)، اختصّ الوزير الحكيم أبا بكر بن الصائغ، ولَطُفَ منه محلّه. ذكر أنه غاب يومًا عنه وعن حضور مجلسه بسرقسطة، ثم بَكر من الغد، فلمّا دخل قال له: أين غِبْتَ يا حكيم عنّا؟ فقال: يا مولاي، أصابتني سوداء واغتممْتُ، فأشار إلى الفتى الذي كان يقف على رأسه، وخاطبه بلسان عجمي (۱)، فأحضره طبقًا مملوءًا مثاقيل مُحشّمة، وعليها نوادير ياسمين، فدفعه كلّه إليه، فقال ابن باجة: يا مولاي، لم يعرف جالينوس من هذا الطّب، فضحك.

وذكر أنه أنشد شعرًا في مدحه، وقد قعد للشراب، فاستفرّه الطرب، وحلف أن لا يمشي إلّا من فوق المال إلى منزله في طريقه، فالتمس الحُدَام بُرنُسه بأن كانوا يطرحون من المال شيئًا له خطر، على أوعيته حتى يغمرها، فيمشي خَطْوًا إلى أن وصل إلى منزله؛ وحسد الحكيم أصحابه، ولم يقدروا على مطالبته. واتفق أن سار الأمير أبو بكر، وأمر أصحابه بالتأهب والاستعداد، فاستعدّ ابن باجة، واتخذ الأقبية والأخبية، واستفرّه الجياد من بغال الحمولة، فكانت له منها سبعة صُفر الألوان، حمل عليها الثياب والفُرش والمال؛ فلمّا نزل الأمير بمقرّه، مرّت عليه البغال المذكورة في أجمل الهيئات، فقال لجلسائه: لمّن هذه البغال؟ ومن يكون من رجالنا هذا فأصابوا العزة؟ فقالوا: هي للحكيم ابن الصائغ، صاحب سرقسطة، وليعلم مولانا أنّ في وسط كل حمل منها ألف دينار ذهبًا سوى المتاع والعدّة؛ فاستحسن ذلك. وقال: أهذا حينار ليُكُمل له ذلك اثني عشر ألفًا، فقد سمعته غير ما مرة يتمنّى أن يكون له ذلك؛ ثم بعث عنه في الحين وقال له: يا حكيم، ما هذا الاستعداد، فقال له: يا مولاي، كل ذلك من هباتكم وأغطِياتِكم، ولما عَلِمْتُ أن إظهار ذلك يسرّكم، فسُرٌ بذلك. كل ذلك من هباتكم وأغطِياتِكم، ولما عَلِمْتُ أن إظهار ذلك يسرّكم، فسُرٌ بذلك. وأخباره رحمه الله كثيرة.

محنته: قالوا: ولمّا وُلْيَ غرناطة سنة خمسمائة، ثار بها، وانبرى على قومه لأمر رابه، فانتبذ عنه قومه، وناصبوه الحرب، حتى استنزلوه عَنْوة، وقبضوا عليه،

⁽١) ملكها سنة ٥١٠ هـ، كما جاء في البيان المغرب (ج ٤ ص ٦١).

⁽٢) في الأصل: اعجمية ١.

ووجُّهُوه إلى على بن يوسف، فآثر الإبقاء عليه، وعفا عنه، واستعمله بسرقسطة؛ كذا ذكره الملاحي، وأشار إليه. وعندي أن الأمر ليس كذلك، وأنّ الذي جرى له ذلك، أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشُفين، فيُتَحَقِّق.

وفاته: توفي بسرقسطة في سنة عشر وخمسمائة بعد أن ضاق ذَرْعُه بطاغية الروم، الذي أناخ عليه بكلكله. وعندما تُعرّف خبر وفاته، واتصلت بالأمير أبي إسحلق إبراهيم بن تاشفين، وهو يومئذ والي مُرْسِية، بادر إلى سرقسطة، فَضَبَطها، ونظر في سائر أمورها، ثم صدر إلى مرسية.

رثاؤه: ورثاه الحكيم أبو بكر بن الصائغ(١) بمَراثِ اشتهر عنه منها قوله(٢): [الطويل]

سلامٌ وإلىمامٌ ووسيمئ مُؤنَّةٍ (٢) أحقُّ أبو بكر تَقَضَّى فلا ترى (٥) لئن أنِسَتْ تلك اللحودُ بلَخده (٦)

> ومن ذلك قوله ^(۸): [الخفيف] أيها المَلكُ قَدْ (٩) لعَمْري نَعى المَجْ

على الجَدَث النائي(٤) الذي لا أزورُهُ تَـرُدُ جـماهـيـرُ الـوفـودِ سُـتُـورُهُ لقد أُوْجِشَتْ أَقطارُهُ (٧) وقُصُورُهُ

لدُ نواعيكَ (١٠) يوم قُمْنا فَنُحنا

⁽١) هو محمد بن يحيئ بن باجَّة، فيلسوف الأندلس وإمامها في الألحان، استوزره أبو بكر بن إبراهيم، المعروف بابن تيفّلُويت صاحب سرقسطة. توفي سنة ٥٣٣ هـ. وترجمته في قلائد العقيان (ص ٢٩٨)، والمغرب (ج ٢ ص ١١٩) واسمه فيه: محمد بن الحسين بن باجه، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٥١٥)، ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٢٢)، وخريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٢٨٣)، والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ٤٢٠)، ومطمح الأنفس (ص ٣٩٧)، ومعجم الأدباء (ج ٤ ص ٥٤٧ في ترجمة ابن خاقان). وسترد ترجمته في الجزء الرابع من الإحاطة في ترجمة ابن خاقان.

⁽٢) الأبيات في المغرب (ج ٢ ص ١١٩)، وقلائد العقيان (ص ٣٠٣).

⁽٣) في المغرب: ١٠٠٠ وإلمامٌ ورَوْحٌ ورحمةٌ على الجسد النائي.....

⁽٤) في الأصل: «الثاني» والتصويب من المصدرين.

⁽٥) في المصدرين: «أحقًّا أبا بكر تقضّى فما يُرى. . . ٢٠.

⁽٦) في القلائد: االقبور بلحده، وفي المغرب: ١٠.٠ تلك القبور بقبره.

⁽٧) في الأصل: «أقصار» والتصويب من القلائد. وفي المغرب: «أمصار».

⁽٨) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٣٠٠ ـ ٣٠١).

⁽٩) في الأصل: «المُفَدِّيِّ وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من القلائد.

⁽١٠) في الأصل: «ناعيك» والتصويب من القلائد.

كسا تقارغت والخطوب إلى أن غير أن غير أن غير أن غير أني إذا ذَكرتُك والدّهد وسألنا منى اللقاء فقيل (٢) ال

غادرتُكَ الخطوبُ في التُّزب رَهْنَا(۱) مر أخمالُ السِيقينَ في ذاك ظَنَا مخشرُ قُلْنا صَبْرًا إليه وحُزنا

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين (٣)

أُوَّليَّته: جَدُّه عبد المؤمن، جِذُع الشجرة، ويُنبوع الجداول؛ هو ابن علي بن علوي بن يَعْلَى بن موار بن نصر بن علي بن عامر بن موسى بن عَون الله بن يحيئ بن ورجايغ بن سطفور بن نفور بن مطماط بن هزرج بن قيس بن عَيلان بن مُضر بن نِزار بن معدّ بن عدنان. وكان طالبًا بربريًّا ضعيفًا، خرج مع عمّه يؤمّ للشرق، وكان رأى رؤيا هالَتْه تدلّ على مُلْك، إذ كانت صفحتُه من طعام على رُكبتيه، يأكل منها الناس، وكانت أمه رأت وهي حاملٌ، كأنّ نارًا خرجت منها أحرقت المشرق والمغرب؛ فكانت في نفسه حركة، لأجل هذه الرؤيا؛ فلمّا حلّ بِسِجِلْماسة، سمع بها عن المهدي، وكان رجلًا يُعرَف بأبي عبد الله السُّوسي، ورُصِفَ له بالعلم، فتَشَوّف إلى لقائه، ليرى ما عنده في تأويل رؤياه؛ فانصرف إليه مع بعض الطلبة، فلَقِيَ رجلًا قد وسمه، على ما يزعم الناس، حِدْثان من أبي حامد الغزالي، وعَلقت به دعوة منه، في إذهابٍ مُلْكِ أهل اللّثام(؛)، لحرق كتابه على أيديهم، فهو مُغرَى بالخروج عليهم، مهيأ في عالم الغيب إلى تخريب دعوتهم؛ فوافَقَ شُنَّ طَبَقة (٥)، وما اجتمع الدّاآن إلَّا ليقتنلا، والله غالب على أمره، فأجلسه، وسأله عن اسمه، وبلده، وسنّه، ونسبه، بالتعريف؛ وأمره أن يُخفي من أمره، وعبّر له رؤياه، بأنه يملك الأرض؛ فاهتزَّت الآمال وتعاضدت؛ ونفذت مشيئةً الله؛ بأن دالت الدولة، وهلك محمد بن تومرت المهدي؛ فأفضى الأمر إلى عبد المؤمن، واستولى على مُلُك اللَّمْتُونيين، فأباد خُضْراءهم، واستأصل شأفتهم، واستولى على

 ⁽١) في الأصل: ﴿وهنا ﴿ والتصويب من القلائد.

⁽٢) في القلائد: انقالواه.

 ⁽٣) يكنّى المأمون إدريس بن يعقوب الموحدي بأبي العلاء، وترجمته في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٧٤)، والحلل الموشية (ص ١٢٣)، ورايات المبرزين (ص ٥٩)، والاستقصارج ٢ ص ٢٣٦).

⁽٤) أهل الكثام: هم المرابطون.

 ⁽٥) هو مثل؛ شنّ : رجل من دُهاة العرب وعقلائهم، وطبقة: بنت هذا الرجل، يُضرَب للمتوافقين.
 مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٣٥٩).

مُلْك المغرب، فأقام به رسمًا عظيمًا، وأمرًا جسيمًا، وأورثه بنيه من بعده، والله يُؤتي مُلْكه مَن يشاء.

حاله: كان، رحمه الله، شهمًا شجاعًا، جريتًا، بعيد الهمّة، نافِذ العزيمة، قويً الشكيمة، لبيبًا، كاتبًا أديبًا، فصيحًا، بليغًا، أبيًا، جوادًا، حازمًا. وذكره ابن عسكر المالَقي في تاريخ بلده؛ قال: دخل مالقة من قِبَل أخيه، فوصل إليها في الحادي عشر من مُحرم، وهو شاب حَدَث، فكان منه من نباهة القَدْر وجلالة النفس، وأبّهة المُلك ما يعجز عنه كثير من الملوك. ولحين وصوله عقد مجلس مذاكرة، استظهر له نبهاء الطلبة، وكان الشيخ علي بن عبد المجيد يحضره. وكان يبدو منه، مع حداثة سنة، من الذكاء والنبل والتفطن، ما كان يُبهت الحاضرين، وكانوا ينظرون منه إلى بَدْرِي المحسن، وأسّدِيّ الهيبة، وكهليّ الوقار والتؤدة؛ واشتغل بما يشتغل به الملوك من المحسن، وأسّدِيّ الهيبة، وكهليّ الوقار والتؤدة؛ واشتغل بما يشتغل به الملوك من تفخيم البناء، كبنيان رياض السيّد الذي على ضفة الوادي(١) بمالقة المعروف باسمه، تفخيم البناء، كبنيان رياض السيّد الذي على ضفة الوادي(١) بمالقة المعروف باسمه، الأمر، عظيم الولاية، إلى أن نُقل منها إلى قرطبة، ثم نقل إلى إشبيلية وفيها بويع الخلاقة (٢).

تصير الأمر إليه، وجوازه إلى العُدوة:

قام على أخيه العادل بين يدي مقلعة، بممالأة أخيه السيد أبي زيد، أمير بَلنسية وتحريكه إياه، فتم له ذلك؛ وعُقدت له البيعة بمرّاكُش والأندلس. ثم إن الموحدين في مراكش بَدَا لهم في أمره، وعدلوا عنه إلى ابن عمّه أبي زكريا بن الناصر؛ واتصل به خبر خلعهم إياه فهاجت نفسه، وَوقَدت جَمْرتُه، واستعد لأخذ ثأره، ورحل من إشبيلية، واستصحب جمعًا من فرسان الروم، واستَجاز البحر سنة ست وعشرين وستمائة، قاصدًا مراكش؛ وبرز ابن عمّه إلى مدافعته، والتقى الجَمْعان فكانت الهزيمة على يحيئ بن الناصر، وفرّ إلى الجبال، واستولى القتل على جيشه، ودخل المأمون مراكش فأمر بتقليد شرفاتها بالرؤوس فعَمّتها على اتساع السّاحة؛ واستحضر النّاكثين لبيعته وبيعة أخيه، وهم كبار الدولة، واستَفْتى قاضيه (٢) بمرأى منهم، واستحضر لبيعته وبيعة أخيه، وهم كبار الدولة، واستَفْتى قاضيه (٢)

⁽۱) قال في الحلل الموشية (ص ۱۲٤) إن المأمون بنى قصر السيد بمالقة حين كان واليًا عليها سنة ٦٢٣ هـ. والمراد بالوادي: وادي المدينة Guadalmedina، وهو نهر يخترق الحاضرة مالقة.

 ⁽۲) في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ۲۷٤): ابويع بإشبيلية يوم الخميس ثاني شهر شوّال من سنة أربع وعشرين وستمائة».

 ⁽٣) في البيان المغرب ـ قسم المرحدين (ص ٢٨٥)، والحلل الموشية (ص ١٢٤): القاضي المكيدي.

خطوطهم وبيعاتهم، فأفتى بقتلهم، فقتل جماعتهم، وهم نحو مائة رجل^(۱)، واتصل البحث عمّن أفلَت منهم، وصرف عزمه إلى محو آثار دولة الموحّدين، وتغيير رسمها، فأزال اسم مَهْديها عن الخطبة والسَّكَّة والمآذن، وقطع النداء عند الصلاة «تاصليت الإسلام» وكذلك «منسوب رب» «وبادرى» (۲)، وغير ذلك، مما جرى عليه عمل الموحّدين؛ وأصدر في ذلك رسالة حسنة، من إنشائه، يأتي ذكرها في موضعه. وعند انصرافه من الأندلس، خلا للأمير أبي عبد الله بن هُوذ الجوّ، بعد وقائع خلت بينهما، وانتهز النصارى الفرصة؛ فعظمت الفتنة، وجلّت المحنة.

دخوله غرناطة: لم يصع عندي أنه دخل غرناطة، مع غَلَبة الظن القريب من العلم بذلك، إلّا طريقه إلى مدافعته المتوكل بن هُود بجهة مرسية؛ فإنه تحرك لمعالجة أمره في جيش إشبيلية باستدعاء أخيه السيد أبي زيد، والي بَلنسية، بعد هزائم جرت بصقع الشرق لابن هود؛ فتحرك المأمون إليه، واحتل غرناطة، في رمضان من عام خمسة وعشرين وستمائة، وأنفذ منها كتابه إلى أخيه، يقوي بصيرته، ويعلمه بنفوذه إليه؛ والتف عليه جيش غرناطة وما والاها، واتصل سيره إلى الشرق، فبرز ابن هود إلى لقائه، فكان اللقاء بخارج لُورقة، فانهزم ابن هود، وفر إلى مرسية، وعساكر الموحدين في عَقِبه؛ واستقصاء مثل هذا يخرج عن الغرض.

وخاطب لأول أمره، وأخذ الناس ببيعته من بأقطار الأندلس، صادعًا بالأمر المعروف، والنّهي عن المنكر، والحضّ على الصلوات وإيتاء الزكاة، وإيتاء الصدقات، والنهي عن شرب الخمر والمُسكِرات والتحريض على الرعاية، فمن كتابه: الصدد لله الذي جعل الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر أصلين يتفرّع منهما مصالحُ الدنيا والدين، وأمر بالعدل والإحسان، إرشادًا إلى الحق المُبين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد النبي الكريم، المبعوث بالشريعة التي طهرت الجيوب من الأدران، واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان، طورًا بالشدة، وتارة باللّين؛ القائل، ولا عدول عن قوله: "ومن اتقى الشبُهات استبرأ لدينه وعرضه» تنبيها على ترك الشكّ عدول عن قوله: "ومن الله أعلام الإسلام، الملقين راية الإسلام باليمين، الذين مكّنهم الله في الأرض، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونّهُوا عن المنكر، وفاة بالواجب لذلك التمكين.

 ⁽١) في البيان المغرب (ص ٢٨٥): مائة شخص من أعيانهم. أما الذين قتلوا، يقول ابن عذاري،
 أمم لا تُحصى. وقدر صاحب الحلل الموشية (ص ١٢٤) عددهم بأربعة عشر ألف فارس وأكثر.

⁽٢) يبدو أن هذه الكلمات بربرية.

ومن فصل: "وإذا كنّا نوفي الأمة تمهيد دنياها، ونُعنى بحماية أقصاها وأدناها، فالدين أهمُ وأولَى، والتهمُّم بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها، أحقُّ أن يُقَدَّمَ وأخرى، وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع ونَدَع، ونتبع السُّنن المشروعة ونَذَر البدَع. ولنا أن لا ندّخر عنها نصيحة، ولا نغبنها أداة من الأدوات مريحة، ولنا عليها أن تطيع وتسمع.

ومن فصل: "وأول ما يتناول به الأمر النافذ، الصلاة لأوقاتها، والأداء لها على أكمل صفاتها، وشهودها إظهارًا لشرائع الإيمان في جماعتها، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "أحبُ الأعمال إلي الصلاة لأوقاتها». وقال: "أول ما يُنظر فيه من أعمال العيد الصلاة، فمن حَفِظها وحافظ عليها العيد الصلاة، وقال عُمر: إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حَفِظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وقال: "لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وهي الركن الأعظم من أركان الإيمان، والسور الأوثق لأعمال الإنسان، والمواظبة على حضورها في المساجد، وإيثارُ ما لصلاة الجماعة من اليزية على صلاة الواحد، أمر لا يضيعه المفلحون، ولا يحافظ عليها إلّا المؤمنون. قال ابن مسعود، رضي الله عنه: لقد رأينا، وما يتخلف عنها إلّا المنافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرّجُلين، حتى يقام في الصّف. وشهود الصبح، وعشاء الرّجرة شاهد بمحضر الإيمان. ولقد جاء: حضور الصبح في جماعة يَعْدِل قيام ليلة، وحسبكم بهذا الرّجحان. ومن الواجب أن يُعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين، ويأخذ بها في جميع الأمصار الصغير والكبير من المسلمين، ويبط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام: "مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبّع واضربوهم عليها لعَشر سين». وهي طويلة في معاني متعددة.

نشره ونظمه: ولمّا غير رسوم المُوحِّدين وأوقع بأرباب دولتهم خبرُ النكث ببيعته وبيعتي أخيه وعمّه، كتب إلى الأقطار عن نفسه، ولم يُكمل إنشاءه بكتابة رسالة بديعة اشتملت على فصول كثيرة تُنظر في كتاب «المغرب» و«البيان المُغرب» وغير ذلك. وكتابًا بخطّه إلى أهل أندُوجَر^(۱): «إلى الجماعة والكافّة من أهل فلانة، وقاهم الله عثرات الألسنة، وأرشدهم إلى مَحُو السيئة بالحسنة؛ أما بعد فإنّه قد وصل من قِبلكم كتابكم الذي (۲) جدّد لكم أسهم الانتقاد، ورماكم من السُهاد (۳)، بالداهية النّاد (٤)؛

⁽١) الرسالة في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

⁽٢) في البيان المغرب: اكتاب جدداً. (٣) في المصدر نفسه: امن العنادا.

⁽٤) في الأصل: «الساده، والتصويب من البيان المغرب.

أتعتذرون من المحال بضعف الحال، وقلَّة (١) الرجال؟ إذًا نُلحقكم بربَّات الحِجال. كأنًا لا نعرف مناحي أقوالكم، وسوء(٢) مُنْقَلبكم وأحوالكم؛ لا جَرَم أنكم سمعتم بالعدرُ قصمه الله، وقَصْده إلى (٣) ذلك الموضع عصمه الله؛ فطاشت قلوبكم خَورًا، وعاد صفوُكم كدرًا، وشُمَمْتُم ريح الموت وِرْدًا وصدرًا؛ وظننتم أنكم أحيط بكم من كل جانب (ئ)، وأن الفضاء قد غُصُّ بالتفاف القنا واصطفاف المناكب (٥)، ورأيتم غير شيء فتخيّلتموه (٢٦) طلائع الكتائب. تَبًّا لهِمُتكم (٧٦) المنحطّة، وشيمتكم (٨) الرّاضية بأذون خطّة؛ أحين (٩) ندبتم إلى حماية إخوانكم، والذبّ (١٠) عن كلمة إيمانكم، نسقتم الأقوال وهي مكذوبة، ولفَّقتم الأعذار وهي بالباطل مَشوبة؛ لقد آن لكم أن تتبدلوا جِلُّ الخُرْصان(١١٠)، إلى مغازل النِّسوان؛ وما لكم ولصَهَوات الخيول، وإنما على الغانيات جرُّ الذيول. أتُظْهِرون العناد(١٢) تخريصًا، بل تصريحًا وتلويحًا، ونظنُ أن لا يجمع لكم شَتًّا، ولا يُدني منكم نزوحًا. أين المفرُّ وأمر الله يدرككم، وطلبنا الحثيث لا يترككم؟ فأزيلوا(١٣) هذه النزعة النّفاقيَّة من(١٤) خواطركم قبل أن نمحو بالسيف أقوالكم وأفعالكم، ونستبدل قومًا غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم، ونحن نقسم بالله لو اعتسفتم كل بيداء سملق، واعتصمتم بأمنع معقل، وأحفل فيلق، ما ونينا عنكم زمانًا، ولا ثنينا عن استنصال العزم منكم (١٥) عنانًا فلا يغرُّنكم الإمهال، أيُّها الجهّال». وهي طويلة. وقال عند الإيقاع بالأشياخ أولي الفساد على الدول، وصلبهم في الأشجار والأسوار، مما كَلِف السُّلمي بحفظها واستظرافها (١٦٠): [الكامل]

أهلُ الحرابة والفساد من الورى يعزون في التشبيه بالذِّكَار(١٧)

⁽١) في البيان المغرب: ﴿وبقلة الرجال، فألحقكم...٠.

⁽٢) في البيان المغرب: ﴿ولا نعلم بتقلّبكم في أحوالكم›.

 ⁽٣) كلمة الله ساقطة في البيان المغرب.
 (٤) في البيان المغرب: الجرانب.

 ⁽٥) في المصدر نفسه: «المقانب».
 (٦) في المصدر نفسه: «فحسبتموه».

 ⁽٧) في المصدر نفسه: «لهممكم».
 (٨) في المصدر نفسه: «وشيمكم».

⁽٩) في المصدر نفسه: ١-ين١.

⁽١٠) في المصدر نفسه: «والذبّ بالكلمة عن مقتضى إيمانكم».

⁽١١) في المصدر نفسه: ﴿أَنْ تَمَدُوا ذَيْلُ الْحَرَمَانِ ﴾.

⁽١٢) في المصدر نفسه: «العناد تصريحاً وتلويحاً، وتظنون أنكم إذا تفرّقتم لا نجمع لكم شتاتًا، ولا ندني...».

⁽١٣) في الأصل: الفأميطوا، (١٤) في الأصل: اعن،

⁽١٥) في الأصل: «عنكم».

⁽١٦) الأبيات في الحلل الموشية (ص ١٢٥)، والبيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٨٥).

⁽١٧) في المصدرين: ﴿للذكارِ﴾.

ففساده فيه الصلاح لغيره ذُكُارهم ذكري إذا ما أبصروا لوعم عفو(٢) الله سائر(٣) خُلْقه

بالْقَطْع والتَّعليق في الأشجار فوق المُخذوع وفي (١) ذُرى الأسوار ما كان أكثرهُم مِنَ أهل النار

توقيعه: قال ابن عسكر: وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة، فمنها أن امرأة رفعت رقعتها بأحد من الأجناد ممن نزل دارها، وصدر لها أمر يُنكر؛ فوقع على رقعتها: فيُخرَج هذا النازل، ولا يُعوَّض بشيء من المنازل، وغير ذلك مما اختصرناه.

بنوه: أبو محمد عبد الواحد ولي عهده، وأمير المؤمنين بعد وفاته، الملقّب بالرشيد؛ وعبد العزيز، ومان؛ وأبو الحسن علي، الملقّب بالسعيد، الوالي بعد أخيه الرشيد.

بناته: ابنة العزيز، وصفية، ونجمة، وعائشة، وفتحونة؛ وأُمّهات الجميع روميّات، وسُرِيّات مغربيات.

وزراؤه: وزَرَ له الشيخ أبو زكريا بن أبي الغُمْر وغيره.

كُتَّابِه: كتب له جملة من مشاهير الكتّاب، منهم أبو زكريا الفازازي، وأبو المطرّف بن عَياش، وأبو العباس بن عُميرة، وأبو الحسن الرُّعَيني، وأبو عبد الله بن عيَّاش، وأبو العباس بن عُمران، وغيرهم. وما منهم إلّا شهير كبير.

وفاته: توفي، رحمه الله، بوادي أم الربيع، وقد طوى المراحل من ظاهر سَبْتَة، مُقلمًا عن حصارها، مبادرًا إلى مَرَّاكُش، وقد اتصل به دخول يحيى بن الناصر إياها، فأعدُّ السير وقد اشتد حَنقه على أهلها، وأقسم أن يُبيح حماها للرّوم، ويُذهب اسمها ومُسَمَّاها، فهلك عند دنوّه منها فجأة، فكانت عند أهل مراكش من غرر الفرج بعد الشدة؛ وكتمت زوجُه حُبابة الرومية، أم الرشيد ولده، خبر وفاته إلا عن الأفراد من قوّاد النصارى وبعض الأشياخ، واتفق القول على مبايعة ابنها المذكور، بيعة خاصة ثاني يوم وفاته؛ ثم جعل في هودج وأشيع أنه مريض، وزحفت الجيوش على تَعْبئته؛ وبرز يحيى بن الناصر من مراكش إلى لقاته، والتقى الجمعان فانهزم يحيى، واستولى الرشيد عليه، ودخل مراكش فاستقام الأمر؛ وكانت

⁽١) في الحلل الموشية: ﴿في وهكذا ينكسر الوزن.

⁽٢) في الحلل الموشية: ٤حكم، وفي البيان المغرب: ٤حلم،

⁽٣) في البيان المغرب: «كافة».

وفاة المأمون أبي العَلا، رحمه الله، ليلة الخامس عشر لمحرم عام ثلاثين وستمائة (١).

وجرى ذكر المأمون والمهدي وأوّليّتهم في الرجز المتضمّن ذكر المسلمة (٢) من نَظْمي بما نصّه بعد ذكر الدولة اللمتونية: [الرجز]

ونَجَمَ المهديُ وَهٰوَ الدَّاهية وانجمعا وانحَكَم الأمْرُ له وانجمعا لم يألُ فيها أن دعا لنفسه أغرَب في ناموسه ومذهبه وعنده سياسةً وعلم ووافقت أيامُه في الناسِ ووافقت أيامُه المُنيفَة في النامُه المُناه في الم

فأصبحت تلك المباني واهية في خبر نذكر منه لمعنا وكان في الحزم فريد جِنْسه وفي الذي سَطُره من نسبه وجيراة وكيلام وحيلم وحيلم للولة المشترشد العبّاسي وكان عبد المؤمن الخليفة ولاح مثل الشمس في وقت الضّحى ومُلك أصحاب اللثام قد محا

ولما انتهى القول إلى المأمون المترجم به، بعد ذكر مَن يليه وعبد المؤمن جدّه، قلت: [الرجز]

> ثم تولى أمرهم أبو العلا وهو الذي أركب جيش الروم

فسلط البيض على بيض الطلا وجلد في إزالية السرسوم

أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي سعد السامدي سعد السامدي ابن بكر بن عفان الإلبيري

هذا هو جدُّ سعيد بن جُودي بن سَوادة بن جُودي بن أَسْباط، أمير المغرب. وقدرهم بهذه المدينة شهير.

⁽١) في البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٧٤): قتوفي يوم السبت منسلخ ذي الحجة من سنة تسع وعشرين وستمائة، فكانت دولته خمسة أعوام وثلاثة أشهر. وهكذا جاء في الحلل الموشية (ص ١٢٣)، ١٢٥).

⁽٢) هو كتاب (رقم الحلل في نظم الدول) وهو عبارة عن تاريخ منظوم للدول الإسلامية؛ الخلفاء الأوائل، وبني العباس، وبني الأغلب، وبني أمية بالأندلس، والطوائف والمرابطين والموحدين وبني نصر وبني مرين. وقد شرح ابن الخطيب نفسه هذه القصائد نثرًا بقلمه.

حاله: وكان من أهل العلم والفقه، والدين المتين، والورع الشديد، والصلاح الشهير.

نباهته: ولاه الأمير عبد الرحمان قضاء إلبيرة حين بلغه زهده وورعه، وأنه لم يَشْرِكُ إخوته في شيء من ميراث أبيه، إذ كان لم يَحْضُر الفَتْح، فبرىء به إليهم، وابتاع مَوْئلًا بوطنه أنيط به ماء، وانفرد به للعبادة والتبتّل، فاستَقْدَمه هشام، فركب حماره وقدِم عليه في هيئة رئّة بذِلّة، فتوسّم فيه الخير، وقدّمه ووسّع له في الرّزق، ووهب له ضياعًا كثيرة تُعرَف اليوم باسمه. وتُوفي هشام وهو قاض بإلبيرة، فأقرته ابنه الحكم ثم ولاه شُرطته، إلى أن توفي أسباط. قلت: انظر حال الشرطة عند الخلفاء مَنْ كان يُختار لها لولايتها.

أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد ابن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان

مولى عثمان بن عفّان، رضي الله عنه؛ يُكني أبا الجَعْد.

أولئته: من أهل شرق الأندلس، أصلهم من لَوْشة فَتِيَّة غَرْناطة (١)، وموضعهم بها معروف، وإلى جَدْهم يُنْسب جبل أبي خالد المُطلّ عليها، وكان لهم ظهور هنالك، وفيهم أعلام وفضلاء.

حاله: كان أسلَم من خيار أهل إلبيرة، شريف البيت، كريم الأبُوة، من كبار أهل العلم، وكانت فيه دُعابة، لم يُنسب إليه قطّ بسببها خِزْية في دين ولا زُلّة. قال أبو الفضل عِياض (٢): كان أسلم من خيار أهل إلبيرة، رفيع الدرجة في العلم، وعلو الهِمّة في الإدراك، والرواية والدِّيانة، والصّحبة، وبُعْد الرَّحلة في طلب العلم، معروف النَّصيحة والإخلاص للأمراء.

مشيخته: لَقِيَ بمصر، المدني، ومحمد بن عبد الحُكَم، ويونس، والربيع بن سليمان المؤذن، وأحمد بن عبد الرحيم البُرُقي، وسمع من علي بن عبد العزيز، وسليمان بن عمران بالقيْرُوان.

 ⁽١) لوشة: بالإسبانية Loja، وهي مدينة ضخمة، أسماها ابن الخطيب فتية غرناطة أو بنت غرناطة،
 اعتزازًا بها كونه منها. راجع: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٣).

 ⁽۲) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المتونى سنة
 ۵٤٤ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

مَن روى عنه: سمع منه عثمان بن عبد الرحمان، وعبد الله بن يونس، ومحمد بن قاسم، وغير واحد، وانصرف إلى الأندلس من رحلته، فنال الوجاهة العظيمة.

ولايته: ولآه قضاء الجماعة بغرناطة، الناصرُ لدين الله، أول ولايته، وسط سنة ثلاثمائة، إلى أن استعفى سنة تسع وثلاثمائة فأعفاه، ثم أعاده. وكان في قضائه صارمًا لا هوادة عنده. قال المؤرِّخ: كان الناصر يستخلفُه في سطح القصر إذا خرج إلى مغازيه. وحكى ابن حارث أن ابن معاذ وابن صالح أتيا يومًا، فلمًا أخذا مجلسهما نظر إليهما وقال: القوا ما أنتم مُلقُون فأنهتهُما. ودخل عليه محمد بن وليد يومًا، فكلّمه في شيء، فقال أسلم: سمعنا وعَصينا. فقال ابن وليد: ونحن قلنا واحتَسبنا. وأتاه في بعض مجالسه شهود، بعضهم من أهل المدينة بقرطبة، وبعضهم من شلار من الرَّبض الشرقي، يشهدون في تَرْشيد امرأة من الربض الغربي، فلما أخذوا مجالسهم، فتح باب الخوخة التي في المجلس الذي يجلس بدهليزه، ونادى مَن بخارجه فاجتمعوا؛ اسمعوا، عجبًا لله دَرُ الشاعر حيث يقول: [الكامل]

راحت مُشَرِّقة ورُختُ مغرّبا شتّان بين مُشرّق ومغرّب

هؤلاء من أهل المدينة وشُلار، يشهدون في ترشيد امرأة من ساكنات آخر بلاط مُغيث، ثم سكت فدهِش القوم وتسلّلوا، وبلغه عن بعض الشهود المتهمين أنه أرشي في شهادته بِساط، فلما أتى ليؤدّيها، ودخل على أسلم، جعل يخلع نعليه عند المشي على بساط القاضي، فناداه: أبا فلان، البِساط، الله الله؛ فتنبّه بأن أمرَه عند القاضي، ولم يجسر على أداء شهادته تلك. وخاصم فقية عند أسلم رجلًا في خادم أغربها، وجاء بشاهد أتى به من إشبيلية، فقال: يا قاضي، هذا شاهدي فاسمغ منه، فصغد أسلم في الشاهد وصوّب، وقال: أمحتسب (۱) أو مكتسب أصلحك الله؟ فقال الشاهد: أخسِن الظنّ أيها القاضي، فليس هذا إليك، هذا إلى الله المُطّلع على ما في الشاهد: أخسِن الظنّ أيها القاضي، فليس هذا وشبهه، وإنما عليك الظاهر، وتَكِلُ الباطن إلى الله، فإن شئت، فاسمع الشهادة كما يلزمني أداؤها، ثم اقبلها أو اضرِب الباطن إلى الله، فإن شئت، فاسمع الشهادة كما يلزمني أداؤها، ثم اقبلها أو اضرِب بها الحائط. وفي رواية أخرى، وليس لك أن تكشف السّتر المُنسَدل بينك وبيني، فإن هذا التفسير للشهود يوقِف عن الشهادة عندك، ويعرّضُ لإهانتك أهلَ لائقة، وفي ذلك من ضياع الحقوق ما لا يخفى، فأخبل أسلم كلامُه، وقال له: لك ما قلت، فأذ

⁽١) المحتسب هنا بمعنى المذخر أجره عند الله تعالى.

شهادتك، يرحمك الله. قال: فأين الخادم؟ تحضر حتى أشهد على عينها، قال أسّلَم وفقية أيضًا: هاتوا الخادم، فجاءت من عند الأمين، فلمّا مَثُلَت بين يديه، نظر منها مليًّا، ثم قال: أعرف هذه الخادم مِلكًا لهذا الرجل، لا أعرف مِلْكه، زال عنها بوجه من الوجوه، إلى حين شهادتي هذه، سلامٌ على القاضي، ثم خرج، فبقي أسلم متعجّبًا منه.

محنته: كفّ بصره في أُخريات أيامه، فطلب لأجل ذلك الإعفاء فأُعفي، ولزم بيته صابرًا مُحْتَسبًا إلى حين وفاته.

مولله: سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المري

من أهل قرية الصّير مورّته (١١)، من إقليم البساط من قرى غرناطة. حاله: كان عظيم القَدْر والشرف والشّهرة، أصيل المعرفة والدين.

مشیخته: خرج إلی المشرق، ولَقِيَ مالك بن أنَس، رضي الله عنه، روی عنه سُحنون بن سعید.

تَالَيْفُه: أَلَف كتاب المختلطة، وولّي القضاء بالقيْروان أجمل ما كانت وأكثر علمًا، وولّا، وولّا، زيادة الله(٢) غزو صقلية، ففتحها وأبلى بلاءً حسنًا.

وفاته: توفي، رحمه الله، محاصرًا سَرَقوسَة منها سنة ثلاث عشرة (٣) ومائتين. هذا ما وقع في كتاب أبي القاسم الملاحي. وذكره عياض فذكر خلافًا في اسمه وفي أوليته.

أبو بكر المخزومي الأعمى الموروري المُدوَّري (٤)

حاله: كان أعمى(٥)، شديد القِحَة والشِّرّ، معروفًا بالهجاء، مُسَلِّطًا على

⁽١) الصير مورته: بالإسبائية Sierra Murada.

 ⁽۲) هو أبو محمد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، صاحب إفريقية من سنة ۲۰۱ هـ إلى سنة
 ۲۲۳ هـ. البيان المغرب (ج ۱ ص ۹٦)، والكامل في التاريخ (ج ٦ ص ٣٢٨، ٤٩٣).

⁽٣) في الأصل: «عشر، وهو خَطَّأ نحوي.

 ⁽٤) ترجمة أبي بكر المخزومي في المغرب (ج ١ ص ٢٢٨)، ورايات المبرزين (ص ١٦٠)، ونفح الطيب (ج ١ ص ١٨٥).

⁽٥) هذا النص في نفع الطيب (ج ١ ص ١٨٥).

الأعراض، سريع الجواب، ذكيّ الذهن، فطنًا للمعاريض(١١)، سابقًا في ديوان(٢) الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره.

دخوله غرناطة: وذكر شيء من شعره، ومهاترته مع نزهون بنت القلاعي.

قال (٣) أبو الحسن بن سعيد، في كتابه المسمّى به «الطالع السعيد»: قَدِمَ على غرناطة أيامَ ولاية أبي بكر بن سعيد عمل غَزناطة، ونزل قريبًا منه، وكان يسمع به؛ فقال: صاعقة يرسلها الله، عزُّ وجلُّ، على مَن يشاء من عباده، ثم رأى أن يبدأه بالتأنيس والإحسان، فاستدعاه بهذه الأبيات: [المجتث]

> في حُسن نَظم ونَشر يا ثانيًا للمُعَرِّي وغَـوْص فَـهـم وفِـكـرِ وقرط ظرن ونسبل بسكسل شخسر وبسر (١) صِل ثه واصل حَفِيًّا كسمسا زُهسا عِسفْسدُ دُرُ ولسيسس إلا خديث وشادِنَ قد تُسغَسنسي (۵) عسلى ربساب وزنسس حَفَّهِ فُسُورُ مِسَنْ كَاسَ خَسَمُسِر ومسا يُسسامه فسيسه السه لِبِسَانُ شِسِرُكٍ وكُسفُسرُ (٢) وبَسِئِسنِسا عَسَفُسدُ حِسَلُفُ فَـقُـم نُـجَـدُذه عَـهَـدًا ﴿ بطيب شُكر وسُكر (٧) والسكساس مستسل رضاع ومَسن كسم شلك يَدري؟

ووجُّه (٨) له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدًا صغيرًا قاده، فلمَّا استقرَّ به المجلس، وأفعمتُه روائح النُّذُ^(٩) والعود والأزهار، وهَزَّتْ عِطْفَه الأوتار، قال: [البسيط] دارُ السَّعِيدِيِّ ذِي أم دارُ رِضُوانِ (١٠٠ ما تَشْتهي النَّفْسُ فيها حاضِر دانِ

⁽١) المعاريض: جمع مِعْراض وهو التورية، والمِعْراض من الكلام: فحواه. محيط المحيط (عرض).

⁽٢) في النفح: الميدانا.

⁽٣) النص والأبيات في النفح (ج ١ ص ١٨٥ ـ ١٨٦).

⁽٤) في النفح: ٥٠٠٠ بكلّ بِرُّ وشَكَرِ٣. (٥) في النفح: ﴿وشادن يتغنّى على.......

⁽٦) رواية البيت في النفح هي: وبسيسنسنا غسهد جسلف

لسياسر جنن كنفسر (٧) في النفح: (نَعَمْ فجدْدُه... رئيسُره.

⁽٨) النص والشعر في نفح الطيب (ج ١ ص ١٨٦ ـ ١٨٨) ببعض الاختلاف عمّا هنا.

⁽٩) النَّذَ: بفتح النون وتشديد الدال: الطَّيب. مختار الصحاح (ندد).

⁽١٠) رِضُوان، بكسر الراء وسكون الضاد: اسم برّاب الجنة وخازنها، والمراد هنا الجنّة. محيطي

مَعَتْ أبارقَها للنَّدُ سُخبُ نَدَى والبَرْقُ مِنْ كُلُّ دَنُ (٢) ساكِبُ مَطرًا هذا النعيمُ الذي كُنًا نُحَدُّتُه

تحدو برغد لأوتار وألحان (١) يُخيى به مَيْتُ أَفْكارِ وأشجانِ ولا سبيل له إلا باذانِ

فقال أبو بكر بن سعيد: قولا سبيل له إلّا بآذانا (٣)، فقال: حتى يبعث الله ولد زِنّا كلما أَنشَدْتُ هذه الأبيات، قال: وإن قائلها أعمى، فقال: أمّا أنا، فلا أنطق بحرف في ذلك، فقال: مَنْ صَمّت نجا. وكانت نزهون بنت القلاعي، الآتي ذكرها، حاضرة، فقالت: ونراك يا أستاذ، قديم النغمة (١)، بند وغناء وطيب شراب، تتعجب من تأتيه، وتشبّهه بنعيم الجنة، وتقول: ما كان يلم إلّا بالسماع، ولا يُبلغ إليه إلّا بالعيان؟ لكن مَنْ يجيء من حصن المُدَوَّر، وينشأ بين تُيوس وبَقَر، من أين له معرفة بمجالس النّعَم (٥)؟ فلما استوفت كلامَها تتخنح الأعمى، فقالت له: دعه (١)، فقال: مَن هذه الفاعلة (٢)؟ فقالت: عجوزٌ مقام أمّك، فقال: كذَبْتِ، ما هذا صوت عجوز، إنما هذه نغمة قَحْبة محترقة تُشمُ روائح كذا (٨) منها على فرسخ (٩)، فقال له أبو بكر: يا أستاذ، هذه نزهون بنت القِلاعي الشّاعرة على فرسخ (١)، فقال له أبو بكر: يا أستاذ، هذه نزهون بنت القِلاعي الشّاعرة الأديبة، فقال: سمغتُ بها لا أسْمَعَها الله خيرًا، ولا أراها إلّا أيْرًا (١٠). فقالت له: يا شيخ سوء تناقضت، وأيُ خيرٍ أفضل للمرأة ممّا ذَكَرْتَ (١١)؟ ففكر المخزومي يا شيخ مقال: [الطويل]

على وَجْهِ نَزْهُونِ مِنَ الحُسُن مَسْحَةً وإنْ كان قد أمْسى من الضُّوء عاريا (١٢)

المحيط (رضى).

⁽١) في النفح: اسقت أباريقها... تُخدى... وعيدانِ،

⁽٢) الدُّنِّ: الراقود العظيم. القاموس المحيط (دنن).

⁽٣) هنا تعريض بأن المخاطب أعمى يعتمد على الأذَّن.

⁽٤) في النفح: «النعمة» بالعين غير المعجمة. (٥) في النفح: «النعيم».

 ⁽٦) في النفح: فذبحة.
 (٧) في النفح: قالفاضلة.

⁽٨) في النفح: «هَنِها». والهَنُ، بفتح الهاء: الفرج. القاموس المحيط (هنن).

⁽٩) في النفح: «فراسخ».

⁽١٠) بياض في الأصل، وقد أشار عنان إلى حذفها لأنها كلمة نابية. وقد أخذناها من النفح.

⁽١١) قرله: قمَّمًا ذكرت، أضفناه من نفح الطيب ليستقيم المعنى والسجعة معًا.

⁽١٢) أخذ معنى هذا البيت من قول ذي الرّمّة في صاحبته ميّ: [الطويل] .

على وَجْهِ مِيْ مُسْحَةٌ مِنْ مُلاحةٍ وتحت الثيابِ الشينُ لو كان باديا الشعر والشعراء (ص ٤٣٩).

ومَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتقلُ السُواقيا(٢)

قَواصدُ نزهونٍ تَوادِكُ(١) غَيْرها

فأعملتْ فِكْرَها وقالت (٣): [المجتث]

أل المؤضيع من الأوضيط من السندة وراً أنسشة وراً أنسشة من السبداوة المستن منها المذاك (٦) ألمستسبت منها منطقت أغسم ولدكن جازيت شعرا بسلغر المنت شعرا بسلغر إن كنت في الخلق أنشى

فقال لها اسمعي^(۱): [المتقارب] الا قُـل لِنَـزُهُـونَـةِ مـا لـهـا ولو أبْصَرَتْ فَيْشَةً (۱۰) شَمُرَتْ

يُشلى إلى جين يُخشَرُ
حَدَّ والخَرا⁽³⁾ منه أغطَرُ
في أهلها⁽⁶⁾ تَتَبَخْنَرْ
بيكل شيء مُسدَوُّرْ(۷)
يسكسل شيء مُسدَوُّرْ(۷)
تسهيسمُ في كسل أغسوَرُ
فقل لَعَمْري مَنَ أَشْعَرْ(۸)
فسإنَّ شِخري مَنَ أَشْعَرْ(۸)

تَسجُرُ من السّيبِ أَذْيبالَها كسما عَوْدَثني، سِرْبالَها

⁽١) في الأصل: «تدارك»، وقد صرّبناه من النفح.

 ⁽۲) عجز هذا البيت تضمين لبيت المتنبي من قصيدة قالها في مدح كافور: [الطويل]
 قــواصِــدُ كــافــورِ تــوارِكُ غــيــرهِ
 ومَنْ قَصَدَ البحرَ استقلُ السواقيا
 العرف الطيب في شرح ديوان أبي العليب (ص ٤٧٤).

⁽٣) الأبيات أيضًا في المغرب (ج ١ ص ٢٢٨) ببعض الاختلاف عمّا هنا.

⁽٤) الخرا: كلمة عامّية، وبالفصحى: «الخُرْء، وهو العَذِرَةُ. القاموس المحيط (خرى،).

⁽٥) في النفح: «مشيها، وفي المغرب: «جهلها،

⁽٦) في الأصل: الذلك؛ وهكذا ينكسر الوزن والتصويب من المغرب والنفح.

⁽٧) رواية البيت في المغرب هي:

للذاك أمسيت تَهوى حُلُولَ كللَ مسدور

 ⁽A) في الأصل: «من أشعر» بهمزة أصلية، وهكذا ينكسر الوزن. ورواية البيت في المغرب
 هي:

جاوبت مَن أشعر

⁽٩) البيتان أيضًا في المغرب (ج ١ ص ٢٢٨).

⁽١٠) في الأصل: "بَشَّة"، والتصويب من المغرب والنفح. والفّيئشة، بفتح الفاء والشين وسكون الياء: رأس الذُّكَر. محيط المحيط (فيش).

فحلف أبو بكر بن سعيد ألّا يزيد أحدهما على الآخر في هَجُوه كلمة ، فقال المخزومي: أكونُ هَجَاء الأندلس وأكفّ عنها دون شيء ؟ فقال: أنا أشتري منك عرضها فأطلُب، فقال: بالعَبْد الذي أَرْسَلْتُه فقادني إلى منزلك، فإنه لَيْنُ القَدِّ رقيق الملمس⁽¹⁾. فقال أبو بكر: لولا أنه صغير كنت أبلُغك فيه مرادك، وأهِبُهُ لك؛ ففطن لقضده، وقال: أضبِرُ عليه حتى يَكْبُرَ، ولو كان كبيرًا ما آثرتني على نفسك؛ فضحك أبو بكر وقال: قد هَجَوْتَ نثرًا، وإن لم تَهْجُ نظمًا، فقال: أيها الوزير، لا تبديل لخَلْقِ الله. وانْفَصَل المخزومي بالعَبْد بعدما أصلح بينه وبين نزهون.

وقال يمدح القاضي بغرناطة أبا الحسن بن أضحى (Y)، رحمهما الله (Y):

ومَ الاذي منه علي بن أضحى ليس يُخشى من حادث الدهر (٥) نَظحا أي تَيْس مُ طَول العرب النحى الدُحى أنحى

عَجَبًا للزمان يَطْلُبُ هَضَمي (٤) حَزُا جَارُهُ قد سما على النُّظح عزًا في النُّط عندًا في النُّط في النُّل في النُّل في النَّان في النَّانِي النَّانِي النَّانِي الْمُنْ النَّانِي النَّانِي النَّانِي النَّانِي النَّانِي النَّانِي

فقال له ابن أضحى: هلا اقتصرت على ما أنت بسبيله، فكم تقع في الناس؟ فقال: أنا أعمى وهم حُفَرٌ فلا أزال أقّعُ فيها، فقال: فأعجبني كلامه على قُبْحه. وحديث مُقامِه بغرناطة يقتضي طويلًا.

وفاته: قال أبو القاسم بن خلف، كان حيًّا بعد الأربعين وخمسمائة.

أضبَغ بن محمد بن الشيخ المهدي -

يُكنى أبا القاسم؛ عالِم مشهور.

حاله: كان محقّقًا بعِلْم العَدَد والهندسة، مقدّمًا في علم الهيئة والفلك وعلم النجوم، وكانت له مع ذلك عناية بالطّب.

⁽١) في النفح: «فإنه ليِّنُ البد، رقيق المشي».

⁽۲) الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى، من بيت عظيم بغرناطة، ثار بها ودعا لنفسه بعد مقتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة ٥٤٩ هـ. وتوفي سنة ٥٤٠ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

⁽٣) الأبيات في المغرب (ج ١ ص ٢٣٠). ﴿ ٤) في المغرب: ﴿ثَارِي، ﴿

⁽٥) في المغرب: امن طالب الثَّارِء.

تواليفه: تواليفه حِسان، وموضوعاته مفيدة؛ منها كتاب «المَدْخل إلى الهندسة» في تفسير كتاب إقليدس. ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بـ «المعاملات». ومنها كتابه الكبير في الهندسة، تقصّى فيه أجزاءها. ومنها كتاب في الآلة المعروفة بالأسطُرلاب. ومنها تاريخه الذي ألفه وهو تاريخ كبير.

وفاته: قال ابن جَماعة في تاريخه: أخبرني أبو مروان سليمان بن عيسى الناشىء المهندس، أنه توفي بمدينة غرناطة قاعدة الأمير حبُّوس ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة، وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية. وعدَّه من مفاخر الأندلس.

أبو علي بن هدية

من أهل غرناطة.

حاله: قال أبو القاسم المألاحي فيه: من أهل الدين، والفضل، والأمانة، والعدالة، والمعرفة بالتكسير والأعمال السلطانية، ووُلِّيَ «المُسْتَخلَص» (۱۱) بغرناطة، فغقب وأجاد النظر. قال ابن الصّيرفي: ولما وُلي الوزير أبو علي بن هديّة المستخلص، وباشر جلائل الأمور ودقائقها بنفسه، حَمَى المناصِفين، ورفع المون والكُلّف عنهم، ووسَّع بسليف البذر عليهم، وآثرهم بالنصّفة بالتزام حصّة بيت المال؛ ولم يكن له حُجُّاب ولا بواب، فكان القويُّ والضعيف، والمصروف والشريف، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، شرعًا سواة في الوصول إليه، والتكلّم في مجلسه، فلم يُهتَضم جانب، ولا دُحِضت حجة؛ إلّا أنه ارتفعت الرَّقْبة، وزالت الهينية، وأُمْحِق نور الخُطّة؛ وخصّ أحباس (۱۲) جامع غرناطة بنظره، بفضل مال كثير من غلّته، ونبه باجتماعه ليزيد به بلاطين في مَسقفه من شرقه وغربه، فأكمل الله ذلك بسعيه وعلى يديه؛ ورام رَبْع المستخلص، وزاد به في حمّاماته؛ ورَمْ حوانيته، واستحدث منبحة سمّاها المُسْتَحدثة، وغرس قضبان الجُوْز في مواضع المياه، وعوض بما ذهب، وشمّر في جمع المال، ووالى الحَفْز على العمل، ونصح بمقتضى جُهده، ومُنتهى وُسُعه، ولم تُمّد يدُه في مصانعة، ولا مالت إلى مُداخلة، ولكنه لم يُحمل في حمّاه في باطل.

⁽١) هو مستخلص السلطان، أي أملاكه الخاصة.

⁽٢) الأحباس: هي ما يُحبَس لأغراض الخير، وهي الأوقاف.

أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطُّنْجالي

من أهل لَوْشَة.

نبيلة حَسِيبة، تُجيد قراءة القرآن، وتشارك في فنون من الطّلب، من مبادىء غريبة، وخلف وإقراء مسائل الطّب، وتنظم أبياتًا من الشعر، وذكرتها في خاتمة «الإكليل» (١) بما نصّه: «ثالثة حَمْدَة وولّادة، وفاضلة الأدب والمَجادة، تقلّدت المحاسن من قبل ولّادة، وأولدت أبكار الأفكار قبل سِنِّ الولادة. نشأت في جِجْر أبيها، لا يدُّخر عنها تدريجًا ولا سهمًا، حتى نهض إدراكها وظهر في المعرفة جراكها، ودرسها الطبُّ ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه، وفي ذكر شعرها:

«ولمّا قَدِمَ أبوها من المغرب، وحَدَّث بخبرها المُغرب، توجّه بعض الصدور إلى اختبارها، ومطالعة أخبارها، فاستَنبَل أغراضها واستحسنها، واستطرف لَسنها، وسألها عن الخطّ، وهو أكسَدُ بضاعة جُلِبت، وأشَحُّ درَّة حُلِبت. فأنشَدَتُه من نظمها: [البسيط]

الخطُّ ليس له في العلم فائدة وإنّما هو تَنزيين بقرطاس والدرس سؤلي لا أبغي به بدلًا بقَدْر عِلم الفّتى يَسْمو على الناسِ

وراجعها بعض المُجّان، يغفر الله له: [مجزوء البسيط]

إنْ فرطَ الدرسُ يا أُمّي سحق وهذا هو المشهور في الناسِ (٢) فيخذُ من الدرس شيئًا تنافقًا خطًا وبالفهم كلّ الناسِ (٣)

ومن شعرها في غرض المدح: [الكامل]

⁽١) هو كتاب ابن الخطيب المسمّى: «الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر».

⁽٢) عجز هذا البيت مختل الوزن.

⁽٣) في الأصل: وخطًّا ويالفهم يحيئ كل الناس؛ وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معًا.

⁽٤) في الأصل: ﴿النَّاسِ وَهَكُذَا يَنْكُسُو الْوَزْنَ.

بُلُكُين بن باديس بن حبُوس بن ماكَسَنْ بن زيري ابن مناد الصِّنهاجي^(١)

الأمير الملقب بسيف الدولة، صاحب أمر والده والمرشح للولاية بعده.

حاله: قال المؤرِّخ (٢٠): كان زيري بن مناد، ممَّن ظهر في حرب ابن يزيد بإفريقية، واتَّسم هو وقومه بطاعة العُبَيديين أمراء الشيعة، فكانوا حربًا لأضدادهم من زَناتة المُوالين لأملاك المَراونة(٣) لتحقّق جدُّهم خَزَر بولايته عثمان بن عفان، رضي الله عنه؛ فلمّا صار الأمر إلى بني مناد بعد انتقال مُلك الشيعة إلى المشرق، ووُلّي الأمر باديس بن منصور بن بُلكِّين بن زيري، ذهب أعمامه وأعمام أبيه إلى استضعافه، فلم يُعطهم ذلك من نفسه، ووقعت بينهم الحرب التي قتل فيها عمّ أبيه ماكَّسَنْ بن زيري، فرهب الباقون منهم صولة باديس، وخافوا عاديته على أنفسهم، على صغر سنَّه؛ فخاطب شيخُ بيته يومئذ زاوي بن زيري ومعه أبناء أخيه، المُظَفِّر بن أبي عامر ليجوز إليه إلى الأندلس رغبة في الجهاد، فألفي هِمَّة بعيدة، ومُلكًا شامخًا، يذهب إلى استخدام الأشراف واصطناع الملوك، فأذِنَ في ذلك؛ فدخل منهم جماعة الأندلس مع أميرهم زاوي بن زيري، ومعه أبناء أخيه حُباسة وحَبُوس وماكْسَن؛ فأنزلهم المظفّر وأكرمهم، إلّا أنهم كابدوا مشقّة من دهرهم الذي أصارهم يخدمون بأبواب الملوك من أعدائهم غيرهم؛ فلمّا انهدمت الإمامةُ، وانشقّت عصا الجماعة، سَعَوا في الفِتْنة سَغي غيرهم؛ من سائر قبائل البرابرة، عند تشديد أهل الأندلس للبربر؛ وانحازوا عند ظهورهم على أهل الأندلس، بملوك بني حمُود، إلى بلاد تضمّهم، فانحازت صَنهاجة مع شيخهم ورئيسهم زاوي بن زيري إلى مدينة غرناطة. ثم آثر زاوي العودة إلى وطنه إفريقية، فخرج عن الأندلس حسبما يتفسر في موضعه. والتفُّ قومهُ على ابن أخيه حَبُوس بن مَاكُسُنْ، في جماعة عظيمة تحمي خَوْزته، وأقام بها مُلْكَا؛ وغلب على ما اتصل بمدينته من الكور، فتملُّك قُبْرة (١)، وجيَّان (٥)، واتَّسع نظره، وحُمَى وطنه ورعيَّته ممَّن جاوره من البرابر؛ وكان داهية شجاعًا، فدامت رئاسته، واتصل ملكه،

⁽١) بلكين أو بلقين بن باديس ولاه أبوه على مالقة بعد أن ضمّها إلى غرناطة عام ٤٤٩ هـ، واستمرت ولايته عليها إلى سنة ٤٥٦ هـ حيث توفي مسمومًا. انظر أخباره في كتاب: مملكة غرناطة في عهد بني زيري للدكتورة مريم قاسم طويل (ص ١٦٢ وما بعدها).

⁽٢) قارن بالبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٣). (٣) المرارنة: هم بنو مروان الأمويون.

⁽٤) قبرة: بالإسبانية Cabra، وتتصل بأعمال فرطبة من قِبْلِيْها. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٢).

⁽٥) جيان: بالإسبانية Jaeà، وتسمّى قِنْسُرين لشبهها بها. راجع المرجع السابق (ص ٥٩).

إلى أن هلك. فولى بعده ابنه باديس، وسيأتي التعريف به؛ وولد له ابنه بُلكُين هذا المترجم به، فرشّحه إلى ملكه، وأخذ له بيعة قومه، وأهله للأمر من بعده. قال المؤرّخ (١): ونشأ لباديس بن حبُّوس، ولدٌ اسمهُ بُلُكِين، وكان عاقلًا نبيلًا، فرشّحه للأمر من بعده؛ وسمًّاه سيف الدولة؛ وقال: وُلِّي مالَقة في حياة أبيه، وكان نبيلًا جليلًا؛ ووقّعتُ على كتاب بخطه نصّه بعد البسملة:

المحسن الجُذامي سلّمه الله. اعتقد به إقراره على خُطّة الوزارة، والقضاء في جميع المحسن الجُذامي سلّمه الله. اعتقد به إقراره على خُطّة الوزارة، والقضاء في جميع كُوره (٢)، وأن يُجري من الترفيع والإكرام له إلى أقصى غاية، وأن يُحمل (٢) على الجراية في جميع أملاكه بالكُور (٤) المذكورة، حاضرتِها وباديتِها، الموروثة منها، والمكتسبة، القديمة الاكتساب والحديثة، وما ابتاع منها من العالي (٥)، رحمه الله وغيره، لا يلزمها وظيف بوجه، ولا يُكلف منها كُلفة، على كل حال، وأن يُجري في قرابته، وخولة وحاشيته وعامري ضِيعه، على المحافظة والبر والحرية. وأقسم على ذلك كلّه بُلكين بن باديس بالله العظيم، والقرآن (٢) الحكيم، وأشهد الله على نفسه وعلى الزامه له، وكفى بالله شهيدًا. وكُتب بخط يده مستهل شهر رمضان العظيم سنة ثمان (٧) وأربعين وأربعمائة، والله المُسْتعان الله ولا شكّ أن هذا المقدار يدل على نُبل، ويُعرَف عن كفاية.

سبب وفاته: قال صاحب البيان المغرب وغيره (٨): وأمضى باديسُ كاتبَ أبيه ووزيرَه (٩) إسماعيل بن نغرالة (١٠) اليهودي على وزارته وكتابته وسائر أعماله، ورفعه

⁽١) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٢١ ـ ١٢٢).

⁽٢) في تاريخ تضاة الأندلس: اجميع كورة ريّة ١٠

⁽٣) في تاريخ قضاة الأندلس: (وأن يُجْري على الجزية ١٠٠٠.

⁽٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «بكورة ريّة».

 ⁽٥) العالى: هو خليفة الأندلس إدريس بن يحيل بن حمود، وقد حكم غرناطة وقرمونة سنة ٤٣٤ هـ،
 وخلع سنة ٤٣٨ هـ، بعد أربع سنين من حكمه.

 ⁽٦) في تاريخ قضاة الأندلس: (وبالقرآن».
 (٧) في تاريخ قضاة الأندلس: (وبالقرآن».

⁽٨) البيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٤ - ٢٦٦).

⁽٩) في البيان المغرب: «فأمضى باديسُ وزيرًا له وكاتبًا، وزيرَ أبيه إسماعيل.١٠٠٠.

⁽١٠) إنّ الذين ترجموا لإسماعيل اختلفوا في رسم اسم شهرته؛ فأسماه ابن حزم ابن النغرال، ثم قال: ابن النغريلة. وذكره صاعد الأندلسي ابن الغزال. وجعله الأمير عبد الله كابن الخطيب ابن نغرالة، وكتبه ابن عذاري: نغرالة. وهو عند ابن خلدون: نعزلة. وعند المقري: نغدلة. وأغلب الظن أن هذا التباين في رسم شهرته عائد إلى طبيعة النطق أو إلى تصحيف الناسخ أو المحقق أو المترجم. انظر الفصل في الملل والأهواء والنّخل (ج ١ ص ١٥٢)، ورسائل ابن حزم (ج ٣ =

فوق كل منزلة؛ وكان لولده بُلكِين (١) خاصة من المسلمين يخدمونه، وكان مُبغضًا في اليهودي (٢)، فبلغه أنه تكلّم في (٣) ذلك لأبيه، فبلغ منه كلّ مَبْلغ؛ فدبر (١) الحيلة، فذكروا أنه دخل عليه يومًا فقبُل الأرض بين يديه، فقال له الغلام: ولِمَ ذلك؟ فقال: يرغب العبد (٥) أن تدخل داره مع مَن أَحْبَبْتَ من عبيدك ورجالك، فدخل إليه بعد ذلك، فقدّم له ولرجاله طعامًا وشرابًا، ثم جعل السّم في الكأس لابن باديس، فرام القيء، فلم يقدر عليه، فَحُمل إلى قصره وقضى (٦) نحبه في يومه؛ وبلغ الخبر إلى أبيه ولم يعلم السبب، فقرّر اليهوديُ عنده أنّ أصحابه وبعض جواريه سَمُوه، فقتَل أبيه ولم يعلم السبب، فقرّر اليهوديُ عنده أنّ أصحابه وبعض جواريه سَمُوه، فقرّوا عنه. وكانت وفاته سنة ست وخمسين وأربعمائة. وبعده قتل اليهودي في سنة تسع وخمسين.

باديس بن حبُوس بن ماكسَن بن زيرِي بن مَناد الصَّنهاجي (^) كنيته أبو مَناد، ولقبه الحاجب المُظَفِّر بالله، الناصر لدين الله.

أَوْلَيْته: قد تقدُّم الإلماع بذلك عند ذكر ابنه بُلكُين.

حاله: كان رئيسًا يَبِسًا، طاغيةً، جبَّارًا، شجاعًا، داهية، حازمًا، جَلْدًا، شديد الأمر، سديد الرأي، بعيد الهمّة، مأثور الإقدام، شره السيف، واري زناد الشرّ، جمّاعة للمال؛ ضخمت به الدولة، ونبُهت الألقاب، وأمنت لحمايته الرعايا، وطمّ

ص ٤١)، وطبقات الأمم (ص ١٣٦)، ومذكرات الأمير عبد الله (ص ٣٦)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٠)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٤)، وكتاب العِبر (ج ٤ ص ٣٤٦)، ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩٣)، وكان إسماعيل الوزير الأول في عهد حبوس بن ماخسن ابن زيري وولده باديس بن حبوس، وبوفاة إسماعيل عام ٤٤٨ هـ ارتقى ابنه يوسف بن إسماعيل ابن نغرالة إلى خطة الوزارة التي تبوّاها أبوه.

⁽١) في البيان المغرب: وبلقين». (٢) في البيان المغرب: وفي هذا اليهودي».

⁽٣) في البيان المغرب: «فيه عند أبيه فبلغ ذلك من اليهودي كل مبلغ».

⁽٤) في البيان: اودبّر الحيلة عليه فدخل اللعين يومًا على الفتي وقبّل.

⁽٥) في البيان: «عبدك منك أن. (٦) في البيان: «فقضى نحبه في غد يومه».

⁽٧) في البيان: قمن جواري.

 ⁽٨) حكم باديس بن حبوس غرناطة من عام ٢٩٩ هـ إلى عام ٤٦٧ هـ. وترجمته في المغرب (ج ٢ ص ١٩٧)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٢، ٢٦٤)، واللمحة البدرية (ص ٣١)، وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٤٥) واسمه فيه: باديس بن حسون، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٩). وقد قامت الدكتورة مريم قاسم طويل بدراسة وافية عنه في كتابها: مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ١١٩ ـ ١٦٩) فلتُنظر.

تحت جناح سيفه العُمُران، واتَّسع بطاعته المُرهبة الجوانب ببأسه النظر، وانفسخ المُلك، وكان ميمون الطائر، مُظعَمَ الظُفر⁽¹⁾، مصنوعًا له في الأعداء، يقنع أقتاله بسلمه، ولا يطمع أعداؤه في حربه، قال ابن عسكر^(٢): يكنى أبا مسعود، وكان من أهل الحزم وحماية الجانب، وكان يخطب ويدعو للعَلَويين بمالقة^(٣)، فلمّا توفي إدريس بن يحيئ العالي⁽³⁾، ملك مالقة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة^(٥).

وقال الفتح في قلائده (٢): «كان باديس بن حبُّوس بغرناطة عاتيًا في فريقه، عادلًا عن سُننِ العدل وطريقه؛ يجترىء على الله غيرَ مراقب، ويَسري (٧) إلى ما شاء غير ملتفت للعواقب؛ قد حَجَبَ سنانُه لسانَه، وسبقتُ إساءتُهُ إحسانَهُ؛ ناهِيك من رجل لم يَبِتُ من ذنبِ على نَدَم، ولم (٨) يشرب الماء إلّا من قُليب دَم؛ أخزَمُ من كادَ ومَكَرْ، وأَجْرَمُ من راحَ وابتكرْ؛ وما زال متقدًا في مناحيه، متفقّدًا لنواحيه، لا يُرامُ برين ولا عَجَل، ولا يَبِيتُ له جارٌ إلّا على وَجَلّه.

أخباره في وقائعه: يُنظر إيقاعه بزُهير العامري ومَن معه في اسم زُهَير، فقد ثبت منه هنالك نبذة، وإيقاعه بجيش ابن عبّاد بمالقة عندما طرق مالقة وتملّكها، واستضرخ من استمسك بقصبتها من أساودتها، وغير ذلك مما هو معلوم، وشهرته مُغنِية عن الإطالة.

ومن أخباره في الجبرية والقسوة، قال ابن حيّان: عندما استَوْعب الفَتْكة بأبي نصر بن أبي نور اليفرني أمير رُندة المنتزي بها وقتله، ورجوعها إلى ابن عباد؛ حكى أبو بكر الوسنشاني الفقيه عن ثقة عنده من أصادقة التُجّار، أنه حضر مدينة غرناطة، خضرة باديس بن حبّوس الجبار، أيام حدث على أبي نصر، صاحب تاكُرُنا، ما حدث، وأن أميرها باديس قام للحادثة وقعد، وهاج من داء عَصَبيّته ما قد سكن، وشق أثوابه، وأعلن أعواله، وهجر شرابه الذي لا صبر له عنه، وجفا ملاذه؛ وأوهمته

⁽١) مطعم الظفر: كثير الظفر. (٢) النص في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٢١).

 ⁽٣) العلويون هم بنو حمود، أصحاب مالقة والجزيرة الخضراء. راجع: مملكة غرناطة في عهد بني
زيري البربر (ص ١٢٢).

⁽٤) بويع العالي إدريس بن يحيئ بن علي بن حمود بمالقة سنة ٤٣٤ هـ. أخباره في مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٢١ ـ ١٢٣). وذهب القلقشندي إلى أن العالي إدريس بويع في عام ٤٣٩ هـ. صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٣٨).

 ⁽٥) قضى باديس بن حبوس الصنهاجي على بني حمود بمالقة وضم مملكتهم إلى غرناطة سنة
 ٤٤٩ هـ. انظر في ذلك: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٢٥ ـ ١٢٦).

⁽٦) قلائد العقيان (ص ١٨). (٧) في القلائد: اويجري،

⁽٨) في القلائد: ﴿ولا شربُّ ا

نفسه الخبيثة تمالؤ رعيَّته من أهل الأندلس، على الذي دهي أبا نصر، فسوَّلت له نفسه حَمْل السيف على أهل حضرته جميعًا، مستحضرًا لهم، وكيمًا ينبرهم، ويخلص برابرته وعبيده فيريح نفسه، ودبر أن يأتي ذلك إليهم عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع الأقرب أيام الجمعة، من قوة همومه؛ وشاور وزيره اليهودي يوسف بن إسماعيل، مُدبِّر دولته الذي لا يقطع أمرًا دونه، مُسْتَخليًا مُسْتَكْتِمًا بسرُّه، مصمَّمًا في عزمه، إن هو لم يوافقه عليه؛ فنهاه عن ذلك وخطّأ رأيه فيه، وسأله الأناة ومَحْض الرويَّة، وقال له: هَبْك وصلت إلى إرادتك ممّن بحضرتك، على ما في استِباحتهم من الخطر، فأنّى تقدر على الإحاطة بجميعهم من أهل خَضْرتك، وبسائط أعمالك؟ أتراهم يطمئنون إلى الذُّهول عن مصائبهم، والاستقرار في موضعهم؟ ما أراهم إلَّا سيوفًا ينتظمون عليك في جموع، يُغرقونك في لُجَجها أنت وجندك؛ فردٌ نصيحته، وأخذ الكتمان عليه، وتقدّم إلى عارضه باعتراض الجند في السلاح، والتّعبنة لركوبه يوم الفَتْكَة، يوم تلك الجمعة، فارتجّ البلد. وذُكر أن اليهودي دسٌّ نسوانًا إلى معارف لهنّ من زعماء المسلمين بغرناطة، يُنْهاهم عن حضور المسجد يومهم، ويأمرهم بإخفاء أنفسهم؛ وفشا الخبر فتخلُّف الناس عن شهود الجمعة؛ ولم يأته إلَّا نفر من عامِّتهم، اقتدوا بمَن أتاه من مشيخة البربر وأغفال القادمين؛ وجاء إلى باديس الخبر، والجيش في السلاح حوالي قصره، فساءه وفُتُ في عَضُده، ولم يَشُكُ في فشوٌّ سرُّه، وأحضر وزيره وقلُّده البَوْح بسرُّه فأنكر ما قرفه به؛ وقال: ومن أين يُنكر على الناس الحذر، وأنت قد استركبت جندك وجميع جيشك في التَّغبئة، لا لسَفَرِ ذكرته، ولا لعَدُوُّ وثب إليك، فمن هناك حدس القوم على أنك تريدهم، وقد أجمل الله لك الصنع في نِفارهم، وقادك إصارَهم، فأعِد نظرك يا سيدي، فسوف تحمد عاقبة رأيي وغِبطَة نُصحي. فنصُّح وزيرَه شيخٌ من موالي صَنْهَاجته، فانعَطَف لذلك بعد لَأي، وشرح الله صدره. ويجري التعريف بشيء من أمور وزيره.

قال ابن عَذَاري المراكشي في كتابه المسمى بـ «البيان المُغُرب» (١٠): أمضى باديسُ كاتبَ أبيه ووزيره ابن نَغُرالة اليهودي (٢)، وعمالًا متصرّفين من أهل مِلته، فاكتسبوا الجاه في أيامه واستطالوا على المسلمين. قال ابن حَيَّان: وكان هذا اللعين في ذاته، على ما زَوى الله عنه من هدايته، من أكْمَل الرجال علمًا وحلمًا وفهمًا، وذكاء، ودماثة، وركانة، ودهاء، ومكرّا، ومِلْكًا لنفسه، وبَسْطًا من خلقه، ومعرفةً

⁽١) البيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٤).

 ⁽۲) هو إسماعيل بن نغرالة اليهودي كما في البيان المغرب. وله ترجمة في المغرب (ج ۲ ص
 (۱۱٤)، ولابنه يوسف بن إسماعيل ترجمة في المغرب (ج ۲ ص ۱۱۵).

بزمانه، ومداراة لعَدُوّه، واستِسلالًا لحقودهم بحلْمه؛ ناهيك من رجل كتب بالقلّمين، واعتنى بالعِلْمَين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه، وقرأ كتُبَه، وطالع أصوله؛ فانطلقت يده ولسانه، وصار يكتب عنه وعن صاحبه بالعربي، فيما احتاج إليه من قصول التحميد لله تعالى، والصلاة على رسوله، ﷺ، والتزكية لدين الإسلام، وذكر فضائله، ما يريده، ولا يقصر فيما يُنشئه عن أوسط كتّاب الإسلام؛ فجمع لذلك السَّجيج في علوم الأوائل الرياضية، وتقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النُجومية؛ ويشارك في الهندسة والمنطق، ويفوق في الجدل كلّ مُستَول منه على غاية؛ قليل الكلام مع ذكائه، ماقتًا للسباب، دائم التفكّر، جَمّاعةً للكتب. هلك في العَشْر الثاني لمحرم سنة تسع وخمسين وأربعمائة (۱۱)، فجلًل اليهود نعشه، ونكسوا لها أعناقهم خاضعين، وتعاقدوه جازعين، وبكوه مُعْلنين؛ وكان قد حمل ولده يوسف المُكتى بأبي حسين على مطالعة الكتب، وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية، يُعلّمونه بألكين برتبة المترشّح لمكانه، تمهيدًا لقواعد خدمته؛ فلما هلك إسماعيل في هذا الوقت، أدناه باديس إليه، وأظهر الاغتباط به، والاستعاضة بخدمته عن أبيه.

ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغرالة الإسرائيلي:

قال صاحب البيان (٢): وترك ابنًا له يسمى (٣) يوسف لم يعرف ذل (٤) الذّمة، ولا قذر اليهودية. وكان جميل الوجه، حاد الذّهن، فأخذ (٥) في الاجتهاد في الأحوال، وجمع (١) المال، واستخراج الأموال، واستعمال (٧) اليهود على الأعمال، فزادت منزلتُه عند أميره (٨)، وكانت له عليه (٩) عيون في قصره من نساء وفتيانٍ، يشملهم (١١) بالإحسان، فلا يكاد باديس يتنفس، إلّا وهو يعلم ذلك (١١). ووقع ما تقدم ذكره، في

⁽۱) هنا يخلط ابن الخطيب بين إسماعيل بن النفرالة وبين ابنه يوسف بن إسماعيل ابن النفرالة و المعلى و جعل وفاته عام وهو عام وفاة ابنه يوسف. كذلك شاركه في هذا الوهم النباهي في المرقبة العليا (ص ٩١) وابن خلدون في كتاب العِبْر (م ٤ ص ٣٤٦).

⁽٢) البيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥). (٣) في البيان المغرب: «اسمه».

⁽٤) في البيان المغرب: «ذلَّة».

⁽٥) في البيان المغرب: ﴿فَأَخَذُ نَفُسُهُ بِالْاجِتُهَادُ......

⁽٦) قوله: إلوجمع المال؛ ساقط في البيان المغرب.

⁽٧) في البيان المغرب: «واستعمل اليهود إخوانه على.

 ⁽A) في البيان المغرب: «أميره باديس».
 (٩) في البيان المغرب: «له عيون عليه».

⁽١٠) في البيان المغرب: فشغلهم الملعون بالإحسان.

⁽١١) منا ينتهي النقل عن ابن عذاري.

ذِكر بُلكِّين من اتّهامه بسَمّه، وتوليه التهمة به عند أبيه، للكثير من جواريه وخدّامه، وفَتُك هذا بقريب له، يَلْوِ له في الخدمة والوجاهة، يدعى بالقائد، شعر منه بمزاحمته إياه فتكة شهيرة؛ واستّهْدُف للناس فشغُلت به ألسنتهم، ومُلئت غيظًا عليه صدورهم، وذاعت قصيدة الزاهد أبي إسحل الإلبيري، في الإغراء بهم، واتفق أن أغارت على غرناطة بعوث صمادِحية تقول إنها باستدعائه، ليصير الأمر الصّنهاجيُّ إلى مجهزها الأمير بمدينة ألمريَّة. وباديس في هذه الحال منغمس في بطالته، عاكف على شرابه. ونُبي هذا الأمر إلى رهطه من صنهاجة، فراحوا إلى دار اليهودي مع العامّة، فدخلوا عليه، فاختفى، زعموا في بيت فَحم، وسوَّد وجهه، يروم التنكير فقتلوه لمّا عرفوه، عليه، فاختفى، زعموا في بيت فَحم، وسوَّد وجهه، يروم التنكير فقتلوه لمّا عرفوه، دُورهم، وذلك سنة تسع وخمسين وأربعمائة (١٠). وقبرُه اليوم وقبر أبيه يُعرَف أصلاً من اليهود ينقلونه بتَواتُر عندهم، أمام باب إلبيرة، على غَلْوة، يعترض الطريق، على معروف وإنما أتينا ببعض أخباره لكونه ممّن لا يمنع ذكره في أعلام الأدباء معروف؛ وإنما أتينا ببعض أخباره لكونه ممّن لا يمنع ذكره في أعلام الأدباء والأفراد إلا نحلته.

مكان باديس من الذكاء وتولّعه بالقضايا الآتية:

قال ابن الصّيرفي: حدّثني أبو الفضل جعفر الفتى، وكان له صدق، وفي نفسه عزّة وشهامة وكرم، وأثنى عليه، وعرّف به، حسبما يأتي في اسم جعفر المذكور، قال: خاض باديس مع أصحابه في المجلس العلي، من دار الشّراب بقصره، واصطفّت الصّقاليب (٢) والعبيد بالبُرْطُل (٣) المتصل به لتخدم إرادته، فورد عليه نبأ قام لتعرّفه عن مجلسه، ثم عاد إلى موضعه وقد تجَهّم وجهه، وخبُثت نفسه، فحذر ندماؤه على أنفسهم، وتخيّلوا وقوع الشّر بهم، ثم قال: أعلمتم ما حدث؟ قالوا: لا، والله يُطلع على خير، قال: دخل المُرابط (١) الدّمنة، فسُري عن القوم، وانطلقت ألسنتهم بالدعاء بنصره، وفسحة عمره، ودوام دولته، ثم وَجموا لوُجومه، فلمّا رأى

 ⁽١) في أعمال الأعلام لابن الخطيب (القسم الثاني ص ٢٣٣): قتلوه وصلبوه سنة ٦٦٩ هـ، وقيل:
 سنة ٦٥٤ هـ.

 ⁽۲) الصقاليب: هم الصقالبة، وهم أولئك الأرقاء الذين ينتسبون إلى جنسيات أوروبية مختلفة.
 راجع: مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح (ص ٦٨).

⁽٣) البُرْطُل: كلمة إسبانية وهي Portal، وتعني البوّابة ومدخل البيت والبهو ذا الشُرُفات المعقودة على الأعمدة.

⁽٤) يشير إلى دخول بوسف بن تاشفين المرابطي الأندلس.

تكذر صَفْوهم، قال: أقبلوا على شأنكم، ما نحن وذاك، اليوم خمر وغدًا أمر (١) ، بيننا وبينه أمداد الفّجو، والنّشور الجبال وأمواج البحار، ولكن لا بدّ له أن يتملّك بلدي، ويقعد منه مقعدي، وهذا أمر لا يلحقه أحد منّا، وإنما يَشْقى أحفادُنا. قال جعفر: فلمّا دخل الأمير القصر، عند خَلْعه حفيد باديس برحبة مُؤمّل (٢)، طاف بكل ركن ومكان منه، وأنا في جملته حتى انتهى إلى ذلك المجلس، فبُسِطَ له ما قَعّد عليه، فتذكرت قول باديس، وتعجبت منه تعجبًا ظهر عليّ، فالتفت إليّ أمير المسلمين منكرًا، وسألني ما بي، فأخبرته وصَدَقتُه، وقصصت عليه قول باديس، فتعجب، وقام إلى المسجد بمّن معه، فصلّى فيه ركعات، وأقبل يترجّم على قبره.

وفاته: قال أبو القاسم بن خلف: توفي باديس ليلة الأحد الموفي عشرين من شوّال سنة خمس وستين وأربعمائة (٣)، ودفن بمسجد القصر. قلتُ: وقد ذهب أثر المسجد، وبقي القبر يحفُ به حلْقٌ له باب، كل ذلك على سبيل من الخمول، وجَدَثُ القبر رخام، إلى جانب قبر الأمير المجاهد أبي زكريا يحيئ بن غانية، المدفون في دولة المُوحُدين به.

وقد أدال اعتقاد الخليفة في باديس بعد وفاته، قِدَمُ العهد بتعرُّف أخبار جَبَرُوته وعتُرّه على الله سبحانه، لما جبلهم عليه من الانقياد للأوهام والانصياع للأضاليل، فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والمستشفين من الأسقام، حتى أولو الدّواب الوجيعة، ما ليس على قبر معروف الكَرْخي، وأبي يزيد البسطامي.

ومن أغرب ما وقفت عليه رقعة رفعها إلى السلطان على يدي رجل من أهل الخبر مُكَتِّب (٤) يؤم في مسجد القصبة القُدْمى من دار باديس، يُعرَف بابن باق، وهو يتوسّل إلى السلطان ويسأل منه الإذن في دفنه مجاورًا لقبره. وعفو الله أوسع من أن يضيق على مثله، ممّن أسرف على نفسه، وضيّع حقّ ربّه. ودائره اليوم طلول قد

⁽۱) قوله: «اليوم خمر وغدًا أمر، لامرى، القيس، وقد قاله عندما بلغ أن بني أسد ثاروا على أبيه وقتلوه، وكان آنذاك في مجلس شراب.

 ⁽۲) رحبة مؤمل أو حور مؤمل أو حوز مؤمل: كان من أجمل متنزهات غرناطة، سُمِّي بذلك نسبة إلى مؤمل أحد خذام ملك غرناطة باديس بن حبوس، ولاحتوائه على سطر من شجر الحور.
 مملكة غرناطة (ص ۳٥).

⁽٣) كذا ورد في اللمحة البدرية (ص ٣١). ويرى ابن خلدون أن باديس توفي سنة ٤٦٧ هـ. ويتردد القلقشندي في تاريخ الوفاة، فمرة يذكر أنه توفي سنة ٤٦٧ هـ، ويذكر مرة أخرى أنه توفي عام ٤٧٧ هـ. كتاب العِبر (م ٤ ص ٣٤٦) و(م ٢ ص ٣٦٩)، وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٣٤٢).

⁽٤) المُكَتّب: معلّم الكتابة، محيط المحيط (كتب)،

تغيّرت أشكالها وقسّم التملُّك جنّاتها، ومع ذلك فمعاهدها إليه منسوبة، وأخباره مُتداولة.

وقد ألمعت في بعض مشاهده بقولي من قصيدة، غريبة الأغراض، تشتمل على فنون، أثبتها إحماضًا وفكاهة، لمَن يطالع هذا الكتاب، وإن لم يكن جلبها ضروريًا فيه، فمنها (١٠): [الطويل]

عسى خَطْرة (٢) بالرُّكْبِ يا حادي العِيسِ على الهَضْبةِ الشَّمَّاءِ من قَصْرِ باديسِ بَكُرون بن أبي بكر بن الأشْقَر الحَضْرمي

يكنى أبا يحيى.

حاله: كان من ذوي الأصالة ومشايخ الجند، فارسًا نَجِدًا حازمًا سديد الرأي، مسموع القول، شديد العُضْلة (٢)، أيدًا (٤)، فَحُلَا وسيمًا، قائدًا عند الجند الأندلسي، في أيام السلطان ثاني ملوك بني نصر، من أحفل ما كان الأمر، يجرُّ وراءه دنيا عريضة، وجَبى الجيش على عهده مغانم كثيرة.

قال شيخنا ابن شِبْرين في تذكرة ألفيتُها بخطه: كان له في الخدمة مكانٌ كبير، وجاهٌ عريض، ثم صرفه الأمر عن رسمه، وأنزله الدهر عن حكمه، تغمّدنا الله وإياه برحمته.

وفاته: في عام أربعة عشر وسبعمائة، ودفن بمقبرة قومه بباب إلبيرة.

بدر مولى عبد الرّحمان بن معاوية الداخل

يُكنى أبا النصر، رُومي الأصل.

حاله: كان شجاعًا داهية، حازمًا فاضلًا، مصمّمًا تقيًّا، عَلَمًا من أعلام الوفاء. لازم مولاه في أعقاب النكبة، وصحبه إلى المغرب الأقصى، مختصًّا به ذابًا عنه، مشتملًا عليه، وخطب له الأمر بالأندلس، فتمّ له بما هو مذكور.

⁽۱) البيت مطلع قصيدة من ٣٦ بيتًا وردت في نثير فرائد الجمان (ص ٣٤٥ ـ ٢٤٨)، وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧)، ونفح الطيب (ج ٩ ص ١٩١ ـ ١٩٤). وسترد في الجزء الرابع من الإحاطة.

⁽٢) في ألنثير: ﴿خطوةٌ ٩.

⁽٣) شديد العُضْلة: كثير الدهاء. لسان العرب (عضل).

⁽٤) الآيُّد: القوي. لسان العرب (أيد).

قال أبو مروان في المُقتَبِس: إن عبد الرّحمان لمّا شرّده الخوف إلى قاصية المغرب، وتنقّل بين قبائل البربر، ودنا من ساحل الأندلس ـ وكان بها همّه ـ يستخبر من قرب، فعرف أن بلادها مُفترقة بفرقتي المضرية واليمانية، فزاد ذلك في أطمأعه، فأدخل إليهم بدرًا مولاه يُحسّس عن خبرهم، فأتى القوم ويلي ما عندهم، فداخل اليمانيين منهم، وقد عصَفَت ريح المضريين بظهور بني العباس بالمشرق، فقال لهم: ما رأيكم في رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم أودكم ويُدرِّككم أمالكم؟ فقالوا: وَمَنْ لنا به في هذه الديار، فقال بدرِّ: ما أدناه منكم، وأنا الكفيل لكم به، هذا فلان بمكان كذا وكذا يُقدِّمن نفسه فقالوا: فجيء به أهلًا، إنّا سُراعٌ إلى طاعته، وأرسلوا بدرًا بكتبهم يستدعونه، فدخل إليه بأيمن طائر، واستجمع إليه خلق كثير من أنصاره قاتل بهم يوسف الفِهري، فقهره لأول وقائعه، وأخذ الأندلس منه وأورثها عقبه.

محنته: قال الراوي: وكان من أكبر من أمضى عليه عبد الرحمان بن معاوية حُكم سياسته وقوَّمه معذلته، مولاه بدر المعتق منه بكل ذمّة محفوظة، الخائض معه لكل غَمْرة مرهوبة، وكل ذلك لم يُغن عنه نقيرًا لما أسلف في إدلاله عليه، وكثير من الانبساط لحُزمته، فجمح مركب تحامله حتى أورده ألمّا يضيق الصدر عنه، وآسف أميره ومولاه، حتى كبح عنانه عن نفسه بعد ذلك كبْحَة أقعى بها أو شارف حِمامه، لولا أن أبقى الأمير على نفسه التي لم يزل مسرفًا عليها. قال: فانتهى في عقابه لمّا سَخِط عليه أن سلب نعمته، وانتزع دوره وأملاكه وأغرَمه على ذلك كله أربعين ألفًا من صامته، ونفاه إلى النَّغْر، فأقصاه عن قربه، ولم يُقلّه العَثرة، إلى أن ملك، فرفع طمع الهوادة عن جميع ثقله وخدمته، وصيَّر خبرَه مثلًا في الناس بعده.

تاشفين بن على بن يوسف أمير المسلمين^(١) بعد أبيه بالعُذوة صالي حروب الموحدين.

أَوَّلِيَّته: فيما يختص به التعريف بأوّليّة قومه، ينظر في اسم أبيه وجدَّه إن شاء الله. قال ابن الورَّاق في كتاب المقياس وغيره (٢٠): وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، ولّى الأميرُ على بن يوسف أمير لَمْتُونة، الشهير بالمرابط، وَلَدَه الأميرَ

 ⁽۱) ترجمة تاشفين بن علي بن يوسف المرابطي في الحلل الموشية (ص ۹۰)، والبيان المغرب (ج
 ٤ ص ٧٩)، والذخيرة (ق ٢ ص ٤٠٧).

⁽٢) قارن بالبيان المغرب (ج ٤ ص ٧٩).

المسمّى بسير عهده من بعده. وجعل له الأمر في بقية حياته؛ ورأى أن يولي ابنه تاشُفين الأندلس، فولًاه مدينة (١) غرناطة، وألمريّة ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده. قلت: وفي قولهم رأي أن يولِّي الأندلس فولًاه مدينة غرناطة، شاهد كبير على ما وصفّناه من شرف هذه المدينة؛ فنظر في مصالحها، وظهر له بركة في النصر على العدو، وخدمه الجَدُّ الذي أسلمه. وتبرّأ منه في حروبه مع الموحّدين حسبما يتقرُّر في موضعه، فكانت له على النصارى وقائع عظيمة بَعُد لها الصّيتُ، وشاع الذّكر حسبما يأتي في موضعه. قال: فكبُر ذلك على أخيه سِير وليٌ عهد أبيه، وفاوض أباه في ذلك وقال له: إن الأمر الذي أمُّلتني إليه (٢) لا يحسُن لي مع تاشُفين، فإنه قد حمل الذكر والثِّناء دوني، وغطَّى على اسمي، وأمال إليه جميع أهلُّ^(٣) المملكة، فليس لي معه اسمٌ ولا ذكرٌ، فأرضاه بأن عزله عن الأندلس وأمره بالوصول إلى خَضْرته، فرحل عن الأندلس في أواسط سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ووصل مرَّاكش، وصار من جملة مَن يتصرّف بأمر أخيه سِير ويقف ببابه كأحد حُجَّابه؛ فقضى الله وفاة الأمير سِيرِ على الصورة القبيحة حسبما يذكر في اسمه، وثكَّلُه أبوه واشتد جزعه عليه، وكان عظيم الإيثار والإرضاء لأمَّه قمر، وهي (١) التي تسبُّبت في عزل تاشُفين وإخماله نظرًا إلى ابنها، فقطع المقدار بها عن أملها بهلاكه.

ولمّا توفي الأمير سِير، أشارت الأمّ المذكورة على أبيه بتقديم ولده إسحل وكان رؤومًا لها، قد تولّت تربيته عند هلاك أمّه وتبنّته، فقال لها: هو صغير السّن لم يبلغ الحُلُم؛ ولكن حتى أجمع الناس في المسجد خاصّة وعامّة، وأخبرهم فإن صرفوا الخيار إليّ، فعلت ما أشرت به. فجمع الناس وعرض عليهم الأمر؛ فقالوا كلهم في صوت واحد: تاشفين، فلم توسِعه السياسة مخالفتهم؛ فعقد له الولاية بعده ونقش اسمه في الدنانير والدراهم مع اسمه، وقلّده النظر في الأمور السلطانية، فاستقرّ بذلك. وكتب إلى العُذوة والأندلس وبلاد المغرب ببيعته، فوصلت البيعات من كل جهة. ثم رمى به جيوش الموحدين الخارجين عليه، فنبا جدّه ومرضت أيامه، وكان الأمر عليه لا له، بخلاف ما صنع الله له بالأندلس.

⁽١) في البيان المغرب: ﴿فُولًا إِمَارَةَ أَغُرِنَاطُهُ...٥.

 ⁽۲) في البيان المغرب: «له».
 (۳) كلمة «أهل» ساقطة في البيان المغرب.

⁽٤) راجع البيان المغرب (ج ٤ ص ٩٧).

قال أبو مروان الورّاق^(۱): وكان^(۲) أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين قد أمل في ابنه تاشفين ما لم تكن الأقدار تساعده به، فتشاءم به وعزم على خَلْعه وصرف عهده إلى إسحنق^(۱) ولده الأصغر، ووجّه إلى عامله على إشبيلية عمر⁽¹⁾، أن يصل إليه ليجعله شيخ ابنه، إلى أن وافاه خبر أمضه وأقلقه ولم يمهله، فأزعج تاشفين إلى عدُوه على غير أهبة بتقويضه إياه، وصرّف المدد في إثره، وتوفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين⁽⁰⁾ لفعله ذلك.

مُلْكه ووصف حاله: فأفضى إليه مُلْك أبيه، بتفويضه إياه في حياته، لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وكان بطلًا شجاعًا حسن الرُّكبة والهيئة، سالكًا ناموس الشريعة، مائلًا إلى طريقة المستقيمين، وكُتُب المريدين؛ قيل إنه لم يشرب قط مُسكِرًا ولا استمع إلى قينة، ولا اشتغل بلذة ممّا يلهو به الملوك.

الثّناء عليه: قال ابن الصيرفي (٢): وكان بطلاً شجاعًا، أحبّه الناس، خواصّهم وعوامّهم، وحَسُنَت سياسته فيهم، وسدّ الثّغور، وأذكى (٢) على العدو العيون، وآثر الجند، ولم يكن منه إلّا الجَدّ، ولم تنل عنده الحظوة (٨)، إلّا بالعناء والنجدة. وبذلك حمل على الخيل، وقلّد الأسلحة، وأوسع الأرزاق، واستكثر من الرّماة (٩) وأركبهم وأقام همّتهم (١٠) للاعتناء بالثغور ومباشرة الحرب، ففتح الحصون وهزم الجيوش وهابه العدو. ولم يتهض إلا ظاهرًا ولا صدر إلّا ظافرًا. وملك الملك ومهد بالحزم وتملك (١١) نفوس الرعيّة بالعدل (١٢)، وقلوب الجند بالنّصَفَة. ثم قال: ولولا الاختصار الذي اشترطناه لأوردنا من سنى خلاله ما يضيق عنه الرّخب، ولا يسعه الكتّب.

دينه: قال المؤرِّخ: عكف على زيارة قبر أبي وهب الزاهد بقرطبة، وصاحب أهل الإرادة، وكان وطيء الأكناف (١٣)، سهل الحجاب، يُجالس الأعيان ويُذاكرهم.

⁽١) النص في البيان المغرب (ج ٤ ص ٩٩ ـ ١٠٠) بتصرّف.

 ⁽۲) في البيان المغرب: (وقد كان).
 (۳) كلمة (إسحق) ساقطة في البيان المغرب.

 ⁽٤) في الأصل: «أغمار» والتصويب من البيان المغرب.

⁽٥) كذا جاء في البيان المغرب (ج ٤ ص ٨٠) و(ص ١٠٠).

⁽٦) قارن بالحلل الموشية (ص ٩٠).

⁽٧) في الحلل الموشية: •وأذكى العيون على العدو.

⁽٨) في الحلل الموشية: «الخطوة». (٩) في الحلل الموشية: «الرمات».

⁽١٠) في الحلل الموشية: «هممهم». (١١) في الحلل الموشية: «وملك».

⁽١٢) في الحلل الموشية: «بالمعدلة».

⁽١٣) الأكناف: جمع كنف رهو الناحية. لسان العرب (كنف).

قال ابن الصيرفي: ولمّا قَدِمَ غرناطة أقبل على صيام النهار، وقيام الليل، وتِلاوة القرآن، وإخفاء الصّدقة، وإنشاء العدل، وإيثار الحق.

دُعابِته: قالوا: مَوْ يومًا بمرج القرون، من أحواز قلعة يحصُب، فقال لزمَّال من عبيده كان يُمازحه: هذا مَوْجُك؛ فقال الزمَّال: ما هو إلَّا مرجك ومرج أبيك، وأما أنا فمَن أنا؟ فضحك وأعرض عنه.

دخوله غرناطة: قالوا(۱): وفي عام ثلاثة وعشرين وخمسمائة، وُلِّي الأمير أبو محمد تاشفين بن أمير المسلمين عليّ بن أمير المسلمين يوسف، ووافاها في السابع عشر (۲) لذي حجة؛ فقوَّى الحصون وسدَّ الثغور وأذكى العيون (۳)، وعمد إلى رحبة القصر، فأقام بها السقائف والبيوت، واتخذها لخزن السلاح ومقاعد الرجال، وضرب السهام؛ وأنشأ السُّقي، وعمل التراس، ونسج الدُّروع، وصقل البيضات والسيوف، وارتبط الخيل، وأقام المساجد في الثغور، وبنى لنفسه مسجدًا بالقصر، وواصل الجلوس للنظر في الظّلامات، وقراءة الرُّقاع، وردِّ الجواب؛ وكتب التوقيعات، وأكرم الفقهاء والطلبة، وكان له يوم في كل جمعة، يتفرّغ فيه للمناظرة.

وزراؤه: قال أبو بكر: وقرن الله به ممن ورد معه، الزبير بن عمر اللمتوني، نُدُرة الزمان كرمًا وبسالة، وحزمًا وأصالة، فكان كما جاء في الحديث عن رسول الله، ﷺ: قمن وُلِي شيئًا من أمور المسلمين فأراد الله به خيرًا، جعل الله له بطانة خير، وجعل له وزيرًا صالحًا، إن نسي شيئًا ذكّره، وإن ذكره أعانه.

عماله: الوزير أبو محمد الحسين بن زيد بن أيوب بن حامد بن منحل بن يزيد.

كُتَّابِه: الرئيس العالم أبو عبد الله بن أبي الخصال، والكاتب المؤرِّخ أبو بكر الصيرفي وغيرهما(١).

ومن أخبار جهاده: خرج^(ه) الأمير تاشفين في رمضان عام أربعة وعشرين وخمسمائة بجيش غرناطة ومطوعتها، واتصل به جيش قرطبة إلى حصن السُّكَة من عمل طلَيطُلة، وقد اتخذه العدو ركابًا لإضراره بالمسلمين، وشحنه وجَمَّ به شوكة

⁽١) النص في البيان المغرب (ج ٤ ص ٨٠) وبعضه في الحلل الموشية (ص ٩٠).

⁽٢) في البيان المغرب: قني السابع والعشرين.

⁽٣) في البيان المغرب: العيون على العدو. . . ٢.

 ⁽٤) في الأصل: (وغيرهم).
 (٥) قارن بالبيان المغرب (ج ٤ ص ٨٣ ـ ٨٦).

حادّة بقومِس مشهور؛ فأحدق به، ونشر الحرب عليه، فافتتحه عُنُوة وقتل مَن كان به؛ وأحيا قائده «فِرَند» ومَن معه من الفرسان، وصدر إلى غرناطة، فبرز له الناس بروزًا لم يعهد مثله. وفي شهر صفر من عام خمسة وعشرين أوقع بالعدو المضيق على أوّليته. وفي ربيع الأول من عام ستة وعشرين، تعرُّف خروج عدو طُليطُلة إلى قرطبة؛ فبادر الأمير تاشفين إلى قرطبة، ثم نَهَد (١١) إلى العدو في خَفُّ، وترك السيقة والثقل بأزجُونة. وقد اكتسح العدوُّ بشنت إشطيبن (٢) والوادي الأحمر. وأَسْرَى الليل، وواصل الركض، وتلاحق بالعدو بقرية براشة. فتراءى الجمعان صُبْحًا، وافتضح الجيش، ونشرت الرّماح والرّايات، وهَدُرت الطبول، وضاقت المسافة، وانتبذ العدو عن الغنيمة؛ والتف الجمعُ، فتقصرت الرّماح، ووقعت المسابقة، ودارت الحرب على العدو، وأخذ السيف مأخذه، فأتى القتل على آخرهم، وصدر إلى غرناطة ظافرًا. وفي (٣) آخر هذا العام خرج العدو اللنمط وقد احتفل في جيشه إلى بلاد الإسلام، فصَبَح إشبيلية يوم النصف من رجب، وبرز إليه الأمير أبو حفص عمر بن علي بن الحاج، فكانت به الدُّبرة (١٠) في نفر من المسلمين استشهد جميعهم؛ ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجلُلها نهبًا وغارةً؛ فقتل عظيمًا، وسبى عظيمًا؛ وبلغ الخبر الأمير تاشفين، فطوى المراحل، ودخل إشبيلية، وقد أسَرُّها؛ واستؤصلت باديتها، وكثر بها التأديب والتنكيل فأخذ أعقاب العدو، وقد قصد ناحية بَطَلْيَوْس وباجَة ويابرة في ألف(٥) عديده من أنجاد الرجال، ومشهور الأبطال، فراش جَوْلًا عَهْدًا بالرّوع، فظَفِرَ بما لا يحصيه أحد، ولا يقع عليه عدد؛ وانثنى على رِسْل لثقل(٢٠) السيقة، وثقته ببعد الصّارخ(٧٠)، وتجشمت بالأمير تاشفين الأدلاء كل ذِرْوةٍ وثنيَّة، وأفضى به الإعداد(٨) إلى فَلاة بقرب الزّلاقة، وهو المهْيَع الذي يضطر العدو إليه، ولم يكن إلّا كلّا ولا، حتى أقبلت الطلائع مُنذرةً بإقبال العدر، والغنيمة في يده قد ملأت الأرض؛ فلما تراءى

⁽۱) نهد: برز،

 ⁽۲) شنت إشطيبن أو إشتيبن: بالإسبانية San Esteban وهي حصن بالأندلس تحت أصل جبل ممتنع. الروض المعطار (ص ٦٠).

⁽٣) قارن بالحلل الموشية (ص ٩١) والبيان المغرب (ج ٤ ص ٨٨ ـ ٨٩).

⁽٤) الدبرة: الهزيمة.

⁽٥) في الحلل الموشية: «تألفهم جيش يحتوي على آلاف من أنجاد رجالهم ومشهور أبطالهم».

⁽٦) في الأصل: "انتقل! والتصويب من البيان المغرب.

⁽٧) في البيان المغرب: ﴿وثقتهم ببعد الصارخ منهم. . . ٧.

⁽٨) في البيان المغرب: «الإغذاذ به إلى فدان بقرب. . ٧٠.

الجمعان، واضطربت (۱) المحلات، ورتبت المراكب فأخذت مصافحها، ولزمت الرجال مراكبها (۲)، فكان القلب مع الأمير ووجوه المرابطين وأصحاب الطاعات؛ وعليه البنود الباسقات، مكتبة (۲) بالآيات، وفي المجتبين (۱) كبار الدولة من أبطال الأندلس، عليهم حُمْر الرّايات بالصور الهائلة (۵)، وفي الجناحين أهل الشغر والأوشاب من أهل الجِلادة، عليهم الرّايات المُرقعات بالعَذَبات المجزّعات. وفي المقدمة مشاهيرُ زَناته ولفيفُ الحشم بالرايات المُصبَغات المُنبَقات (۱). والتقى الجمعان، ونزل الصبر، وحَمِيت النفوس، واشتد الضرب والضراب وكثرت الحملات؛ فهزم الله الكافرين، وأعطوا رقابهم مُذبرين، فوقع القتل، واستلحم العدو السيف، واستأصله الهلاك والأسار؛ وكان فتحًا جليلًا لا كفاء له، وصدر الأمير تاشفين ظافرًا إلى (۷) بلده في جُمادى من هذا العام. ولو ذهبنا لاستقصاء حركات الأمير تاشفين وظهوره لاستدعى ذلك طولًا كثيرًا.

بعض ما مدح به: فمن ذلك (٨): [الكامل]

أمّا وبِيضُ الهندِ عنك خصومُ فالرّومُ تبذلُ ما ظباكَ تَرُومُ تمضي سيوفُك في العدا ويردّها عن نفسه حيث الكلامُ وخيمُ (٩)

وهذه القصائد قد اشتملت على أغراضها الحماسية، والمُلَك سوقٌ يُجْلَب إليها ما يُنْفق عندها.

وفاته: قد تقدّم انصرافه عن الأندلس سنة إحدى وثلاثين وخمسماية، وقيل: سنة اثنتين (١٠٠)، واستقرارُه بمرَّاكُش مرؤوسًا لأخيه سِير، إلى أن أفضى إليه الأمرُ بعد أبيه. قال: واستقبل تاشفين مدافعة جيش أمير الموحدين، أبي محمد عبد المؤمن بن

⁽١) في البيان المغرب: «اضطربت المحلتان، وترتبت المواكب.

⁽٢) في البيان المغرب: «مراكزها فكان في الفلب.

⁽٣) في الحلل الموشية: المكتوبة!.

⁽٤) في المصدرين: ﴿وفي الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من أبطال...٠.

⁽٥) في المصدرين: ﴿ الهَائلات، .

⁽٦) في البيان المغرب: «بالرايات المصنفة. . . ا. والمنبقّات: المزركشات. لسان العرب (نبق).

⁽٨) البيتان في البيان المغرب (ج ٤ ص ٨٩). (٩) في البيان المغرب: «رحيم».

⁽١١) في الأصل: قائنين.

على خليفة مَهْديهم، ومقاومة أمر قضى الله ظهوره، والدفاع عن مُلُك بلغ مداه، وتَمَّت أيامه. كتب الله عليه، فالتأثّ سَعْدُه، وقُلَّ جَدَّه، ولم تقم له قائمة إلى أن هُزم، وتبدَّد عسكره، ولجأ إلى وَهْران، فأحاط به الجيش، وأخذه الحصار. قالوا: فكان من تدبيره أن يلحق ببعض السواحل، وقد تقدّم به وصول ابن ميمون قائد أسطوله، ليرفعه إلى الأندلس؛ فخرج ليلًا في نفر من خاصّته فرّقهم الليل، وأضلَهم الرّوع، وبدّدتهم الأوعار، فمنهم مَن قتل، ومنهم مَن لحق بالقطائع البحرية؛ وتردّى بتاشفين فرسه من بعض الحافّات، ووُجِد ميّتًا في الغد، وذلك ليلة سبع وعشرين لرمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة؛ وصلبه الموحدون، واستولوا على الأمر من بعده، والبقاء لله تعالى.

ثابت بن محمد الجرجاني ثم الإستراباذي(١)

يكنى أبا الفتوح.

حاله: قال ابن بسّام (٢): كان الغالب على أدواته علم اللّسان، وحفظُ الغريب، والشعر الجاهلي والإسلامي، إلى المشاركة في أنواع التعاليم، والتصرّف في حَمْل السلاح، والحِذْق بأنواع (٢) الجُنْدية؛ والنّفاذ في أنواع (١) الفروسيّة، فكان الكامل في خلال جمّة. قال أبو مروان: ولم يدخل الأندلس أكمل من أبي الفتوح في علمه وأدبه. قال ابن زيدون: لقيّته بغرناطة، فأخذت عنه أخبار المشارقة، وحكايات كثيرة؛ وكان غزير الأدب، قوي الحفظ في اللغة، نازغًا إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة، له بذلك قوة ظاهرة.

طروق على الأندلس: قال صاحب الذخيرة (٥): طرأ على الحاجب (٦) منذ صَدْر الفتنة للذائع من كرمه، فأكرمه (٧) ورفع شأنه، وأصحبه ابنه (٨) المرشَّحَ لمكانه (٩)،

⁽۱) ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني في بغية الوعاة (ص ۲۱۰)، وجذوة المقتبس (ص ۱۸٤، ۳۵۲)، والضلة (ص ۲۰۲)، ومعجم (٣٥٢)، والذخيرة (ق ٤ ص ١٢٤)، وبغية الملتمس (ص ٢٥٣)، والصلة (ص ٢٠٦)، ومعجم الأدباء (ج ٢ ص ٣٦٦)، ومملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٢٧٠).

⁽٢) الذخيرة (ق ٤ ص ١٢٤). (٣) في الذخيرة: قبالآلات.

⁽٤) في الذخيرة: قمعاني. (٥) الذخيرة (ق ٤ ص ١٣٤ ـ ١٢٥).

⁽٦) في الذخيرة: «الجانب». ويُستفاد من النص أنه طرأ على على بن حمود الحسني، الذي كان خليفة ولم يكن حاجبًا. بويع له بقرطبة سنة ٤٠٧ هـ وقتله الصقالبة في العام التالي في حمام قصره.

⁽٧) في الذخيرة: ﴿فَأَكُرُم نُزُلُّهُ، ورفع من شأنه؛. (٨) هو ابنه يحيىٰ بن علمي بن حمود.

⁽٩) في الذخيرة: «المرشح ـ كان ـ لسلطانه».

فلم يزل له بهما^(۱) المكان المكين، إلى أن تغيَّر عليه يحيئ لتغيَّر الزمان، وتقلَّبِ الليالي والأيام بالإنسان، ولحق^(۲) بغرناطة بعسكر البرابرة، فحلَّت به من أميرهم باديس الفاقرة^(۳).

مَن روى عنه: قال أبو الوليد: قرأت عليه بالحضرة الحماسة في اختيار أشعار العرب، يحملها عن أحمد بن عبد السلام بن الحسين البصري، ولقيه ببغداد سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، عن أبي رياش أحمد بن أبي هشام بن شِبِّل العَبْسي بالبصرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وله في الفضائل أخبار كثيرة.

محنته ووفاته: لحقه عند باديس مع عمه يَدُير بن حُباسه تهمةٌ في التدبير عليه، والتسوُّر على سلطانه، دعتهما إلى الفرار عن غرناطة، واللُّحَاق بإشبيلية. قال أبو يحيئي الورَّاق: واشتدَّ شوقُ أبي الفتوح إلى أهله عند هربه مع يذير إلى إشبيلية لمَّا بلغه أن باديس قبض على زوجته وبنيه وحبسهم بالمُنَكّب عند العبد قدّاح صاحب عذابه، وكان لها من نفسه موقعٌ عظيمٌ، وكانت أندلسيَّة جميلة جدًا لها طفلان ذكرٌ وأنثى، لم يُطِق عنهما صبرًا وعمل على الرجوع إلى باديس طمعًا في أن يصفح عنه، كما عمل مع عمّه أبي ريش؛ فاستأمن إلى بأديس يوم نزوله على باب إستِجة إثر انهزام عسكر ابن عباد، وفارق صاحبَه يدُير، ورمى هو بنفسه إلى باديس من غير توثّق بأمان أو مراسلة؛ فلما أدخل عليه وسلم، قال له: ابتدىء، بأي وجهِ جئتني يا نمّام؟ ما أُجْرَاكُ على خَلْقك، وأشدُّ اغترارك بسحرك، فرّقت بين بني ماكسّن، ثم جنت تخدعُني كأنك لم تصنع شيئًا؛ فلاطفه، وقال اتّق الله يا سيدي، وارْعَ ذمامي، وارحمُ غُربتي وسوء مقامي، ولا تُلزمني ذنب ابن عمّك؛ فما لي سبب فيه، وما حملني على الفرار معه إلّا الخوف على نفسي لسابق خُلطته؛ ولقد لَفَظتني البلاد إليك مُقرًّا بما لم أَجُنِه رغبة في صفحك، فافعل أفعال الملوك الذين يَجِلُون عن الحقد على مثلى من الصعاليك؛ قال: بل أفعلُ ما تستحقُّه إن شاء الله؛ أن تنطلق إلى غرناطة، فدُمْ على حالك، والَّقِ أهلك إلى أن أقبِل، فأصلح من شأنك. فاطمأنُ إلى قوله، وخرج إلى غرناطة وقد وُكُل به فارسان، وقد كتب إلى قدَّاح بحبسه؛ فلمّا شارف إلى غرناطة قبض عليه، وحَلَق رأسه، وأركب على بعير، وجُعل خلفه أسودُ فَظُ ضخم يوالي صَفْعه، فأدخل البلد مُشَهِّرًا، ثم أودع حبسًا ضيُّقًا، ومعه رجل من أصحاب يَدُّير أُسِرَ في الوقعة من صَنْهاجة، فأقاما في الحبس معًا إلى أن قَفِّل باديس.

⁽١) في الذخيرة: ﴿بها!.

⁽٢) في الذخيرة: •ففارقه ولحق في غرناطة.

⁽٣) الفاقرة: الدامية.

مقتله: قال أبو مروان في الكتاب المسمّى بالمتين: واستراح باديس أيامًا في أعرناطة يَهيمُ بذكر الجُرجاني، ويعضُ أنامله، فيعارضه فيه أخوه بُلكين، ويكذب الظنون وسعى في تخليصه، فارتبك باديس في أمره أيامًا، ثم غافض أخاه بلكين فقتله وقتًا أمِنَ فيه أمر معارضته؛ لاشتغاله بشراب وآلة، وكانت من عادته؛ فأحضر باديس الجُرْجاني إلى مجلسه، وأقبل يشتمه ويسبّه ويُبكته، ويطلق الشماتة ويقول، لم تُغنِ عنك نجومك يا كذّاب، ألم يعد أميرُك الجاهل؟ يعني يدير، أنه سوف يظفر بي ويَملِكُ بلدي ثلاثين سنة، لِمَ لم تدفّق النظر لنفسك وتحذر ورطتك؟ قد أباح الله لي دمك. فأيقن أبو الفتوح بالموت؛ وأطرق ينظر إلى الأرض، لا يكلّمه ولا ينظر إليه؛ فزاد ذلك في غيظ باديس، فوثب من مجلسه والسيفُ في يده، فخبط به الجُرجاني حتى جدّ له وأمر بحرّ رأسه؛ قال: وقدم الصنهاجي الذي كان محبوسًا معه إلى السيف، فاشتذ جزعُه، وجعل يعتذر من خطيئته، ويلحُ في ضراعته؛ فقال له باديس: أما تستحي يا ابن الفاعلة؛ يصبر المعلم الضعيفُ القلب على الموت مثل هذا الجزع؟ وطال ما أعددت نفسك في أشذاء الرجال، لا أقال الله مقيلك؛ فضرب عنقه، وانقضى أعددت نفسك في أشذاء الرجال، لا أقال الله مقيلك؛ فضرب عنقه، وانقضى

ومن تمام الحكاية ممّا جلبه ابن حيّان، قال: وكلّم الصنهاجيّون باديس في جعّة صَنْهاجِهم المقتول مع أبي الفتوح، فأمرّني بإسلامها إليهم، فخرجوا بها من فورهم إلى المقبرة على نعش، فأصابوا قبرًا قد احتُفر لمَيْت من أهل البلد، فصبُوا صاحبهم الصّنهاجي فيه، ووارُوه من غير غُسُل ولا كفن ولا صلاة، فعجب الناس من تَسَحّيهم في الاغتصاب حتى الموتى في قبورهم.

مولده: سنة خمسين وثلاثمائة.

وفاته: كما ذُكِرَ ليلة السبت لاثنتين بقيتا من محرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. قال برهون من خُذام باديس: أمرني بمواراة أبي الفتوح إلى جانب قبر أحمد بن عباس، وزير زُهير العامري، فقَبْراهُما في تلك البقعة مُتجاوران، وقال: اجعل قبرَ عدُو إلى جانب عدو إلى يوم القِصاص، فيا لهما قبران أجَمّا أدبًا لا كفاء له، والبقاء لله سبحانه.

جعفر بن أحمد بن على الخزاعي

من أهل غرناطة، ويعسوب الثاغية والراغية (١) من أهل رَبَض البيّازين، يكني أبا

⁽١) يَغْسُوبهم: سيدهم ورئيسهم. والثاغية: الشاة؛ يقال: ما له ثاغية ولا راغية: أي ليس له شاة ولا ح

أحمد الشهير ذكره بشرق الأندلس، المعروف بكرامة الناس، المقصود الخفرة، المحترم التُّربة حتى من العدوّ، والرائق بغير هذه الملَّة. خرج قومه من وطنهم عند تغلّب العدو على الشرق، فنزلوا ربض البيّازين جوفي (١١) المدينة، وارتاشوا، وتلتُّموا(٢)، وبنوا المسجد العتيق، وأقاموا رسم الإرادة، يرون أنهم تمسكوا من طريق الشيخ أبي أحمد بآثاره، فلا يَغُبُون بيته، ولا يقطعون اجتماعًا، على حالهم المعروفة من تلاوة حسنة، وإيثار ركعات، ثم ذكر ثم ترجيع أبياتٍ في طريق التصوّف، مما يُنسب للحسين بن منصور الحلاج (٣) وأمثاله، يعرفونها منهم مشيخةً، قوّالون، هم فحول الأجمة وضرائك(٤) تلك القطيعة يهيجون بلابلهم، فلا ينشبون أن يحمى وطيسُهم، ويخلط مَرْعِيُهم (٥) بالهَمَل، فيرقصون رقصًا غير مُساوق للإيقاع الموزون، دون العجال الغالبة منهم، بإفراد كلمات من بعض المقول، ويكرُّ بعضهم على بعض، وقد خلعوا خَشِن ثيابهم، ومرقوعات قُباطيهم ودرانيكهم(٢٠). فيدوم حالهم حتى يتصبّبوا عرقًا. وقُوّالَهم يحرُّكون فتورهم، ويَزْمِرون روحهم، يخرجون بهم من قول إلى آخر، ويُصلون الشيء بمثله، فربما أخذت نوبة رقصهم بطرفي الليل التمام، ولا تزال المشيّعة لهم يدعونهم، ويحاجُونهم إلى منازلهم، وربما استدعاهم السلطان إلى قصره مُحمضًا في لطائف نعيمه باخشيشانهم، مُبدِيًا التبرُّك بألويتهم. ولهم في الشيخ أبي أحمد والد نِخلتهم، وشبحنة قلوبهم، عصبيَّة له وتقليد بإيثاره، أنفَجَت (٧) لعقده أيمانهم، وشرطُ في صحة دينهم، وأرتكبوا في النفور عن سماع المِزْمار القُصَبي المسمَّى بالشِّبابة الذي أرخص في حضور الولائم، مع نَفْخ بَرَعه العدد الكثير من الجِلَّة الصلحاء القُدُوة مرتَّكبًا، حتى ألحقوه بالكبائر الموبقَّة، وتعدُّوا اجتنابه جِبلة وكراهةً طِباعيَّة، فتَزْوى عند ذكره الوجوه. وتُقتحم عند الاتِّهام به الدُّور، وتسقط فيما

⁼ ناقة، أي ليس له شيء. لسان العرب (عسب) و(ثغا).

 ⁽١) الجَوْف في اصطلاح المغاربة الجهة المقابلة للقبلة، أي الشمال. اللمحة البدرية (ص ٢٢،
 حاشية ٣).

⁽٢) أغلب الظن أنه يريد أن يقول إنهم ساروا على طريقة الملثمين أي المرابطين.

 ⁽٣) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج زاهد مشهور، توفي سنة ٣٠٩ هـ. ترجمته في وفيات
 الأعيان (ج ٢ ص ١١٨) وفيه ثبت المصادر التي ترجمت له.

⁽٤) الضرائك: جمع ضريك وهو النسر الذكر. محيط المحيط (ضرك).

 ⁽٥) في الأصل: امريعهم. وهذا مأخوذ من المثل: «اختلط المَرْعيُّ بالهَمَل. والمَرْعيُّ: الذي له
راع. والهَمَلُ من الإبل: السُّدى المتروك ليلًا ونهارًا يرعى بلا راع. محيط المحيط (همل).

 ⁽٦) الغّباطي: جمع قُبْطية وهي ثياب بيض رِقاق من كتّان تُنسَج بمَصر. والدرانيك: جمع دِرْنِك
وهي الطنفسة. محيط المحيط (قبط) و(درنك).

⁽٧) أنفجه: أثاره. محيط المحيط (نفيج).

بينهم بفلتة سماعه أخوّة الطريق. وهم أهل سذاجة وسلامة، أولو اقتصاد في ملبس وطعمة واقتيات بأدنى بُلغة، ولهم في التعصّب نزعة خارجيّة (۱)، وأعظمهم ما بين مُكتسب مُتسَبِّب؛ وبين معالج مَدرّة، ومُريع حياكة، وبين أظهرهم من الذّعرة والصعاليك كثير، والطُّرُق إلى الله عدد أنفاس الخلائق، جعلنا الله ممّن قُبل سعيه، وارتضى ما عنده، ويسره لليسرى.

حاله: قام هذا الرجل مقام الشيخ أبي تمام قريبه على هيئة مهلكه، فسد مسده، على حال فتور وغرارة، حتى لأنَ متنُ الخُطة، وخفّ عليه بالمران ثُقُلُ الوظيفة، فأمّ وخطب، وقاد الجماعة من أهل الإرادة. وقضى في الأمور الشرعية بالرّبَض، تحت ضِبْنِ (٢) قاضي الجماعة، وهو الآن بعده على حاله، حسنُ السّجيّة، دمِثُ الأخلاق، ليّن العريكة، سهل الجانب، مقترن الصدق والعقة، ظاهر الجِدّة، محمود الطريقة، تطأه أقدام الكُلف، وتطرح به المطارحُ القاصية، حَوى على الشفاعات، مستور الكفاية في لَفق الضعف، متوالي شعلة الإدراك في حِجْر الغفلة، وجة من وجوه الحَضْرة في الجمهورية، مرعيُ الجانب، مخفّف الوظائف، مقصودًا من مُنتامي (٢) أهل طريقه بالهدايا، مُسْتَدعى إلى مَن بالجهاتِ منهم في كثير من الفصول، ظاهرُ الجدوى في بأهل الخير.

مولده: عام تسعة وسبعمائة.

وفاته: يوم الاثنين التاسع والعشرين لرمضان خمسة وستين وسبعمائة.

جعفر بن عبد الله بن محمد بن سِيدبُونة الخزاعي (٤)

من أهل شرق الأندلس، من نظر دانية، يكنى أبا أحمد، الوليّ الشهير.

حاله: كان^(٥) أحد الأعلام المنقطِعي^(١) القرين في طريق كتاب الله، وأُولي الهداية الحقّة، فذّ، شهير، شائع الخلّة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجبُ حقّه حتى الأُمم الدائنة بغير دين الإسلام، عند التغلّب على قرية مدفنه بما يُقضى منه بالعجب.

⁽١) النزعة الخارجية: نسبة إلى مذهب الخوارج.

⁽٢) الضُّبِّن: ما بين الكُشِّح والإبط. محيط المحيط (ضبن).

⁽٣) منتامو هذه الطريقة: أنصارها الذين يطمئنون إليها.

 ⁽٤) ترجمة ابن سيد بونة الخزاعي في التكملة (ج ١ ص ١٩٧)، والوافي بالوفيات (ج ١١ ص
 ١١٠)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٥٣، ٣٥٩).

⁽٥) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٩). (٦) في النفح: «المنقطعين المقرّبين».

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزُبير عند ذكره في الصَّلة (١): أحد أعلام (٢) المشاهير فضلًا وصلاحًا؛ قرأ ببلنسية (٣)، وكان يحفظ نصف «المُدَوَّنة» وأقرأها، ويؤثر (١) الحديث والتفسير والفقه، على غير ذلك من العلوم.

مشيخته: أخذ⁽⁰⁾ القراءات السبع عن المقرىء أبي الحسن بن هُذيل، وأبي الحسن بن النّعمة، ورحل إلى المشرق، فلَقِيَ في رحلته جِلّة، أشهرهم وأكبرهم في باب الزهد وأنواع سني الأحوال، ورفيع المقامات، الشيخ الجليل، الوليّ لله تعالى، العارف، أبو مدين شُعيب⁽¹⁾ بن الحسين، المقيم بِبجاية، صحبه وانتفع به، ورجع من عنده بعجائب دينية، ورفيع أحوال إيمانية، وغلبت عليه العبادة، فشُهِرَ بها حتى رحل إليه الناس للتبرّك بدعائه، والتيمُن برؤيته ولقائه، فظهرت بركته على القليل والكثير منهم وارتووا زُلالًا من ذلك العذب النّمير، وحظه من العلم مع عمله الجليل موفور، وعِلْمُه نورٌ على نور. لقيت قريبه الشيخ أبا تمام غالب بن حسين بن سِيدبُونة حين ورد غرناطة، فكان يحدّث عنه بعجائب.

دخوله فرناطة: وذكر المُعتَنون بأخباره بالحَضْرة إلى طريقه، أنه دخل الحضرة وصلّى في رابطة الرُبُط من باب (٢)... وأقام بها أيامًا، فلذلك المسجد المِزية عندهم إلى اليوم. وانتقل الكثير من أهله وأذياله عند تعلّب العدو على الشرق على بلدهم، إلى هذه الحضرة، فسكنوا منها رَبَض البيّازين، على دين وانقباض وصلاح، فيحجّون بكنوز من أسراره، ومبشراته مضنون بها على الناس. وبالحضرة اليوم منهم بقية تقدّم الإلماع بذكرهم.

وفاته: توفي، رحمه الله، بالموضع المعروف بزَناتة، في شوّال سنة أربع وعشرين وستمائة، وقد نيّف على الثمانين (٨).

⁽١) المراد: صلة الصلة لابن الزبير، وليس الصلة لابن بشكوال.

⁽٢) في النفح: «الأعلام».

⁽٣) في النفح: ﴿ببلنسية وتفقُّه، وحفظ نصف......

⁽٤) في النفح: ﴿وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه على غيرها ٩.

⁽٥) قارن بالتكملة (ج ١ ص ١٩٧)، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٥٣، ٣٥٩).

 ⁽٦) شعيب بن الحسين أندلسي تلمساني، من مشاهير الصوفية. توفي بتلمسان سنة ٩٤٥ هـ. الأعلام
 (ج ٣ ص ١٦٦) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

⁽٧) بياض في الأصل.

⁽٨) في التكملة: (ج ١ ص ١٩٨): اوتوفي عن سنّ عالية تقارب المئة...١.

الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري

نشأ بغرناطة، يكنى أبا علي، ويُعرَف بابن الناظر(١).

حاله: كان متفنّنا في جملة معارف، أخذ من كل علم سنا بحظ وافر، حافظًا للحديث والتفسير، ذاكرًا للأدب واللغة والتواريخ، شديد العناية بالعلم، مُكِبًا على استفادته وإفادته، حَسَن اللقاء لطلبة العلم، حريصًا على نفعهم، جميل المشاركة لهم. وقال الأستاذ: كان من بقايا أهل الضبط والإتقان لما رواه، وآخر مُقرئي القرآن، ممّن يعتبر في الأسانيد ومعرفة الطرق والروايات، متقدّمًا في ذلك على أهل وقته، وهو أوفر مَن كان بالأندلس في ذلك. أقرأ القرآن والعربية بغرناطة مدة، ثم انتقل إلى مالقة (٢) فاقرأ بها يسيرًا، ثم انقبض عن الإقراء، وبقي خطيبًا بقصبة مالقة نحوًا من خمس (٣) وعشرين سنة، ثم كرًّ منتقلًا إلى غرناطة (٤)، فوَلِيَ قضاء المريّة، ثم قضاء بسُطة، ثم قضاء مالقة.

وصمته: قال الأستاذ: إلّا أنه كان فيه خُلُق أخلُت به، وحملته على إعداء ما ليس من شأنه، عفا الله عنه، فكان ذلك مما يزهّد فيه.

مشيخته: روى عن الأستاذ المقرىء أبي محمد عبد الله بن حسين الكوّاب، أخذ عنه قراءة السبع وغير ذلك، وعن أبي علي وأبي الحسن بن سهل بن مالك الأزديّ، وأبي عبد الله محمد بن يحيى، المعروف بالحلبي، وجماعة غير هؤلاء، ورحل إلى إشبيلية فروى بها عن الشيخ الأستاذ أبي علي (٥) أكثر كتاب سيبويه تفقهًا، وغير ذلك. وأخذ عن جماعة كثيرة من أهلها، وقَدِمَ عليها إذ ذاك القاضي أبو وغير ذلك. وأخذ عن جماعة كثيرة من أهلها، وقَدِمَ عليها إذ ذاك القاضي أبو القاسم بن بَقِيّ، فلقيه بها وأخذ عنه، ورحل إلى بَلنسِية، فأخذ بها عن الحاج أبي الحسن بن خيرة، وأبي الربيع بن سالم، وسمع عليه جملة صالحة، كأبي عامر بن يزيد وغيرهم، وبجزيرة شُقْر عن أبي بكر بن وضاح، وبمُرْسِية يزيد بن أبي العطاء بن يزيد وغيرهم، وبجزيرة شُقْر عن أبي بكر بن وضاح، وبمُرْسِية

⁽١) ترجمة ابن الناظر في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٢ ـ ١٦٣).

 ⁽٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٣) أنه ارتحل عن غرناطة لغرض عَن له بها؛ فلم يُقْضَ،
 فأنف من ذلك، فاستقر بمالقة.

⁽٣) في الأصل: اخمسة، وهو خطأ نموي.

 ⁽٤) يذكر النباهي في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٣) أن ابن الناظر فرّ من مالقة إلى غرناطة لتغيير
 كان سببُه فتنة الخلاف بها.

⁽٥) هو أبو علي الشلوبيني كما جاء في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٣).

عن جماعة من أهلها، وبأوريُولة عن أبي الحسن بن بَقي، وبمالقة عن آخرين، وتحصُّل له جماعة نيَّفوا على الستين.

تصانيفُه: منها المُسلسلات، والأربعون حديثًا، والترشيد في صناعة التَّجويد، وبرنامج رواياته وهو نبيل.

شعره: كان يقرض شعرًا لا يُرْضى لمثله، ممَّن برِّز تبريزه في المعارف.

مولده: يوم الخميس لاثنتي عشرة (١) ليلة بقيت من شوّال سنة خمسين وستمائة.

وفاته: توفي بغرناطة لأربع عشرة (٢) ليلة خَلَت من جمادى الآخرة (٣) سنة تسع وتسعين وستمائة.

الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجُذامي (٤)

من أهل مالقة، يكنى أبا علي.

أولئته: قال القاضي المؤرِّخ أبو عبد الله بن أبي عسكر فيه: من حُسَباء مالقة وأعيانها وقُضاتها، وهو جَدُّ بني الحسن المالقيين، وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة، لم يزالوا يرِثون ذلك كابِرًا عن كابِر، استَقْضَى جدَّه المنصور بن أبي عامر، وكانت له ولأصحابه حكاية مع المنصور.

قال القاضي ابن بياض: أخبرني أبي، قال: اجتمعنا يومًا في متنزّه لنا بجهة الناعُورة بقرطبة مع المنصور بن أبي عامر في حداثة سنّه، وأوان طلبه، وهو مُرتج مُومِّل، ومعنا ابن عمّه عمرو بن عبد الله بن عسكلاجة، والكاتب ابن المَرْعزى، والفقيه أبو الحسن المالقي، وكانت سفرة فيها طعام، فقال ابن أبي عامر من ذلك الكلام الذي كان يتكلّم به: لا بدّ أن نملك الأندلس، ونحن نضحك منه ومن قوله. ثم قال: يتمنّى كلُّ واحد منكم عليٌ ما شاء أوليه؛ فقال عمرو: أتمنى أن توليني المدينة، نضرب ظهور الجنّات. وقال ابن المرعزى: وأنا أشتهي الأسفَحُ (٥)، القضاء في أحكام السُّوق، وقال أبو الحسن: وأنا أحب هذه، أن توليني قضاء مالقة بلدي.

⁽١) في الأصل: ﴿لاثني عشرٍ وهو خطأ نحوي.

⁽٢) في الأصل: «عشره وهو خطأ نحوي.

⁽٣) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٣): جمادي الأولى.

⁽٤) ترجمة الحسن بن محمد بن الحسن النباهي في الصلة (ص ٢٢٥).

⁽٥) الأسفع: الأصلع، والمراد هنا الأرض الأقل عطاء. لسان العرب (سفع).

قال موسى بن غَذرون: قال لي: تمنّ أنت، فشَقَقْتُ لحيته بيدي، واضطربت به وقلت قولاً قبيحًا من قول السفهاء. فلمّا مَلَك ابن أبي عامر الأندلس، ولَى ابنَ عمّه المدينة، وولّى ابن المَرْعَزى أحكام السوق، وولّى أبا الحسن المالقي قضاء ريّه، وبلغ كل واحد ما تمنّى، وأخذ مِنْي مالاً عظيمًا أفقرَني لقبع قولي: فبيتُ بني الحسن شهير، وسيأتي من أعلامه ما فيه كفاية.

حاله: قال ابن الزُبير: كان طالبًا نبيلًا من أهل الدين والفضل والنُهى والنباهة.

نباهته: قال ابن الزبير في كتاب نُزهة البصائر والأبصار: استُقْضِي بغرناطة.

وفاته: توفي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، ذكره ابن بَشْكُوال في الصُلة، وعرّف بولايته قضاء غرناطة، وذكره ابن عسكر، وتوهّم فيه الملّاحي، فقال: هو من أهل إلبيرة.

حسن بن محمد بن حسن القيسي

من أهل مالقة، يكنى أبا علي، ويُعرَف بالقِلنار.

حاله: كان، رحمه الله، بقيَّة شيوخ الأطباء ببلده، حافظًا للمسائل الطبية، ذاكرًا للدواء، فسيح التَّجربة، طويل المُزاولة، متصرِّفًا في الأمور التي ترجع إلى صناعة اليدين صدلة وإخراعة، محاربًا، مقدورًا عليه في أخرياته، ساذجًا، مخشوشنًا، كثير الصحة والسلامة، محفوظ العقيدة، قليل المُصانعة، بريًا من التشمّت، يعالج معيشته بيده في صبابة فلاحة. أخذ صناعة الطب عن أبي الحسن الأركشي^(۱)، ومعرفة أعيان النبات عن المُصحفي وسَرَح معه، وارتاد منابت العُشب في صحبته، فكان آخر السخارين بالأندلس، وحاول عمل الترياق الفارق بالديار السلطانية عام النين وخمسين وسبعمائة مبرِّزًا في اختيار أجزائه، وإحكام تركيبه، وإقدام على اختبار مرهُوبِ حياته، قتلًا وصَنْجًا وتقريصًا، بما يعجب من إدلاله فيه، وفراهته عليه.

حسن بن محمد بن باصة

يكنى أبا علي، ويُعرَف بالصَّغَلْعَل، رئيس المؤقّتين بالمسجد الأعظم من غرناطة، أصله من شرق الأندلس.

⁽١) نسبة إلى أزكش Arcos de la Frontera؛ وهي حصن بالأندلس على وادي لكه. الروض المعطار (ص ٢٧).

حاله: كان فقيها إمامًا في علم الحساب والهيئة، أخذ عنه الجِلّة والنبهاء، قائمًا على الأطلال والرَّخائم والآلات الشعاعية، ماهرًا في التعديل، مع التزام السُّنَّة، والوقوف عند ما حدَّ العلماء في ذلك، مُداوِم النظر، ذا مُسْتَنْبَطات ومُسْتدركات وتواليف، نسيج وحده ورَحْقة وقته.

وفاته: توفي بغرناطة عام ستة عشر وسبعمائة.

الحسن بن محمد بن علي الأنصاري

من أهل. . . (١١)، يكنى أبا علي ويُعرَف بابن كِسرى .

حاله: كان متقدِّمًا في حفظ الأدب واللغة، مبرُزًا في علم النحو، شاعرًا مُجيدًا، مُمتِع المؤانسة، كثير المواساة، حَسَن الخُلُق، كريم النفس، مُثِرًا (٢) في نظم الشعر في غير فن، مدح الملوك والرؤساء، مُؤثِرًا للخُمول على الظهور، وفي تخامُله يقول شعرًا ثبت في موضعه.

مشيخته: روى عن أبي بكر بن عبد الله بن ميمون الكِندي، وأبي عبد الله الكندي، وأبي عبد الله الكندي، وأبي الحكم بن هرودس، وأبي عبد الله بن غالب الرُصافي.

ممّن روى عنه: روى عنه أبو الطاهر أحمد بن علي الهواري السّبتي، وأبو عبد الله إبراهيم بن سالم بن صالح بن سالم.

نباهته وإدراكه: من كتاب نُزهة البصائر والأبصار، قال القاضي أبو عبد الله بن عسكر: نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي، رحمه الله ما معناه:

قال: حدّثني الفقيه الأديب أبو علي، قال: كنت بإشبيلية، وقد قصدتها لبعض الملوك، فبينما أنا أسير في بعض طرقها، لقيتُ الشيخ أبا العباس، فسلّمتُ عليه، ووقفت معه، وكنت قد ذُكِرَ لي أنّ بها رجلًا من الصالحين، زاهدًا، فاضلًا، ينتقد من الشعر في الزهد والرقائق، ببدائع تعجب. وكان بالمغرب قد قصّد الهربيّ والنادر، فسألني أبو العباس عن مصيري، فأعلمته بقصدي، فرغب أن يصحبني إليه، حتى أتيناه، فرأيناه رجلًا عاقلًا، قاعدًا في موضع قذر، فسلّمنا عليه، فردٌ علينا، وسألناه عن قعوده في ذلك الموضع، فقال: أتذكّرُ الدُنيا وسِيرتها، فزدْنا به غِبطة؛ ثم استَنْشَدْناه في ذلك الغرض من كلامه، ففكر ساعة ثم أنشدنا كلامًا قبيحًا، تضمّن من القبيح ومن الإقذاع والفواحش ما لا يحلُ

⁽٢) مثرًا: مُكْثرًا. لسان العرب (ثرر).

⁽١) بياض في الأصل.

سماعه، فقمنا نَلْعنه، وخجلت من أبي العباس، واعتذرت له. ثم اتفق أن اجتمعنا في مجلس الأمير الذي كنت قد قصدته، فقال أبو العباس: إن أبا علي قد حفظ لبعض الحاضرين شعرًا في الزهد، من أعذب الكلام وأحسنه، فسألني الأمير وطلب مني إنشاده، فخجلت ثم ثاب إلي عقلي، فنظمت بيتين، فأنشدتهما إيّاه وهما: [المنسرح]

محمد المصطفى رسول الله إنسا السخيزل كيله لله

أشـــهـــد ألّا إلــــه إلّا الله لا حَــول لـلخــلْق فــي أمـورهــمُ

قال: فأعجب الأمير ذلك واستحسنه.

ومن مقاماته بين يدي الملوك وبعض حاله، نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الحسن بن أبي الحسن، قال: المروي منسوب إلى قرية بقرب مالقة، وهو الذي قال فيه الشيخ أبو الحجاج بن الشيخ رضي الله عنه: [المجتث]

قال: وهو قريب الأستاذ الأديب أبي على الإستِجي ومعلّمُه، وأحد طلبة الأستاذ أبي القاسم السُّهيلي، وممّن نبع صغيرًا، وارتحل إلى غَرْناطة ومُرسية. وهو الذي أنشد في طفولته السيد أبا إسحلق بإشبيلية: [الكامل]

قسمًا بِحِمْصَ^(۱) وإنه لعظيم وَهْنَ السمقامُ وأنتَ إبراهيمُ وكان بالحَضْرة أبو القاسم السُهيلي، فقام عند إتمامه القصيدة، وقال: لمثل هذا أخسِيك الحسا، وأواصل في تعليمك الإصباح والإمْسا، وكان يومًا مشهودًا.

وأنشد الأميرَ أبا يعقوب حين حلَّها: [الطويل]

أمَعْشَر أهل الأرض في الطول والعرض بهذا استنادي في القيامة والعَرْضِ للقد قال فيك الله ما أنت أهله فيقضي بحكم الله فيك بلا نَقْضِ وإياك يُعْنى ذو الجلال بقوله كذلك مَكَنا ليوسُف في الأرض وذكره ابن الزبير، وابن عبد الملك، وابن عسكر، وغيرهم.

⁽١) حمص: هي إشبيلية.

ومن شعره في معنى الانقطاع وائتسليم إلى الله تعالى، وهي لزوميّة، ولنختم بها، ختم الله لنا بالحسنى: [الطويل]

> إللهي أنت الله رُكني وملجئي رأيتُ بني الأيام عُقبي سكونهم رضي بالذي قَدُرْتَ تسليم عالم

وما لي إلى خَلْقِ سواك رُكونُ جراك وفي عُقبى الجراك سكونُ بأنَّ الذي لا بسدٌ منه يكونُ

وفاته: توفي بمدينة مالَقَة في حدود ثلاث وستمائة.

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي

يكنى أبا على، مُرْسِيُ الأصل، سَبْتِيُ الاستيطان، مُنْتَم إلى صاحب الثورة على المعتمد (١).

حاله: كان نسيج وحده، وفريد دهره، إتقانًا ومعرفة، ومشاركة في كثير من الفنون اللسانية والتعالمينية، متبحّرًا في التاريخ، ريّانًا من الأدب، شاعرًا مُفلِقًا، عجيب الاستنباط، قادرًا على الاختراع والأوضاع، جَهْم المحيّا، مُوحِش الشكل، يضمّ بُرْداه طويًا لا كفاء له، تحرّف بالعدالة، وبرّز بمدينة سَبْتَة، وكتب عن أميرها، وجرت بينه وبين الأديب أبي الحكم مالك بن المُرحّل من المُلاحات والمهاترات أشد ما يَجري بين متناقضين، آلت به إلى الحكاية الشهيرة، وذلك أنه نظم قصيدة نصيدة الكامل]

لكلاب سَبْتَة في النباح مداركُ شيخ تفانى في البطالة عُمْره كَلْبٌ له في كلُ عِرْض عضّة مُتَهمُم (٢) بذوي الخنا مُتَرَمِّعُ أَحلى شمائله السبابُ المُفْتري وألذُ شيء عنده في محفلِ وألذُ شيء عنده في محفلِ

وأشدُها دَرَكَا لذلك مالِكُ (٢) وأحال فَخيه الكلامُ الآفك وأحال فَخيه الكلامُ الآفك وبكل مُخصَنَةٍ لسانَ آفك متهازلٌ بذوي التُقى متضاحك وأعفُ سيرتِه الهجاء الماعك لَمْزُ لأستار المحافل هاتك

⁽۱) صاحب الثورة على المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، هو عبد الله بن رشيق، الذي قام على المعتمد بمرسية ـ إذ كانت مرسية آنذاك تابعة لمملكة إشبيلية وكان عليها ابن عمار من قبل المعتمد ـ فاستقل بها ابن رشيق وطرد منها ابن عمار، ودعا إلى نفسه. ابن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (ص ١١١ ـ ٢١١)، والمعجب (ص ١٩٢)، ومملكة غرناطة (ص ٢١١ ـ ٢١٢).

⁽٢) هو أبو الحكم مالك بن المُرَخُل، الذي تقدّم اسمه.

⁽٣) في الأصل: امتُهما وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معًا.

يغشى مخاطرة اللئيم تفكها لو أن شخصًا يستحيلُ كلامُهُ فكأنه التمساح يقذف جوفه أنفاسه وفساؤه من عنصر ما ضرفا من معدد الله(۲) في شعره من جاهلية طَبعه صدر وقافية تعارضتا معا قد عَمَّ أهل الأرض بلعنه والأغجب العجبين أن كلامه إن سام مَكُرُمةً جثا متثاقلًا ويدبُ في جُنْح الظلام إلى الخنا نَبُذُ الوقار لصبيةِ يَهْجُونه يُبدي لهم سَوْآته ليسوءهم والدهر باك لانقلاب صروفه واللسن تنصحه بأفضح منطق تُبُ يا ابن تسعين فقد جُزْت المدا أوَ ما ترى من حافديك نشابها هيهات أيّة عِشْرة لَهَجَتْ به يا ابن المُرحُل لو شهدت مُرَحُلا وطريد لوم لا يحل بمغشر مركوب لهو لجاجة وركاكة لرأيت للغين اللنيمة سخة وشغُلْتَ عن ذم الأنام بشاغل قسمًا بمَن سَمَك السماء مكانها لأقول للمغرور منك بشيبة لا تأمنن للذئب دفع مضرّة

ويتعاف رؤيته الحليم الناسك خُزَةً اللهُ الخُزَء منه لانكُ مِن فِيه ما فيه ولا يتماسك وسنعاله وضراطه متسارك لو أَسْلَمَتْهُ نواجذٌ وضَواحِكُ أثقالُ أرض لم ينلها فاتكُ في بيت عَنْسِ أو بعُرْس فاركُ فللأعنية في السماء ملائكُ لخلاله مسك يروح ورامك يَرْغُو كما يرغو البعير البارك عَدُوًا كما يعدو الظّليم الراتكُ فسياله فرش لهمم وأراثك بمسالك لا يرتضيها سالك ظهرًا لبطن وهُو لاهِ ضاحكُ لو كان ينجو بالنصيحة هالك وارتاح للقيا بسننك مالك ابن يضاجع جَدّه ويُناسكُ خنوات مسلوك وطيع مالك وقد انحنى بالرُّخل منه الحاركُ إِلَّا أمال قَلْفاه صلف من دالكُ وأراك من ذاك اللجاج البارك وعلا بسَفع عَزك أَذْنك عادكُ وتُناك خصم من أبيك مُماحكُ ولديه نفس رداء نفسك شائك بيضاء طئ الصّحفِ منها حالكُ فالذئبُ إن أعفيتَه بك فاتكُ

⁽١) الخُرِّء: العَذرة، والغائط. القاموس المحيط (خرأ).

⁽٢) صدر هذا البيت لا يستقيم وزنه ولا معناه.

في مثل هذا للملوك مسالك ودنوه للعسرض داء ناهك ودنوه للعسرض داء ناهك ويُل يعاجله وحشف واشك لِدَم الخناجر سافك

عارٌ على الملكِ المُنَزَّه أن يرى فلك للمُ للدِّين سلمُ قاتل فلكين سلمُ قاتل فعليه ثم على الذي يُضغى له وأتاه من مشواه آتٍ مُ جُهنِ

وهي طويلة، تشتمل من التعريض والصريح على كل غريب، واتخذ لها كِنانة خشبية كأوعية الكتب، وكتب عليها: الرقاص مُعَجَّل، إلى مالك بن المُرَحَّل، وعمد إلى كلب، وجعلها في عنقه، وأوْجَعه خبطًا حتى لا يأوي إلى أحد، ولا يستقر، وطرده بالزقاق متكتمًا بذلك. وذهب الكلب وخلفه من الناس أمَّة، وقرىء مكتوب الكِنانة، واحتُمِل إلى أبي الحكم، ونُزِعت من عنق الكلب، ودُفعت إليه، فوقف منها على كل فاقِرةِ (١) كفَّت من طِماحه، وغضَّت عن عِنان مُجاراته، وتُحدُّث بها مدة، ولم يَخِب عنه أنها من حِيَل ابن رشيق، فعوق سهام المُراجعة، ثم أقصر مخبُوحًا، وفي أجوبته عن ذلك يقول: [المتقارب]

كسلاب السمنزابسل آذيسنسي وقد كئت أوجعها بالعصا

بأبوالهن على باب داري ولكن عَوت من وراء الجدار

واستدعاه بآخرة أمير المغرب السلطان أبو يعقوب، فاستكتبه، واستكتب أبا الحكم صَدَقَة، فيقال إنه جرُّ عليه خَجْلَةً كانت سبب وفاة أبي علي. ودخل الأندلس، وخطّ بها بألمريّة، وقد أصيب بأسر عياله، فتوسّل إلى واليها من قرابة السلطان الغالب بالله، بشعر مدحه فيه من قصيدة أولها: [الكامل]

مُلْقي النوى مُلْقِ لبعضِ نوالكا ومنها:

لا تحسَبَني من فلانٍ أو فللا أنا من رجال الله ثم رجالكا ومنها:

نصب العدر حبائلًا لحبائبي وعَلِقْتُ في استخلاصها بحبالكا وفي خاتمها:

وكفاك شرّ العين عيبٌ واحد لا عيب فيه سوى فلول نصالكا

(١) القاقرة: الداهية التي تكسر الفُقار، والجمع فواقر. محيط المحيط (فقر).

ولحق بغرناطة، ومدح السلطان بها، ونجحت لديه مشاركة الرئيس بألمريّة. فجبر الله حاله، وخلّص أسره.

ومما جمع فيه بين نثره ونظمه ما كتبه لمّا كتب إليه الأديب الطبيب صالح بن شريف بهاتين القصيدتين اللتين تَنازع فيهما الأقوامُ، واتفقوا على أن يحكم بينهما الأحلام، وعبّر عن ذلك الأقلام، ولينظرهما مَن تشوّق إليهما بغير هذا الموضع.

تواليفه: وأوضاعه غريبة، واختراعاته عجيبة، تعرُّفت أنه اخترع في سفرة الشطرنج شكلًا مستديرًا. وله الكتاب الكبير في التاريخ، والتلخيص المسمّى بـ «ميزان العمل» وهو من أظرف الموضوعات، وأحسنها شُهرة.

وفاته: كان حيًّا عام أربعة وسبعين وستمائة.

حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي (١)

يكنى أبا مسعود، ملك إلبيرة وغرناطة؛ وما والاها.

حاله وأولئته: أما أوليّته، فقد مرّ ذلك بما فيه كفاية عند ذكر بُلكّين. ولمّا دخل زاوي بن زيري على الأندلس غَبّ إيقاعه بالمرتضى الذي نَصَبَته الجماعة، واستيلاته على محلّته بظاهر غرناطة، خاف^(۱) تمالُو الأندلس عليه، ونظر للعاقبة، فأسند الأمر إلى ابن أخيه، حَبُوس بن مَاكُسَنْ، وكان بحصن آشر^(۱)، فلمّا ركب البحر من المُنكّب، وودّعه به زعيم البلدة وكبير فقهائها أبو عبد الله بن أبي زَمَنين، ذهب إلى ابن أخيه المذكور واستقدمه، وجرت بينه وبين ابن عمّه المُتخلف على غرناطة من قبل والده، محاورة انجلَت عن رحيله تبمّا لأبيه؛ حبُوس، فاستبدّ بالمُلك، ورأب الصَّدْع سنة إحدى عشرة وأربعمائة. قال ابن عِذادِي في تاريخه (۱): فانحازت (۱) صَنهاجة مع شيخهم ورئيسهم حبُوس بن ماكْسَن، وقد كان أخوه حُباسة هلك في

⁽۱) ترجمة حبوس في المغرب (ج ۲ ص ۱۹٤)، والمختصر في أخبار البشر (ج ۲ ص ۱۹۸)، وتتمة المختصر في أخبار البشر (ج ۲ ص ۸)، وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٤٢)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٤) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٩)، وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٤٦) و(م ١ ص ٣٦٩). وهناك دراسة مفصلة عنه في كتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ١٠٥) فلتنظر .

⁽٢) في الأصل: ارخاف.

 ⁽٣) في الأصل: «أشتر»، وقد صوّبناه من مذكرات الأمير عبد الله (ص ١٩) حيث حدّد موقع حصن
 آشر في الغرب، وهو بالإسبانية Iznajar.

⁽٤) في الأصل: "أحد عشر" وهو خطأ نحوي. (٥) البيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٤).

⁽٦) في البيان المغرب: ﴿وانحازُ٩.

الفتنة، وبقي منهم معه بعد انصراف زاوي إلى إفريقية، جماعة عظيمة، فانحازوا إلى مدينة غرناطة، وأقام حبُوس بها مُلْكًا عظيمًا، وحامى (١) رعيّته ممّن جاوره من سائر البرابرة (٢) المنتشرين حوله، فدامت رئاسته.

وفاته: توفي بغرناطة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة (٣).

الحكم بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمان ابن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان ابن معاوية (٤)

صفته وحاله: كان أضهَبَ العين، أسمر، أقنى، مُعسَّل اللحية، جهير الصوت، طويل الصّلب، قصير الساقين، عظيم السّاعد، أفصم، وكان ملكًا^(٥) جليلًا، عظيم الصَّيت، رفيع القدر، عالى الهِمَّة، فقيهًا بالمذهب، عالمًا بالأنساب، حافظًا للتاريخ، جمّاعًا للكتب، مُحِبًا في العلم والعلماء، مُشيرًا للرجال من كل بلد، جمع العلماء من كل قطر، ولم يكن في بني أمية أعظم هِمّة، ولا أجلَّ رتبة في العلم وغوامض الفنون منه. واشتهر بهمّته بالجهاد، وتُحُدُّثَ بصدقاته في المخلول، وأملته الجبابرة والملوك.

دخوله إلبيرة: قال ابن الفيّاض: كُتِبَ إليه من الثغر الجنوبي أن عظيم الفِرَنجة من النصارى حشدوا إليه وسألوه الممرة (٢) بطول المحاصرة، فاحتسب شخوصه بنفسه إلى ألمرية في رجب سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، في جحفل لجِبٍ من نَجدة الأولياء وأهل المراتب. ولما أحَلُ إلبيرة ورد عليه كتاب أحمد بن يَعلى من طرطوشة بنصر الله العزيز وصنعه الكريم على الرّوم. ووافى ألمريّة، وأشرف على أمورها، ونظر إلى أسطولها وجدّده، وعُدّته يومئذ ثلاثمائة قطعة، وانصرف إلى قرطبة.

⁽١) في البيان المغرب: ﴿وحمى،

⁽٢) في البيان المغرب: اسائر الأمراء المنتزين حوله.

 ⁽٣) تقدّم في افصل فيمن تداول هذه المدينة أن حبوس بن ماكسن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

⁽٤) ترجمة الحكم بن عبد الرحمان، المعروف بالمستنصر في جذوة المقتبس (ص ١٣)، وبغية الملتمس (ص ١٨)، والحلة السيراء (ج ١ ص ٢٠٠)، والمغرب (ج ١ ص ١٨٦)، والبيان المغرب (ج ٢ ص ٢٣٢)، ونفع الطيب (ج ١ ص ٣٦٥)، ورسائل ابن حزم الأندلسي (ج ٢ ص ١٩٤)، وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠).

⁽٥) كان المستنصر خليفة وليس ملكًا، حكم الأندلس من سنة ٣٥٠ هـ إلى سنة ٣٦٦ هـ.

⁽٦) الممرة: الاستمرار.

مولله: لستُّ بقين من جُمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثمائة.

وفاته: لأربع (١٠ خلون من صَفَر سنة ستُّ وستين وثلاثمائة، وعمره نحوٌ من ثلاث وستين سنة، وهو خاتمة العظماء من بني أُمية.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن هشام الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أمية (٢)

كنيته أبو العاصي.

صفته: آدَمُ، شديد الأَدُمة (٣)، طويل، أشمُ، نحيف، لم يَخْضِبُ. بنُوه تسعة عشر من الذكور، منهم عبد الرحمان وليّ عهده.

بناته: إحدى وعشرون (٤)، أُمُّه أُمُّ ولَد اسمها زُخْرُف.

وزراؤه وقواده: خمسة، منهم إسحاق بن المنذر، والعباس بن عبد الله، وعبد الله، وعبد الكريم بن عبد الواحد، وفطيس بن سليمان، وسعيد بن حسّان،

قضاته: مُضَعّب بن عِمْران، وعمر (٥) بن بشر، والفرج بن كنانة. وبِشْر بن قطاته: مُضعّب بن عِمْران، وعمر الله على الله بن موسى، ومحمد بن تليد، وحامد بن محمد بن يحيى.

كتابه: فُطَيس بن سليمان، وعِطاف (٧) بن زيد، وحجّاج بن العُقَيلي (٨).

حاجبه: عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث.

حاله: كان الحكم شديد الحزم، ماضي العزم، ذا صولة تُتَقى. وكان حسن التدبير في سلطانه، وتولية أهل الفضل، والعدل في رعيّته، مبسوط اليد بالعطاء الكثير، وكان فصيحًا، بليغًا، شاعرًا مُجيدًا، أديبًا، نحويًا.

⁽١) في الحلة السيراء (ج ١ ص ٢٠٠): •وتوفي لليلتين خلتا من صفر ١٠٠٠.

⁽٢) ترجمة الحكم بن هشام، المعروف بالحكم الربضي، في جذوة المقتبس (ص ١٠)، وبغية المملتمس (ص ١٤)، والحلة السيراء (ج ١ ص ٤٣)، والبيان المغرب (ج ٢ ص ٢٨)، والمغرب (ج ١ ص ٣٨)، والمغرب (ج ١ ص ٣٨)، ونفع الطيب (ج ١ ص ٣٢٦)، ورسائل ابن حزم الأندلسي (ج ٢ ص ١٩٢)، وجمهرة أنساب العرب (ص ٩٧).

⁽٣) الأُذَمة: السمرة. محيط المحيط (أدم). ﴿ ٤) في المغرب (ج ١ ص ٣٨) أنهنّ ثلاثون.

⁽ه) في البيان المغرب: الومحمد بن بشيرًا. (٦) في المصدر نفسه: الوعبيد الله بن موسى».

 ⁽٧) في المصدر نفسه: ورخطاب بن زيده.
 (٨) في المصدر نفسه: ورحجاج العقيلي».

قال ابن عذاري^(۱): كانت فيه بطالة، إلّا أنه كان شجاعًا^(۲)، مبسوط اليد، عظيم العفو، وكان يُسَلِّطُ قضاته وحُكَامه على نفسه، فضلًا عن ولَدِه وخاصّته. وهو الذي جَرَتُ على يده الفَتْكةُ العظيمةُ بأهل رَبض قُرْطُبة (۱۳)، الذين هاجوا به وهتفوا بخُلعانه، فأظهره الله عليهم، في خَبَر شهير. وهو الذي أوقع بأهل طُليطُلة أيضًا، فأبادهم بحيلة الدُّعاء إلى الطعام بما هو معلوم.

دخوله غرناطة: قالوا: وبإلبيرة وأحوازها تلاقى مع عمّه أبي أيوب سليمان بن عبد الرحمن، فهزمه وقتله حسبما ثبت في اسم أبي أيوب.

شعره: قالوا: وكان له خمس جَوَارٍ قد استخلَصَهُنَّ لنفسه، وملَّكَهُنَّ أمره، فلاهب يومًا إلى الدخول عليهنّ، فتأبين عليه، وأعرضْنَ عنه، وكان لا يصبر عنهنّ، فقال^(٤): [البسيط]

قُضَبٌ من البان ماسّتْ فوق كُثبانِ ناشدْتُهُنَّ بحقّي فاعتزَمْنَ على السَّمَ مُلكَننني مِلْكَ مَن ذَلَتْ عزيمَتُه مَن لَكُنننني مِلْكَ مَن ذَلَتْ عزيمَتُه مَن لي بِمُغْتَصَباتِ (٧) الرُّوح من بَدَني

وَلِيْن (٥) عنى وقد أَذْمَعْنَ هِجُراني عصيان (٦) حتى خلا منهن هِمُياني للعُصيان أن أسيس مُوثِق عانِي للعُصبُني في الهوى عِزِّي ومُلْطاني يَغْصِبْنَني في الهوى عِزِّي ومُلْطاني

ثم عَطَفَن عليه بالوصال فقال (۱۸): [الخفيف] نِلْتُ كُلُّ (۱۹) الوصال بَعْدُ البِعاد فك وتَناهى السرورُ إذ نِلْتُ ما لم يُغ

فكأنّي مَلَكُتُ كلُ العِبادِ يُغْنِ عنه تَكاثُفُ الأَجْنادِ

⁽۱) البيان المغرب (ج ۲ ص ۷۹).

⁽٢) في البيان المغرب: «كان شجاع النفس، باسط الكف،.

⁽٣) لذَّلك سُمِّي بالحكم الرَّبضي، والمراد الربض الغربي من العاصمة قرطبة، وهو محلّه بها. معجم البلدان (ج ٣ ص ٢٦). وخبر ثورة الربضي أولًا سنة ١٨٩ هـ وثانيًا سنة ٢٠٢ هـ. البيان المغرب (ج ٣ ص ٢١، ٥٠)، وتاريخ افتتاح الأندلس (ص ٦٨ ـ ٢٩)، والحلّة السيراء (ج ١ ص ٤٤ ـ ٤٧)، ونفح الطيب (ج ١ ص ٣٢٧).

⁽٤) الأبيات في البيان المغرب (ج ٢ مَس ٧٩)، والحلة السيراء (ج ١ ص ٥٠)، ونفح الطيب (ج ١ ص ٣٣٠).

⁽٥) في البيان المغرب: «أغرَضَنَ». (٦) في المصدر نفسه: «الهجران».

 ⁽٧) في نفع الطيب: ﴿ بِمُقْتَضِيات ﴾ .
 (٨) البيتان في البيان المغرب (ج ٢ ص ٧٩) .

⁽٩) كلمة اكل ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من البيان المغرب.

مناقبه: أنهى (١) إليه عباس بن ناصح وقد عاد من الثغر أن امرأة من ناحية وادي المحجارة سمعها تقول: واغوثاه، يا حَكَم، ضيّغتنا، وأسْلَمْتنا، واسْتغلّت عنّا، حتى استأسّد العدو علينا، ورُفِعَ إليه شعر في هذا المعنى والغرض، فخرج من قُرْطُبة كاتمًا وُجْهَته، وأَوْعَل في بلاد الشّرْك، ففتح الحصون، وهدّم المنازل، وقتل وسبى (٢)، وقفل بالغنائم على الناحية التي فيها تلك المرأة، فأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم يَفْدُون به أسراهم (٣)، ويُصلِحون به أحوالهم، وخصّ المرأة وآثرها، وأعطاها عددًا من الأسرى، وقال لها: هل أغاثكِ الحكم؟ قالت: إي والله، أغاثنا وما غَفَل عنّا، أعانه الله وأعز نصره.

وفاته: توفي لأربع بقين لذي الحجة سنة ست ومائتين، وكان عمره اثنتين (٤) وخمسين سنة. وجرى ذِكره في الرجز من نظمي في تاريخ دول الإسلام (٥) بما نصه: [الرجز]

حتى إذا الدهر عليه احتكما واستشعر الثورة فيها وانقبض حتى إذا فرصته لاحت تفض وكان جَبارًا بعيد الهمه

قيام بها ابنه المسمّى حَكَما مستوحِشًا كاللّنِثِ أَقْعَى وَرَبض فَأَفِحِشُ الرّبض فأفحِش الوقعة في أهل الرّبض للم يَنزع من آل بها أو ذِمّة

حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري

من أهل غرناطة، يُكنى أبا العاصي.

حاله: كان من قرّائها ونُبهائها، وكان من أهل الفضل والطلّب، وإليه يُنسَب مسجدُ أبي العاصي، وحمام أبي العاصي ودربُه بغرناطة، وكفى بذلك دليلًا على الأصالة والتأثل. ذكره أبو القاسم ولم يذكر من أمره مزيدًا على ذلك.

⁽۱) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ٧٣).

⁽٢) في البيان المغرب: قوقتل كثيرًا، وأسر كذلك.

⁽٣) في المصدر نفسه: «سباياهم».

⁽٤) في الأصل: «اثنين» وهو خطأ نحوي.

⁽٥) هو كتاب درقم الحلل في نظم الدول.

حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك ابن سعيد بن عمّار بن ياسر (١)

أَوْلَئِنَهُ: قد مرّ بعض ذلك، وسيأتي بحول الله.

حاله: قال أبو الحسن بن سعيد في كتابه الموضوع في مآثر القلعة (٢): كان صاحب سيف وقلم وعلم، ودخل في الفتنة المَرْدُنيشِيَّة (٢)، حسبما مرَّ ذلك عند ذكر أخيه أبي جعفر، فصار من جُلساء الأمير أبي عبد الله محمد بن سعد بن مَرْدُنيش بمرسية، وأرباب آرائه، وذوي الخاصَّة من وزرائه، وكان مشهورًا بالفروسية والشجاعة والرأي.

حكاياته ونوادره: قال: كان التّندير والهزل قد غلبا عليه، وعُرِفَ بذلك، فصار يُحمَل منه ما لا يُحمَل من غيره. قالوا: فحضر يومًا مع الأمير محمد بن سعد، يوم المجلاب (1) من حروبه، وقد صبر الأمير صبرًا جميلًا. ووالى الكرّ المرّة بعد المرة. وذلك بمرأى من حاتم؛ فردّ رأسه إليه، وقال: يا قائدًا أبا الكرّم، كيف رأيت؟ فقال له حاتم: لو رآك السّلطان اليوم لزاد في مرتّبك، فضحك ابن مَرْدَنيش، وعلم أنه أراذ بذلك: لا تليق به المُخاطرة، وإنما هو للتّبات والتدبير. وقال له يومًا وقد جرى ذكر الجنّات: جُنْ اليوم يا أبا الكرم على بستانك بالزّنقات. وأردت أن أكون من ضيافتك، فقال عبد الرحمان بن عبد الملك، وهو إذ ذاك وزير الأمير وبيده المجابي والأعمال: لعلى الأمير اغتر بسماع أمانة عبد الرحمان، فقدّمه على وزرائه، وما عنده من الأمانة إلّا الاسم، فقال ابن مَرْدنيش وقد ضحك: الأولى فهمت، ولم أفهم الثانية، فقال له كاتبه أبو محمد السلمي: إنما أشار إلى قول رسول الله، على في عبد الرحمان بن كاتبه أبو محمد السلمي: إنما أشار إلى قول رسول الله، كلى في عبد الرحمان بن عوف، رضي الله عنه، أمير هذه الأمة، وأمين في أهل السماء، وأمين في أهل الرب؛ فطرب ابن مردنيش، وجعل يقول: أحسنها.

⁽١) ترجمة حاتم بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦٨)، ونفح الطيب (ج ٥ ص ٤٧).

⁽٢) هي قلعة بني سعيد، المسماة ويحصب، والكتاب هو والطَّالع السعيد، في تأريخ بني سعيده.

⁽٣) هي فتنة محمد بن سعد بن مردنيش.

⁽٤) فحص الجلاب: مكان على عشرة أميال من مرسية، وفيه وقعت المعركة بين قوات الموحدين وابن مردنيش. تاريخ المن بالإمامة (ص ٢٧٩). وقد تحدّث ابن عذاري عن هذه المعركة دون أن يسمّيها. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٨٨).

شعره: قال أبو الحسن: ولم أحفظ من شعر حاتم ما أُورِدُه في هذا المكان إلّا قوله يخاطب حفصة الرّكونية الشاعرة، التي يأتي ذكرها، حين فرّ إلى مرسية، وتركها بغرناطة: [الوافر]

وأبصر ذو وهد سيل الظبات (۱) خفوق البَنْدِ (۲) عاق عن القناتِ وليبس يُعِمَّلُهُ إلَّا عُداتي!

أجِنُ إلى ديارك يا حياتي وأهوى أن أعود إليك لكن وكيف إلى جنابك من سبيل

مولده: في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وقال أبو القاسم الغافقي فيه عند ذكره: كان طالبًا نبيهًا، جميلًا، سَريًا، تامّ المروءة، جميل العِشرَة.

وفاته: قال: مات بغرناطة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة (٣).

حُباسة بن ماكسن بن زيري بن مناد الصَّنهاجي (٤)

كان شهْمًا هيْبًا، بُهْمةً من البُهم، كريمًا في قومه، أبيًا في نفسه، صَدْرًا من صدور صَنْهاجة؛ وكان أشجع من أخيه خَبُوس.

وفاته: قال أبو مروان^(٥) عند ذكر وقعة «رمداي» بطرف قرطبة في حروب البرابرة لأهلها في شوّال عام اثنين وأربعمائة، قال^(٢): واسْتَلْحَم حُباسة بن ماكْسَن الصنهاجي ابن أخي زاوي بن زيري، وهو قارس صنهاجة طُرًا وفَتاها؛ وكان قد تقدّم إلى هذه الناحية، زعموا لمّا بلغه اشتداد الأمر فيها، فرمى بنفسه على طُلابها، واتّفق أن ركِب بسرج طَرِي العمل مُتفتح اللّبد، وخانه مقعدُه عند المجاولة، لتقلّبه على الطّهوة؛ وقيل إنه كان مُنتبذًا على ذلك، فتطارح على مَن بإزائه، ومضى قُدُمًا بسَكْرَى

⁽١) كذا ورد عجز البيت منكسر الوزن، وغير مفهوم المعنى. والظّبات: جمع ظُبة وهي خَدّ السيف. محيط المحيط (ظبو).

⁽٢) البّند: العلم الكبير، فارسي معرّب، والجمع بنود. محيط المحيط (بند).

⁽٣) في النفح (ج ٥ ص ٤٧): التوفي بغرناطة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة».

⁽٤) حكم حباسة غرناطة من سنة ٤١٠ هـ إلى سنة ٤٢٩ هـ، وترجمة حباسة بن ماكسن في المغرب (ج ٢ ص ١٠٧)، والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٦٢)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٩)، واللمحة البدرية (ص ٣١) واسمه في كل المصادر: «حبوس» مكان «حباسة». وفي كتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، للدكتورة مريم قاسم دراسة وافية عنه (ص ١٠٥ ـ ١١٧) فلتُنظُر.

⁽٥) هو المؤرّخ أبو مروان بن حيان.

 ⁽٦) قارن بالبيان المغرب (ج ٣ ص ١١١ ـ ١١٢)، وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٩).
 والنص في كتاب قالمتين لابن حيان.

شجاعته ونشوته، يصافع البيوت بصفحته، ويستقبل القنا بلبًاته، لا يعرض له شيء إلا حطّه، إلى أن مال به سرجه، فأتيع جمامه لاشتغاله بذلك، بطعنة من يد المسمّى النبيه النصراني، أحد فرسان الموالي العامريين؛ فسقط لفيه، وانتظمته رماحُ الموالي فأبادته؛ وحامى أخوه حَبُوس، وبنو عمّه، وغيرهم من أنجاد البرابرة على جثته، فلم يقدروا على استنقاذها بعد جلادٍ طويل، وغلب عليه الموالي فاحتزُوا رأسه، وعجلوا به إلى قصر السلطان، وأسلموا جسده للعامّة؛ فركبوه بكل عظيمة، واجتمعوا إليه اجتماع البُغاث على كبير الصُّقُورة، فجرُّوه في الطرق وطافوا به الأسواق، وقطعوا بعض أعضائه، وأبدوا شِواره وكبده بكل مكروه من أنواع الأذى، بأعظم ما رُكب بعض أعضائه، وأبدوا شِواره وكبده بكل مكروه من أنواع الأذى، بأعظم ما رُكب ميت، فلمّا سئموا تجراره، أوقدوا له نازًا فحرقوه بها جريًا على ذميم عادتهم، في ميت، المثلة، ولؤم القُذرة. وانجلت الحروب في هذا اليوم لمُصابه، عن أمر عظيم، وبلغ من جميع البرابرة الحزن عليه مناله، ورأت أن دماء أهل قُرْطبة جميعًا لا تعدله. من الكتاب «المتين».

حبیب بن محمد بن حبیب

من أهل النَّجَش^(۱)، من وادي المنصورة^(۲) أخوه مالك النّجشي، دباب الحَلَقات، ومراد أذناب المقرّبين.

حاله: كان على سجيّة غريبة من الانقباض المشوب بالاسترسال، والأمانة مع الحاجة، بادي الزّي واللسان، يحفظ الغريب من اللغة، ويحرّك شعرًا لا غاية وراءه في الرّكاكة، وله قيامٌ على الفقه وحفظ القرآن، ونَغَمَةٌ حسنة عند التّلاوة. قَدِمَ الحضرة غير ما مرة وكان الأستاذ، إمامُ الجماعة، وسيبويه الصناعة، أبو عبد الله بن الفخّار، المعروف بإلبيري، أبا مثواه ومحط طيّته، يطلب منه مشاركته بباب السلطان في جراية يرغب في تسميتها، وحال يروم إصلاحها، فقصدني مُضحبًا منه رقعة تنضمن الشّفاعة، وعرض عليّ قصيدة من شعره يروم إيصالها إلى السلطان، فراجعت الأستاذ برقعة أثبتها على جهة الإحماض وهي:

«يا سيدي الذي أتشرّف، وبالانتماء إلى معارفه أتميّزُ، وصل إليّ عميدُ حصن النجش، وناهض أفراخ ذلك العُش، تلوح عليه مخايل أخيه المسمّى بمالك، ويترجّج به الحكم في الغاية في أمثال تلك المسالك، أشبه من الغراب بالغراب، وإنها لمن

⁽١) هو حِضْن النجش، كما سيرد بعد قليل.

 ⁽۲) ذكره ابن سعيد وقال: نهر المنصور، مشهور بالحسن، لما عليه من الحصون والضياع. المغرب
 (ج ۲ ص ۸۱، ۸۱).

عجائب الماء والتراب، فألقى من ثنائكم الذي أوْجَبَتْه السيادةُ والأَبوَّةُ، ما يقصر عن طيب الألوَّة، وتخجل عند مشاهدته الغرر المَجْلُوَّةُ، وليست بأولى برّ أَسْدَيتُم، ومكرُمة أعَذْتُم وأبْدَيتم، والحسنات وإن كانت فهي إليكم منسوبة، وفي أياديكم محسوبة، وبَلُوتُ من الرجل طلعة نُتُفَّة، لم يغادر من صفات النبل صفة، حاضر بمسائل من الغريب، وقعد مقْعَد الذكي الأريب. وعرض عليَّ حاجته وغرضه، وطلب مني المشاركة، وهي مني لأمثاله مُفْتَرَضة، ووعدني بإيقافي على قصيدة حَبُّرها، وأنسى بالخبر خبرها، وباكرني بها اليوم مُباكرة الساقي بدِهاقه، وعَرَضها عليُّ عرض التاجر نفائِسَ أعلاقه، وطلب مني أن أهذُب له ما أمكن من معانيها وألفاظها، وأجلو القذى عن ألحاظها، فنظرت منها إلى روض كثرت أثغابه، وجيشٍ من الكلام زاحم خواصُه أو شابه، ورُمْتُ الإصلاح ما استطعتُ، فعجزْتُ عن ذلك وانقطعتُ، ورأيت لا جدوى إلى ذلك الغرض، ما لم تُبَدُّلُ الأرض غير الأرض. وهذا الفنُّ، أبقى الله سيدي، ما لم يمتُ إلى الإجادة بسبب وثيق، وينتمي في الإحسان إلى مجد عريق، وكان رفضه أحسن وأخمَد، واطَرَاحهُ بالفائدة أغوَد، وإذا اعتبره مَن عَدل وقسط، وجده طريقين لا يقبل الوسط، فمنهما مالً يُقتنى ويُدْخَر، وسافلٌ يُهْزأ به ويُسخّر، والوسط ثقيل لا يُتَلبّس به نبيل. قيل لبعضهم: ألا تقول الشعر؟ فقال: أريد منه ما لا يتأتَّى لي، ويتأتَّى لي منه ما لا أريدُه. وقال بعضهم: فلان كمُغَنِّ وسط لا يجيد فَيُطرب، ولا يُسِيء فيُسلِّي. فاقتضى نظرُكُم الذي لا يفارق السُّداد والتوفيق، وإرشادُكم الذي رافقه الهدى ونِغمَ الرفيق، أن يشير عليه بالاستغناء عن رفعها، والامتساك عن دفعها، فهو أقوى لأمنته (١)، وأبقى على سكنته وسَمْته، وأستر لما لديه، قبل أن يمدُّ أبو حنيفة رِجلَيه، وإنْ أصمَّت عن هذا العَذْلُ مسامعه، وهَفَت به إلى النجاح مطامعه، فليعتمد على الاختصار، فذو الإكثار جَمُّ العَثار، وليَعُدل إلى الجادة عن ثنيات الطَّرُق، ويجتزىء عن القلادة بما أحاط بالعُنُق، فإذا رتَّبها وهذَّبها، وأوردها من موارد العبارة أغذَبها، تولَّيْتُ زفافها وإهداءها، وأمَطْتُ بين يدي الكفُّوء الكريم رداءها، والسلام».

حمدة بنت زياد المُكَتُب (٢)

من ساكِنِي وادي الحمَّة بقرية بادي من وادي آش.

⁽١) الأمنت: المكان المرتفع، والمراد مكانته. محيط المحيط (أمت).

 ⁽۲) ترجمتها في المطرب (ص ۱۱)، ورايات المبرزين (ص ۱۲۷)، والمغرب (ج ۲ ص ۱٤٥)،
 وفوات الوفيات (ج ۱ ص ۳۹٤)، والذيل والتكملة (السفر الثامن، القسم الأول ص ٤٨٥)، =

حالها: قال أبو القاسم: نبيلة، شاعرةً، كاتبة؛ ومن شعرها وهو مشهور (١٠): [الوافر]

أساحَ السدِّ أسراري بِسوادي فمن نَهْر (٣) يطوفُ بكلُّ روض فمن بين الظّباءِ منهاةُ إنس ومن بين الظّباءِ منهاةُ إنس لسها لَحْسظٌ تُسرَقُدُهُ لأمسر إذا مسدَلَتُ ذوائبَها عليها كأن السُّبْحَ مات له شقيق ومن غرائبها (٧): [الطويل] ومن غرائبها الواشون إلا قتالنا ولَمَّا أبي الواشون إلا قتالنا

له في الحُسن (٢) آثارٌ بوادي ومن روض يطوف بكل وادي سَبَتْ لُبِّي وقد سَلَبَتْ فؤادي (٤) وذاك الأَمْرُ يَمْنَعُني رُقادي رأيتَ البَدْر في جُنْح السُوادِ (٥) فمن حُزْنِ تَسَرْبَلَ في الجدادِ (٦) فمن حُزْنِ تَسَرْبَلَ في الجدادِ (٦)

وما لَهُمُ عندي وعندكَ من ثارِ (٨)

والمقتضب في كتاب تحفة القادم (ص ٢١٤)، والتكملة (ج ٤ ص ٢٦١) وفيه أنها «حمزة»،
 وبغية الملتمس (ص ٥٤٦)، ونفح الطيب (ج ٦ ص ٦٢).

⁽۱) الأبيات في المغرب (ج ۲ ص ۱٤٦) ورايات المبرزين (ص ١٦٧) وفوات الوفيات (ج ١ ص ٣٩٥) والمقتضب من كتاب تحقة القادم (ص ٢١٤) والتكملة (ج ٤ ص ٢٦١) والمطرب (ص ١١) منسوبة إلى الوادي آشية دون تعيين الاسم، ونفع الطيب (ج ٦ ص ٦٢) وبغية الملتمس (ص ٥٤٦) والذيل والتكملة (السفر الثامن ـ القسم الأول ص ٤٨٥).

 ⁽۲) في المقتضب: •أباح الدهرُ... به للحسن... ، وفي المطرب والتكملة والذيل والتكملة: «به للحسن».
 للحسن». وفي فوات الوفيات ونفح الطيب: «له للحسن».

⁽٣) في المقتضب: ﴿فَمَنْ وَادْ يَطُوفْ. . . ٩ . وَفِي النَّفْحِ: ﴿يُرِفُّ بِدُلَّ لِيطُوفِ ٩ .

⁽٤) في الأصل: "ومن بني الظبا مهاتُ إنس...". وهكذا ينكسر الوزن، وفي المقتضب والتكملة والتكملة والتكملة والتكملة والتكملة وفي المغرب: "ماكتُ عقلي...". وفي المغرب: "ماكتُ بدل السبتُ... قيادي"، وفي النفح: "ملكتُ بدل السبتُ.

⁽٥) في الأصل: «السوادي». وفي المقتضب: «ذؤابتُها عليه كمثل البدر في الظّلم الدادي». وفي المطرب: «... رأيت الصبح أشرق في الدآدي». وفي النفح: «أفق» بدل «جنح». وفي التكملة والذيل والتكملة وفوات الوفيات: «الدآدي» بدل «السواد».

 ⁽٦) في الأصل: "في الحدادي"، وفي المقتضب: «تخال الصبح مات له خليل فمن...»، وفي المطرب: «تخال البدر مات له خليل فمن...»، وفي الفوات والتكملة والذيل والتكملة والنفح: «... تسربل بالحداد».

 ⁽۷) الأبيات في رايات المبرزين (ص ١٦٨) والمغرب (ج ٢ ص ١٤٦) وفوات الوفيات (ج ١ ص ٣٩٥) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٦٢).

 ⁽٨) في الرايات وفوات الوفيات والمغرب ونفح الطيب: «فراقنا» بدل «قتالنا». وفي الرايات: وليس لهم «بدل»: «وما لهم».

وشَنُوا على آذاننا (١) كل غارة وقلت حُماتي عند ذاك وأنصاري رَمَيْتُهُم (٢) مِنْ مُقْلَتيكَ وأدْمُعي ومِنْ نَفَسي بالسَّيْف والسَّيل والنارِ

وقال أبو الحسن بن سعيد في حَمْدة وأُختها زينب (٣): شاعرتان، أديبتان، من أهل الجمال، والمال، والمعارف والصُّون، إلّا أن حُبُّ الأدب كان يَحْمِلُهما على مخالطة أهله، مع صيانة مشهورة، ونزاهة موثق بها.

حَفْصة بنت الحاج الرُّكُوني (٤)

من أهل غرناطة، فريدة الزمان في الحسن، والظّرف، والأدب، واللّوذَعيَّة؛ قال أبو القاسم: كانت أديبة، نبيلة، جيِّدة البديهة، سريعة الشعر.

بعض أخبارها: قال الوزير أبو بكر بن يحيئ بن محمد بن عمر الهَمْداني: رَغبتُ أُختي إلى حَفْصة أن تكتب شيئًا بخطها فكتبت (٥٠): [البسيط]

يا رَبَّة الحُسْنِ، بل يا رَبَّة الكَرَم عُضَي جُفُونَكِ عمّا خَطُهُ قَلَمي (٢) يَا رَبَّة الكَرَم عُضَي جُفُونَكِ عمّا خَطُهُ قَلَمي (٢) تَصَفَّحِيه بِلَحْظِ الوُدُ مُنْعِمة لا تحفلي بقبيع (٧) الخَطُّ والكَلِم

قال أبو الحسن بن سعيد، وقد ذكر أنهما بأتا بحَوْز مُؤَمِّل (^) في جَنَّة له هنالك على ما يبيتُ عليه أهل الظُّرْف والأدب، قال (٩): [الطويل]

⁽۱) في المغرب وفوات الوفيات والنفح: اوشنّوا على أسماعنا... وقلّ حُماتي.١٠٠٠. وفي الرايات: اوشنوا على أسماعنا...١.

 ⁽۲) في المغرب وفوات الوفيات والنفع: اغزوتُهُما، وفي الرايات: اغزوتهم من ناظريك
 وأدمعي...۱.

 ⁽٣) هذا النص لم يرد لا في المغرب ولا في رايات المبرزين، برغم أن فيها، كما مرّ، ترجمة وشعر لحمدة المترجم لها.

⁽٤) ترجمة حفصة في المغرب (ج ٢ ص ١٣٨) ورايات المبرزين (ص ١٦١) والتكملة (ج ٤ ص ٢٦٠) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٩) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٢٢٨) والمطرب (ص ١٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٩٢) و(ج ٥ ص ٣٠٩). والركوني: نسبة إلى ركانة، وهي بالإسبانية Requena، وهي مدينة من عمل بلنسية بالأندلس. معجم البلدان (ج ٣ ص ٦٣) ونصوص عن الأندلس (ص ١١، ١٤١). وجعلها ابن عذاري قرية من عمل طليطلة. البيان المغرب (ج ٢ ص ٥٨).

 ⁽a) البيتان في نفح الطيب (ج ٥ ص ٣١٤).
 (٦) في الأصل: «القلم» والتصويب عن النفح.

⁽٧) في النفح: ٤بردي٠٩.

 ⁽A) تقدم الحديث عن حوز مؤمل في فصل فذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التي نزلتها العرب بخارج غرناطة.

⁽٩) الحكاية وأبيات أبي جعفر بن سعيد اللامية وأبيات حفصة الدالية في رايات المبرزين

رَعَى الله لي لل له يُسرِّغ بِهُ ذَهِم وقد نَفَحَتُ (٢) من نَحُو نجدِ ارِيجَةً (٣) وقد نَفَحُو نجدِ ارِيجَةً (٣) وغَرَدَ قُسمُ رِيُّ على الدُّوحِ وانْسَنى يَرَى (٢) الرُّوْض مسرورًا بما قَدْ بَدَا له:

رعانا ووارانا بحوز مُؤمّل (1) إذا نَفَحَتْ هبّت بريح (1) القرّنْفُلِ أَذَا نَفَحَتْ هبّت بريح قُضِيبٌ من الرَّيحان (۵) من فوقِ جَذُولِ عناقٌ وضَمَّ وارتسسافُ مُقَبُّلِ

فقالت: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما سَرٌ الرياضَ وصالنا (٧) ولا صَفَّقَ النَّهُرُ ارتياحًا لقُربنا فلا شَخْسِنِ (١٠) الظَّنُ الذي أنتَ أَهْلُه فلا تُخْسِنِ (١٠) الظُّنُ الذي أنتَ أَهْلُه فما خِلْتُ هذا الأَفْقَ أَبْدى نُجُومَهُ

ولكنه أبدى لنا الغِلُ والحَسَدُ ولا صَدَح (١٥) القُمْرِيُ إلَّا لما وَجَدْ (٩٥) فما هو في كل المواطن بالرُّشَدُ لأمر سوى كي ما تكون (١١١) لنا رَصَدُ

قال أبو الحسن بن سعيد: وبالله ما أبدع ما كَتَبت به إليه وقد بلغها أنه عَلِق بجارية سوداء أسعتُ له من بعض القصور، فاعتكف معها أيامًا وليالي، بظاهر غَرْناطة، في ظلٌ مَمْدود، وطيب هوى مَقْصور وممدود (١٢): [مخلع البسيط]

يا أَظْرَفَ الناس قَبْل حالِ أَوْقَعَهُ نَنخوه (١٣) السَّدَدُ وَعَشَهُ مَن النَّاس وَداءَ مِنْ لَهُ لَيْ لِي بِدائعَ النَّاسِ قَدْ سَتر

^{= (}ص ١٦٢ ـ ١٦٣) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٢٢٩) ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٩٢).

⁽١) في رايات المبرزين ومعجم البلدان: ١٠٠٠ بمذمم عشية وارانا بحوز...، وفي النفح: المهذمم عشية وارانا بحور...».

⁽٢) في الرايات ومعجم الأدباء والنفح: ﴿وقد خَفَقَتُ ﴾.

⁽٣) في الأصل: «أريجه»، والتصويب من الرايات والنفع.

⁽٤) في الرايات والنفح: «بريّاً». وفي معجم الأدباء: «... جاءت بريّا...».

⁽٥) في الأصل: «ريحان» وهكذا ينكسر الوزن، وقد صوّبناها من الرايات ومعجم البلدان والنفح.

⁽٦) في الرايات والنفح: قتري.

⁽٧) في الرايات ومعجم الأدباء والنفح: (بوصلنا).

⁽٨) في الأصل: «مدح؛ والتصويب من الرايات والنفح. وفي المعجم: •غرُّده.

⁽٩) في الرايات: ﴿ومَا صَفْق. . . بقربنا . . . إلَّا بما وَجَدُه . والقُمْريِّ : نوع من الحمام .

⁽١٠) في الأصل: افلا تُخسَبَنْ. . . ١ وهكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الرابات ومعجم الأدباء والنفح.

⁽١١) في الأصل: ايكون، والتصويب من الرايات والنفع، وهكذا يكون الضمير عائدًا إلى النجوم، وهو أفضل للسياق.

⁽١٢) أبيات حفصة وجواب ابن سعيد لها في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

⁽١٣) في المعجم: ﴿ وَشُطَّهُ ٤.

كُلُّ ولا يُسبَّصُرُ السَّفَفَرُ بكُلُّ مُسنَ هام في الصُّورُ لا نُسؤرُ (۲) في ولا زُهَرُ (۲) لا يَنظُهُرُ البِشُرُ في دُجاها بسالله قُلل للي وأنستَ أذرى من الله مُن الله مُن الله من الله

فكتب إليها بأظرف اعتذار، وألطف أنوار: [مخلع البسيط]

له مِن اللذنب يُختَذرُ (٣) أعيدُ مَخلاه (٤) بالسُورُ أعيدُ مَخلاه (٤) بالسُّورُ وطَلْعَةِ الشُّمْس والقَمَرُ الطُّرافُ لله خَسبَر المُسارافُ لله خَسبَر والنُظرُ والنُظرُ والنُظرُ فكر والنُظرُ فكر والنُظرُ فكر والنُظرُ فكر والنُظرُ فكر فكر في الفيكر والنُظرُ فكر فكر في الفيكر والنُظرُ فكر فكر في النفيكر والنُفري

لا حُسكسم إلّا لأنسر نساه لله مُسكساتي لله مُسكسات به حسباتي كضخوة (٥) العيد في ابتهاج بستغدوه (٦) لم أمِل إليه إلّا عَدِمْتُ صُبْحي فأَسْوَدٌ عِشْقي (٨) عَدِمْتُ صُبْحي فأَسْوَدٌ عِشْقي (٨) إن لم تَلُخ يا نعيم روحي

قال: وبلغنا أنه خَلا مع حاتم وغيره من أقاربهم، لهم طربٌ ولَهْوٌ، فمرَّتْ على الباب مُسْتترة، وأعطتِ البوَّابَ بطاقةً فيها مكتوب^(ه): [الخفيف]

طامع من مُعِبّه بالوصال (١٠) أم لكم من مُعِبّه بالأشغال (١١)

زائسر قد أتى بىجىيىد غىزال اتىراكىم باذنكىم مسعفيه

فلمّا وصلت الرُقعة إليه، قال: وربّ الكّغبة، ما صاحبُ هذه الرُقعة إلّا الرّقيعة حفصة؛ ثم طلبت فلم تُوجد، فكتب إليها راغبًا في الوصال والأنس

⁽١) رواية صدر البيت في معجم الأدباء هي:

من اللذي حَبُّ قُبْلُ روضًا

⁽٢) في الأصل: "نوّار" وهكذا ينكسر الوزّن، وقد صوّبناه من معجم الأدباء.

⁽٣) رواية البيت في الأصل هي:

لا حسكسم إلاً لأمسر نساه لسه مسن ذنسبه مسعستسذر وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من معجم الأدباء.

⁽٤) في الأصل: امداها وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من معجم الأدباء.

 ⁽٥) في الأصل: «كصحبة»، وقد صربناه من المعجم لأنه هكذا يتلاءم والسياق.

⁽٦) في الأصل: «سَغَدُهُ»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من معجم الأدباء.

⁽٧) في معجم الأدباء: قطريفًاه.

 ⁽٨) كلّا في معجم الأدباء، وفي كبلا الحالتين ينكسر وزن صدر البيت.

⁽٩) البيتان في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١) ونفح الطيب (ج ٥ ص ٣١٦).

⁽١٠) في نفح الطيب: ٥٠٠٠ الغزال مُطَلِعٌ تحت جُنْحه للهلال.

⁽١١) رواية البيت في النفح هي:

أو تراه لعارض في انفصلاكِ

الموصول(١): [الخفيف]

أي شُغلِ عن الحبيب (٢) يَعُوقُ صِلْ وواصل فأنتَ أشهى إلينا بحياة الرّضَى يَطِيبُ صَبوحُ اللهوى (٢) وعِزْ التلاقي لا وذُلُ الهوى (٢) وعِزْ التلاقي

يا صباحًا^(۴) قد آنَ منه الشُّرُوقُ من جميع⁽³⁾ المُنى فكمْ ذا نَشُوقُ عَرفًا إِنْ جَفَوْتَنا أَو غَبُوقُ⁽⁰⁾ واجتماع إليه عَزُ الطريقُ

وذكرها الأستاذ في «صِلَته»، فقال: وكانت أستاذة وقتها، وانتهت إلى أن علمت النساء في دار المنصور؛ وسألها يومًا أن تُنشده ارتجالًا فقالت (٧): [المجتث]

ي كُونُ ل للأخر (٩) عُدَهُ السَّحَد مُ لَدُهُ اللهُ وَحَد دَهُ (١٠)

أنسنسن عسلي بسصك (١) ومنسك (١) ومنسك (١) ومنسك المنسك المن

قال: فَمَنَّ عليها، وحرَّز لها ما كان لها من مِلْك.

وفاتها: قالوا: تُوفيت بحَضْرَة مرَاكُشِ في آخر سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وخمسمائة (١١).

⁽١) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٢٣١). (٢) في المعجم: قالمُحبُّه.

⁽٣) في الأصل: «يا صاحبًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من معجم الأدباء.

⁽٤) في المعجم: «لذيذ».

⁽٥) رواية البيت في المعجم هي: لا وحُبيكِ لا يَطيبُ صَبُوحٌ غِبْتِ عنه ولا يَطيبُ غَبُوقُ والصبوح: خمر الصباح، والغَبُوق: خمر العشي.

⁽٦) في المعجم: ﴿الجُفَاهِ.

⁽۷) البيتان في رايات المبرزين (ص ١٦٢) والمغرب (ج ٢ ص ١٣٨) والمقتضب من كتاب تحفة الفادم (ص ٢١٩) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٢٢٨) والتكملة (ج ٤ ص ٢٦١) ونفح الطيب (ج ٥ ص ٣٠٩). وقبل البيتين بيت آخر ورد في المقتضب ونفح الطيب وهو:

يا سيد الساس يا من يُسؤمُسلُ السناسُ رِفَسدَهُ

⁽٨) في الرايات والمغرب ومعجم الأدباء والنفع: (بِطِرْس).

⁽٩) في المغرب: •في الدهره.

⁽١٠) في التكملة: "والحمدا بدل االحمدا. ورواية البيت في المقتضب هي:

خطت يستنك فيه والسلطنية وخدة والسلطنية عند الموحدين، كما جاء في نفع الطيب.

⁽١١) جاء في معجم الأدباء أنها توفيت سنة ست وثمانين وخمسمائةً.

الخِضْر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية(١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا القاسم.

حاله: من كتاب «عائد الصلة» (٢): كان، رحمه الله، صَدْرًا من صدور القضاة، من أهل النظر والتقييد، والعُكوف على الطّلب، مضطلعًا (٢) بالمسائل، مسائل الأحكام؛ مهتديًا (٤) لمظنّات النّصوص، نسخ بيده الكثير، وقيّد على الكثير من المسائل، حتى عُرِفَ فضله، واستشاره الناس (٥) في المشكلات. وكان بصيرًا بعَقْد الشروط، ظريف الخطاب (٢)، بارع الأدب، شاعرًا مُكثِرًا، مُصيبًا غرض الإجادة. وتصرّف في الكتابة السلطانية، ثم في القضاء، وانتقل في الولايات الرفيعة النّبيهة. وجرى ذكرُه في «التّاج المُحَلَى» بما نصّه (٧):

"فارس في مبدان البيان، وليس الخبر كالعِيان؛ وحامل لواء الإحسان، لأهل هذا الشّان (^)؛ رَفَل في حُلل (^) البدائع فسحب أذيالها، وشَغشَع أكواس (١١) العجائب فأدار جريالها (١١)، واقتحم على الفحول (١٢) أغيالها (١٢)، وطَمَح إلى الغاية البعيدة فنالها، وتُذُوكِرَت المُغضلات (١٤) فقال: أنا لها. عكف واجتهد، وبرز إلى مُقارعة المُشكلات ونَهَد، فعلم وحصل، وبلغ الغاية وتوصل؛ وتولّى القضاء، فاضطلع المُشكلات ونَهَد، فعلم وحصل، وبلغ الغاية وتوصل؛ وتولّى القضاء، فاضطلع بأحكام الشّرع، وبرع في معرفة الأصل والفرع، وتميّز في المسائل بطول الباع، وسَعَة الذّراع؛ فأصبح صَدْرًا في مِصْره، وغُرّة في صفحة عصره. وسيمر في بديع كلامه، وهُرّا إبداعه، ودُرَا اختراعه، ما يستنير (١٦) لعلم الحليم، وتُلقي له البلغاء يد التسليم».

 ⁽۱) ترجمة الخضر بن أحمد في تاريخ قضاء الأندلس (ص ۱۸٦) والكتيبة الكامنة (ص ۱۷۷) ونيل
 الابتهاج طبعة فاس (ص ۹۳).

⁽٢) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٦).

⁽٣) في تاريخ قضاة الأندلس: امضطلعًا بنوازل الأحكام!.

⁽٤) في المصدر نفسه: «مهنديًا لاستخراج غرائب النصوص».

⁽٥) في المصدر نفسه: «القضاة». (٦) في المصدر نفسه: «ظريف الخط».

⁽٧) قارن بالكتية الكامنة (ص ١٧٧ ـ ١٧٨). (٨) في الكتية: «هذا اللسان».

⁽٩) في الكتيبة: ﴿سحانب ٩. ﴿ ١٠) في الكتيبة: ﴿أَكُوْس ٩.

⁽١١) في الأصل: ﴿جريًا لها؛ والتصويب من الكتيبة. والجريال: الخمر.

⁽١٢) في الأصل: «الليوث». (١٣) الأغيال: الأجمات.

⁽١٤) في الكتية: «المخترعات».

⁽١٥) المراد بهنّات أقلامه: الكتابة السريعة العابرة.

⁽١٦) في الكتيبة: •وشعره يستفرّ حلم الحليم، ويلقي له فرسانُ المجال أيدي التسليم.

شعره: قال في غرض الحكمة والأمثال(١): [الكامل]

عزُ(٢) الهوى نُقصانُ والرأيُ الذي فإذا رأيتَ الرأيَ يتبعُ الهوى وكيف تخاف من الحليم مُداجيًا(؟) واحدذر مُعَاداة الرجالِ تَوقيها فالناس(٦) إما جاهلٌ لا يتمقى أو عاقلٌ يَرْمي بسَهْم مكيدةٍ فاحْلَمْ عن القِسْمَين تَسْلَمُ منهما ودَع المُعَاداة (٨) التي من شأنها أبت المغالبة الوداد فلا تكن وإذا مُنِيتَ بِقُرْبِهِ (١١) فاخفِض جَنا إِنَّ الغريبِ لكَالْقَضِيبِ مُحايرِ (١٣) وازع(١٤) الكِفافَ ولا تجاوز حَدُه وابشط يَدَيْكَ متى غَنِيتَ ولا تَكُنْ وإذا بَــذَلْتَ فــلا تُسبَــذُرْ إِنَّ ذَا الـــ وعَهِ الروود إذا تراحه مَودد واضحب كريم الأصل ذا فَضلِ فمن فالفَضْلُ من لِبْس الكرام فمن عرى

يُنْجِيكُ منه، إذا ارتأيْتَ مَرُوما(٣) خالِف وفاقَهُما تُعَدُّ حكيما خِفْ مِنْ نَصِيحِك ذي (٥) السَّفَاهة شرما منهم ظَلُومًا كنتَ أو مظلوما عارًا ولا يَخْشى العقوبة لُوما كالقوس تُرسلُ سَهْمها مسموما وتَسُدُ فتُدْعي سيُدًا وحليما(٧) أن لا تُديم على الصّفاء قديما (٩) ممَّن يُغالبُ ما حَييت نَدِيما (١٠) حَ (١٢) الذُّلُّ واخضَعْ ظاعِنًا ومُقيما إن لم يمل للربح عاد رميما ما بَعْدَه يَجْنِي عليك هُمُوما فيما(١٥) يكونُ به المديخُ ذَمِيما ستبذير يومنذ أخوه رجيما(١٦) واحسب ورود الماء منه حميما يَضحَبُ لئيمَ الأصل عُدُ لئيما عنه فليس لما(١٧) يقول كريما

(٦) في الكتيبة: ﴿ والناسِ ٤.

⁽١) القصيدة في الكتية الكامنة (ص ١٧٨ ـ ١٧٩).

⁽٢) في الكتيبة: ﴿عُدْ٠. (٣) في الكنيبة: «ننوما».

⁽٤) في الأصل: «مراجيًا» والتصويب من الكتيبة الكامنة. ومداجيًا: مداريًا؛ يقال: داجاه إذا داراه رواطأه كأنه سائره بالعداوة. محيط المحيط (دجا).

⁽٥) في الكتيبة: ﴿فِي السفاهة ١٠.

⁽٧) في المصدر نفسه: (وحكيمًا). (٨) في المصدر نفسه: «المماراة».

⁽٩) في المصدر نفسه: «نديما».

⁽١٠) في الكتيبة: ﴿ حليما).

⁽١١) في الكتيبة: «بغربة».

⁽١٢) في الأصل: افاخفض له جناح. . . ، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة .

⁽١٣) في الكتيبة: (تحيرًا). (١٤) في المصدر نفسه: ﴿وَابْعُهُ.

⁽١٥) في المصدر نفسه: ﴿فيمن ٩٠٠

⁽١٦) في المصدر نفسه: قالتبذير مثل أخيه كان رجيمًا.

⁽١٧) في المصدر نفسه: 3كما يقال.

(إنْ المقارَنَ بالمقارَدِ يَفْتَدي)(١) وجِماعُ كلِّ الخير في التَّقوى فلا

تَغْدَمْ حُلِّي التَّقوى تُعَدُّ عَديما وقال يصف الشَّيْب من قصيدة، وهي طويلة؛ أولها(٢): [الكامل]

> لاح الصباح، صباح شَيْب المَفْرِقِ هي شَيْبَةُ الإسلام فاقدِرْ قَدْرَها خَطْتُ بِفُودكُ أبيضًا في أسُودٍ كالبَرْق راغ بسَيْفه (1) طَرْف الدُجي كَالْفَجْرِ يُرْسِلُ فِي الدُّجُنَّة خيطه كالماء يَسْتُرُه بقعر (٨) طُخلُبٌ كالحية الرقشاء إلا أنه كالنَّجم عُدُّ لرَجْم شيطانِ الصّبا كالزُّمْرِ إلَّا أنه لم يَسْتَنِمْ (٩) كَتَبَسُم الزّنجي إلّا أنه وكذا البياض قذى العيون ولا ترى ما للغّواني وهُو لونُ خدودها وأخلته لمع الشيوف ومن يشم هو ليس ذاك ولا الذي أنكزتُه (١٣) داءً يُعزُ على (١٥) الطبيب دواؤه

فاخمِدْ سُراكَ نَجَوْتَ ممَّا تَتَّقى قد أعتَقَتْك وحَقّ قَدْرِ المُغتِق بالعكس من مَغهُود خطُّ مُهْرَقِ (٣) فأعار (٥) دُهمته شتات (٦) الأبْلَق ويجُرُ (٧) ثوبَ ضيائه بالمشرقِ فتراه بين خلاله كالزئبق لا يُبْرَأُ الملسوعُ منه إذا رُقي باليت شيطانَ الصّبالم يُحْرَقِ إلا بغُضن (١٠) ذابل لم يُورقِ يُبكي العيونَ بدمعه (١١١ المُتَرَقُرقِ للعين أبْكى (١٣) من بَياض المَفْرقِ يجزعن من الألائه المُتألّق لمع السيوف على المفارق يَفرقِ كُنْ (١٤) خائفًا ما خِفْنَ منه واتِّق ويَضيعُ خُسْرًا فيه مالُ المُنفق

(٥) في الكتيبة الكامنة: «فأعاد».

(٩) في الكتية: البنسم.

(٧) في الكتيبة الكامنة: ﴿ويحوك.

مَثَلُ جَرَى جَرْي الرياح قديما

⁽١) هذا من قول عدي بن زيد العبادي، المتوفّى سنة ٣٥ ق.هـ: [الطويل] عن المرو لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مُقتدي معجم الشعراء للمرزباني (ص ٢٥٠).

⁽٢) القصيدة في الكتيبة الكامئة (ص ١٨٠ ـ ١٨١).

⁽٣) في الكتيبة الكامنة: «المهرق، والمهرق: الصحيفة.

⁽٤) في الكتيبة الكامنة: «بسوطه».

⁽٦) في الكتيبة الكامنة: ﴿شيات،

⁽٨) في الكتيبة: (بقاع).

⁽١٠) في الكتيبة: الغصّنا.

⁽١١) في الكنية: (بدمعها). (١٢) في الكتيبة: ﴿ أَنْكُي أَ. (١٣) في المصدر نفسه: ﴿ أَنْكُرُنَّهُ ۗ .

⁽١٤) في الأصل: انكنَّ وهكذا ينكسر الوزن. وفي الكتيبة الكامنة: انكرًا فَخُفُ ما.

⁽١٥) في الكتيبة: اعنا.

لكنه والحقُ أصدقُ مِقْولِ ومن مقطوعاته قوله (۱): [المتقارب] أقلِي فما الفَقْرُ بالمرءِ عارٌ (۲) وما (۲) يُحسِبُ العزُ إلَّا الغِنى وما اجتمعَ الشَّمْلُ في غيره وما اجتمعَ الشَّمْلُ في غيره فرَهْرةَ غيركِ لا تَنْظري (٥) وهُزِي إليكِ بجذع الرِّضى وقال أيضًا: [المجتث]

السعسلم خسسن وزيسن وراسمال عسز وغيش والسمسال عسز وغيش والسنساس أعسفاء جسسم والسنساس أعسفائه حسن هسذي مسقسالية خسق

وقال أيضًا: [الخفيف]

إن أراك الزمانُ وجهًا عَبُوسًا لا يسهمنك حاله إنَّ في طر لا يسهمنك حاله إنَّ في طر أي ذلً أي عسر أرايست أو أي ذلً سَل نجومَ الذّجي إذا ما استنارت وتسفكر وقبل بسغيير ارتباب وقال أيضًا (٧): [الكامل]

لو أنَّ أيام الشَّباب تعودُ لي ما إن بَكَيْتُ على شباب قد ذَوى

شَيْنُ المُسِيءِ الفعل زينُ المتَّقي

ولا دارُ مَن يألفُ الهَوْنَ دارا غِنى النَّفْس فَلْتَتْخِذُه (١) شعارا فيحسن إلا وساء انتشارا فيألم قلبُكِ منه انكسارا تساقط عليكِ الأماني ثمارا

والسجه لل أفيت وشين والسفه والسفه لل ألا وحين والسفه منهم أنست وعين وعين ما في اللذي قلت مين اللذي قلت مين اللذي ا

فسَتُلْقاه بعد ذلك طَلْقا(٢) فة عَيْنِ ترتاح فيه وتَشْقى لذوي الحالتين في الدهر يَبْقى ما الذي في وقت الظُهيرَة تَلْقى كلُّ شيء يَفْنى وربُك يَبْقى

عَوْدَ النَّضارةِ للقَضيبِ المُورقِ وبقيتُ منتظرًا لآخر مونقِ

⁽١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٨١). (٢) في الكتيبة: •عارًا».

⁽٣) في الكنية: (ولاه.

⁽٤) في الأصل: ﴿فَاتُخذُهُۥ وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

⁽٥) في الأصل: «فدهر... تنظرن» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له، والتصويب من الكتيبة.

⁽٦) في الأصل: ﴿... من بعد ذاك طلقا، وهكذا ينكــر الوزن.

⁽٧) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٨١).

وقال في القلم(١): [الطويل]

لك القلمُ الأعلى الذي طال فَخُرُهُ تَعَلَمَ منه الناسُ (٢) ابْدَعَ حكمةِ

وقال في التشبيه: [البسيط]

كأنما السَّوْسَنُ الغضُّ الذي افتُتِحتُ بنانُ كُفُّ فتاةٍ قط ما خَضَبَتْ

وإن لم يكن إلا قصيرًا مُجَوَّفا فها هو أمضى ما يكونُ مُحَرَّفا

منه كمائمه المُبْيَضَة اللونِ تَلْقى بها مَنْ يراها خيفة العَيْنِ

وقال يُعرِّض بقوم من بني أزقم: [المتقارب]

إذا ما نَزَلْتَ بوادي الأشي (٣) وكيف السلامة في مَوْطِن

وقال موريًا بالفقه، وهو بديع (١): [الخفيف]

لي دَيْنُ على الليالي قديمُ أَفَأُعُدى بالحكمِ بَعْدُ عليها (٢٠)؟ وَنَخْدَى بالحكمِ بَعْدُ عليها (٢٠)؟ ونختم مقطوعاته بقوله (٨): [الطويل]

نجؤتُ بفضلِ الله مِمَّا أَخَافُهُ وما ضِغتُ في الدنيا بغير شفاعةٍ وقال أيضًا: [الطويل]

عليك بتقوى الله فيما ترُومُه ولا تَرْجُ غيرَ الله في نَيْلِ حاجةِ فمَن أمَّ غير الله أشرَكَ عاجلًا

فقل ربُ مَن لَذَغِه سَلِم به عُضبَةً من بني أزقم؟

يف] ثابتُ الرَّسْم منذُ خمسين حِجُهُ (٥)

ام لها في تقادُم الدُهر (٧) حُجُهُ؟

ولِمْ لا وخَيْرُ العَالمينَ شَفِيعُ؟ فكيف إذا كان الشفيعُ أضيعُ؟

من الأمر تخلُصُ بالمرام وبالأُجْرِ ولا دَفْع ضُرُّ في سِرار ولا جَهْرِ وفارقه إيمائهُ وَهُوَ لا يَدْري^(٩)

وفاته: توفي قاضيًا ببَرْجة، وسيقُ إلى غرناطة، فدفن بباب إلبيرة عصر يوم الأربعاء آخر يوم من ربيع (١٠٠ عام خمسة وأربعين وسبعمائة.

⁽١) البيتان في الكتية الكامنة (ص ١٨٢). (٢) في الكتيبة: «السيف».

⁽٣) في الأصل: «الآشي» وهكذا ينكسر الوزن. (٤) البّيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٢).

⁽٥) البُحجة، بكسر الحاء: السنة.

⁽٦) في الأصل: «أقاعدًا بالحكم عليها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

⁽٧) في الكتيبة: «العهد». (٨) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٨٢).

 ⁽٩) في الأصل: «لا يَدُر».

⁽١٠) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٦): اربيع الأولا.

خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي (١) من أهل قَلْتُورية (٢)، من حصون وادي المنصورة.

حاله: هذا الرجل من أهل الفضل والسذاجة، كثير التواضع، منحط في ذمّة التّخلّق، نابِه الهيئة، حَسن الأخلاق، جميل العِشرة، مُحِبٌ في الأدب؛ قضى ببلده وبغيره، وحج وقيّد رحلته في سِفْر، وصف فيه البلاد ومن لَقِيَ، بفصول جلب أكثرها من كلام العِماد الأصبهاني، وصَفْوان وغيرهما، من مُلح. وقَفَلَ إلى الأندلس، وارتَسَم في تونس في الكتابة عن أميرها زمانًا يسيرًا؛ وهو الآن قاض ببعض الجهات الشرقية.

وجرى ذِكره في الرَّحلة (٢) التي صدرت عني في صُحْبة الرِّكاب السلطاني عند تَفقُّد البلاد الشرقية؛ في فصل حَفِظَهُ الناس، وأجروه في فكاهاتهم وهو:

العتى إذا الفجر تَبَلّج، والصّبح من باب المَشْرق تَوَلّج، عُدُنا وتوفيق الله قائِد، وتخيّينا الهضاب والفِجاجُ إلى وَتَنفُنا من عنايته صلةً وعائد، تتلقّى رِكابنا الأفواجُ، وتحيّينا الهضاب والفِجاجُ إلى قَنتُورْيَة، فَناهيك من مرحلة قصيرة كأيام الوصال، قريبةِ البُكر من الآصال، كان المُبيتُ بإزاء قَلْعتها السّامية الارتفاع، السّهيرة الامتناع؛ وقد بَرَز أهلها في العَديد والعُدَّة؛ والاحتفال الذي قَدِم به العهدُ على طول المُدَّة، صفوفًا بتلك البُقعة خيلاً ورجلاً كشطرنج الرُقْعَة، لم يَتَخَلف ولدٌ عن والذِ، ورَكُبُ قاضيها ابن أبي خالد؛ وقد سُهَرَتُهُ النُوْعَةُ الحِجازيَّة، وقد لبِسَ من الحجازيّ، وأرخى من البياض طَيْلسانًا، وتشبّه بالمشارقة شَكْلاً ولسانًا، وصَبغ لِخيته بالحِنّاء والكتمَ (٤)، ولاث عمامته واختتم، والبداوةُ تَسِمُه على الخُرطُوم، وطبعُ الماء والهواء يقودُه قَوْدَ الجمل المخطوم، فداعبتُه مداعبة الأديب للأديب؛ والأريب للأريب، وخيرتهُ بين خَضلَتين، وقلت: نَظَمْتُ مقطوعَتين، إحداهما مَدْح؛ والأخرى قَدْح؛ فإن هَمَتْ دِيمَتُك، وكرُمَتْ شيمتُك، مقطوعَتين، إحداهما مَدْح؛ والأخرى قَدْح؛ فإن هَمَتْ دِيمَتُك، وكرُمَتْ شيمتُك، فللذين أحسَنُوا الحُسْنى، وإلا فالمثلُ الأدنى. فقال: أنشِذني لأرى على أي امرى فللذين أحسَنُوا الحُسْنى، وإلا فالمثلُ الأدنى. فقال: أنشِذني لأرى على أي امرى أليتَ، وأفرقُ بين ما جَنْيَتَنى وما جنيتُ، فقلت: [الكامل]

قالوا وقد عظمت مبرة خالد قاري الضيوف بطارف وبتالد

⁽١) ترجمه خالد البلوي في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٧).

⁽٢) في الكتيبة الكامنة: االقتوري، وقتتورية: بالإسبانية: Cantoria.

⁽٣) هذا السُّفُر هو رحلة البلوي المسماة بـ اتاج المفرق في تحلية أهل المشرق،

⁽٤) الكُتّم: نبت يُخْلُط بالحناء ويُخْضَبُ به الشعر فيبقى لونه. محيط المحيط (كتم).

ماذا تَمَمْتَ به فجئتَ بحجة قطعت بكل مجادل ومُجالدِ أن يَفْتَرِقْ نسبٌ يؤلّفُ بيننا أدبُ أقسناه مقام الواليدِ

وأما الثانية فيكفي من البَرْق شُعاعة، وحَسْبُك من شَرِّ سماعة. ويسيرُ التنبيهِ كافِ للنبيه؛ فقال: لستَ إلى قِراي بذي حاجة، وإذا عزمت فأصالحُك على دجاجة؛ فقلت: ضريبةٌ غريبةٌ، ومُؤنّة قريبةٌ؛ عجّل ولا تُوجّلُ، وإن انصرم أمدُ النهار فأسْجِل؛ فلم يكن إلّا كَلّا ولا، وأعوانُه من القَلْعة تَنْحدر، والبِشْرُ منهم بقدومها يَبْتَدر، يَزُفُونَها كالعَروس فوق الرُّؤوس، فمن قائل يقول: أمُها يمانيَّة، وآخرُ يقول: أخُوها الخِصِي المُوجّه إلى الحَضْرة العَليَّة، وأذنوا مرابِطَها من المضرب، بعد صلاة المَغرب، والحَفْوا في السؤال، وتشطُطُوا في طلب النُوال؛ فقلتُ: يا بَني اللَّكيمة جنتمُ بِبازي، بماذا كنت أُجازي، فانصرفوا وما كادوا يفعلون، وأقبل بعضهم على بعض يتلاوَمُون؛ ماذا كنت أُجازي، فانصرفوا وما كادوا يفعلون، وأقبل بعضهم على بعض يتلاوَمُون؛ حتى إذا سُلْت لذَبْحها المُدى، وبلغت من طول أعمارها المَدَى، قلت: يا قوم، حتى إذا سُلْت لذَبْحها المُدى، وبلغت من طول أعمارها المَدَى، قلت: يا قوم، ظَفِرتُم بقُرَّة العين، وأبْشِرُوا باقتراب اللقاء فقد ذَبَحْتُ لَكم غُراب البَين».

ولقد بلغني أنه لهذا العهد بعد أن طال المَدَى، يتظلّم من ذلك، ويَنْطوي من أجله على الوَجْدَة؛ فكتَبْتُ إليه: وصل الله عِزّة الفقيه النّبيه، العديم النظير والتّشبيه؛ وارث العدالة عن عمّه وابن أبيه، في عزّة تُظلّله، وولاية تُتَوِّج جاهه وتُكلّله.

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحملن بن سليمان ابن عمر بن حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأندي (١)

يكنى أبا سليمان.

أُولئيته: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير؛ من بيت علم وعفاف، أصله من أندَة (٢) محمد إلى أندَة (٢) محمد إلى حصن بشرقي الأندلس، وانتقل أبو سليمان هذا مع أخيه أبي محمد إلى حيث يذكر بعد.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان حافظًا للقراءة، عارفًا بإقراء القرآن بها، أتْقَن ذلك عن أبيه، ثم أخيه كبيره أبي محمد، محدّثًا متسع الرواية، شديد العناية بها، كثير

⁽۱) نسبة إلى أندة Onda، وهي مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس، كثيرة المياه والشجر، وبخاصة التين، فإنه يكثر بها. معجم البلدان (ج ۱ ص ٢٦٤) والروض المعطار (ص ٤١). وترجمة داود بن سليمان بن حوط الله في التكملة (ج ۱ ص ٢٥٦) والوافي بالوفيات (ج ١٣ ص ٤٦) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٩٤).

⁽٢) أَنْدة: عمل بلنسية. التكملة (ج ١ ص ٢٥٦).

السّماع، مُكثِرًا، عَذلًا، ضابطًا لما ينقله، عارِفًا بطرق الحديث. أطال الرّحلة في بلاد الأندلس، شرقها وغربها، طالبًا العلم بها، ورحل إلى سَبْتَة وغيرها من بلاد الأندلس العُدُوية (١٠). وعُنِيَ بلقاء الشيوخ كبارًا وصغارًا والأخذ منهم أتم عناية، وحصل له بذلك ما لم يحصل لغيره. وكان فهيمًا بصيرًا بعَقْد الشروط، حاذقًا في استخراج نكتِها، تَلبَّس بكَتْبها زمانًا طويلًا بمسجد الوحيد من مالقة، وكان مُحِبًّا في العلم وأهله، حريصًا على إفادته إيّاهم، صَبُورًا على سماع الحديث، حَسَن الخُلُق، طيب النفس، متواضعًا، وَرِعًا، مُنْقَبِضًا، ليّن الجانب، مخفوض الجناح، حَسَن الهُدى، نزيه النفس، كثير الحياء، رقيق القلب، تعدد الثّناء عليه من الجِلّة.

قال ابن الزَّبير: كان من أهل العدالة والفضل، وحُسْن الخُلق، وطِيبِ النفس والتَّوَاضع، وكثرة الحياء. وقال ابن عبد المجيد: كان ممّن فضَّله الله بحُسْن الخُلُق والحياء على كثير من العلماء. وقال أبو عبد الله بن سلمة مثل ذلك، وقال ابن (٢)... بمثله.

 ⁽۱) بلاد الأندلس العُذوية: الجهات التي كانت على ضفة بحر المتوسط، المقابلة للجزيرة الخضراء،
 وهى سبتة ومليلة وغيرهما.

⁽٢) بياضٌ في الأصل. (٣) قارن بالتكملة (ج ١ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

بكر بن مالك الشَّريشي، وأبي عبد اليُسْر الجزيري، وأبي بكر بن عبد الله السَّكْسَكي، وأبي الحجاج ابن الشيخ الفهري، وغيرهم ممِّن يطول ذِكرهم.

قضاؤه وسيرته فيه: قال ابن أبي الربيع: لازمت (١) ابني حوط الله، فكان أبو محمد يفرق أخاه والناس في العلم، وكان أبو سليمان يفوق أخاه والناس في الجلم. واستقضي بسبنة وألمَرِيَّة والجزيرة الخضراء، وقام قاضبًا بها مدة، ثم نقل منها إلى قضاء بَلْنسِيَة آخر ثمان وستمائة، ثم صُرِفَ بأبي القاسم بن نُوح، وقُدُّم على القضاء بمالقة في حدود إحدى عشرة (٢) وستمائة، فشكرت أحواله كلها، وعُرِفَ في قضائه بالنزاهة. قال أبو عبد الله بن سلمة: كان إذا حضر خصوم، ظهر منه من التواضع، ووطأة الأكناف، وتبيين المراشد، والصبر على المُداراة، والمُلاطفة، وتَخبيب الحق، وتكريه الباطل، ما يُعجز عنه. ولقد حضرته. وقد أوْجَبَت الأحكام عنده الحدود على وتكريه الباطل، ما يُعجز عنه. ولقد حضرته. وقد أوْجَبَت الأحكام عنده الحدود على رجل، فهاله الأمر، وذَرَفتْ عيناه، وأخذ يَعْتِبُ عليه ويؤنّبُه على أن ساق نَفْسه إلى هذا، وأمر بإخراجه ليُحَدُّ بشهود في موضع آخر لرقة نفسه، وشدَّة إشفاقه. واستمرَّت ولايته بمالقة إلى أن توفي.

مولده: ببلدة أُنْدَة سنة ستين وخمسمائة (٣).

وفاته: قال أبو عبد الرحمان بن غالب: توفي إثر صلاة الصبح من يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وستمائة، ودفن إثر صلاة العصر يوم وفاته، بسفح جبل فَارُه (٤)، في الروضة المدفون بها أخوه أبو محمد، فأتُبَعه الناس ثناء جميلًا؛ ذُكِر، واختلفوا في جنازته، وخَرج إليها النساء والصبيان داعين مُتبكين.

رضوان النَّصْري الحاجبُ المُعَظَّم (٥)

حَسَنَةُ الدولة النصرية، وفَخْرُ مواليها.

أَوْلَيْتُهُ: روميّ الأصل، أخبرني أنه من أهل القَلْصَادَة (٢)، وأن انتسابه يتجاذَبه العَشْتَالِيةُ من طَرَف العمومة، والبَرْجِلُونِيّة (٧) من طرف الخُؤولة، وكلاهما نبيه في

⁽١) قارن بالتكملة (ج ١ ص ٢٥٧). (٢) في الأصل: اعشر، وهو خطأ نحوي.

⁽٣) في التكملة (ج ١ ص ٢٥٧): الرمولده بأنده سنة ٢٥٥٦.

 ⁽٤) جبل فاره: بالإسبانية Gibral faro، يعلو مدينة مالقة وهو إلى الآن معروف بجبل الفارو، أي المنارة. نزهة المشتاق (ص ٥٧٠) والتكملة (ج ٣ ص ١٧٩).

⁽٥) راجع أخبار رضوان النصري في اللمحة البدرية (ص ٩٤، ١٠٣، ١١٥).

⁽٦) قلصادة: بالإسبانية La Calzada de Calatrava، وهي بلدة واقعة جنوب قشتالة.

⁽٧) نسبة إلى برجلونة، أي برشلونة.

قومه، وأن أباه الجأة الخوف بدم ارتكبه في محل أصالته من داخل قَشْتالة إلى السّكنى بحيث ذكر. ووقع عليه سِباة (١) في سنّ الطفوليّة، واستقرّ بسببه بالدار السلطانية، ومَحضَ إحراز رقّه، السلطان دايل قومه، أبو الوليد الماز ذِكره، فاختصّ به، ولازمه قبل تَصْيير المُلْك إليه، مؤثِرًا له مغتبطًا بمخايل فضله، وتَمَاثُل استقامته، ثم صُيرً المُلْك إليه فتدرّج في معارج حُظوته، واختصّ بتربية ولده، ورَكَنَ إلى فضل أمانته، وخلطه في قُرْب الجوار بنفسه، واسْتَجلى الأمور المُشْكِلة بصِدْقه، وجعل الجوائز السّنييّة لعظماء دولته على يده، وكان يوجِب حقّه ويعرف فضله، إلى أن هلك، فتعلّق بكنف ولده، وحَفِظ شمّله، ودبّر مُلكه، فكان آخر اللّخف، وسترًا للحرم، وشجّى للعِدا، وعُدّة في الشّدة، وزَيْنًا في الرّخاء، رحمة الله عليه.

حاله وصفته: كان هذا الرجل مليح الشّيبة والهيئة، معتدل القد والسّخنة، مُرهب البدن، مُقبل الصورة، حَسَن الخُلق، واسع الصدر، أصيل الرأي، رصين العقل، كثير التجمّل، عظيم الصبر، قليل الخوف في الهَيْعات (٢)، ثابت القدم في الأزمات، ميمون النّقيبة (٦)، عزيز النّفس، عالى الهمّة، بادي الحشمة، آية في العفّة، مثلاً في النزاهة، ملتزمًا للسّنّة، درُوبًا على الجماعة، جليس القِبْلة؛ شديد الإدراك مع السكون، ثاقب الدّهن مع إظهار العَفْلة؛ مليح الدّعابة مع الوقار والسكينة، مستظهرًا لعيون التاريخ، ذاكرًا للكثير من الفقه والحديث، كثير الذّالة (٤) على تصوير الأقاليم وأوضاع البلاد، عارفًا للسياسة، مُكرمًا للعلماء، مُتركًا للهوادة، قليل التصنّع، نافرًا من أهل البدّع؛ متساوي الظاهر والباطن، مقتصدًا في المطعم والملس.

مكانته من الدين: اتَّفِقَ على أنه لم يُعاقر مُسكِرًا قطُّ ولا زُنَّ بهَناة، ولا لُطِخ بريبة، ولا وُصم بخلَّة تَقدح في مَنصِب، ولا باشر عقاب جاز، ولا أظهر شفاءً من غائظ، ولا اكتسب من غير التُّجر والفلاحة مالًا.

آثاره: أحدث المدرسة بغرناطة، ولم تكن بها بعد، وسبّب إليها الفوائد، ووقف عليها الرّباع المُغلّة، وانفرد بمَنْقبها أن فجاءت نسيجة وحدها بهجة وصدرًا وظرفًا وفخامة، وجَلَب الماء الكثير إليها من النهر، فأبّد سقيّه عليها، وأدار السور (٦)

⁽١) السباء: الأشر. محيط المحيط (سبي).

⁽٢) الهَيْعات: جمع هَيْعة وهي كل ما أفزعك من صوت أو فاحشة تُشاع. محيط المحيط (هيع).

⁽٣) ميمون النقيبة: مبارك النفس. محيط المحيط (نقب).

⁽٤) كثير الدالّة: جريء، محيط المحيط (دلل)،

⁽٥) المَنْقَب: الطريق في الجبل، والمراد أنه انفرد بفضلها. محيط المحيط (نقب).

⁽٦) ما تزال تقوم حتى اليوم بقية من هذا السور خلف ربض البيازين بغرناطة.

الأعظم على الرَّبَض الكبير المنسوب للبيّازين، فانتظم منه النّجد والغَور، في زمان قريب، وشارف التمام إلى هذا العهد. وبنى من الأبراج المنيعة في مَثالم الثّغور وروابي مطالعها المُنْذِرة، ما يَنيفُ على أربعين بُرْجًا، فهي ماثلة كالنجوم ما بين البحر الشرقي من ثغر بيرة (١)، إلى الأحواز العربية. وأجرى الماء بجبل مَوْرُور، مُهتديّا إلى ما خَفِيَ على مَن تقدّمه، وأفذاذ أمثال هذه الأنقاب يشقُ تعداده.

جهاده: غزا في السادس والعشرين من محرم عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة بجيش مدينة باغة (٢)، وهي ما هي من الشهرة، وكرم البُقعة، فأخذ بمُخنِقها، وشدَّ حصارها، وعاقَ الصريخ عنها، فتملكها عَنُوة، وعمَّرها بالحماة، ورتَّبها بالمُرابطة، فكان الفتح فيها عظيمًا. وفي أوائل شهر المحرم من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة غزا بالجيش عَدُو المشرق، وطوى المراحل مُجتازًا على بلاد قَشْتالة، لُورَقَة، ومُرْسية، وأمعن فيها. ونازل حصن المُدوَّر، وهو حصن أمِنَ غائِلة العدو، مكْتَنَفٌ بالبلاد، مُدَّ بالبَسِيني (٣)، موضوعٌ على طيَّة التجارة، وناشبه القتال، فاستولى عَنُوة عليه منتصف المحرم من العام المذكور، وآبَ مملوء الحقائب سَبيًا وغُنْمًا.

وغزواته كثيرة، كمظاهرة الأمير الشهير أبي مالك على مُنازَلة جبل الفتح، وما اشتهر عنه فيه من الجدّ والصبر، وأُوثِرَ عنه من المَنْقَبة الدَّالة على صحة اليقين، وصدق الجهاد، إذ أصابه سهم في ذراعه وهو يصلّي، فلم يشغلُه عن صلاته، ولا حمله توقعُ الإغارة على إبطال عمله.

ترتيب خدمته وما تخلّل عن ذلك من محنته:

لمّا استوثق أمرُ الأمير المخصوص بتربيته، محمد، ابن أمير المسلمين أبي الوليد نصر، وقام بالأمر وكيل أبيه الفقيه أبو عبد الله محمد بن المحروق، ووقع بينه وبين المترجم عهدٌ على الوفاء والمُناصحة، ولم يلبث أن نكبه وقبض عليه ليلة كذا من رجب عام ثمانية وعشرين وسبعمائة، وبعثه ليلاً إلى مَرْسى المُنَكِّب، واعتقله في المُظبّق من قصبتها بَغْيًا عليه، وارتكب فيه أُشنُوعة أساءت به العامّة،

⁽١) بيرة: بالإسبانية Vera، وهي بلدة صغيرة تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة ألمرية.

⁽٢) باغُه: بالإسبانية Priego، وقد عدّها أبو الفداء بلدة. تقديم البلدان (ص ١٧٧). وجعلها ابن الدلائي قرية. نصوص عن الأندلس (ص ٩٣). ويبدو من كلام ابن الدلائي الذي كان معاصرًا لبني زيري بغرناطة في عصر ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري، أن باغة كانت آنذاك قرية. وذهب الحميري مذهب ابن الخطيب، فجعلها مدينة. الروض المعطار (ص ١٢٢).

⁽٣) هي الآلات والتجهيزات الضخمة.

وأنذرت باختلال الحال، ثم أجازه البحر، فاستقرّ بتِلمُسان، ولم يلبث أن قُتل المذكور، وبادر سلطانه الموتور بفرقته عن سُدُّته، فاستدعاه، فلحق محلَّه من هَضْبة المُلْك مُتَملَّيًا ما شاء من عزِّ وعناية، فضُرفت إليه المقاليد، ونِيطَت به الأمور، وأَسْلِمَ إليه المُلْك، وأَطلِقَت يده في المال. واستمرّت الأحوال إلى عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، والتأث الأمر، وظهر من سلطانه التنكُّرُ عليه، فعاجله الجِمام فخلَّصه الله منه، وولى أخوه أبو الحجاج من بعده، فوقع الإجماع على اختياره للوزارة أوائل المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، فرضي الكلُّ به، وفرحت العامّة والخاصة للخطة، لارتفاع المنافسات بمكانه، ورضي الأضداد بتوسّطه، وطابت النفوس بالأمن من غائلته، فتولَّى الوزارة وسَحَب أذيال المُلْك، وانفرد بالأمر، واجتهد في تنفيذ الأحكام، وتقدُّم الوُلاة، وجواب الممخاطبات وقُوَّاد الجيوش، إلى ليلة الأحد الثاني والعشرين من رجب عام أربعين وسبعمائة، فنكبه الأمير المذكور نكبة ثقيلة البرك، هائلة الفجأة من غير زلَّة مأثورة، ولا سَقطة معروفة، إلّا ما لا يُعدم بأبواب الملوك من شرور المنافسات، ودبيب السُّعايات الكاذبة. وقبض عليه بين يدي محراب الجامع من الحمراء إثر صلاة المغرب، وقد شَهَرَ الرِّجال سيوفهم فوقه يحفّون به، ويقودونه إلى بعض دُور الحمراء، وكبس ثُقات السلطان منزله، فاستوعبوا ما اشتمل عليه من نعمة، وضم إلى المستخلص عقاره، وسوِّغ الخبرُ عظيم غلاته. ثم نقل بعد أيام إلى قصبة ألمرية محمولًا على الظّهر، فشدّ بها اعتقاله، ورتب الحرس عليه إلى أوائل شهر ربيع الثاني من عام أحد وأربعين وسبعمائة، فبدا للسلطان في أمره واضطر إلى إعادته. ووجد فَقْد نصحه، وأشفق لما عَدِمَ من أمانته، والانتفاع برأيه، وعرض عليه بما لنوم الكفُّ والإقصار عن ضُرُّه، فعفا عنه، وأعاده إلى محلَّه من الكرامة، وصرف عليه من ماله، وعرض الوزارة فأباها، واختار بردّ العافية، وأنِس لذَّة التخلّي، فقُدم لذلك مَنْ سَدُّ الثغور، فكان له اللفظ، ولهذا الرجل المعنى، فلم يزل مفزعًا للرأي، مُحلِّي في العِظّة على الولاية، كثير الآمل والغاشي، إلى أن توفي السلطان المذكور غرّة شوّال من عام خمسة وخمسين وسبعمائة، فَشَعَبُ الثَّأيُ (١)، وحفظ البلوى، وأخذ البيعة لولده سلطاننا الأسعد أبي عبد الله، وقام خير قيام بأمره، وجرى على معهود استبرائه، وقد تحكّمت التجربة، وعَلت السّن، وزادت أنَّة الخَشْية، وقربت من لقاء

⁽١) الثأي: الضعف والركاكة وآثار الجرح. لسان العرب (ثأى).

الله الشُّقة، فلا تسأل عمّا حطّ من خَل، وأفاض من عدل، وبذل من مداراة. وحاول عقد السلم، وسدُّ أمور الجند على القِل، ودامت حالهُ متصلةٌ على ما ذكر، وسنُه تتوسّط عشر التسعين إلى أن لحق بربه. وقد علم الله أني لم يحملني على تقرير سيرته، والإشادة بمنقبته داعيةٌ، وإنما هو قول بالحق، وتسليم لحُجَّة الفضل، وعدل في الوصف، والله، عزّ وجلّ، يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا ﴾(١).

وفاته: في ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من رمضان من عام ستين وسبعمائة، طرق منزله بعد فراغه من إحياء ثلث الليل، مُتبذّل اللّبسة، خالص الطويّة، مقتضيًا للأمن، مُستَشعِرًا للعاقية، قائمًا على المسلمين بالكُلّ، حاملًا للعظيمة، وقد بادره الغادرون بسلطانه، فكسروا غَلقه بعد طول معالجة، ودخلوا عليه وقتلوه بين أهله وولده، وذهبوا إلى الدايل برأسه، وفجعوا الإسلام، بالسائس الخصيب المتغاضي، راكب متن الصبر، ومطوق طوق النزاهة والعفاف، وآخر رجال الكمال والستر، الضافي على الأندلس، ولوئم من الغد بين رأسه وجسده، ودفن بإزاء لحود مواليه من السبيكة (٢) ظهرًا. ولم يشهد جنازته إلّا القليل من الناس، وتُبرّك بعد بقبره. وقلت عند الصلاة عليه، أخاطبه دون الجهر من القول لمكان التقية: [الطويل]

أرضوان، لا تُوحِشْكَ فَتْكَةُ ظَالَم ولله سِرٌ في العِبادِ مُغَيّبُ سَمِينُكَ مُرْتاحُ إليكَ مُسَلَمٌ فَحُثُ المَطَا لَيْسَ النعيم مُنَغُصٌ

ف الأ مورد إلا سيتلوه مَ ضدر ألا يشهد بخافيه القضاء المُقدر المنفذر عليك ورضوان من الله أخبر ولا العيش في دار الخلود مُكذر ألا

زاوي (٣) بن زيري بن مناد الصنهاجي

الحاجب المنصور، يكني أبا مُثَنِّي.

⁽١) سورة الأنعام ٦، الآية ١٥٢.

 ⁽۲) السبيكة: موضع خارج غرناطة. وقد ذكره الشعراء، ومنهم أبو جعفر الإلبيري الرعيني. راجع:
 مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ۳۷).

⁽٣) حكم زاوي غرناطة من سنة ٤٠٣ هـ إلى سنة ٤١٠ هـ. وترجمته في الذخيرة (ق ١ ص ٤٥٣) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٠٣، ١٢٨، ١٦٣) والمغرب (ج ٢ ص ١٠٦) وأعمال والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٠٣، ٢٢٨، ١٦٣) والمغرب (ج ٢ ص ٢٩) والمحة البدرية (ص الأعلام (القسم الثاني ص ١٠٩، ٢٢٨). ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩) واللمحة البدرية (ص ٣١) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٢٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٤). وهناك دراسة مفصلة عن زاوي بن زيري في كتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٨٣ ـ ١٠٤) فلتُنظَر.

أوَّليَّته: قد مَرُّ(١) ما حدث بين أبيه زيري وبين قرابته من ملوك إفريقية، وباديس بن منصور من المُشاحنة التي أوجبت مخاطبة المُظفر بن أبي عامر في اللَّحاق بالأندلس، وإذَّنه في ذلك، فدخل الأندلسِّ منهم على عهده جماعة وافرة من مساعير الحروب وآثار الحتُوف، مع شيخهم هذا وأميرهم، ودخل منهم معه أبناء أخيه ماكْسَن وحُباسة وحَبّوس، وقاموا في جُملة المظفّر، وزاوي مخصوصٌ باسم الحجابة؛ فلمّا اختلُّ بناء الخلافة، بمحمد بن عبد الجبار الملقّب بالمهدي، أذلهم وتنكّر لهم، وأشاع بينهم وبين أمثالهم من البرابر، المُغايرة، فكان ذلك سبب الفتنة التي يسمّيها أهل الأندلس بالبربرية؛ فانحاشوا، ونفروا عهده، وبايعوا سليمان بن الحكم، واستعانوا بالنصاري، وحرّكوا على أهل قرطبة خصوصًا، وعلى أهل الأندلس عمومًا، ما شاء الله من استباحة، وإهلاك النفوس، وغلبوا على مُلك الأندلس، وما وراء البَيْضَة، واقتسموا أمُّهات الأقطار، وانحازوا إلى بلاد تضمُّهم، فانحازت صَنْهاجة مع رئيسهم المذكور إلى غرناطة، فأوّوا إليها، واتخذوها ملجأ، وحماها زاوي المذكور، وأقام بها ملكًا، وأثَّل بها سلطانًا لذويه، فهو أوَّل مَن مذَّن غرناطة، وبناها وزادها تشييدًا وَمُنْعَة، واتصل مُلكه بها، وارتشحت عروقه، إلى أن كان من ظهوره بها وأحوازها، على عساكر الموالي، الراجعين بإمامهم المُرتضى إلى قرطبة، البادين بقتاله، والآخذين بكَظَمه، بما تقرّر ويتقرّر في اسم المُرْتضى، من باب المُحمَّدين.

وكان زاوي كَبْشَ الحروب، وكاشف الكروب، خدم قومه شهير الذِّكر أصيل المجد، المثل المضروب في الدهاء، والرأي، والشجاعة، والأنفّة، والحزم.

قال بعضهم: أحكم التدبير، والدولة تسعده، والمقادر تنجده، وحُكِيَت له في الحروب حكايات عجيبة.

بعض أخباره في الرأي: قال أبو مروان: وقد مر ذكر الفتنة البربرية؛ لما خلص ملأ القوم، لتشاور أميرهم، وهم فرض في خروجهم من قرطبة، عندما انتهوا إلى فحص هلال، واجتمعوا على التأسّي، وضرب لهم زعيمهم زاوي بن زيري بن مناد الصّنهاجي، مثلاً بأرماح خمسة جمعها مشدودة، ودفعها لأشد من حضره منهم، وقال: اجهد نفسك في كسرها كما هي وأغوزها، فعالج ذلك فلم

⁽١) مرّ ذلك في ترجمة بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكَسَن بن زيري.

يقدر عليه، فقال له: حِلّها وعالجها رُمْحًا رُمْحًا، فلم يبعد عليه دقها، فأقبلَ على الجماعة، فقال: هذا مَثَلَكم يا برابرة، إن جُمعتم لم تُطاقوا، وإن تَفرُقتُم لم تُبقوا، والجماعة في طلبكم، فانظروا لأنفسكم وعجّلوا، فقالوا: نأخذ بالوثيقة، ولا نُلقي بأيدينا إلى التهلكة، فقال لهم: بايعوا لهذا القرشي سليمان، يرفع عنكم الأنفة في الرياسات، وتستميلون إليه العامة بالجنسية، ففعلوا، فلمّا تمّت البيعة قال: إن مثل هذا الحال لا يقوى على أهل الاستطالة، فيقيد له رئيس كل قبيلة منكم، قبيلة يتكفّل السلطان بتَقْويمهم، وأنا الكفيلُ بصَنهاجة، قال: وامتارت بطون القبائل على أرحامها، وقبائلها إلى أفخاذها وفصائلها، فاجتمع كل فريق منهم على تقديم سيّده، فاجتمعت صَنهاجة على كبيرها زاوي، ولم تزل تلك القبائل المتألّفة بالأندلس لطاعة أميرها، المُنادين له إلى أن أورثوهم الإمارة.

التوقيع: قالوا(۱): ولمّا نازله المُرْتَضى الذي أَجُلَب به الموالي العامريين بظاهر غرناطة، خاطبه بكتاب يدعوه فيه إلى طاعته، وأجمل موعده فيه؛ فلما قُرىء على زاوي قال لكاتبه: اكتب على ظهر رقعته: ﴿قُلْ يَكَأَيُّهُ ٱلْحَكَثِرُونَ ۚ ﴿ السورة (٢). فلمّا بلغت المرتضى أعاد عليه كتابًا يعده فيه بوعيده، فلمّا قُرىء على زاوي، قال: رُدُ عليه: ﴿ الْهَنْكُمُ ٱلتِّكَاثُرُ ۚ ﴿ الله آخرها، فازداد المرتضى غيظًا، وناشبه القتال، فكان الظّهور لزاوي.

قال المؤرِّخ⁽¹⁾: واقتتلت صَنهاجه مع أميرهم مُستميتين لما دَهَمَهم من بحر العساكر، على انفرادهم وقلة عددهم، إلى أن انهزم أهل الأندلس، وطاروا على وجوههم، مُسْلِمُوهم وإفرنَجهُم، لا يلوون على أحد، فأوقع البرابر⁽⁰⁾ بهم السيف، ونَهبوا تلك المحلَّات، واحتووا على ما لا كَفاء له اتساعًا وكَثرة؛ ظلَّ الفارس يجيء من أتباع المُنهزمين ومعه العَشرة، ولا تسل عمّا دون ذلك من فاخر النَّهُب، وخير الفساطيط، ومضارب الأمراء والرؤساء.

⁽۱) قارن بالذخيرة (ق ۱ ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤) ومذكرات الأمير عبد الله (ص ٢٢) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٥ ـ ١٢٦) ونفيح الطيب (ج ٢ ص ٢٩ ـ ٣٠).

⁽۲) سورة الكافرون ۱۰۹، الآية ۱. (۳) سورة التكاثر ۱۰۲، الآية ۱.

 ⁽٤) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٤٥٤) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٣٦) ولكن ببعض الاختلاف
 عمّا هنا.

 ⁽٥) في الذخيرة: «البرابرة». وهكذا كان ابن الخطيب يستعمل مرة كلمة «البرابر» ومرة أخرى كلمة
 «البرابرة» للتعبير عن البربر.

قال ابن حيَّان (١): فحلٌ بهذه الوقيعة على جماعة الأندلس مصيبة (٢) أنْسَتْ ما قبلها، ولم يجتمع لهم (٣) جمعٌ بعدها وفرّوا بإدبار (٤)، وباؤوا بالصُّغار.

مُنصرفه عن الأندلس:

قال المؤرِّخ (٥): ولهَوْل ما عاينه زاوي من اقتدارِ أهلِ الأندلس في أيّام (٢) تلك الحروب وجَعاجعهم، وإشرافهم على التغلّب عليه، هان سلطانُه عنده بالأندلس، وخرج (٧) عنها نظرًا إلى عاقبة أمره، ودعا بجماعة (٨) من قومه لذلك فعصوه، وركب البحر بجيشه وأهله، فلحِق بإفريقية وطنه. قال: فكان من أغرب الأخبار في (٩) الدولة الحَمُّودية انزعاجُ ذلك الشيخ زاوي (١٠) عن سلطانه بعد ذلك الفتح العظيم الذي ناله على أهل الأندلس، وعبورُه البحر بعد أن استأذن ابن عمُّه المُعز بن باديس، فأذِنَ له وحَرِّص بنو عمَّه بالقَيْرُوان، على رجوعه لهم لحال سنّه، وتقريبهم (١١) يومئذ مَنْ مِثْلُه من مَشْيختهم لمهلك جميع إخوتهم، وحصوله هو على مُقرَّرِ (١٢) بني مناد، الغريبُ الشأن (١٣)، في أن لا تُحجَب عنهم نساؤهم وكُنَّ زهاء ألف أمرأة في ذلك الوقت، هن ذوات مَحْرَم من بنات إخوته وبناتهن وبني بنيهنّ. وكان رحيل زاوي عن الأندلس سنة عشر (١٤) وأربعمائة. قال ابن حيّان (١٠): وأخبار هذا الداهية كثيرة، وأفعاله ونوادره مأثورة.

زهير العامري، فتى المنصور بن أبي عامر (١٦)

حاله: كان شهمًا داهية، سديد المذهب، مُؤثِرًا للأناة، ولي بعد خَيْران صاحب ألمريّة، وقام بأمره أحمد قيام، سنة تسع (١٧٠) عشرة وأربعمائة، يوم الجمعة لثلاث

⁽١) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٤٥٥) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٧).

⁽٢) في الذخيرة: امصيبة سوداءا. (٣) في الذخيرة: الهم على البربر جمع بعدا.

 ⁽٤) في الذخيرة: «بالإدبار». وفي البيان المغرب: «وأقرّوا بالإدبار».

⁽٥) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٤٥٧ ـ ٤٥٩). (٦) كلمة "أيام" ساقطة في الذخيرة.

⁽٧) في الذخيرة: «وعزم على الخروج عنها نظرًا في...».

⁽٨) في الذخيرة: «جماعة». (٩) في الذخيرة: «في تلك الدولة».

⁽١٠) في الذخيرة: «زاوي ابن زيري. (١١) في الذخيرة: «وتُعرّيهم يومئذ عن مثيله».

⁽١٢) في الذخيرة: • هو قُعْدُدُه. (١٣) في الذخيرة: • شأنه.

⁽١٤) في الأصل: اسنة ستة عشر وأربعمائة، والتصويب من الذخيرة.

⁽١٥) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٤٦٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٩).

⁽١٦) ترجمة زهير العامري في مذكرات الأمير عبد الله (ص ٣٤) والمغرب (ج ٢ ص ١٩٤) والذخيرة (ق ١ ص ٢٥٦) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٦).

⁽١٧) في الأصل: «تسعة عشر» وهو خطأ نحوي.

خَلَوْن من جُمادى الأولى. وكان أميرًا بمرسية، فوجّه عنه خيران حين أحسَّ بالموت، فوصل إليه، وكان عنده إلى أن مات. فخرج زُهير مع ابن عباس^(۱) إلى الناس، فقال لهم: أمَّا الخليفة خيران فقد مات، وقد قدَّم أخاه زهيرًا هذا، فما تقولون؟ فرضي الناس به، فدامت مدة ولايته عشرة أعوام ونصف عام إلى أن قُتل.

مناقبه: قال أبو القاسم الغافقي (٢): وكان حَسَن السيرة جميلها؛ بنى المسجد في ألمرية، ودار (٢) فيه من جهاته الثلاث، المشرق والمغرب والجوف؛ وبنى مسجدًا ببجانة، وشاور الفقهاء، وعمل بقولهم؛ وملك قرطبة، ودخل قصرها، يوم الأحد لخمس بقين من شعبان سنة خمس وعشرين وأربعمائة، ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهرًا ونصف شهر.

قال ابن عذاري⁽¹⁾: وأما زُهير الفتى فامتدَّت⁽⁰⁾ أطنابُ مملكته من ألمَرِيَّة إلى قرْطُبة⁽¹⁾ ونواحيها، وإلى بَيَّاسة، وإلى الفَجِّ من أول طليطلة. وقالوا^(۷): قرّ ما بينه وبين باديس فأرسل باديس^(۸) إلى زهير رسوله مكاتبًا مشتدعيًا تجديد المحالفة، فسارع زهير، وأقبل نحوه، وضيَّع الحزم، واغترَّ بالعُجْب، ووثق بالكثرة، أشبه شيء بمجيء الأمير الضخم إلى عامل^(۹) من عُمّاله، قد ترك رسم^(۱۱) الالتقاء بالنُظراء وغير ذلك من وجوه الحزم، وأعرض عن ذلك كله؛ وأقبل ضاربًا بسوطه، حتى تجاوز الحدِّ الذي جَرَت^(۱۱) العادة بالوقوف عنده من عمل باديس دون إذنه؛ وصيَّر الأوعار والمضايق خَلْف ظهره، فلا يفكر فيها، واقتحم البلد، حتى صار^(۱۲) إلى باب غرناطة. ولمّا وصل خرج باديس في جَمْعه، وقد أنكر اقتحامه عليه، وعَدَّه حاصلًا

 ⁽۱) هو أبو جعفر أحمد بن عباس، وترجمته في الذخيرة (ق ۱ ص ۲۰۱) والمغرب (ج ۲ ص
 (۱) والبيان المغرب (ج ۳ ص ۲۹۳) ونفع الطيب (ج ۵ ص ۸۱).

⁽٢) قارن بأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢١٦).

⁽٣) في أعمال الأعلام: ﴿وزاد فيه ٤ . (٤) البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٨ ـ ١٦٩).

⁽٥) في البيان المغرب: ﴿ فكان قد امتدَّت،

 ⁽٦) في البيان المغرب: اللي شاطبة، وما يليها إلى بياسة، وما وراءها إلى الفج من أول عمل طليطلة».

 ⁽٧) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٦٥٦ ـ ٦٥٩) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٩ ـ ١٧١) وكلاهما
 تصرّف في النص.

⁽٨) في الذخيرة: •وأرسل رسوله إلى زهير مُلطفًا في العتاب، مستدعيًا. . • • •

⁽٩) في الذخيرة: «العامل». (١٠) في الذخيرة: «رسوم».

⁽١١) في الذخيرة: «جرت به العادة من الوقوف.٠٠٠٠

⁽١٢) في اللخيرة: "وصل".

في قبضته؛ فبدأه بالجميل والتكريم، وأوسع عليه وعلى رجاله في (١) العطاء والقرى والتعظيم بما مكن اغترارهم، وقبت طُمأنينتهم. ووقعت المناظرة بين زهير وباديس (١)، ومَن حضرهما من رجال دولتيهما، فنشأ (١) بينهما عارض الخلاف لأول وهلة، وحمل زهير أمره على التشطط، فعزم باديس على اللقاء (٤) ووافقه عليه قوم من خُذّامه، فأقام المراتب، ونصب الكتائب، وقطع قنطرة لا مَحيد عنها لزُهير، والمحائن (٥) لا يشعر؛ وغاداه عن تعبئة مُحكَمة، فلم يَرْغه إلا رجّة القوم راجعين، فنهش زهير وأصحابه، إلّا أنه أحسن تدبير الثبات لو استئم، وقام فنصب الحرب، وثبت في قلب العسكر، وقدم خليفته هُذيلًا في وجوه أصحابه إلى الموالي، فلما وراءهم، فاختلطوا بهم (٧)، واشتذ القتال، فحكم الله لأقل الطائفتين من صنهاجة ليري الله (١) في الموافق أنهم المُحماة والشوكة (١)، ومتى حُصِدوا لم يثبت مَنْ ليري الله (١) فانهزم زهير وأصحابه وتقطعوا، وعمل السيف فيهم فمُزُقوا، وقتل زهير، وجُهل مصرعه؛ وغنم رجال باديس من المال والمرافق (٩) والأسلحة والْجلية والعُدة والغلمان والخيام (١٠٠٠)، ما لا يُحاط بوصفه. وكانت وفاة زهير يوم والجعة عقب شوّال، سنة تسع وعشرين وأربعمائة بقرية ألْفُت خارج غرناطة.

طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي وأخواه أبو بكر وأبو العربية (١١١)

يكنى أبا محمد.

⁽١) في الذخيرة: ﴿في القِرى والتعظيم، ما مكُن......

⁽٢) في الذخيرة: قبين باديس وزهير؟. ﴿ ٣) في الذخيرة: قفضاً؛.

⁽٤) اباديس عند ذلك على القتال، روافقه قومه صنهاجة، فأقام مراتبه ونصب كتائبه.....

⁽٥) في البيان المغرب: ﴿والخائنِ ٩.

 ⁽٦) في الذخيرة: «أنهم حُمَتُهُ وشوكتُه، وأنهم متى خضدوها...». وفي البيان المغرب: «أنهم حماته وشوكته وأنهم متى حصدوها...».

⁽٧) في المصدرين: • فاختلط الفريقان. .

⁽٨) كلُّمة الله، ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.

⁽٩) في البيان المغرب: ﴿وَالْحَزَائَنِ ﴾.

⁽١٠) في البيان المغرب: «والخيام وسائر أنواع الأموال ما لا يحيط به الوصف، .

⁽١١) تراجم الإخوة الثلاثة في المغرب (ج آ ص ٣٦٧) وقلائد العقيان (ص ١٤٨) والمطرب (ص ١٨٦) ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٦٩). وترجمة أبي محمد طلحة في التكملة (ج ١ ص ١٨٦) والذخيرة (ق ٢ ص ٧٥٣) والمغرب (ج ١ ص ٣٦٧). وترجمة أبي بكر عبد العزيز في التكملة (ج ٣ ص ٩٠). وترجمة الأخوين أبي بكر وأبي الحسن في رايات المبرزين (ص في التكملة (ج ٣ ص ٩٠). وترجمة الأخوين أبي بكر وأبي الحسن في رايات المبرزين (ص

حالهم: كانوا عيونًا من عُيُون الأدب بالأندلس، ممَّن اشتهروا بالظرف، والشرو والجلالة. وقال أبو الحسن بن بسَّام وقد ذكر أبا بكر منهم، فقال (۱): أحد فرسان الكلام (۲)، وحَمَلة السيوف والأقلام، من أُسرة أصالة، وبيت جلالة، أخذوا العلم أولًا عن آخر، وورثوه كابرًا عن كابر. ثلاثة كهقعة الجَوْزاء، وإن أربوا عن الشهر (۲) في السنا والسناء (٤). كتب أبو محمد عبد العزيز وأخواه عن ملك لمتُونة، ودخلوا معه غرناطة. ذكر ذلك غير واحد. واجتزأت بذكر أبي محمد، وأتبعه أخويه اختصارًا.

شعره: من شعر أبي محمد، قوله في الاستدعاء (٥): [المتقارب]

ولُحْ في سماء المُنى (٧) يا قَمَرُ فقد عُطُلَتْ قَرْسُهُ والوَتَرْ (٩) فقد عُطُلَتْ قَرْسُهُ والوَتَرْ (٩) فقد عُطُلَتْ قَرْسُهُ الأماني ثَمَرُ (١١) فما بغصون (١١) الأماني ثَمَرُ (١١) وحُزْت (١٢) من العين حُسْنَ الحَوْرُ

هَلُمُ إلى رَوْضنا يا زُهَرُن وَاللّٰهِ وَفَوِق (١) إلى الأنس سَهْمَ الإخاءِ إذا لم تكن عندنا حاضرًا وَقَعُ المُنى وَقَعُ المُنى

قال أبو نصر (۱۳): بات مع أخويه في أيام صِباه، واستطابة جَنُوب الشّباب وصَباه، بالمُنية المُسَمَّاة بالبديع، وهي (۱۹) روض كان المتوكل يَكُلَفُ بموافاته، ويبتهج بحُسْن صفاته، ويقطف رَيحانه (۱۵) وزهرة، ويقف (۱۲) عليه إغفاءه وسَهَرَه، ويستفزّه الطرب متى ذَكَرَه، وينتهز فُرَص الأنس فيه رَوحاته وبُكَره، ويدير حُمَيّاه على ضفة نهره، ويخلع سرَّه فيه لطاعة جَهْره، ومعه أخواه، فطاردوا اللذّات حتى أنضَوها، ولبسوا بُرُود السرور فما نَضوها، حتى صَرَعَتْهُمُ العُقار، وطَلَحَتْهم تلك

⁽١) الذخيرة (ق ٢ ص ٧٥٣ ـ ٧٥٤). (٣) في الذخيرة: «فرسان الكلوم والكلام».

⁽٣) في الذخيرة: «على الشمس». (٤) هنا ينتهي النقل عن الذخيرة.

⁽٥) الأبيات في المغرب (ج ١ ص ٣٦٨) وقلائد العقيان (ص ١٥١).

⁽٦) في الأصل: قيا زهيرًا والتصويب من المصدرين.

 ⁽٧) في المغرب: «العلا».
 (٨) في القلائد: «هَلُمُ».

 ⁽٩) هذا البيت غير وارد في المغرب.

⁽١٠) في القلائد: «لغصون». وفي المغرب: «لعيون».

⁽١١) في المغرب: «مُمَرُ». (١٣) أبو نصر: هو ابن خاقان، والنص في كتابه قلائد العقيان (ص ١٥٠ ــ ١٥١). وورد أيضًا في نفح الطيب (ج ٢ ص ١٦٩).

⁽١٤) في الأصل: قوهو، والتصويب من القلائد. (١٥) في القلائد والنفح: قرياً حينه،

⁽١٦) في النفح: ﴿ ويوقف ﴾ . ﴿ (١٧) في القلائد والنفح: ﴿ وما ۗ .

الأوقار^(۱)؛ فلمّا هَمَّ رداءُ الفجر أن يَنْدى، وجبينُ الصبح أن يَتَبَدَّى^(۲)، قام الوزير أبو محمد فقال^(۳): [الخفيف]

> يا شقيقي وافى (١) الصَّباحُ بوَجُهِ (٥) فاصْطَبِحُ، واغتنم مُسَرَّة يوم

سَـــــــــــــرَ الــــلَيـــلَ نُـــورُهُ وبَــهــاؤهُ لَســـتَ(٦) تَــذري بـما يـجيءُ مَـساؤهُ

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال: [الخفيف]

باكِرِ الرَّوضَ والمُدَامَ شَمُولاً(۱) مثلَ ما عانَقَ الخليلُ خليلاً(١) إنَّ تختَ التُراب نومًا طويلا

يا أخي، قُمْ تَرَ النَّسِيمَ عليلا في رياض تَعانَقَ الزَّهْرُ فيها لا تَنَمْ واغتنم مَسَرَّة يوم

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن وقد ذهب (٩) من عقله الوسن، فقال: [البسيط]

قُمْ نصطبح قهوة (۱۰) من خير ما ذَخروا فاليومَ خَمْرٌ ويبدو في غَدٍ خَبَرُ (۱۱) يا صاحِبي ذَرَا لَوْمي ومَعْتَبتي وبادرا غَفْلَةً الأيّام واغْتندما

وقال أبو بكر في بقرة أخذها له الرنق^(١٢) صاحب قُلُمُورية، وقد أعاد أرضه (١٣): [الطويل]

⁽١) كذا في النفح، وفي القلائد: ﴿الأوتارِّ.

⁽٢) في الأصل: «يبتدى، والتصويب من المصدرين.

 ⁽٣) هذان البيتان وأبيات أبي بكر وأبي الحسن التالية وردت أيضًا في المغرب (ج ١ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨) والمطرب (ج ٢ ص ١٦٩ ـ ٣٦٨) والذخيرة (ق ٢ ص ٧٧٣) ونفح الطيب (ج ٢ ص ١٦٩ ـ ١٦٠).

⁽٤) في المغرب والمطرب: «أتي».

 ⁽٥) في الأصل: «برجهه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر الخمسة.

⁽٦) في القلائد والمغرب: «ليس». (٧) في المغرب: «الشمولا».

⁽٨) هذا البيت ساقط في المغرب والمطرب والذخيرة.

⁽٩) في النفع: قوقد هبًّا. (٩) في المصادر الخمسة: قخمرة؟.

⁽١١) يشير هنا إلى قول امرى القيس: «اليوم خمرٌ وغدٌّا أمرٌ، وقد قاله عندما أبلغ أن بني أسد ثاروا على أبيه وقتلوه، وكان آنذاك في مجلس شراب. وقد أخذ هذا المعنى بشار بن برد فقال:

اليوم خمر ويبدو في غد خبر والدهر ما بين إنعام وإبآس ديوان بشار بن برد (ص ١٤٣).

⁽۱۲) الرنق أو الريق هو ألفونسو هنريكز Alfonso Enrique صاحب قلمورية أو قلمرية Coimbra، وكانت حينئذ عاصمة البرتغال.

⁽١٣) الأبيات في الذخيرة (ق ٢ ص ٧٦٩).

إذا هي ضُفَّتُ (١) أَلُّفَتْ بين رَفْدينِ (٢) إِذَا هي ضُفَّتُ (١) أَلُّفَتْ بين رَفْدينِ (٢) بِشِعْري (٣) وأن أَتْبَعْتُها الدَّمّ مِنْ عَيني (٤) وبالرغم ما بَلَغْتِني رأسَ عامين (٦)

وأَفْقَدَنِيها الرَّنْقُ أَمًّا حَفِيَة تُعَنِّفُني أُمِّي على أنْ رثَيْتُها لها الفَضْلُ عندي أزضَعَتْنيَ أربعًا (٥)

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر

الرئيس المتوثّب على المُلك، وَحِيُّ كرسي الإمارة، وعاقدُ صفقة الخُسْران المُبين، يكنى أبا عبد الله.

أَوُّلَيْتُهُ: معروفة.

حاله: قمن نفاضة الجراب (٧٧ وغيره: كان شيطانًا، ذميم الخُلُق، حَرْفوشًا، على عُرْف المشارقة، مُتراميًا للخسائِس، مَأْلُفًا للدّعرة والأجلاف والسُّوَّار وأُولي الريب، خبيئًا كثير النُكر، منغمسًا في العِهْن، كَلِفًا بالأحداث، مُتقلبًا عليهم في الطرق، خليع الرَّسَن، ساقط الحشمة، كثير التُبَدُّل، قوَّاد عُصْبَة كِلابٍ، معالجًا لأمراضها، مباشرًا للصيد بها، راجلًا في ثياب مُنتاب الشّعر من الجلود والسوابل والاسمال؛ عقد له السلطان على بنته لوقوع القحط في رجال بيتهم، ونوَّهه بالولاية، وأركبه، وأغضى له عن مُوبِقات تَقصُر به، إلى أن هلك؛ وحاد الأمر عن شقيق زوجه، واستقر في أخيه، وأقل على الدولة، لكراهة طلعته، وسوء الأحدوثة به، فأمِر بترك المباشرة، والدخول للقلعة، وأذِنَ له في النّصرف في البلد والفَحْص، وأبقيت عليه النعمة، فداخل أمّ زوجه، وضمن لها تمام الأمر لولدها، وأمدّته بالمال، فنظر من المساعير شيعة، من كَسَرة الأخلاق، وقَتَلة الزقاق، ومُختَلِسي البضائع، ومُخيفي السّابلة، واستضاف من أسافلة الدولة، من آسَفَتَه بإقصار قصد، أو مَطْل وعد، أو حَطْ رُبّتة، أو عَزل عن ولاية، فاستظهر منهم بعدد ولا، كالشّقيّ الدّليل المَوْرُوري، الغريب الطّور، وإبراهيم بن أبي الفتح المنبوذ بالإضليع، قريع الجهل، ومستور العظيمة، وارتادوا عَوْرة القلعة فاهتدوا منها إلى ما شاؤوا وتألّفوا بخارج. ثم تسلّلوا العظيمة، وارتادوا عَوْرة القلعة فاهتدوا منها إلى ما شاؤوا وتألّفوا بخارج. ثم تسللوا

 ⁽١) في الأصل: قَحَقَت، والتصويب من الذخيرة. وضُفَّتْ: خُلبت باليد كلها لكبر ضرع البقرة.

 ⁽٢) في الأصل: "وفدين" والتصويب من الذخيرة. والرُّفد: القدح الضخم.

⁽٣) كلمة «بشمري، ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من الذخيرة.

⁽٤) في الأصل: أمن عين والتصويب من الذخيرة.

 ⁽٥) كلُّمة «أربعًا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذخيرة.

⁽٦) في الأصل: البلغتني وأمي حولين؛ وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذخيرة.

⁽٧) هذا النص لم يرد في نفاضة الجراب المطبوع.

ببطن الوادي المعروف بـ «هَدارُه»، إلى أن لَصِقوا بجناح السُّور الصَّاعد، الراكبة قوسُه جُزية النهر، وصعدوا مُساوقين جناحه المتَّصل بسور القلعة، وقد نقص كثير من ارتفاعه، لحِدْثان إصلاح فيه، فتسوُّروه عن سُلُّم، ودافع بعض محاربيهم بعضًا في استباق أدراجه، فدخلوا البلد في الثُّلُث الأخير من ليلة الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان عام ستين وسبعمائة، ثم استغلظوا بالمشاعل، وقتلوا نائب الملك رضوانًا النُّصْري، سايس الأمر، وبقيَّة المُشْيخة، واستخرجوا السلطان الذي هو يزيفه، فنُصبوه للناس، وتمّ الأمر، بما دلُّ على احتقار الدنيا عند الله؛ وانخرط هذا الخُبُّ في طور غريب من التنزُّل للسلطان، والاستخدام لأمَّه، والتهالُك في نُصْحه، وخلط نفسه فيه، وتبذُّل في خدمته؛ يتولَّى له الأمور، ويمشي في زيُّ الأشراط بين يديه، ويتأتَّى لشهواته، ويتظاهر بحراسته. ولمّا علم أن الأمر يشُقّ تصيُّره إليه من غير واسطة، بغير انقياد الناس إليه، من غير تُذريج كاده(١١)، فألطف الحيلة في مساعدته على اللذات، وإغرائه بالخبائث، وشُغْله بالعَهَر، وقُتْله بالشُّهوات المنحرفة، وجعل يتبرُّأ من دُنِّيته وينفق بين الناس من سلع اغتيابه، ويرى الجماهير الإنكار لصنيعه، ويزين لهم الاستعاضة منه بعد ما غَلَظَتْ شوكته، وضم الرجال إلى نفسه مُوريًا بِحفْظِهِ؛ والاستظهار على صَوْنه. وفي الرابع من شعبان عام أحد وستين وسبعماية، ثار به في محل سكناه في جواره، واستجاش أولياء غدره؛ وكبس منزله، مداخلًا للوزير المشؤوم، عاقدًا معه صفقة الغدر. وامتنع السلطان بالبُرْج الأعظم، فاستنزله وقتله، كما مرّ في اسم المذكور قبل، واستولى على المُلك، فلم يختلف عليه اثنان. واشتغل طاغية الروم بحرب، كان بينه وبين القطالنيِّين (٢)، فتمالأ لمسالمته، فاغتبط الصنيع وتهنَّا المنحة، وتشطَّط على الروم في شروط غير معتادة، سامحوه بها مكيدةً واستدراجًا، واجتاز أميرُ المسلمين المصابُ بغدره إلى الأندلس، طالبًا لحَقُّه، ومُبادرًا إلى ردُّ أمره، فسُقِط في يده، ووجُّه الجيش إليه بمثواه من بلد رُنْدَة، فانصرف عنها خائبًا، ورجع أدراجه، يشُكُّ في النجاة، وتفرّغ إليه الطاغية، ففضٌ عليه جَمُّه؛ وقد أجرت عليه شوكته وقيعةً نصر الله فيها الدِّين، وأملى لهذا الوغد، فلم يَقُلُه العَثْرة بعدها، ونازل حصونه المهتضمة، واستولى على كثيرِ منها، وحام فلم يُضحر غُلُوة، وأكذب ما موَّه به من البسالة، وظهر للناس بلبس الصوف، وأظهر التُّوبة على سريرة دَخِلة، وفسق مبين، وقلّ ما بيده، ونفد بيت ماله، فلم يجد شيئًا يرجع إليه، من بعد ما سبك الآنية والحلّية، وباع العقار لتبذيره، وسَحُّه المال سحًّا، في أبواب الأراجيف

⁽١) كاده: أخضعه وغلبه.

والاختلاف، والبهج بالغنا، فشرف الإنقاب إلى الفرار، وأزمع إلى الانسلال. وعندما تمحرّك السلطان إلى غربي مالقة، ونجع أهلها بطاعته ودخلوا في أمره، وسقط عليه الخبر، اشتمل على الذخيرة جمعاء، وهي التي لم تشتمل خزائن الملوك مطلقًا على مثلها، من الأحجار واللؤلؤ والقَصَب، والتفّ عليه الجمع المستميت، جمعُ الضلال ومَرَدُ الغَيّ، وخرح عن المدينة ليلة الأربعاء السابع عشر من جُمادى الآخرة، وصوّب وجهه إلى سلطان قَشْتالة؛ مكظومٌ تجنيه، وموتُورٌ سوءُ جواره، من غير عهد، إلّا ما أمل من التبقي عنده من التنديم به، وضمان إتلاف الإسلام، واستباحة البلاد والعباد بنكرته.

ولمّا استقرّ لديه نَزْله، تقَبّض عليه، وعلى شرذمته المُنيفة على ثلاثمائة فارس من البُغاة، كشيخ جنده الغربي إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق، ومَن سواه؛ تحصُّل بسببهم بيد الطَّاغية، كلُّ ما تسمو إليه الآمال، من جواد فارِه، أو مُنْطقة ثقيلة، وسلاح مُحَلّى، وجَوْشَن رفيع، ودِزع حصينة، وبُلْبُلة منيعة، وبيضة مذهبة، وبزَّة فاخرة، وصامت عتيد، وذخيرة شريفة، فتنخُّل منهم مُتولِّي التسوُّر، فجعلهم أَسُوة رأسهم في القتل، خرُّ بعضهم يومئذ على بعض، في القتل، وأخذتهم السيوف، فحلُّوا بعد الشُّهرة، والتمثيل في أزقَّة المدينة، وإشاعة النداء في الجزيرة، ثاني رجب من العام المؤرّخ به، وركب أسوق سائرهم الأداهم، واستَخلَصهم الإسار، وبادر بتوجيه رؤوسهم، فنَصُبت من فوق العَوْرة التي كان منها تسوُّرهم القلعة، فمكثت بها إلى أن استُنزلت ووُرِيَت؛ وانقضى أمرُه على هذه الوتيرة مشؤومًا دُبيرًا، لم يُمتِّعه الله بالنعيم، ولا هنَّاه سكنى المحلِّ الكريم، ولا سوُّغه راحة، ولا ملأه مَوْهبة، ولا أقام على فضله حجَّة، ولا أعانه على زُلْفة. إنما كان رئيس السرَّاق وعريف الخراب، وإمام الشِّرار، نَدَر يومًا في نفسه، وقد رفعت إلى امرأة من البدو تدّعي أنها سُرِقَت دارها، قال: إن كان ليلًا بعد ما سُدُّ باب الحمراء على وعلى ناسي، فهي والله كاذبة، إذ لم يبق سارق في الدنيا، أو في البلاد، إلَّا وقد تحصل خلفه، وقانا الله المِحَن، وثبَّتنا على مستقرَّ الرُّشد، ولا عاقنا عن جادة الاستقامة.

وزراء دولته: استوزر الوزير المشؤوم مُمدّه في الغيّ، الوغد، الجهول، المرتاش من السرقة، الحقود على عباد الله لغير علّة عن سوء العاقبة، المخالف في الأدب سُنن الشريعة، البعيد عن الخير بالعادة والطبيعة، دودة القرّ، وبَغْل طاحونة الغدر، وزقّ القطران، محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري، فانطلقت بدُه على الإبشار، ولسانه على الأعراض، وعينه على النظر الشّزر، وصدره على التأوّه والرّين؛

يَلقى الرجل كأنه قاتل أبيه، مُحدّقًا إلى كمّيه، يحترشُ بهما خبيئة، أو يظنّ بهما رشوة، فأجاب الله دعاء المضطرين، ورغبات السّائلين، وعاجله بالأخذة الرّابية، والبَطْشة القاضية؛ فقبض عليه في ليلة السبت العاشر لرمضان من العام المذكور، وعلى ابن عمّه العصر فوط وعلى الحُيرا من نواهض بيتهما، وأنفذ الأمر بتعريضهم، فمضى حكم الله بهذه المنيّة الفرعونية فيهم، لا تبديل لكلمات الله، قاهر الجبابرة، وغالب الغلاب، وجاعل العاقبة للمتّقين.

واستوزر بعده، أولي الناس وأنسبهم إلى دولته، وأحقهم بمظاهرته، المسوس الجبًار اليأس والفطرة، المختبل الفكرة، القِيل، المُرَجُس، الحُول، الشهير، الضَّجر، محمد بن علي بن مسعود؛ فيما بُليّ الناس على طول الحُمرة، وانفساح زمان التجربة، أسوأ تدبيرًا، ولا أشرَّ معاملة، ولا أبذاً لسانًا، ولا أكثر شكوى ومعاتبة، ولا أشحّ يدًا، ولا أجدَب خوانًا، من ذلك المشؤوم، بنعق البُوم، ينعق بما لا يسمع، ويسرد الأكاذيب، ويُسيء السَّمع، فيُسيء الإجابة، ويقود الجيش فيعود بالخيبة، إلى أن كان الفرار، فصَحبه إلى مصرعه؛ وكان ممن استوثر به القيدُ الثقيل، والأسر الشديد، والعذاب الأليم، عادة بذلك عبد المالاخويناه، التي كان يَحجب سِمتها، الشديد، والعذاب الأليم، عادة بذلك عبد المالاخويناه، التي كان يَحجب سِمتها، الحياة ولا في الممات ثوب عنايته.

كاتب سرّه: صاحبُنا الفقيه الأهْوَج، قصب الربح، وشجرة الخُور، وصوت الصَّدى، أبو محمد عبد الحق بن عَطية، المستبدّ بتدبير الدّبير، خُطًا فوق الرّقاع الجاهلة، ومسارّةً في الخلوات الفاسقة، وصَدْعًا فوق المنابر الكَبِيبة، بحُلّة لتُ الراية، ويذُبُ عنه ذب الوالدة، ينتهي في الاعتذار عن هَناته إلى الغايات القاصرة.

قضاته: شيخنا أبو البركات، قيسُ لَيْلَى القضاء، المخدوعُ بزخرُف الدنيا على الكَبْرة والعناء، لطف الله به، وألهمه رشده.

شيخ الغزاة على عهده: إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق بن مَخيو، بقية بيت الدُّبُرة، ووشيجة الشجرة المُجْتَثَة، عُذَّب في الجُمْلة من أهل بيته عند القبض عليهم، واستقر في القبض الأشهب من قبيله بالمغرب، مُطْلق الإقطاع، مرموقًا بعين التجِلّة، مكنوفًا بشهرة الأب، إلى أن سُعِيَ به إلى السلطان، نسيج وحده، فارس بن علي، واستشعر البَّنَ فطار به الدُّعر لا يلوي عِنانًا، حتى سقط بإفريقيّة، وعبر البحر

إلى ملك بَرْجِلونة (١)، ثم اتصل بالدولة النصرية، بين إدالة الغدر، وإيالة الشرّ، فقلّده الدائلُ مشيخة الغُزاة، ونوّه به، فاستراب مُغزُله يحيئ بن عمر، فقرّ إلى أرض الروم حسبما يذكر في اسمه؛ فقام له بهذا الوظيف، ظاهر الشهرة والأبّهة، مخصوصًا منه بالتجلّة، إلى أن كان ما كان من إزمانه وفراره؛ فوفّى له وصَحِبه ركابه، وقاسمه المنسجة شقّ الأبلة، واستقرّ بعد قتله أسيرًا عانيًا علق الدهر، لضنانة العدوّ بمثله، إلى أن أفلت من دون الأغلاق، وشدّ الوثاق. ولحق بالمسلمين في خبر لم يشتمل كتابُ الفرّج بعد الشدّة على مِثله، والإغراب منه، يستقرّ في اسمه إلماع به؛ ثم استقرّ بالمغرب مُغتقلًا، ثم مات رحمه الله.

مَن كان على عهده من الملوك: وأولاً بمدينة فاس دار مُلك المغرب، السلطان، الخير، الكريم الأبوّة، المودود قبل الولاية، اللين العريكة، الشهير الفضل في الحياة، آية الله في إغراب الصنع، وإغراب الإدبار، أبو سالم إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، أمير المسلمين، المترجم به في حرف الألف. ولما قتل يوم الحادي والعشرين لذي قعدة من عام اثنين وستين، قام بالأمر بعده أخوه المُتحيل أبو عامر تاشفين بن علي إلى أواخر صفر عام ثلاثة وستين؛ ولحق بالبلد المجديد، الأمير أبو محمد زيان بن الأمير أبي عبد الرحمن بن علي بن عثمان المترجم به في بابه، ثم المتولّي من عام ثمانية وستين وسبعمائة السلطان أبو فارس عمّه المُوّم النَّشر، وتجديد الأمر بحول الله، ابن السلطان الكبير المُقدّس، أبي الحسن بن سعيد بن يعقوب بن عبد الحق، وهو بعد متّصل الحال إلى اليوم.

وبتلِمُسان الأمير أبو حمّو، موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يَغُمُراسن بن زيان.

وبإفريقية الأمير الخليفة على عُرفهم، إبراهيم بن أمير المؤمنين أبي يحيى بن حفص.

وبقَشتالة، بِطَره بن الهنشه بن هرانده بن شانجه المصنوع له، وليّ النعمة منه، ومستوجبُ الشكر من المسلمين لأجله، بإراحته منهم.

وبرَغُون، بطْرُه بن شانجه.

⁽١) برجلونة: هي برشلونة.

وبرُندة، مزاحمه بالمُلك الفخم، أمير المسلمين حقيقة، المرتب الحق، المعقود البَيْعة، وصاحب الكرَّة، ووليُ حُسن العاقبة، مجتثُ شجرته الخبيثة، وصارخُ إيالته الدّنيَّة، أبو عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر.

مولده: مولد هذه النَّسَمة المشؤومة أول يوم من رجب عام اثنين وثلاثين وسبعمائة.

وفاته: توفي قتيلًا ممثلًا به بطيلاطة من ظاهر إشبيلية، في ثاني يوم من رجب عام ثلاثة وستين وسبعمائة، وسيقَت رؤوس أشياعه، الغادرين مع رأسه إلَى الحَضْرة فصُلبت بها. وفي ذلك قلت: [السريع]

في غير حِفظ الله من هامَة هام بها الشَّيْطان في كل واد لا خَلْفَتْ ذِكْرًا ولا رَحْمَة في في في أنسانٍ ولا في فؤاد

محمد بن إسماعيل بن قرج بن إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر النَّزَجي (١)

أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه، رحمه الله.

أَوَّلَئِته: معروفة.

حاله: كان معدودًا في نُبلاء الملوك(٢)، صيانة، وعِزًا وشهامة، وجمالًا، وخَصْلًا؛ عَذْبِ الشمائل، حُلُوا لِبِقًا، لَوْذَعِيًّا، هشًا، سخيًًا؛ المثلَ المضروب به في الشجاعة المقتَحِمة حدَّ التهوَّر حِلْسَ ظهور الخيل، وأفرسَ (٢) من جال على ظهورها(٤)، لا تقع العين، وإن غُصَّت الميادين، على أذرَب بركض الجِياد منه، مغرمًا بالصَّيد، عارِفًا بسِمات السِّقار (٥) وشتات الخيل؛ يحبّ الأدب، ويرتاح إلى الشعر، وينبه على العُيون، ويُلِمُّ بالنادرة الحارّة. أُخِذَت له البيعةُ يوم مهلك أبيه، وهو (٢) يوم الشلائاء السابع والعشرين لرجب

⁽۱) هذه الترجمة وردت كاملة في اللمحة البدرية (ص ۹۰ ـ ۱۰۲) وجاء فيه الاسم هكذا: «محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي، أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه، يكنى أبا عبد الله».

⁽٢) في اللمحة البدرية (ص ٩٠): «الملوك وأبناء الملوك صرامة وعزّة وشهامة. . . ١.

 ⁽٣) في اللمحة البدرية: «أفرس».
 (٤) في اللمحة البدرية: «على صهرة».

⁽٥) في اللمحة البدرية: «الشَّفار وشيات الخيل». (٦) كلمة «وهو» ساقطة في اللمحة.

من^(۱) عام خمسة وعشرين وسبعمائة، وناله الحَجُبُ، واشتملت عليه الكفالة إلى أن شبُ (^{۱)} وظهر، وفتك بوزيره المتغلّب على مُلكه، وهو غلام لم يَبْقِل خَدُه، فهِيبَ شأنُه، ورُهبت سطوته، وبرز لمباشرة الميادين، وارتِياد المَطارد، واجتلاء الوجوه، فكان ملء العيون والصدور.

ذكاؤه: حدَّثني (٣) القائد أبو القاسم ابن الوزير عبد الله بن عيسى وزير جدَّه، قال: تُذُوكِرَ يومًا بحضرته تباينُ قول (٤) المتنبي (٥): [المتقارب]

الا(٢) خَدْدَ اللهُ وَرْدَ السخدودِ وقَدْ قُدُودَ السِيسانِ السَّدُودِ

وقول امرىء القيس (٧): [الطويل]

وإن كنتِ قد سَاءَتُكِ منِّي خَلِيقة فَسُلِّي ثيابِي من ثيابِكِ تَنْسُلِ (٨)

وقول إبراهيم بن سَهْل (٩): [البسيط]

إنِّي له من دَمِي المَسْفُوكِ مُعْتَذر (١٠) اقولُ حَمَّلْتُه في (١١) سَفْكه تَعَبا

فقال، رحمه الله، بديهة (١٢): بينهما ما بين نَفَس مَلِكِ عربي وشاعِر (١٣)، ونَفَسِ يهودي تحت الذَّمَّة، وإنما تتنفَّس بِقَدْر همّتها (١٤)، أو كلامًا هذا معناه. ولما (١٥) نازل مدينة قَبْرَة ودخل جَفْنَها عَنْوَة (١٦)، ونال قصبتها، ورماها بالنَّفْط، وتغلُب عليها، وهي ما هي عند المسلمين، وعند النصارى (١٧)، من الشهرة والجلالة، بادرناه (١٨) نُهنته بما

⁽¹⁾ كلمة امن اساقطة في اللمحة.

⁽٢) في اللمحة البدرية (ص ٩١): فشدا وظهر، وشبّ عن الطوق. وفتك...٠.

⁽٣) في اللمحة: احدَّثني ابن وزير جدَّه القائم أبو القاسم بن محمد بن عيسى قال.٠٠٠.

⁽٤) في اللمحة: قتباين معنى قول. ١٠٠. (٥) ديوان المتنبي (ص ٤٧).

⁽٦) في الديوان واللمحة: ﴿ أَيَّا ۗ .

⁽٧) ديُّوان امرى. القيس (ص ١٣) واللمحة البدرية (ص ٩١).

⁽٨) يقول: إذا لم تعجبك خليقتي فأخرجي أمري من أمرك. ويقال: نَسَلَ الريشُ: سَقَطَ.

⁽٩) ديوان ابن سهل الإسرائيلي (ص ١٥) واللمحة البدرية (ص ٩١).

⁽١٠) في الأصل: «معتذرًا، والتصويب من الديوان واللمحة البدرية.

⁽١١) في الديوان واللمحة: «من». (١٢) في اللمحة: «بديهًا» ـ على حداثته ــ: بينهم.

⁽١٣) في اللمحة: قوشاعر عربي. (١٤) في اللمحة: قهممها، أو ما معناه هذا.

⁽١٥) في اللمحة: ﴿لمَّا ١٠

⁽١٦) في اللمحة: ﴿ودخلها عُنْوة، وهي ما هي.٠٠٠.

⁽١٧) في اللمحة: ﴿والنصارى». (١٨) في اللمحة: ﴿بادرْنا».

نُسُقَ^(۱) له، فزَوَى^(۱) وجهه عنّا، وقال: ماذا تهنُّونني به، كأنكم رأيتم تلك الخِزقة بكذا^(۱) ـ يعني العَلَم الكبير ـ في منار إشبيلية (١)، فعجِبنا من بُغد هِمُته، ومَرْمى عزمه (٥).

شجاعته: أقسم أن يُغير على باب مدينة بيَّانَة في عدَّة قليلة عينها المَيْمنُ (١) ، فوقع البَهْتُ وتُوقَعت الفاقِرةُ، لقرب الصَّريخ، ومَنَعَة الحَوْزة، وكثرة الحامية، واتصال تُخوم البلاد، ووفور الفرسان بذلك الصُّقع؛ وتنخَّل أهل الحفاظ، وهجم (٧) على باب الكفّار نهارًا، وانتهى إلى باب المدينة، وقد برزت الحامية، وتوقع فرسان الرُّوم الكُمّناء، فأقصَرُوا عن الإحصار، وحَمِي المسلمون فشُدَّ عليهم، فأعطوهم الضَّمَّة ودخلوا أمامهم المدينة؛ ورمى السلطان أحد الرجال النَّاشبة بمزراق كان بيده مُحَلَّى السَّنان رفيع القيمة، وتحامل (٨) يريد الباب فمنع الإجهاز (٩) عليه، وانتزاع الرُّمح الذي كان يجرُّه خلفه، وقال: اتركوه يُعالج به رُمْحَه (١٠) إن كان أخطأته المَنِيَّة، وقد أفلت من أُنشُوطة خطر عظيم.

جهاده ومناقبه: كان له وقائع في الكفّار، على قلّة أيامه، وتحرّك ونال البلاد، وفتح قَبْرة، ومُقَدَّم جيش العدو الذي بَيْت بظاهرها وأثخن فيه، وفتح الله على يده مدينة باغوة، وتغلب المسلمون على حصن قَشْتالة، ونازل حصن قَشْرة (١١) بنفسه لدى قُرْطبة، فكاد أن يتغلّب عليه، لولا مدد اتصل للنصارى به. وأعظم مناقبه تخليص جَبَل الفَتْح، وقد أخذ الطاغية بكظمه، ونازله على قرب العهد من تملّك المسلمين إياه، وناخ (١٢) بكلكله، وهذ بالمجانيق أسواره، فدارى الطّاغية، واستَنزل

⁽١) في اللمحة: «تسنّى».

⁽٢) في اللمحة: قذرى عنَّا وجهه قائلًا: وماذًا...٥.

⁽٣) في اللمحة: «الكذاه.

 ⁽٤) المراد منار جامع إشبيلية الذي بناه المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي سنة ٩٣٥ هـ، ويُعرَف
باسم الاجيرالدا، La Giralda. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

⁽٥) في اللمحة: «أمله».

⁽٦) في اللمحة البدرية (ص ٩٢): «في عدة يسيرة من الفرسان عَيَّنتُها اليمينُ،

⁽٧) في اللمحة البدرية: «وهجم عليها فانتهى إلى بابها وحمل على أضعافه...».

⁽٨) في اللمحة البدرية: ﴿وتحامل الطعين يريد.....

⁽٩) في اللمحة البدرية «من الأجهاز».

⁽١٠) في اللمحة البدرية: دجرحه إن أخطأته.....

⁽١١) في اللمحة البدرية: «قشرة لأول أمره وهذ سوره، وكاد يتغلب عليه لولا مدد دخله، فارتحل وقد دُرِّخ الصقع».

⁽١٢) في اللمحة البدرية (ص ٩٣): قوأناخ عليه بكلكله.

عزمَه وتَحَفه (۱)، ولحق في موضع اختلاله، إلى أن صرفه عنه، وعقد له صلحًا، ففازت به قِداح الإسلام، وتخَلُصه من بين ناب العدو وظُفْره؛ فكان الفتح عظيمًا لا كَفاءَ له.

بعض الأحداث في دولته: وفي شهر المحرم(٢) من عام سبعة وعشرين وسبعمائة، نشأت بين المتغلّب (٣) على دولته، وزيره، وبين شيخ الغزاة وأمير القبائل العُذُوية، عثمان بن أبي العلاء، الوَخْشة وألحقت ريحها السعايات، فصبّت على المسلمين شؤبوب فتنة عظم فيهم أثرها(٤) معاطبًا، وسئم الانصراف عن الأندلس، فلحق(٥) بساحل ألمريَّة، وأخورته المذاهب وتحامت جواره الملوك، فداخل(٢٦) أهل حصن أنْدَرَش، فدخل في طاعته، ثم استضاف(٧) إليه ما يجاوره، فأغضل الدّاء، وتفاقمت اللأواء، وغامت سماء الفتنة(٨)، واستنفد خزائن الأموال المستعدة لدفاع العدو، واستلحق الشيخ أبو سعيد عم السلطان، وقد استقرّ بتِلِمُسان، فلحق به، وقام بدعوته في أخريات صَفَر عام(٩) سبعة وعشرين وسبعمائة؛ واغتنم الطاغية فتنة المسلمين فنزل ثغر بيرة (١٠٠)، ركاب الجهاد، وشجى العدو، فتغلُّب عليه، واستولى على جملة من الحصون التي تجاوره، فاتسع نِطاق الخوف (١١١)، وأغيا داء الشر، وصُرف إلى نظر (١٢) ملك المغرب، في أخريات العام، رُنْدَة ومَرْبلة وما يليهما (١٢٠)، وترددت الرسائل بين السلطان وبين شيخ الغزاة، فأجلت (١٤) الحال عن مهادنة، ومُعاودة للطاعة، فصرف أميرهم أدراجه إلى العُدوة، وانتقلوا إلى سكنى وادي آش على رَسْم الخدمة والحماية على شروط مقرّرة؛ وأوقع السلطان بوزيره، وأعاد الشيخ إلى محلُّه من خَضْرته؛ أوائل عام ثمانية وعشرين بعده، واستقدم القائد الحاجب أبا النعيم رضوان من أعاصم حباليه

⁽١) في اللمحة البدرية: ﴿وتاحفه إلى أن صرفه عنه ففازت به قداح الإسلام؛.

⁽٢) في اللمحة البدرية: «محرّم».

 ⁽٣) في اللمحة البدرية: (بين وزيره المتغلّب على أمره محمد بن أحمد المحروق وبين شيخ الغزاة عثمان بن أبي العُلى فصبت. ١٠٠٠.

⁽٤) في اللمحة البدرية: «أثرها فخرج مغاضبًا وهمَّ للانصراف. . . ٥٠.

⁽٥) في اللمحة البدرية: (ولحق). (٦) في اللمحة البدرية: (ثم داخل،

⁽٧) في اللمحة البدرية: (واستضاف).

⁽٨) في اللمحة البدرية: «المحنة. واستلحق المذكور عمّ السلطان. ٥٠٠.

⁽٩) في اللمحة البدرية: «من عام». (١٠) في اللمحة البدرية: «ونازل ثغر وبرة».

⁽١١) في اللمحة البدرية: «الضرّ». (١٢) في اللمحة البدرية: «نظر السلطان ملك».

⁽١٣) في اللمحة البدرية: (إليهما).

⁽١٤) في اللمحة البدرية: ﴿ وَأَجِلْتُ الْحَالُ إِلَى مَهَادُنَةٌ عَثْمَانُ بِنَ أَبِي الْعَلَى، وَصَرَفَ. ٢٠٠٠.

قتيله، فقام بأمره أحسن قيام. وعبر البحر بنفسه بعد استقرار مُلُكه في الرابع والعشرين من شهر ذي حجة من (۱) عام اثنين وثلاثين وسبعمائة، فاجتمع مع ملك المغرب السلطان الكبير أبي الحسن بن عثمان، فأكرم نَزْله، وأصحبه إلى الأندلس، وحباه بما لم يُحب به ملك تقدّمه، من مغرّبيًّات (۲) الخيل، وخطير الذخيرة، ومُستَجاد العُدّة؛ ونزل (۲) الجيش على أثره جبل الفتح؛ وتوجّه الحاجب أبو النعيم بأكبر إخوة السلطان، مُظاهرًا على سبيل النيابة، وهيًّا الله فتحه. ثم استنقاذه بلحاق السلطان، ومحاولة أمره كما تقدّم، فتم ذلك يوم (۱) الثلاثاء الثاني عشر لذي (۵) حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة.

وزراء دولته: وزَرَ له وزير أبيه (٢)، وأخذ له البيعة، وهو مُتْخن (٧) بالجراحات التي أصابته يوم الفَتْك بأبيه السلطان أبي الوليد، ولم ينشب أن أجهز (٨) جُزح تجاوز عظم الدماغ، بعد مُصابرة ألم العلاج الشديد، حسبما يأتي في اسمه، وهو أبو الحسن علي بن مسعود بن يحيئ بن مسعود المحاربي. وترقى إلى الوزارة والحجابة وكيل أبيه محمد بن أحمد (٩) المحروق، من أهل غرناطة، يوم الاثنين غُرَّة شهر رمضان من (١٠) عام خمسة وعشرين وسبعمائة، ويأتي التعريف بهم. ثم اغتيل (١١) بأمره، عشي ثاني يوم من محرم فاتح تسعة وعشرين وسبعمائة. ثم وزر له القائد (٢١) أبو عبد الله بن القائد أبي بكر عتيق بن يحيئ بن الموّل من وجوه الدولة، وصدور مَن يَمتُ بوصْلِه، إلى العُدُوة. وأقام رسم الوزارة والحجابة والنيابة (١٣) أبو النعيم مولى أبيه، إلى آخر مدته، بعد أن التأث أمرُه

⁽١) كلمة دمن ساقطة في اللمحة البدرية (ص ٩٤).

 ⁽۲) في اللمحة البدرية: «مقربات».
 (۳) في اللمحة البدرية: «ونازل على أثره...».

⁽٤) في اللمحة البدرية: «في يوم».

⁽٥) في اللمحة البدرية: «من شهر ذي حجة عام...».

⁽٦) في اللمحة البدرية: قابيه أبو الحسن بن مسعود، وأخذ...».

⁽٧) في اللمحة البدرية: «مثخن بما أصابه من الجراحات يوم...».

⁽٨) في اللمحة البدرية: ١أن أجهزت عليه عدواها.....

⁽٩) في اللمحة البدرية: «أحمد بن محمد بن المحروق».

⁽١٠) كلمة امن؛ ساقطة في اللمحة. (١١) في اللمحة البدرية: الله قُتل ثاني يوم......

⁽١٢) في اللمحة البدرية: «القائد محمد بن أبي بكر بن يحيئ بن مول، المعروف بالقيجاطي، من وجوه الدولة إلى سابع عشر من شهر رجب...».

⁽١٣) في اللمحة البدرية: قوالنيابة مولى أبيه القائد أبو النعيم رضوان الشهير الديانة والسعادة إلى آخر مدته...».

لديه، وزاحمه بأحد المماليك المسمى(١) بعصام حسبما يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

رئيس كُتّابه: كتب له (٢) كاتب أبيه قبله، وأخيه بعده، شيخُنا نسيجُ وحده، أبو الحسن علي بن الجَيَّاب الآتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

قضاته: استمرّت الأحكام لقاضي أبيه، أخي $^{(7)}$ وزيره، الشيخ الفقيه أبي بكر $^{(4)}$ بن مسعود، رحمه الله، إلى عام سبعة وعشرين وسبعمائة، ووجّهه $^{(6)}$ رسولًا عنه إلى ملك المغرب، فأدركته $^{(7)}$ وفاته بمدينة سَلا، فدفن بمقبرة سلا $^{(8)}$. رأيت قبرَه بها، رحمه الله. وتخلف ابنَه $^{(8)}$ أبا يحيئ مسعود $^{(8)}$ عام أحد وثلاثين وسبعمائة؛ وتولّى الأحكام الشرعية القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيئ بن بكر الأشعري $^{(7)}$ ، خاتمة الفقهاء، وصدر العلماء، رحمه الله، فاستمرّت له الأحكام إلى تمام مدة أخيه بعده.

أُمه: روميّة اسمها «عَلْوَة» وكانت أحظى لدَّاتها عند أبيه، وأُمَّ بِكره، إلى أن نَزَع عنها في أخرَيات أمره، لأمر جَرَّته الدَّالَة، وتأخّرت وفاتها عنه إلى مدة أخيه.

مَن كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين والنصارى:

فبفاس (11)، السلطان الكبير، الشهير، الجواد، خِذْنُ العافية، وحِلْفُ السعادة، وبحر الجود، وهَضْبة الحلم، أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، الذي بذل المعروف، وقرّب الصلحاء والعلماء، وأدنى مكانهم، وأعمل إشارتهم، وأوسَع بأعطيته المؤمنين المُشتَرْفِدين، وعظم قدره، واشتهر في الأقطار صيته، وفَشَا

⁽١) في اللمحة البدرية: ﴿يسمى عصامًا أيامًا يسيرة بين يدي وفاته؛ .

 ⁽۲) في اللمحة (ص ٩٥): اعنه كاتب أبيه وأخيه شيخنا الإمام العلّامة الصالح أبو الحسن بن
 الجياب رحمه الله إلى آخر مدته؟.

⁽٣) في اللمحة البدرية: ﴿وأَخِيا.

⁽٤) في اللمحة البدرية: «أبي بكر يحين بن مسعود المحاربي، رحمه الله. ١٠٠٠.

⁽٥) في اللمحة البدرية: افتوجه رسولًا إلى ١٠٠٠.

⁽٦) في اللمحة البدرية: ﴿وأدركته الوفاة...﴾. (٧) في اللمحة البدرية: ﴿شَالُهُۥ

⁽٨) في اللمحة البدرية: ﴿ولدهُ.

⁽٩) في اللمحة البدرية: «مسعودًا نائبًا عنه، فاستمرّت له الأحكام. .٠٠.

⁽١٠) في اللمحة البدرية: ﴿ الأشعري المالقي ٩٠٠

⁽١١) في اللمحة البدرية ص (٩٥): «وأولًا بالمغرب السلطان الشهير الكبير الجواد ولي العافية وحليف السعادة أبو سعيد.

معروفه، وعُرِفَت بالكفّ عن الدماء والحُرِّمات عِفَّته، إلى أن توفي يوم الجمعة المخامس والعشرين من شهر ذي القعدة (۱) عام أحد وثلاثين وسبعمائة. ثم صار الأمر إلى ولده السلطان، مُقتفي (۲) سُنَنه في الفضل والمجد، وضخامة السلطان، مبرًا عليه بالبأس المرهوب، والعزم الغالب، والجدّ الذي لا يشوبه هَزُل، والاجتهاد الذي لا تتخلله (۱) راحة، الذي بَعُد مَداه، وأذعن لصولته عداه، واتصلت ولايته مدته، ومعظم مدة أخيه الوالى بعده.

وبِتِلِمُسان الأمير عبد الرحمان بن موسى (٤) بن يَغُمُراسِن، من بني عبد الواد، مُشيِّد القصور، ومُروِّض الغروس، ومُتبنِّك التِّرف، واتِّصل (٥) إلى تمام مدته، وصدرا من مدة أخيه بعده.

وبتونس الأمير أبو يحيى، أبو بكر بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحاق لبنة تمام قومه، وصَقَرُ الجوارح (٢) من عُشّه، وسابق الجِياد من حَلْبته، إلى تمام المدة، وصدرًا كبيرًا من دولة أخيه بعده.

ومن ملوك النصارى (٧)، مَلَكَ على عهده الجفرتين القنيطية والتاكرونية، الطاغية المرهوب الشّبا، المسلط على دين الهدى، ألهنشة بن هِراندة بن شانجه بن ألفُنش بن هراندة، الذي احتوى على كثير من بلاد المسلمين حتى الجفرتين. واتصلت أيامه إلى أخريات أيام أخيه، وأوقع بالمسلمين على عهده، وتملّك الجزيرة الخضراء وغيرها.

وبرغُون، ألفنش بن جايمش بن ألفنش بن بِطْرُه (٨) بن جايمش الذي استولى على بَلَنْسِية، ودام إلى آخر مدته، وصدرًا من مدة أخيه. وقد استقصينا من العيون أقصى ما سَحٌ به الاستقصاء، وما أغفلناه أكثر، ولله الإحاطة.

مولده: في الثامن من شهر المحرم من عام خمسة عشر وسبعمائة.

⁽١) في اللمحة البدرية: «قعدة».

⁽٢) في اللمحة البدرية: «المقتفي سننه في المجد والفضل.٠٠..

⁽٣) في الأصل: «يتخلله».

 ⁽٤) في الأصل (ص ٩٦): «موسى أبو تاشفين، مئيدًد...».

 ⁽٥) كلّمة اواتصل؛ غير واردة في اللمحة البدرية.

⁽٦) في اللمحة البدرية: اوصقر جوارح متأخريهم إلى تمام مدته وصدرًا كبيرًا من دولة أخيه.

 ⁽٧) في اللمحة البدرية: «النصارى، وأولًا بقشتالة: ألفونش بن هراندة بن شانجه بن ألفونش بن هراندة الذي ملك على عهده الجفرتين.

⁽٨) في اللمحة البدرية: «بيطره بن ألفونش بن بيطره بن جايمش المستولي على بلنسية إلى آخر...».

وفاته: وإلى هذا العهد مات؛ وغِرت عليه من رؤوس الجند، من قبائل المُدُوة، الصُّدُور، وشُحنت عليه القلوب غيظًا؛ وكان شَرِهَا لسانُه، غير جزوع ولا هيّاب^(۱)، فربما يتكلّم بمل فيه من الوعيد الذي لا يخفى على المُعْتَمد به. وفي ثاني يوم من إقلاع الطاغية من الجبّل^(۲)، وهو يوم الأربعاء الثاني^(۳) عشر من ذي حجة، وقد عزم على ركوب البحر من ساحل مربلة (۱۰)، فهو مع وادي ياروا من ظاهر جبل الفتح، تخفيفًا للمؤونة، واستعجالًا للصُّدور، وقد أُخِذَت على حركته المراصد؛ فلمّا توسّط كمين القوم، ثاروا إليه وهو راكب بَغلًا أثابه به ملك الروم، فشرعوا في عَتْبه بكلام غليظ، وتأنيب قبيح، وبدأوا بوكيله فقتلوه، وعجّل بعضهم بطَعْنه، وترامى عليه مملوك من مماليك أبيه، زَنَمة (۱۰) من أخابيث العلوج يسمّى زِيانًا، صُونِعَ على مباشرة الإجهاز عليه، فقضى لحينه بسَفح (۱۱) الربوة الماثلة، يسرة العابر للوادي ممّن يقصد جبل الفتح (۱۷)، وتركوه بالعراء (۱۸) بادي البوار، مسلوب البزّة، سيء المَصرَع، قد عَدَت عليه نعمُه، وأَوْبقَه سلاحه، وأشلمه أنصاره وحُماته.

ولمّا فرغ القوم من مبايعة أخيه السلطان^(٩) أبي الحجاج، صُرِفَت الوجوه يومئذ^(١١) إلى دار الملك، ونُقِلَ القتيل إلى مالقة، فدُفن على حاله تلك برياضِ تجاور مُنية السّيد، فكانت وفاته ضحوة يوم الأربعاء الثالث عشر لذي^(١١) حجة من عام ثلاثة (١٠) وثلاثين ومبعمائة. وأقيمت على قبره (١٣) بعد حين قُبّة، ونُوَّه بقبره. وهو اليوم (١٤) ماثلٌ رَهِن غربةٍ، وجالب عِبرة، جعلنا الله للقائه على حذر وأهبة، وبِلَوْح الرخام الماثل عند رأسه مكتوب:

 ⁽١) في اللمحة البدرية: ١هيابة،.
 (٢) في اللمحة البدرية: ١عن جبل الفتح».

⁽٣) في اللمحة البدرية: قالت عشر من شهر ذي الحجة

⁽٤) في اللمحة البدرية (ص ٩٧): «ساحل منزله بموقع وادي السقايين، تماروا من ظاهر الجبل...».

 ⁽٥) في اللمحة البدرية: «زنمة من أخابث المعلوجا اسمه زيان، صرنع، ٥٠٠٠ والزنمة: الوغد.

⁽٦) في اللمحة البدرية: (في سفح). (٧) في اللمحة البدرية: (الجبل).

⁽٨) في اللمحة البدرية: «بالعراء مسلوب الساتر، سبيء٠٠٠٠.

⁽٩) في اللمحة البدرية: «السلطان يوسف صُرفت.٠٠٠٠

⁽١٠) كلُّمة: ﴿يومئذُ اساقطة في اللمحة.

⁽١١) كلمة: قمن ذي حجة عام...، ساقطة في اللمحة.

⁽١٢) في الأصل: تثلاث، وهو خطأ نحوي.

⁽١٣) في الأصل: (وأقيمت عليه بعيد زمان قبة ٢٠٠٠.

⁽١٤) في الأصل: االآن ماثل بها رهن وحدة، ومستدعى عبرة، وعليه مكتوب.

هذا قبرُ السلطان الأجلُ، الملك الهمام، الأمضى الباسل، الجواد ذي المجد الأثيل، والملك الأصيل، المقدِّس، المرحوم، أبي عبد الله محمد بن السلطان الجليل؛ الكبير، الرفيع، الأوحد، المجاهد، الهمام، صاحب الفتوح المسطورة (۱۱) والمغازي المشهورة، سلالة أنصار النبي، على أمير المؤمنين (۱۲)، وناصر الدين، الشهيد، المقدِّس، المرحوم أبي الوليد بن فرج بن نصر، قدَّس الله روحه وبرُّد ضريحه. كان مولده في الثاني (۱۳) لمحرم عام خمسة عشر وسبعمائة، وبُويع في اليوم الذي استَشهد فيه والده رضي الله عنه السادس والعشرين لرجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، وتوفي رحمه الله في الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، فسبحان مَن لا يموت: [الكامل]

يا قَبْرَ سلطانِ الشجاعة والنّدى وسلالةِ السّلفِ الندي آثارُه سلفٌ لأنصار النبيّ نجارُه متوسّطُ البيت قد أسّسَتُ متوسّطُ البيت قد أسّسَتُ بيتٌ بناه (١) مُحَمّدُون ثلاثة أودَعْتَ وجهّا قد تُهَلّلُ حُسْنُه وندًا يَسُعُ على العفاة مواهبًا يَبْكيك مذعورٌ بك استغدى على يبكيك مدعورٌ بك استغدى على يبكيك محتاجٌ أتاك مُؤمّلًا يبكيك محتاجٌ أتاك مُؤمّلًا على أمّا سماحُك فَهْوَ أَسْنى (٥) ديّة جادت ثَرَاك من الإله سحابةٌ (٢)

فرع الملوكِ الصيدِ أعلام الهدى وضاحةً لمن اقتدى ومن اهتدى قد حَلَّ منه في المكارم مَحْتِدا له سادةُ الأملاكِ أَوْحَدَ أَوْحدا من آل نصر أورثوه مُحَمَّدا بَدْرًا بآفاق الجلالة قد بدا مَثْنى الأيادي السابغات وموحدا أعدائه فسقيتهم كأس الردى فغدا وقد شَفَعتْ يداك له اليدا أما جلالك فهو أسْمَى مصعدا لرضاه عنك تجودُ هذا المَعْهدا

[وشرُ ما تبع هذا السلطان تواطؤ قَتَلَته من بني أبي العلاء وأصهارهم وسواهم من شيوخ خدّامه، كالوكيل في مدة أخيه بعد، الشيخ الذهول مسافر بن حركات وسواه، على اكتتاب عَقْد بعد وفاته، بأمور من القول تَقْدح في أصل الديانة، وأغراض تقتضي إلى الوهن في الدّين، وهَنَات تُسوّع إراقة دمه الذي

⁽١) في الأصل: «المستورة».

⁽٣) في الأصل: «الثامن».

⁽٥) في اللمحة البدرية: اأهمى ديمة،

⁽٢) في الأصل: المسلمين،

⁽٤) في اللمحة البدرية (ص ٩٨): دبنوه،

⁽٦) في اللمحة البدرية: «سحائب».

توفّرت الدواعي على حِياطته، والذّب عنه، تولّى كُبرها شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، مرتكبًا منها وصمة مَحتْ على غُرر فضله إلى كثير من خُدّامه ومماليكه، وبعثوا بها إلى ملك المغرب، فاقتطعت جانب التمهيل والتأخير واللبث عن الحكم، والتعليل عن السّماع، وبُروز الأغراض، واتباع السيئة أمثالها. وقد كان، رحمه الله، من الجهاد وإقامة رسم الدين، بحيث تَزُلٌ عن هذه الهنات صفاته، وتُنكر هذه المذمّات صفاته، وكان بمكانٍ من العزّ، وإرسال السّجية، ربما عَذَله الشيخ في بعض الأمر، فيسجُم إضجارًا وتمليحًا بإخراجه؛ ولم يمرّ إلّا الزمان اليسير؛ وأوقع الله بالعُصْبة المتمالئة عليه من أولاد عبد الله، فسَفَتْهُم رياح النّكبات، واستأصلت نعمَهم أيدي النّقمات، ولم تقم لهم من بعد ذلك قائمة، والله غالب على أمره] (١).

وتَبِعت هذا السلطانَ نفوسُ أهل^(۲) الحرية، ممّن له طبع رقيق، وحِسُّ لطيف؟ ووفاءً كريم، ممّن كان بينه وبين سطوته دفاعً؛ وفي جوّ اعتقاده له صفاءً؛ فصدرت^(۲) مرّاثٍ مُوثرة، وأقاويل للشجون مهيجة، نثبت منها يسيرًا على العادة. فمن ذلك ما نظمه الشيخ الكاتب⁽³⁾ القاضي أبو بكر بن شِبرين؛ وكان على⁽⁰⁾ فصاحة ظرفه، وجمال روايته، غُراب قُرْبه، ونائحة مأتمه، يرثيه ويُعرَّض ببعض مَن حمل عليه من⁽¹⁾ ناسه وخدّامه: [مجزوء الرمل]

استقلاً ودعاني طائفًا بين المغاني وانعما بالصبر إني لا أرى ما تريانِ

ومن قوله (٧): [الخفيف]

في ثراه مُلْقَى وقد غدروهُ أحدد منهم ولا غسلوهُ فأقاموا رسمًا ولم يَقْصِدوهُ عين بخي لِمَيْتِ غادروهُ دفنوه ولم يُصَلُّ عليه إنما مات يوم (٨) مات شهيدًا

 ⁽١) ما بين قوسين ساقط في اللمحة البدرية.
 (٢) في اللمحة البدرية.

⁽٣) في اللمحة البدرية: «فصدر فيه من التأبين أقاويل.

⁽٤) كلمة «الكاتب» ساقطة في اللمحة.

⁽٥) في اللمحة البدرية: «على ظرفه وحسن روائه غراب ندبة ونائحة حاتم يرثيه. . . ٩ .

⁽٦) في اللمحة البدرية: «عليه من خدّامه». (٧) الأبيات في اللمحة البدرية (ص ١٠٢).

⁽٨) في اللمحة البدرية: الحينا.

محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد المحمد المحمد بن أحمد ابن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي (١)

ثالث الملوك من بني نصر، يكنى أبا عبد الله.

أَوَّلَئِته: معروفة.

حاله: كان من أعاظم أهل بيته، صيتًا وهمّة، أصيل المجد، مليح الصورة، عريق الإمارة، ميمون النّقيبة، سعيد النّصبة، عظيم الإدراك؛ تهنّا العيش مدة أبيه، وتملّى (٢) السياسة في حياته، وباشر الأمور بين يديه، فجاء نسيج وَخدِه إدراكًا، ونُبلّا، وفخارًا، وشأوًا (٣). ثم تولّى الأمرَ بعد أبيه فأجراه على دَيْدَنه؛ وتقيّل (٤) سيرته، ونسج على منواله. وقد كان الدهر ضايقه في حصّته، ونخصه ملاذ الملك بزمانة (٥) سَدِكت (١) بعينيه لمداخلة (٧) السّهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع، إذ كانت تُتّخذ له منها جُذوع في أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل، ومضيّ الرّبع (٨)، وعلى التزامه لكِنّه وغيبوبته في كِشر بيته، فقد خدمته السّعود، وأمّلت بابّهُ الفتوح، وسالمتُه المملوك، وكانت أيامُه أعيادًا. وكان يَقْرض الشعر ويُصغي إليه ويثيب عليه، فيُجيز الشعراء، ويرضخ (١) للندماء، ويعرف مقادير (١٠) ويُصغي إليه ويثيب عليه، فيُجيز الشعراء، ويرضخ (١) للندماء، ويعرف مقادير (١٠) العلماء، ويُواكل الأشراف والرؤساء، ضاربًا في كل إصلاح (١١) بسهم، مالنًا (٢١) من كل تجربة وحُنْكة، حارً النّادرة، حسن التوقيع، مليع الخطّ، تغلب (١٢) عليه الفظاظة والقسوة.

⁽١) هذه الترجمة وردت كاملة في اللمحة البدرية (٦٠ ـ ٦٩).

⁽٢) في اللمحة البدرية (ص ٦٠): الوتملأ السياسة حياته.

⁽٣) في اللمحة البدرية: اوفخامة وبأوّاه.

 ⁽٤) في الأصل: «وتقبل» والتصويب من اللمحة البدرية.

⁽٥) الزمانة: العاهة الدائمة. لسان العرب (زمن).

⁽٦) سَدِكَتْ بعينيه: لزمتهما. لسان العرب (سدك).

⁽٧) في اللمحة البدرية (ص ٦١): فلمواصلة، (٨) في اللمحة البدرية: قالهزيع».

⁽٩) يرضغ للندماء: يبذل لهم العطايا؛ يقال: رَضَعَ له من ماله يَرْضَعُ رَضَحًا إذا أعطاه. لسان العرب (رضخ).

⁽١٠) في الأصل المقادر، والتصويب من اللمحة البدرية.

⁽١١) في اللمحة البدرية: «اصطلاح». (١٢) في اللمحة البدرية: «مليًّا».

⁽١٣) في اللمحة البدرية: (يغلب).

شعره: كان(١١) له شعر مُسْتَظرف من مثله، لا بل يَفْضُل به الكثير ممن ينتحل الشعر من الملوك. ووقّغتُ (٢) على مجموع له، ألفه بعض خدّامه، فنقلت (٣) من مطوّلاته: [السريع]

> واعَدنى وَعُدُا وقد أخلَف وحال عن عَهدي ولم يَرْعَه ما بالُها لم تُتَعَطّفُ على يستطلع الأنباء من نحوها خَفِيتُ سُقْمًا عن عيون الورى لله كه من ليلة بستها مَتَّغْتُني بالوَضل منها وما

مَلِكُتُكُ القلبَ وإنى امروُ أوامري في الناس مسموعةً يُرهف سيفي في الوغي مُصْلَتًا (٩) وتُرْتَجى يُمناي يومَ النَّدى نحن ملوك الأرض مَنْ مثلنا نسخاف إقدامًا ونُرجى ندى لى راية في الحرب كم غادرت يا ليت شعري والمُنى جَمَّةً هل يَرْتَجِي العبدُ (١٠) تدانيكم

أمَّلُ شيء في المليح(1) الوفا ما ضَرّه لَوَ أنّه (٥) أنسصَف صَبُ (٦) لها ما زال مُستَغطفا ويسرقُب السبَسرَق إذا ما هَفا وبان حُبّى بعد ما قد خفا أدِيرُ من ذاك اللَّمي قَرْقَفا(٧) أَخْلَفْتُ وَعْدًا (٨) خِلْتُ أَن يُخْلَفًا

على مُلكُ الأرض قد وُقَفا وليس مِنْي في الورزى أشرفا ويُشقى عزمي إذا ما أرْهِفا تنخالها السنخت غَدَتُ وُكُفا حُزْنًا تَليدَ الفخر والمُطرَفا لله مسا أرْجَسي وما أخرونا ربع العدا قاعًا بها صَفْصَفا والدِّهْرُ يومًا حل يُرَى مُنْصِفا أو يُضبح الدهر له مُسعِفا

 ⁽١) في اللمحة البدرية: فكان شعره مستطرفًا من مثله.

⁽٢) في اللمحة البدرية (ص ٦٢): ﴿وَفَفْتُ ٤.

⁽٣) في اللمحة البدرية: «فمن بعض المطوّلات».

⁽٤) في اللمحة البدرية: «الملاح».

 ⁽٥) في الأصل واللمحة: «أنه» وهكذا ينكسر الوزن.

⁽٦) في الأصل: (صاحب؛ وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة البدرية. والصُّبّ: العاشق المشتاق. لسان العرب (صيب).

⁽٨) في اللمحة: ٤عهدًا خِفْتُ أن. . . ٤ . (٧) القرقف: الخمر.

⁽٩) في الأصل: «متسلّطًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة البدرية.

⁽١٠) في اللمحة البدرية: «اليوم».

مثاقبه: وأعظم مناقبه المسجدُ (۱) الجامع بالحمراء، على ما هو عليه، من النظرف والتنجيد، والتُرقيش، وفخامة العُمُد، وإحكام أتوار (۱) الفضة، وإبداع ثراها (۱)، ووقف عليه الحمّام بإزائه، وأنفق فيه مال الجِزْية (۱)، وأغرَمها لمّن يليه من الكُفّار، فَدَوْا به (۱) زرعًا، نَهَد (۱) إليه صائفته لانتسافه، وقد أهمّتهم فتنة، فظهر بها مَنْقَبة يتيمة، ومعلوّة فذّة، فاق بها مَن تقدّمه، ومَن تأخره من قومه.

جهاده: أغزى الجيش لأول أمره مدينة المنظر، فاستولى عليها عَنُوة، وملك (٧) من احتوت عليه المدينة، ومن جملتهم الزّعيمة (٨) صاحبة المدينة، من أفراد عقائل الروم، فقدمت الحضرة في جملة السّبي (٩)، نبيهة المَرْكَب، ظاهرة الملبس، رائقة (١٠) الجمال، خُصُ بها ملك المغرب، فاتّخذها لنفسه، وكان هذا الفتح عظيمًا، والصّيت (١١) بمزايه عظيمًا بعيدًا. أنشدني.

ما نقل عنه من الفظاظة والقسوة (١٢):

هجم لأول أمره على طائفة من مماليك أبيه، وكان سينى الرأي فيهم، فسجنهم في مُظَبَق الأري من حمرائه، وأمسك مفتاح قفله عنده، وتوعّد مَن يُرْمِقُهم بقُوتِ بالقتل، فمكثوا أيامًا، وصارت أصواتهم تعلو بشكوى الجوع، حتى خَفَتَتْ ضعفًا بعد أن اقتات آخرُهم موتًا من لحم من سبقه؛ وحملت الشفقة حارسًا كان برأس المُطْبق، على أن طرح لهم خُبْزًا يسيرًا، تنقص أكله، مع مباشرة بَلُواهم، ونُبِيَ إليه ذلك، فأمر بذبحه على حافة الجُبّ، فسالت عليهم دماؤه؛ وَقَانا الله مصارع السُوء، وما زالت المقالة عنها شنيعة، والله أعلم بجريرتهم لديه.

ورْراۋه: بقي (۱۳) على خطة الوزارة وزير أبيه أبو (۱٤) سلطان عزيزُ بن علي بن عبد المنعم الداني، الجاري ذكره بحول الله في محلّه، مُتَبَرِّمًا، بحياته [إلى أن توفي،

⁽١) في اللمحة البدرية: «ابتناء المسجد الأعظم بالحمراء من غرناطة».

⁽٢) الأتوار: الأواني. (٣) في اللمحة البدرية (ص ٦٣): «ثرياتها».

⁽٤) في اللمحة البدرية: قجزية أغرمها مَن يليه.

⁽٥) في اللمحة البدرية: (١٩١٠.

⁽٦) في اللمحة البدرية: اجهز جيشًا صائفة. . . ا. والصائفة: قوات الجيش التي تخرج صيفًا للغزو.

⁽٨) في اللمحة البدرية: «العلجة». (٩) في اللمحة البدرية: •من السَّبِّي».

⁽١٠) في اللمحة البدرية: (رائعة). (١١) في اللمحة البدرية: (والصيت لأجله بعيدًا).

⁽١٢) هذه القطعة ساقطة في اللمحة البدرية. (١٣) في اللمحة البدرية: •أبقى».

⁽١٤) في اللمحة البدرية: ﴿وهُو الشَّيْخُ الوزيرُ أَبُو سَلْطَانُهُ.

فأنشد عند موته: [السريم]

مات أبو زيد فواحسرتا إن لم يكن قد^(۱) مات من جمعة مسسبة لا غَفَرَ الله ليي أن كنتُ أجريتُ لها دمعهُ]^(۲)

وتمادى (٢) بها أمره، [يقوم بها حاشيته، وقد ارتاح إليها مُتولِّيها بعده، المترفّع بدولته، القائد الشهير، البُهْمة أبو بكر بن المؤل. حدَّث قارىءَ العَشْر من القرآن بين يدي السلطان، ويُعرَف بابن بَكُرُون، وكان شيخًا مُتَصَاونًا ظريفًا، قال: عزم السلطان على تقديم هذا الرجل وزيرًا، وكان السلطان يؤثر الفَال، وله في هذا المعنى وساوسُ ملازمة، فوجّه إليَّ الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى يومثذ، أبو عبد الله بن الحكيم المستأثر بها دونه، والمُتلقف لكُرتها قبله، وخرج لي عَن الأمر، وطلب مني أن أقرأ يَا يخرج فألها عن الغرض؛ قال: فلمّا غدوت لشأني تلوتُ بعد التعوُّذ قوله، عزَّ وجلّ : ﴿ يَكَا يُهُمَّ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُمْ فَدُ وَله، عَرْ وجلّ المَّعْمَ الله عَن الأمر، معتُه حادَ عن بَدَتِ المَعْمَلَةُ مِن أَوْرَهِهِمَ إلى قوله: ﴿ لَنَا ﴾ (٤)، فلما فَرَغت الآية، سمعتُه حادَ عن رأيه الذي كان أزمعه إلى وقده : ﴿ لَنَا ﴾ (٤)، فلما فَرَغت الآية، سمعتُه حادَ عن رأيه الذي كان أزمعه أن ، وقدُم (٢) للوزارة كاتبه أبا عبد الله بن الحكيم في ذي قعدة من عام ثلاثة وسبعمائة، وصَرَف إليه تدبير (٧) مُلكه، فلم يلبث أن تغلّب على أمره، وتقلّد جميم (٨) شؤونه، حسبما يأتي في موضعه إن شاء الله.

كُتّابه: استقلّ برئاسته (٩) وزيره المذكور، وكان ببابه من كُتّابه جملةً تباهى بهم دسوت (١١) الملوك، أدبًا وتفتنًا وفضلًا وظَرْفًا، كشيخنا تِلْوه وولي (١١) الرُّتبة الكتابية من (١٢) بعده، وفاصل الخُطبة على أثره، وغيره ممّن يُشار إليه في تضاعيف الأسماء، كالشيخ الفقيه القاضي أبي بكر بن شِبرين، والوزير الكاتب أبي عبد الله بن عاصم، والفقيه الأديب أبي إسحٰق بن جابر، والوزير الشاعر المُفْلِق أبي عبد الله اللَّوْشي (١٣)،

⁽١) كلمة اقدا ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى ممًا.

 ⁽٢) ما بين قوسين ساقط في اللمحة البدرية.
 (٣) في اللمحة البدرية: (وتمادى أمره برهة).

 ⁽٤) سورة آل عمران ٣، الآية ١١٨.
 (٥) ما بين قوسين ساقط في اللمحة البدرية.

 ⁽٦) في اللمحة البدرية: «أنهض للوزارة كاتبه وكاتب أبيه الوزير الصدر الحاج المحدّث أبا عبد الله
 محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي الرندي في ذي قعدة...».

⁽٧) في اللمحة البدرية: «تدبيره وألقى في يده أزمّة الملك فلم يلبث....».

⁽٨) في اللمحة البدرية: «كافة».

⁽٩) في اللمحة البدرية (ص ٦٤): «برياسة القلم الأعلى وزيره، وكان كتّابه جملة...».

⁽١٠) في اللمحة البدرية: «بهم الدول أدبًا...». (١١) في اللمحة البدرية: «ولي».

⁽١٢) كلمة (من) ساقطة في اللمحة البدرية.

⁽١٣) في اللمحة البدرية: ﴿ اللوشي، والرئيس أبي محمد. . . ٥ .

من كبار القادمين عليه، والفقيه الرئيس أبي محمد الخضرمي، والقاضي الكاتب^(١) أبي الحجاج الطرطوشي، والشاعر المُكْثِر أبي العباس القَرَّاق^(٢) وغيرهم.

قضاته: استمرّت ولاية قاضي أبيه الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد^(۳) بن هشام الألشي⁽¹⁾، قاضي العدل، وخاتمة أولي^(۵) الفضل، إلى أن توفي عام أربعة^(۲) وسبعمائة. وتولّى له القضاء القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرّشي المنبوز^(۷) بابن فركون، وتقدّم التعريف به، والتنبيه على فضله، إلى آخر أيامه.

من كان على عهده من الملوك بالأقطار (٨):

وأول ذلك بفاس؛ كان على (٩) عهده بها السلطان الرفيع القَدْر، السامي الخطر، المرهوب الشّبا، المستولي في العزّ وبُغدِ الصّبت على المدى، أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور بن عبد الحق، وهو الذي وطّد الدولة المَرِينيَّة (١٠)، وجَبَا الأموال العريقة (١١)، واستأصل مَن تُتَقى (١١) شوكتِه من القرابة وغيرهم، وجاز إلى الأندلس في أيام أبيه وبعده، غازيًا، ثم حاصر تِلِمُسان، وهلك عليها في أوائل ذي قعدة عام ستة وسبعمائة، [فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهرًا] (١٣). ثم صار الأمر إلى حافِده أبي ثابت عامر بن الأمير أبي عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بعد اختلاف وقع ونزاع انجلى (١٤) عن قتل جماعة من كِبارهم (١٥)؛ منهم الأمير أبو يحيى بن السلطان أبي يعقوب. واستمرّ الأمر المراسلطان أبي يعقوب. واستمرّ الأمر اللمطان أبي يوسف، والأمير أبو سالم بن السلطان أبي يعقوب. واستمرّ الأمر اللمطان أبي يعقوب. واستمرّ الأمر اللملطان أبي يعقوب. واستمرّ الأمر اللملطان أبي ثابت إلى صفر (١٠)

⁽¹⁾ كلمة: «الكاتب» ساقطة في اللمحة البدرية. (٢) في اللمحة البدرية: «بن القراق».

⁽٣) في اللمحة البدرية: المحمد بن محمد بن هشام. . . ٥ .

⁽٤) نسبة إلى إلش Elche؛ وهي مدينة من كور تدمير. الروض المعطار (ص ٣٠).

 ⁽٥) في اللمحة البدرية: ﴿أَلَي، ﴿
 (٦) في الأصل: ﴿أَربِعِ وهو خطأ نحوي.

⁽٧) في اللمحة البدرية: «المنبز».

⁽٨) في اللمحة البدرية: «مَن كان من الملوك على عهده».

⁽٩) في اللمحة البدرية: «كأن ملكًا بها على عهده السلطان...».

⁽١٠) كلمة: «المرينية» ساقطة في اللمحة. (١١) في اللمحة البدرية: «العريضة».

⁽١٢) في اللمحة البدرية: "يَتُقيِّه. (١٣) ما بين قوسين ساقط في اللمحة.

⁽١٤) في اللمحة البدرية (ص ٦٥) «انجلى الأمر فيه عن.

⁽١٥) في اللمحة البدرية: «أكابرهم». (١٦) في اللمحة البدرية: «بالسلطان».

⁽١٧) في اللمحة البدرية: ﴿إِلَى شهر صفر عام . . . ٩ .

⁽١٨) في اللمحة البدرية: «الأمر بعده إلى.

أخيه أبي الربيع سليمان تمام مدَّة (١) مُلْكه وصدرا من دولة أخيه نصر (٢)، حسبما يذكر في موضعه إن شاء الله.

وبِتِلِمُسان الأمير أبو سعيد عثمان بن يَغُمُراسن، ثم أخوه أبو عمران^(٣) موسى، ثم ولده أبو تاشفين عبد الرحم^ين إلى آخر مدة أخيه^(٤).

وبتونس^(٥) السلطان الفاضل، الميمون النّقِيبة، المشهور الفضيلة، أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيئ بن المستنصر أبي عبد الله بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص، من أُولي^(٢) العقّة، والنزاهة^(٧)، والتؤدة، والحشمة، والعقل، عُنِيَ بالصالحين^(٨)، واختصّ بأبي محمد المرجاني، [فأشار بتقويمه]^(٩)، وظهرت^(١٠) عليه بركته، [وكان يرتبط إليه، ويقف في الأمور عنده، فلم تعدم الرعيّة بركة ولا صلاحًا في أيامه]^(٩)، إلى أن هلك في ربيع الآخر عام تسعة وسبعمائة، ووقعت بينه وبين هذا الأمير المترجم به^(١١) المراسلة والمُهاداة.

وبقَشْتَالَة (۱۲) هراندة بن شانجه بن أدفونش (۱۳) بن هراندة، [المستولي على إشبِيليَّة وقُرْطبة، ومُرْسية، وجَيَّان، ولا حول ولا قوة إلا بالله] (۹). هلك أبوه وتركه صغيرًا، مكفولًا على عادتهم، فتنفَّس المُخَنِّق وانعقدت السلم، واتصل الأمان مدة أيامه، وهلك في دولة أخيه.

وبرغون؛ جايمش(١٤) بن ألفنش بن بِطْرُه.

⁽١) كلمة المدة الساقطة في اللمحة.

⁽٢) في اللمحة البدرية: ﴿ نُصر بعده حسبما يذكر ٤.

 ⁽٣) في اللمحة البدرية: «أخوه أبو زيان ثم أبوه الأمير أبو حمو. ثم ولده الأمير أبو تاشفين».

⁽٤) في اللمحة البدرية: «آخر مدته».

 ⁽٥) في اللمحة البدرية: «وبتونس: كان أميرًا بتونس على عهده السلطان الفاضل أبو عبد الله...».

 ⁽٦) في اللمحة البدرية: ﴿أَلَيُهُ.
 (٧) كلمة ﴿والنزاهةِ ساقطة في اللمحة.

 ⁽٨) في اللمحة البدرية: ارالتؤدة والفضل والحشمة والعقل والعناية بالصالحين، اختص منهم بأبي...».

⁽٩) ما بين قوسين ساقط في اللمحة البدرية. (١٠) في اللمحة البدرية: ﴿فظهرتٌ،

⁽١١) في اللمحة البدرية: «به من بني نصر المراسلة. . . ٢.

⁽١٢) في اللمحة البدرية (ص ٦٦): ﴿وبِقَشْتَالَةَ: كَانَ عَلَى عَهِدُهُ مَنْ مَلُوكُ قَشْتَالَةٌ هُرَانَدَةً. . . ٩ .

⁽١٣) في اللمحة البدرية: ﴿ الْفُونَسُ ﴾.

⁽١٤) في اللمحة البدرية: الطاغية جايمش بن الهونشة. . . ١.

الأحداث(١): في عام ثلاثة وسبعمائة، نَقِم(٢) على قريبه الرئيس أبي الحجاج بن نصر الوالي(٣) بمدينة وادي آش، [أمرًا أوجب عزله عنها، وكان مقيمًا بحضرته فاتخذ الليل جملًا، وكان أمْلُك بأمرها؛ وذاع الخبر، فاستركب الجيش، وقد حدٌّ ما ينزل في استصلابه، وجدُّد الصكوك بولايته خوفًا من اشتعال الفتنة، وقد أخذ على يديه، وأغرى أهل المدينة بحربه، فتداعوا لحين شعورهم باستعداده وأحاطوا به، فدهموه وعاجلوه، فتغلبوا عليه، وقيد إلى بابه أسيرًا مُصَفِّدًا، فأمر أحد أبناء عمَّه فقتله صَبرًا، وتملّا فتحًا كبيرًا، وأمِن فتنة عظيمة](٤). وفي شهر(٥) شوّال من عام خمسة وسبعمائة قرعَ الأسماع النبأ العظم (١)، الغريب، من تَمَلك (٧) سَبْتَة وحصولها في قبضته (٨)، وانتزاعها من يد(٩) رئيسها أبى طالب عبد الله بن أبي القاسم، الرئيس الفقيه، ابن الإمام المحدّث أبي العباس العَزّفي حسبما يتقرّر في اسم الرئيس الفقيه أبي طالب إن بلّغنا الله ذلك؛ واستأصَل ما كان الأهلها(١٠٠ من الذخائر والأموال، ونقل رؤساءها، وهم عدَّة، إلى حَضْرَته غرناطة في غرّة المحرم من العام، فدخلوا عليه، وقد احتفل بالمُلُك، واسْتُركب في الأبُّهة الجندُ، فلتموا أطرافه، واستعطفه(١١١) شعراؤهم بالمنظوم من القول، وخطباؤهم بالمنثور منه، فطمأن روعهم وسكّن جأشهم، وأسكنهم في جِواره، وأجرى عليهم الأرزاق الهلالية، وتفقّدهم في الفصول إلى أن كان من أمرهم ما هو معلوم.

اختلاعه: في يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة أحيط بهذا السلطان، وأتت (١٢) الجيلة عليه، وهو مُصاب بعينيه، مقعد في كِنّه، فداخلت طائفة من وجوه (١٣) الدولة أخاه، وفتكت بوزيره الفقيه أبي عبد الله بن الحكيم، ونَصَبَتْ للناس الأمير أبا الجيوش نصرًا أخاه، وكبست (١٤) منزل السلطان، فأحيط به، وجُعِلَ الحرس عليه (١٥)، وتُسُومِع بالكائنة فكان (١٦) البَهْت، وسالَ من الغوغاء البحر، فتعلقوا

⁽١) في اللمحة البدرية: ابعض الأحداث.

⁽٢) في اللمحة البدرية: «ثار عليه قريبه الرئيس أبو.....

⁽٣) كلمة «الوالي» ساقطة في اللمحة. ﴿ ٤) ما بين قرسين ساقط في اللمحة البدرية.

⁽٥) كلمة: اشهر الساقطة في اللمحة البدرية. (٦) كلمة: العظم اساقطة في اللمحة البدرية.

⁽٧) في اللمحة البدرية: •من تملكه مدينة سبتة ١. (٨) في اللمحة البدرية: •قبضة ملكه ٤.

⁽٩) في اللمحة البدرية: «يدي».

⁽١٠) في اللمحة البدرية: الرؤسائها من الخزائن والذخائر، ونقلهم وهم عدَّة......

⁽١١) في اللمحة البدرية: •واستعطفته. (١٢) في اللمحة البدرية (ص ٦٧): •تمّت».

⁽١٣) في اللمحة البدرية: اكباره. (١٤) في اللمحة البدرية: اوكُبِسَ.

⁽١٥) في اللمحة البدرية: «رجعل عليه الحرس». (١٦) في اللمحة البدرية: «فوقع».

بالحمراء، يسألون عن الحادثة، فشغلوا بانتهاب(١) دار الوزير، وبها من مال الله ما يفوت الوصف، وكان الفَجع في إضاعته على المسلمين، وإطلاق الأيدي الخبيثة عليه عظيمًا. وفي آخر اليوم عند الفراغ من الأمر، دخل(٢) على السلطان المخلوع، الشهداء عليه بخلعه، بعد نقله من دار مُلْكه إلى دار أخرى، فأملَى، رحمه الله، زعموا، وثيقة خلعه، مع شَغْب الفكر، وعِظَم الداهية، وانتقل، رحمه الله، بعد، إلى القصر المنسوب إلى السيد بخارج الحضرة؛ أقام به يسيرًا، ثم نقل إلى مدينة المُنكّب. وكان من أمره ما يذكر إن شاء الله.

آومما يؤثّر من ظَرْفه؛ حدَّث من كان منوطًا به من خاصته، مدة أيام إقامته بقصر نَجْد، قبل خلعه، قال: أرسل الله الأغربة على سقف القصر، وكان شديد التطيّر والقلق لذلك حسبما تقدّم من الإشارة إلى ذلك بحديث العَشر؛ وكان من جملتها غُراب، شديد الإلحاح، حادً النّعيب والصياح، فأغرى به الزماة من مماليكه بأنواع القِسيّ؛ فأبادوا من الغِرْبان أمّة؛ وتخطّاً الحَتْفُ ذلك الغراب الخبيث العِبقان؛ فلمّا انتقل إلى سكنى الحمراء ظهر ذلك الغراب على سقفه؛ ثم لما أهبط مخلوعًا إلى قصر شنيل تبعه، وقام في بعض السّقف أمامه، فقال يخاطبه رحمه الله: يا مشؤوم، يا محروم بين الغربان، قد خَلَصْتَ أمرنا، ولم يبق لك علينا طلب، ولا بيننا وبينك محروم بين الغربان، قد خَلَصْتَ أمرنا، ولم يبق لك علينا طلب، ولا بيننا وبينك منطقه، وخقة روحه] (٣).

وفاته: قد تقدّم ذكرُ استقراره بالمُنَكِّب. وني أُخرَيات شهر جمادى الآخرة عام (٤) عشرة وسبعمائة، أصابت السلطان نصرًا (٥) سكتةً، تُوقِّع منها موته، بل شُكُ في حياته؛ فوقع التفاوض الذي تمخض إلى (٦) التوجيه عن السلطان المخلوع الذي بالمنكِّب ليعود إلى (٧) الأمر، فكان ذلك، وأسرع إلى إيصاله (٨) إلى غرناطة في مِحَفَّة، فكان حلوله بها في رجب (٩) من العام المذكور. وكان من قَدَر الله، أن أفاق

⁽١) في اللمحة البدرية: (بأنهاب دور الوزير الكائنة بالربض وبها...).

⁽٣) ما بين قوسين ساقط في اللمحة البدرية. (٤) في اللمحة البدرية: «من عام».

⁽٥) كلمة «نصرًا» ساقطة في اللمحة البدرية. (٦) في اللمحة البدرية: «عن».

 ⁽٧) في اللمحة البدرية: اله.
 (٨) في اللمحة البدرية: اله.

⁽٩) في اللمحة البدرية (ص ٦٨): ﴿في غرَّة شهر رجب،

أخوه من مرضه، ولم يتم للمخلوع الأمر، فنُقل من الدار التي كان بها إلى دار أخيه الكبرى، فكان آخر العهد به. ثم شاعت وفاته أوائل شوّال من العام المذكور، فذُكِرَ أنه اغتيل غريقًا في البرْكة في الدار المذكورة لما تُوقع من عادية جواره؛ ودفن بمقبرة السّبيكة، مدفن قومه، بجوار^(۱) الغالب بالله جدّه، ونُوَّه بجَدثه، وعليه مكتوب ما نصه (۲):

«هذا قبر السلطان الفاضل، الإمام العادل، عَلَم الأتقياء، أحد الملوك الصلحاء، المُخبِت (٣) الأوّاه، المجاهد في سبيل الله، الرُّضيّ الأوْرَع، الأخشى لله الأخشَع، المراقِب (٤) في السرّ والإعلان، المعمور الجَنان بذكره واللسان، السالك في سياسة الخُلْق وإقامة الحقُّ، مِنهاج^(ه) التقوى والرُّضوان، كافلُ الأمَّة بالرأفة^(٦) والحنان، الفاتح لها بفضل سيرته، وصِذْق سريرته، ونور بصيرته، أبواب اليُمن والأمان، المُنيب الأوَّاب، العامل بكلِّ(٧) ما يجدُه نورًا مُبينًا يوم الحساب، ذي الآثار السّنيَّة، والأعمال الطاهرة العليّة (٨)، القائم في جهاد الكفّار بماضي العَزْم وخالص النيَّة، المقيم(٩) قسطاس العدل، المئير(١٠) مِنهاج الحلم والفضل، حامي الذمار، وناصر دين المصطفى المختار، المُقتدي بأجداده الأنصار، المتوسّل بفضل(١١١) ما أسْلَفُوه من أعمال البرّ والجهاد، ورعاية العباد والبلاد، إلى الملك القهَّار، أمير المسلمين، وقامع المعتدين، المنصور بفضل الله، أبي عبد الله ابن أمير المسلمين الغالب بالله؛ السلطان الأعلى، إمام الهُدى، وغمام(١١٦) النَّدى، مُحيي السُنَّة، حسن الأُمَّة (١٣٠)، المجاهد في سبيل الله، الناصر لدين الله، أبي عبد الله ابن أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله بن يوسف بن نصر، كُرِّم الله وجهه ومَثْواه، ونعَّمه برِضاه. وُلِدَ رضي الله عنه يوم (١٤) الأربعاء الثالث لشعبان المكرم من عام خمسة وخمسين وستماثة. وتوفي، قدَّس الله روحه، وبرّد ضريحه، ضَخوة يوم الاثنين الثالث لشوّال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، رفَّعَه الله إلى منازل أوليائه الأبرار،

⁽١) في اللمحة البدرية: قويجوارة. (٢) في اللمحة البدرية: قما نصُّه من جانب.

⁽٣) المُخبت: المطيع. لسان العرب (خبت).

⁽٤) في اللمحة البدرية: االمراقب لله في السّرَ.....

⁽٥) في اللمحة البدرية: «منهج». (٦) في اللمحة البدرية: «بالكرامة».

⁽٧) كلمة «بكل» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة.

⁽٨) كلمة االعلية؛ ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة.

⁽٩) في اللمحة البدرية: قمقيم. (١٠) في اللمحة البدرية: «منير».

⁽١١) في اللمحة البدرية: قبماة. (١١) في اللمحة البدرية: قغمامه.

⁽١٣) في اللمحة البدرية: «ومعزّ الملّة». ﴿ (١٤) في اللمحة البدرية: «في يوم».

والْحَقّه بأئمَّة الدين (١١)، لهُم عُقْبى الدَّار، وصلّى الله على سيّدنا (٢) محمد المختار، وعلى آله، وسلّم تسليمًا.

ومن الجانب الآخر: [الطويل]

رضَى المَلِكِ الأعلى يَرُوحُ ويَغتَدي مقر العُلى والمُلك والبأس والنّدى ومثوى الهدى والفضل والعدل والتُقى فيا عبجبًا طبودُ البوقيار جبلاليةً وواسِطَةُ العقد الكريم الذي له محمد الرئضي سليل محمد فيا نُخبَة الأملاك غيس منازع بكَتْكُ بلادٌ كنت تحمى ذِمارها (٥) وكم مغلم للدين أؤضخت رسمه كأنك ما سُست البلاد وأهلها كأنك ما قُذت الجيوش إلى العِدا وفَتَحْتَ من أقطارهم كل مُبهم كأنك ما أنفقت عُمْرك في الرّضى وإنصاف مظلوم وتأمين خائف كأنك ما أحيَيْتَ للخَلْق(٧) سُنَّة كأنَّك ما أمضيت في الله عَزْمَةً فإن تُخهل الدنيا عليك وأهلها تَعَوَّضَتَ ذُخْرًا من مقام خلافة

على قَبْرِ مولانا الإمام المُؤيد فقد س من مغنى كريم ومشهد فببورك من منفوى ذكبي ومنلحد ثوى تحت أطباق الصفيح المُنَضّدِ مآثر فخر(۳) بین مشنی وموحد إمامُ النّدى(٤) نجلُ الإمام محمد ويسا عسلم الأعسلام غسيسر مسفسنسد بعَزْم أصيل أو برأي مُسدّد بَنّى لك في الفردوس أرفع مصعد بسيرة منيمون النقيبة مهتد فصيرتهم نهب القنا المتقصد فتخت به باب النّعيم المُخَلّدِ بتجديد غَزُوات (٦) وتشييد مُشجدِ وإصراخ مذعبور وإسعاف مُنجسد تُجادل عنها باللسان (٨) وياليد تدافع فيها بالخسام المهثد بذاك (٩) ثوابُ (١٠) الله يَلقاك في غَدِ مقيم(١١) مُنيبِ خاشع متعبُدِ

⁽١) في اللمحة البدرية (ص ٦٩): قبأتمة الحق الذين لهم ٢٠٠٠.

⁽٢) في اللمحة البدرية: «سيدنا ومولانا وآله وصحبه وسلم تسليمًا».

⁽٣) في اللمحة البدرية: «مجد». (٤) في اللمحة البدرية: «الهدى».

⁽٥) في اللمحة البدرية: «ثغورها». (٦) في اللمحة البدرية: «غزو أو بتشبيد. ٢٠٠٠.

⁽٧) في اللمحة البدرية: «للحقُّ». (٨) في اللمحة البدرية: «بالحسام المُهَنَّد».

⁽٩) في اللمحة البدرية: القذاك.

⁽١٠) في الأصل: قتوب، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة.

⁽١١) في اللمحة البدرية: «مقام».

وكل البورى مَنْ كنان أو هو كنائن فلا زال جنازًا ليلرسول منحمد وهذي القوافي قد وفَيْتُ بنظمها

صريعُ الرَّدى إن لم (۱) يَكُنُ (۲) فكأنَ قَدِ بدارِ نعيم في رِضَى الله سَرْمدِ في الله سَرْمدِ في الله يَصيخُ (۲) لمُنشدِ فيا ليتَ شعري هل يَصيخُ (۲) لمُنشدِ

محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي (٤)

ثاني الملوك الغالبين (٥) من بني نصر، وأساس (٦) أمرهم، وفَخُلُ جماعتهم. أوَّليَّته: تُقرِّر بحول الله في اسم أبيه الآتي بعد حسب الترتيب المشترط.

حاله: من كتاب الأرفة العصرة من تأليفنا؛ كان هذا السلطان أؤخد الملوك جلالة، وصَرامة، وخَزْمًا. مَهْدُ^(۷) الدولة، ووضع ألقاب خدمتها، وقرَّر^(۸) مراتبها، واستجاد أبطالها. وأقام رسوم المُلك فيها، واستَدرَّ جباياتها، مُستَظهِرًا على ذلك بسعة الشَّرع، وأصالة السياسة، ورصانة العقل، وشدَّة الأسر، ووفور الدّهاء، وطول الخُنكة، وتملق التجربة، مليح الصورة، تام الخَلْق، بعيد الهمَّة، كريم الخُلُق، كثير الأناة. قام بالأمر بعد أبيه، وباشره مباشرة الوزير أيام حياته، فجرى على سَنن أبيه، من اصطناع أجناسه، ومُداراة عدوّه، وأجرى^(۱) صدقاته، وأزبَى عليه بخلال، منها براعة الخطّ، وحُسْن التوقيع، وإيثار العلماء، والأطباء^(۱)، والعدلين، والحكماء، والكتّاب، والشعراء، وقرّض الأبيات الحسنة ((۱۱))، وكثرة المُلَح، وحرارة النّادرة. وطما بحرٌ من الفتنة لأول استقرار ((۱۲) أمره، وكثر ((۱۳) عليه المُنتَزون والنّوار، وارتجّت وطما بحرٌ من الفتنة لأول استقرار ((۱۲) أمره، وكثر (۱۳) عليه المُنتَزون والنّوار، وارتجّت الأندلس، وسط أكلُب الكفّار، فصبر ((۱۵) لزلزالها رابط الجأش ثابت المركز، وبذل من الاحتيال والدّهاء المكنّوفين بجميل الصبر، مَا أظفره بخلوً الجوّ الجوّ والله . وطال

⁽١) كلمة الم، ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة.

⁽٢) في اللمحة البدرية: "يجز". (٣) في اللمحة البدرية: «تصيخ».

⁽٤) هذه الترجمة وردت كاملة في اللمحة البدرية (ص ٥٠ ـ ٥٨).

⁽٥) كلمة االغالبين؛ ساقطة في اللمحة البدرية (ص ٥٠).

⁽٦) في اللمحة البدرية: «وعظيمهم وأساس...».

 ⁽٧) في اللمحة البدرية (ص ٥٠): قممهد الدولة الذي وضع . . . ٥ .

 ⁽A) في اللمحة البدرية: «وقدر».
 (P) في اللمحة البدرية: «وقدر».
 (A) في اللمحة البدرية: «وقدر».

⁽١٠) في اللمحة البدرية: «من الأطباء والمنجمين والحكماء...».

⁽١١) في اللمحة البدرية: «الأبيات من الشعر». (١٢) كلمة «استقرار» ساقطة في اللمحة البدرية.

⁽١٣) في اللمحة البدرية: «وتكاثر المنتزون عليه والثوار».

⁽١٤) في اللمحة البدرية: «نشبت». (١٥) في اللمحة البدرية: «جوَّه».

عمره، وجَدُّ^(۱) صيتُه، واشتهر في البلاد^(۱) ذكره، وعظمت غزواته، وسيمر^{ّ(۳)} من ذكره ما يدلّ على أجلّ من ذلك إن شاء الله.

شعره وتوقيعه: وقفتُ على كثير من شعره، وهو نَمَطُ منحطُ بالنسبة إلى أعلام الشعراء، ومُسْتظرفٌ (٤) من الملوك والأمراء. من (٥) ذلك، يخاطب وزيره (٢): [المتقارب]

وإعطاءنا المال بالرَّاحَتَينِ ومالوا إلينا من العُدْوَتينِ فلم يَخْظُ إلَّا بِخُفِّي حُنينِ

تَذَكُّرُ عنزينَ ليبالٍ مَنضَتُ وقد قصدتُنا ملوكُ الجهاتِ وإذ (٧) سأل السُلمَ مئا اللعينُ

وتوقيعه يشُذُ عن الإحصاء (٨)، وبأيدي الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك؛ فمما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرُّف في بعض الشهادات ويلحُ عليها: [الوافر]

يموتُ على الشهادة وَهُوَ حَيْ إللهي لا تُمِتُه على الشهادة وَهُوَ حَيْ إللهي لا تُمِتُه على الشهادة وقع وأطال الخطّ عند إللهي إشعارًا بالضّراعة عند الدعاء والجدّ. ويُذكّر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجند المُنزلين في الدُّور، ونَبَزَه بالتَّعرُّض لزَوْجه: «يُخْرَجُ هذا النَّازلُ^(ه)، ولا يُعَوَّضُ بشيْء من المنازل».

بنوه: ثلاثة؛ وليَّ عهده أبو عبد الله المتقدِّم الذِّكر، وفرج المُغتال أيام أخيه، ونصر الأمير بعد أخيه (١٠٠).

بناته: أربع، عَقَدَ لهنّ، جمع أبرزهنّ إلى أزواجهنّ، من قرابتهنّ، تحت أحوال ملوكية، ودُنيا عريضة، وهنّ: فاطمة، ومؤمنة، وشمس، وعائشة، منهنّ أمَّ حفيدة إسماعيل الذي ابتزُّ مُلك بنيه عام ثلاثة عشر وسبعمائة.

⁽١) في اللمحة البدرية: ﴿وَبَعُدُ ، ﴿ ﴿ ﴾ في اللمحة البدرية: ﴿في الآفاق ، ﴿

⁽٣) في اللمحة البدرية: اوسيمر ما يدل على جلالة قدره وعلو سلطانه.

⁽٤) في اللمحة البدرية (ص ٥١): وومستطرف،

⁽٥) في اللمحة البدرية: •فمن ذلك قوله يخاطب. ٠٠٠.

 ⁽٦) وزيره هو أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني، كما ورد في اللمحة البدرية (ص
 ٥٢).

⁽٧) في الأصل: ﴿ وإذا وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة البدرية.

⁽٨) في اللمحة البدرية: «الإحصاء كثرة». (٩) في اللمحة البدرية: «النازل النازل».

⁽١٠) في اللمحة البدرية (ص ٥٢): اأخيه المخلوع على يده.

وزيره (۱): كان وزيره، الوزيرُ الجليل الفاضل، أبو سلطان (۲)، لتقارب الشّبه، زعموا في السّن والصورة، وفضل الذَّات، ومتانة (۲) الدين، وصحّة الطبع، وجمال الرُّواء، أغنى وحسُنَت واسطتُه، ورُفِعَت إليه الوسائل (٤)، وطُرِّزت باسمه الأوضاع، واتصلت (۵) إلى أيامه أيام مُستوزره، ثم صدرًا من أيام وليّ عهده.

كُتّابه: وُلِّيَ^(۱) له خُطّة الكتابة والرياسة العليا في الإنشاء^(٧) جملة، منهم كاتب أبيه أبو بكر^(٨) بن أبي عمرو اللَّوْشي، ثم الأخوان أبوا^(٩) علي الحسن والحسين، ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اللوشي؛ سَبَق الحسن وتلاه الحسين، وكانا توأمين؛ ووفاتهما متقاربة. ثم كتب له الفقيه (١٠) أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصاري، آخرُ الشيوخ، وبقيةُ الصُّدور والأدباء (١١)، أقام كاتبًا مدة (١٢) إلى أن أبرَمه انحطاطه في هوى نفسه، وإيثاره المعاقرة، حتى زعموا (١٦) أنه قاء ذات يوم بين يديه. فأخره عن الرُّتبة (١٤)، وأقامه في عداد كُتّابه (١٥) إلى أن توفي تحت رِفُده (١٦)، فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته: تولَى له خُطُّة القضاء قاضي أبيه الفقيه العدل^(١٨) أبو بكر^(١٩) بن محمد بن فتح الإشبيلي الملقب بالأشبرون، تولَى قبل ذلك خُطة السُّوق، فلَقِيَ

⁽١) في اللمحة البدرية: ﴿وزراؤ٠، .

⁽٢) في اللمحة البدرية: «أبو سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني، .

 ⁽٣) في اللمحة البدرية: «إلى متانة...».
 (٤) في اللمحة البدرية: «إلى متانة...».

⁽a) في اللمحة البدرية: «واتصلت أيامه إلى تمام أيام.

⁽٢) في اللمحة البدرية: «تولّى».

⁽٧) في اللمحة البدرية: «العليا لقلم الإنشاء...».

⁽٨) في اللمحة البدرية: «أبيه وابن كاتبه أبو بكر بن يوسف اللوشي اليَحْصُبي ثم الإخوان. . . ٣.

⁽٩) في الأصل: قأبو، والتصويب من اللمحة البدرية.

⁽١٠) في اللمحة البدرية (ص ٥٣): اله أبو القاسم محمد بن عابد الأنصاري أحد الشيوخ.

⁽١١) في اللمحة البدرية: «الأدباء». (١١) في اللمحة البدرية: «عنه مدة».

⁽١٣) في اللمحة البدرية: الزعموا أنه قاء يومًا.....

⁽١٤) في اللمحة البدرية: «عن رتبته». (١٥) في اللمحة البدرية: «كتَّابه وتحت رفَّده».

⁽١٦) تحت رفده: تحت كنفه وعطائه.

⁽١٧) في اللمحة البدرية: «أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم الرندي الوزير لولده، فاضطلع...».

⁽١٨) قوله: والفقيه العدل، ساقط في اللمحة البدرية.

⁽١٩) في اللمحة البدرية: •أبو بكر محمد بن فتح بن علي الإشبيلي.

سكران (۱) أفرط في قحته، واشتذ في عربدته (۲)، وحمل على الناس، فأفرجوا عنه افاعترضه واشتذ عليه حتى تمكّن منه بنفسه، واستنصر (۲) في حدّه، وبالغ في نكاله واشتهر ذلك عنه، فجُمِعَ له أمرُ الشرطة وخُطَّة السوق، ثم وُلِّيَ القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصّرامة، إلى أن هلك؛ فولي (١) خطّة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد الله محمد (٥) بن هشام من أهل ألش، لحكاية (٢) غَبَطت السلطان بدينه (٧)، ودلّته على محلة من العدل والفضل، فاتصلت أيام قضائه إلى أيام (٨) مُسْتَقْضِيه، رحمه الله .

جهاده: وباشر^(۱) هذا السلطان الوقائع، فانتجلت ظلماتها عن صبح نصره، وطُرُزت مواقعها^(۱) بطراز جلادته وصبره؛ فمنها وقيعة المطران وغيرها، مما يضيق التأليف عن استقصائه. وفي ^(۱۱) شهر المحرّم من عام خمسة وتسعين وستمائة، على تَفِيّة ^(۱۲) هلاك طاغية الروم، شانجه بن أذفونش، عاجلَ الكفّار ^(۱۲) لحين دَهْشهم، فحشد أهل الأندلس، واستنفر المسلمين، فاغتنم الداعية، وتحرّك في جيش يجر الشّوك والشجر ^(۱۱)، ونازل مدينة قِيجَاطة وأخذ بكظّمها، ففتحها الله على يديه، وتملّك بسببها جملة من الحصون التي ^(۱۱) ترجع إليها؛ وكان الفتح في ذلك ^(۱۱) عظيمًا، وأسكنها جيشًا من المسلمين، وطائفة من الحامية، فأشرَقت العدو بريقِه. وفي صائفة عام تسعة وتسعين وستمائة، نازل مدينة القبذاق ^(۱۷) فدخل جَفْنها، واعتصم من تأخر أجله بقصبتها، ذات القاهرة العظيمة الشأن، الشهيرة في البلدان، وأحيط بهم، فخُذِلُوا وزلزل الله أقدامهم؛ فألقوا باليد، وكانوا أمنع من عُقاب الجو؛ وتَملكها على حكمه، وهي من جلالة الوضع، وشهرة المَنَعَة، وخِضب السّاحة،

⁽١) في اللمحة البدرية: «سكرانًا من الجند قد أفرط في القحة. . ٩٠٠.

⁽٢) في اللمحة البدرية: «العربدة». (٣) في اللمحة البدرية: «واستبصر».

⁽٤) في اللمحة البدرية: «فتولَى».

⁽٥) في اللمحة البدرية: «محمد بن محمد بن هشام».

⁽٦) في اللمحة البدرية: «بحكاية». (٧) في اللمحة البدرية: «به».

⁽٨) في اللمحة البدرية: وإلى تمام أيام مستقضيه، رحمهما الله تعالى؟.

⁽٩) في اللمحة البدرية: «باشر، رحمه الله، الوقائع». (١٠) في اللمحة البدرية: «مواقفها بطرر».

⁽١١) في اللمحة البدرية (ص ٥٤): قفي شهر محرم،

⁽١٢) أي على حين موته وبلا إضاعة وقت. (١٣) في اللمحة البدرية: االكفر لحين الدهشة.

⁽١٤) في اللمحة البدرية: •والمدر•.

⁽١٥) في اللمحة البدرية: «الحصون الراجعة إليها».

⁽١٦) في اللمحة البدرية: البذلك، (١٧) مدينة القبذاق من نواحي قرطبة.

وطيب الماء، والوصول إلى أفلاذ^(۱) الكفر، والاطّلاع على عَوْراته، بحيث شُهِرَ. فكان تيشر^(۲) فتحها من غرائب الوجود، وشواهد اللَّطف، وذلك في صلاة الظهر من يوم الأحد الثامن لشهر شوّال عام تسعة وتسعين وستمائة؛ وأسكن بها رابطة المسلمين^(۳)، وباشر العمل في خندقها بيده، رحمه الله، [فتساقط الناس، من ظهور دوابّهم إلى العمل، فتم ما أريد منه سريعًا.

وأنشدني شيخُنا أبو الحسن الجيَّاب يهنَّنه بهذا الفتح: [الطويل]

وأمرُكَ منصورٌ وسَهْمُكَ صائبُ لهيْبَيْه عجم الوَرَى والأعاربُ

عدوُّكُ مقهورٌ وجِزبكَ غالبُ وشخصُك مهما لاح للخلق أذْعَنَتْ وهي طويلة](1).

مَن كان على عهده من الملوك:

كان على عهده بالمغرب، السلطان الجليل، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، الملقّب بالمنصور؛ وكان ملكًا صالحًا، ظاهر السذاجة، سليم الصدر، مخفوض الجناح، شارِعًا أبواب الدَّالَة عليه منهم؛ أشبه بالشيوخ منه بالملوك، في إخمال (٥) اللفظ، والإغضاء عن الجَفْوة، والنداء بالكُنية. وهو الذي استولى على مُلك الموحّدين، واجتَثَ شجرتهم من فوق الأرض، وورث سلطانهم، واجتاز إلى الأندلس، كما تقدّم مرَّاتٍ ثلاثًا (١) أو أَزْيَدَ منها، وغزا العدُوِّ، وجَرَت بينه وبين السلطان المُترجم به أمور، من سَلْم ومُناقضة (٧)، وإعتاب، وعَنْب، [حسبما تدلُّ على السلطان الشهيرة المُتَداولة؛ وأولها ما كتب به على عهده، الفقيه الكاتب الصّدر، أبو عمرو بن المُرابط، في غرض استنفاد للجهاد: [السريع]

هل من مُعيني في الهوى أو مُنْجِدي من مُثْهِم في الأرض أو مُنْجد؟]^(٨)

وتوفي السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء في عُنفوان وَحُشة بينه وبين هذا السلطان في محرم (٩) خمسة وثمانين وستمائة؛ وولي بعده

⁽١) في اللمحة البدرية: «أفلاذ فؤاد الكفر». (٢) في اللمحة البدرية: «تيسير».

 ⁽٣) في اللمحة: امن المسلمين .
 (٤) ما بين قوسين ساقط في اللمحة البدرية .

⁽٥) في اللمحة البدرية (ص ٥٥): وفي احتمال اللغط،.

⁽٦) في الأصل: اثلاث، وهو خطأ نحوي.

⁽٧) في اللمحة البدرية: «ومناصبة وعتب وإعتاب».

⁽A) ما بين القوسين ساقط في اللمحة البدرية.

⁽٩) في اللمحة البدرية (ص ٥٥): «محرم من عام . . . ه .

ولده (۱) ، العظيم الهِمَّة ، القوي العزيمة (۲) ، أبو يعقوب يوسف ، وجاز إلى الأندلس على عهده ، واجتمع به بظاهر مَرْبلّة (۳) ، وتجدَّدَ العهدُ ، وتأكَّد الوُدُ ؛ ثم عادت الوَحْشة المُفْضية إلى تغلب العدو على مدينة (۱) طريف ، فُرْضَة المجاز الأدنى ، واستمرّت أيام السلطان أبي يعقوب إلى آخر مدة السلطان المترجم (۵) به ، ومدة ولده بعده .

وبوطن تِلمُسان، أبو يحيئ يَغْمور (١)، وهو يَغْمُرَاسِن بن زَيَّان بن ثابت بن محمد بن بندوسن بن طاع الله بن علي بن يمل، وهو أوحدُ أهل (١) زمانه جرأة وشهامة، ودهاء، وجزالة، وحزمًا. مواقفه في الحروب (٨) شهيرة، وكانت بينه وبين بني مَرين وقائع، كان عليه فيها الظهور، وربما نَدَرت الممانعة؛ وعلى ذلك فقويً الشكيمة، ظاهر المنعة. ثم وُلِّيَ بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السلطان المترجم به، وبعضًا من دولة ولده.

وبوطن إفريقية، الأمير الخليفة، أبو عبد الله بن أبي زكريا بن أبي حَفْص، الملقّب بالمستنصر، المثل المضروب، في البأس^(٩) والأنفّة، وعِظَم الجَبروت^(١)، وبُعْد الصِّيت، إلى أن هلك سنة أربع^(١) وسبعين وستماتة؛ ثم ولده الواثق بعده، ثم الأمير أبو إسحلق وقد تقدّم ذكره. ثم كانت دولة الدَّعيُّ^(١١) ابن أبي عمارة المتوثّب على مُلْكهم؛ ثم دولة أبي حفص مُستنقِدها من يده، وهو عمر بن أبي زكريا بن^(١٢) عبد الواحد، ثم السلطانُ الخليفةُ الفاضل، الميمون النُقيبة، أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيئ بن المستنصر⁽¹¹⁾ أبي عبد الله بن الأمير زكريا^(١٥).

وبوطن النُصارى، بقَشْتالة، ألفُنش (١٦) بن هِراندة، إلى أن ثار عليه ولده شانجُه، واقتضت الحال إجازة سلطان المغرب، واستجار به؛ وكان من لقائه بأحواز الصّخرة من كورة تاكرُنّا ما هو معلوم. ثم ملك (١٧) بعده ولده شانجُه، واتصلت

⁽١) في اللمحة البدرية: «بعده السلطان المعظم البعيد الهمّة . . . » .

 ⁽٢) في اللمحة البدرية: «العزمة».
 (٣) مربلة: ناحية من أعمال قبرة بالأندلس.

 ⁽٤) في اللمحة البدرية: ﴿جزيرة الله على الله

 ⁽٥) في اللمحة البدرية: «المذكرر ومدة ولده من بعد».
 (٦) في اللمحة البدرية: «يعمور بن زيان...». (٧) كلمة «أهل» ساقطة في اللمحة البدرية.

 ⁽A) في اللمحة البدرية: «الحرب».

⁽١٠) في اللمحة البدرية (ص ٥٦): االجبروتية!. (١١) في الأصل: الربعة! وهو خطأ نحوي.

⁽١٢) في اللمحة البدرية: «الداعي». (١٣) في اللمحة البدرية: «زكريا يحين بن٠٠٠٠٠.

⁽١٤) في اللمحة البدرية: «المستنصر بالله». (١٥) في اللمحة البدرية: «أبي زكريا».

⁽١٦) في اللمحة البدرية: ﴿ أَلْفَنْشُ فَرَانُدُهُ ﴾ . ﴿ ١٧) في اللمحة البدرية: ﴿ وَمَلْكُ ﴾ .

ولايته مدة أيام السلطان، وجرت بينهما خُطوب إلى أن هلك عام أربعة (١) وسبعين (٢) وستمائة. ووُلِّي بعده ولده هِراندة سبعة عشر (٣) عامًا، وصار المُلك إليه، وهو صبيً صغير، فتنفَّس مُختَّق أهل الأندلس، وغزا سلطانهم (٤) وظهر إلى آخر مدته.

وبرَغُون، الفُئش بن جايمش بن بِطُره بن جايمش، المستولي على بلنسية. ثم هلك ووُلِّي بعده جايمش أف ولده، وهو الذي نازل مدينة المرية على عهد نصرٍ ولده، واستمرّت أيام حياته إلى آخر مدته. وكان لا نظير له في الدَّهاء (٢) والحزم والقوة.

ومن الأحداث في أيامه:

على عهده تفاقم الشُر^(۷)، وأعيا داء الفتنة، ولقحَتْ حربُ الروساء الأصهار من بني إشْقَيْلولة، فمن دونهم، وطَنَب سُرادِق الخلاف، وأصاب الأُسَر وفحول الثروة الروساء، فكان بوادي آش الرئيسان أبو محمد وأبو الحسن (۱۸)، وبمالَقة وقمارِش الرئيس أبو محمد عبد الله، وبقُمارش رئيس آخر هو الرئيس أبو إسحلق. فأما الرئيس أبو محمد فهلك، وقام بأمره بمالقة، ولده، وابن أُخت السلطان المترجم به. ثم خرج عنها في سبيل الانحراف والمُنابذة إلى ملك (۱۹) المغرب، ثم تصيِّر أمرها إلى السلطان، على يد واليها من بني علي (۱۱). وأما الرئيسان، فصابرا المضايقة، وعزما (۱۱) على النطاق والمقاطعة بوادي آش زمانًا طويلًا؛ وكان آخر أمرهما الخروج عن وادي آش إلى ملك المغرب؛ مُعَوِّضين بقصر كِتَامة؛ حسبما يذكر في أسمائهم؛ إن بلُغنا الله إليه.

وفي أيامه كان (۱۲) جواز السلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق؛ إلى الأندلس؛ مُغازيًا (۱۳) ومجاهدًا في سبيل الله؛ في أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة، وقد فَسَد ما بين سلطان النصارى وبين ابنه (۱۲). واغتنم المسلمون الغرّة،

⁽١) في الأصل: «أربع؛ وهو خطأ نحوي. (٢) في اللمحة البدرية: «وتسعين».

 ⁽٣) في اللمحة البدرية: •سبع عشرة سنة».
 (٤) في اللمحة البدرية: •سبع عشرة سنة».

⁽٥) في اللمحة البدرية: ﴿ولدُّه جايمش الذي نازل ألمرية. . . ١ .

⁽٦) في اللمحة البدرية: «في الحزم والدهاء...».

⁽٧) في اللمحة البدرية (ص ٥٦): النفاقم على عهده الشرُّ. . . ١٠.

⁽٨) في اللمحة البدرية: • فكان بمدينة وادي آش... وأبو حسن.

⁽٩) في اللمحة البدرية: «إلى ملكة ملك. . . ٤٠ (١٠) في اللمحة البدرية: «محلى».

⁽١١) في اللمحة البدرية: ﴿ وَمَرِنَا عَلَى المِقَاطِعةِ ٤.

⁽١٢) في اللمحة البدرية: لاجاز السلطان أميرُ المسلمين أبو يوسف. . . ٤.

⁽١٣) في اللمحة البدرية: فغازيًا ٤.

⁽١٤) في اللمحة البدرية: •ما بين ابن سلطان الروم وبين الملك أبيه».

واستُدعي سلطان المغرب إلى الجواز؛ ولحق به السلطان المترجم به؛ وجمع مجلسه بين المُنْتَزين عليه وبينه؛ وأجلت الحال عن وَخْشَة. وقُضِيت الغُزاة؛ وآب السلطان إلى مستقرّه.

وفي العام بعده، كان⁽¹⁾ إيقاع السلطان ملك المغرب بالزعيم الخُنُونَه، واستئصال شَافته، وحصْدُ شوكته. ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العُدُوة؛ واحتل بمدينة طريف في أوائل ربيع الأول عام سبعة وسبعين وستمائة؛ ونازل إشبيلية؛ وكان اجتماع السلطانين بظاهر قُرطبة؛ فاتصلت اليد؛ وصَلُحت الضمائر؛ ثم لم تلبث الحال أن استحالت إلى فساد، فاستولى ملك المغرب على مالقة، بخروج المنتزي بها إليه، يوم⁽⁷⁾ الأربعاء التاسع والعشرين لرمضان عام سبعة وسبعين المنتزي بها إليه، يوم⁽⁷⁾ الأندلس بمُداخلة مَن كانت بيده ولنظره، حسبما يأتى بعد إن شاء الله.

وعلى عهده نازل طاغية الروم الجزيرة^(ه) الخضراء، وأخذ بمُخَنُقِها، وأشرف على افتتاحها، فدافع^(۱) الله عنها، ونفس حصارها^(۱)، وأجاز الرُّوم بحرها على يد الفئة القليلة من المسلمين، فعظم المَنْحُ^(۱)، وأسفر الليل، وانجَلَت الشَّدة، في وسط ربيع^(۹) الأول من عام ثمانية وسبعين وستمائة (۱۰).

مولده: بغرناطة عام ثلاثة وثلاثين وستمائة. وأيام دولته ثلاثون سنة وشهر واحد، وستة أيام.

وفاته: من كتاب «طُرْفة العصر» من تأليفنا في التاريخ، قال: واستمرّت الحال إلى أحد وسبعمائة، فكانت في ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان في صلاة العصر، وكان السلطان، رحمه الله في مصلّاه، متوجّها إلى القِبْلة لأداء فريضته، على أتم ما يكون عليه المُسْلم من الخَشْية والتأهب، زعموا أن شَرقًا كان يعتاده لمادة كانت تنزل من دماغه، وقد رَجَمَت الظنون في غير ذلك لتناوله عشيّة يومه كعكًا اتخذت له بدار

⁽١) في اللمحة البدرية: اكانت الوقيعة بالزعيم الكبير من زعماء الروم المسمى ذنونه.٠٠٠٠

⁽٢) في الأصل: «إلى يوم؛ والتصويب من اللمحة البدرية (ص ٥٨).

⁽٣) في اللمحة البدرية: اوتسمينا.

⁽٤) في اللمحة البدرية: الملكة السلطان بمداخلة من كانت لنظره إياه اله

⁽٥) كلمة «الجزيرة» ساقطة في اللمحة البدرية. (٦) في اللمحة البدرية: «فدفع».

⁽٧) في اللمحة البدرية: «حصّرها وأحان أجفان الروم لبحرها وعلى أيدي الفئة. ٢٠٠٠.

 ⁽A) في اللمحة البدرية: «الفتح».
 (P) في اللمحة البدرية: «شهر ربيع...».

⁽١٠) في الأصل: المانية وسبعة وسبعين وستمائة، والتصويب من اللمحة البدرية.

(٢) في اللمحة البدرية: «ثم عُزْر».

وليّ عهده، والله أعلم بحقيقة ذلك. ودفن منفردًا، عن مدفن سلفه، شرقيً المسجد الأعظم، في الجِنان المتصل بداره (١). ثم تُني بحافده السلطان أبي الوليد، وعُزُز (٢) بثالث كريم من سُلالته، وهو السلطان أبو الحجاج بن أبي الوليد، تغمّد الله جميعهم برحمته (٣)، وشمّلَهم بواسع مغفرته وفضله.

⁽١) في اللمحة البدرية: ابدارهما.

⁽٣) في اللمحة البدرية: ابعفوه.

فهرس المحتويات

_	**************************************
	مقدمة المحقِّقمقدمة المحقِّق
14	اولاً ـ مؤلَّفاته التاريخية
15	ئانيًا ـ مؤلَّفاته في الجغرافيا والرحلات
16	
17	رابعًا ـ المؤلَّفات الأدبية (شعرًا ونثرًا)
20	خامسًا ـ مؤلَّفاته في الشريعة والتَّصوّف والحتّ على جهاد النفس
22	سادسًا ــ مؤلَّفاته في السياسة
24	سابعًا ــ مؤلَّفاته في الطُّبِّ والأغذية
27	تُبْت بأسماء مصادر ومراجع الدراسة والتحقيق
٣	مقدمة المؤلّفمقدمة المؤلّف
	القِسم الأوّل
	في حِلَى المَعَاهد وَالأَماكِن وَالمَنَازِل والمسَاكِن
۱۳	فصل في اسم هذه المدينة ووضّعِها على إجْمالِ واختصار
	فصـــل في فتح هذه المدينة ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها وما
۱۸	كانت عليه أحوالهم، وما تعلق بذلك من تاريخ
	ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى
۲۱	المُعاهدين على الإيجاز والاختصار

	ذكر ما يُنسَب إلى هذه الكورة من الأقاليم التي نزلتها العرب بخارج
40	غَرْناطة، وما يتصل بها من العمالة
40	فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجُنَّات والجهات
۲۸	فصــل فصــل
۲٦	نصــل
٣٦	نصــل
	فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدُن أَصْبَحَتْ دار إمارة باختصار
٤.	واقْتِصار
	القِسم الثاني
	في حِلَى الزّائِر وَالقَاطِن وَالمتحَرِّكُ وَالسَّاكِن
٤٥	أحمد بن خَلف بن عبد الملك الغساني القُلَيعي
٤٧	أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي
	أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشمِر بن
٤٧	عبد شمس بن غريب الهمداني الإلبيري
٤٩	أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي
	أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيئ بن
٥٢	عبد الرحمان بن يوسف بن سعيد بن جُزّي الكلبي
	أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن سَعْدة بن
	سعيد بن مَسْعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل بن عامر بن الفضل بن
٥٦	بكر بن بكّار بن البدر بن سعيد بن عبد الله العامري
٥٨	أحمد بن محمد بن أحمد بن قُعنب الأزدي
٥٩	3
٥٩	
٠,٣	أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله بن ورد التميمي
٠,	أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي
٦٢	أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي
77	أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيئ بن عبد الحق الجدلي

	أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الصقر
٦٨	الأنصاري الخزرجي
٧١	أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمان
	أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن
٧٢	الزبير بن عاصم بن مُسلم بن كَعْب الثَّقفي
۷٥	أحمد بن عبد الولي بن أحمد الرعيني
٧٦	أحمد بن علي بن أحمد بن خَلَف الأنصاري
٧٧	أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه الله
	أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن يحيئ بن محمد بن مصادف بن
٨٠	عبد الله
۸۱	أحمد بن حسن بن باصَة الأسْلَمي المُؤقِّت بالمسجد الأعظم بغرناطة
٨٢	أحمد بن محمد بن يُوسُف الأنصاري
۸۳	أحمد بن محمد الكَرْنيأحمد بن محمد الكَرْني
۸۳	أحمد بن محمد بن أبي الخليل، مُفَرِّج الأموي
	أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خَلَف بن سعيد بن خلف بن سعيد بن
	محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن
	سعید بن عمّار بن یاسِر صاحب رسول الله، ﷺعمّار بن یاسِر صاحب رسول الله،
97	غريبةً في أمره مع حفصة
	أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشي، المعروف بابن
97	فرکون
	أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صَفُوان
	أحمد بن أيوب اللّمائي
	أحمد بن محمد بن طَلْحة
* A	أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتِمة الأنصاري
	أحمد بن عباس بن أبي زكريا
	أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطيّة القُضاعي
45	أحمد محمد محمد من شعب الكزياني

	أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن
۱۳۸	حسين بن علي بن سليمان بن عرفة اللخمي
124	أحمد بن علي المِلْياني
188	أحمد بن محمد بن عيسى الأموي
180	أحمد بن الحسن بن علي بن الزيّات الكلاعي
101	إبراهيم بن محمد بن مُفرَّج بن هَمُشْك
100	انخلاعه للموحدين عمّا بيده وجوازه للعدوة، ووفاته بها
	إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن
100	أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ
	إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني،
109	أبو إسحاق
771	إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعيّ الذي قيُّضِه الله لهلاك حينه
	إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن
170	أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي
771	إبراهيم بن فرج بن عبد البر المخولاني
۸۲۱	إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي
178	إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري
۱۷۰	إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي
	إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن
۱۷۸	عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري
	إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن عمر بن فَرْقَد
191	القُرشي العامري
194	إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدِس بن محمود النفزي
197	إبراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر التُّسُوليّ
197	إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التُّنوخي
	اسماعیل بن فرج بن إسماعیل بن یوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن
γ	خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي
	اسماعیل بن یوسف بن إسماعیل بن فرج بن نصر

414	الملوك على عهده
YIA	أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيئ المسوفي الصحراوي
	إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمير المؤمنين،
***	الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين
277	تصيُّر الأمر إليه، وجوازه إلى العُدوة
	أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدي سعد بن بكر بن
YY A	عفان الإلبيري الإلبيري عفان الإلبيري
	أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن خالد بن حسين بن
477	
777	أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّي
221	أبو بكر المخزومي الأعمى الموروري المُدوَّريالمخزومي الأعمى الموروري المُدوَّري
240	أَصْبَعَ بن محمد بن الشيخ المهدي
۲۳٦	أبو علي بن هدية أبو علي بن هدية
227	أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطُنْجالي
۲ ۳۸	بُلُكُين بن باديس بن حَبُوس بن ماكْسَنْ بن زيري بن مناد الصُّنهاجي
۲٤.	باديس بن حبُّوس بن ماڭسَن بن زيرِي بن مَناد الصَّنهاجي
788	ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغرالة الإسرائيلي
	مكان باديس من الذكاء وتولّعه بالقضايا الآتية
737	بَكْرُونَ بِنَ أَبِي بِكُرِ بِنِ الْأَشْقَرِ الْحَضْرِمِي
727	بدر مولى عبد الرّحمان بن معاوية الداخل
Y £ Y	تَاشُفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعُذُوة
704	ثابت بن محمد الجرجاني ثم الإستراباذي
700	جعفر بن أحمد بن على الخزاعي
Y0Y	جعفر بن عبد الله بن محمد بن سِيدبُونة الخزاعي
404	الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري
	الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجُذامي
	حسن بن محمد بن حسن القيسي
771	حسن بن محمد بن باصة
	v

777	الحسن بن محمد بن علي الأنصاري
475	الحسين بن عنيق بن الحسين بن رشيق التغلبي
777	حَبُوس بن ماكْسَن بن زِيري بن مَناد الصَّنهاجي
	الحكم بن عبد الرحمين بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمين بن الحكم بن
AFY	هشام بن عبد الرحمان بن معاوية
	الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن
P T T	مروان بن أمية
177	حكم بن أحمد بن رجا الأنصاري
	حاتم بن سعید بن خلف بن سعید بن محمد بن عبد الله بن سعید بن
777	الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمّار بن ياسر .
277	حُباسة بن ماكْسَن بن زيري بن مناد الصُّنْهاجي
377	حبیب بن محمد بن حبیب
440	حمدة بنت زياد المُكَتُب
777	حَفْصة بنت الحاج الرُّكُوني
141	الخِضْر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية
	خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي
	داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حَوْط الله
Y A Y	الأنصاري الحارثي الأندي
PAY	رضُوانَ النَّصْرِي الحاجِبُ المُعَظُّم
197	ترتیب خدمته وما تخلّل عن ذلك من محنته
797	زاوي بن زِيري بن مّناد الصُّنْهاجي
797	مُنصرفه عن الأندلس المنصرفه عن الأندلس
797	زهير العامري، فتى المنصور بن أبي عامر
	طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي وأخواه أبو بكر وأبو الحسن بنو
494	
4.1	محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر
	محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن
4.1	خميس بن نصر الْخُرْزُ جي

711	مَن كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين والنصارى
	محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن
717	نصر بن قيْس الخزْرَجي
414	ما نقل عنه من الفظاظة والقسوة
۲۲.	مَن كان على عهده من الملوك بالأقطار
	محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن
777	نصر الأنصاري الخزرجي
۲۳.	مَن كان على عهده من الملوك كان على عهده من الملوك
۲۳۲	ومن الأحدا ث في أيامه ومن الأحداث في